محمود شلبي

# إنسانيات عُمَر

## رجل الدولة الأعظم

(ما طلعتِ الشمسُ علي رجلٍ خيرٍ مِن عُمَر)
"حديث"

# إنسانياتُ عُمَر !

## رجل الدولة الأعظم

ما طَلَعَتِ الشمْسُ على

رجل خير من عُمَر

محمود شلبي

١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٦ م

إنسانيات عمر
رجل الدولة الأعظم

الإهـــــداء

# اللهم منك وإليك

محمود شلبـــــي

# ( بين يدي )

# ( إنسانيات عمر )

بسم الله ... والصلاة والسلام على رسول الله ... وبعد ...

ففي رأيي ... أن عمر بن الخطاب أعجب رجل على الإطلاق على مستوى البشرية كلها ... لماذا؟

؛ لأنه الوحيد في التاريخ كله ... الذي اجتمع في شخصيته العناصر التالية:

١- فتح العالم كله في عشر سنين!!

٢- حكم العالم كله حكما عادلا ... أجمع عليه العالم كله ... على اختلاف أديانه وعقائده!!

٣- وضعت جميع مقدرات الأرض تحت يديه ... فلم يلتفت إليها ... ولم يمد إليها عينيه!!

٤- أعظم سياسي في التاريخ على الإطلاق ... فإن رجلا يسيطر على الكرة الأرضية... ويسوسها في إحكام وإتقان ... فلم تهتز في يديه اهتزازة واحدة ... يعتبر أعجوبة الساسة ... ونادرة الحكام ... ورجل الدولة الأعظم!!

٥- سجل عمر أعلى رقم قياسي في التاريخ على الإطلاق ... فشهد له الجميع أنه أعجز من بعده!!

٦- لا أحد بعد عمر يستطيع أن يفعل مثل ما فعل عمر إلى يوم القيامة ... مهما حاول ومهما تأس بعمر ... وهو من هنا ينفرد بخاصيه دون الناس جميعًا!!

٧- هو أوحد الأمة الإسلامية كلها إلى يوم القيامة ... وهو أوحد البشرية كلها إلى يوم القيامة.

٨- لم تشهد البشرية ولن تشهد رجلا حكمها كلها فعدل عدل عمر!!

وغير تلك العناصر كثير ... ولقد ثبت لي على امتداد أكثر من خمسين سنة ... أنفقتها في البحوث الإسلامية ... إذا أردت أن تعلم حقيقة التطبيق الإسلامي الصحيح ... فانظر إلى تطبيق عمر للإسلام...

وأعني بذلك ... الخلافة بعد النبي - ﷺ - استلمها عمر من أبي بكر ... بيضاء لا عوج فيها... فأقامها على كتاب الله وسنة رسول الله - ﷺ - ... وشعشع في الدنيا كلها اجتهاداته في كل أمر يواجهه، وهو يدير شئون العالم كله ... فكان أمره كله عجبًا!!

وأسلمها إلى عثمان ... بيضاء لا عوج فيها...

أسلمه أمة قاهرة ظاهرة على أهل الأرض جميعًا ...

مستقيمة على أمر الله ...

على قلب رجل واحد ...

ولم يحدث في عهد عمر فتنة واحدة ... ولا قلقلة واحدة ...، وإنما رجل رهيب عجيب مهيب ... يرهبه الناس جميعًا ... من بعيد أو من قريب!!

هؤلاء الذين أطلوا برءوس الفتن من بعده ... ما كانوا يجرؤون في عهده أن يفكروا مجرد تفكير فيما كان منهم من بعده !!

عملاق الحقّ ... أو الحقّ في عملاق ...

انتفض ... فاستوى على عرض الدنيا ... فقالت الدنيا: ما حكمني أقوى، ولا أشد، ولا أعدل منك يا عمر!!

قال الراوي:

« أما والله إن كان عمر، إذا مشى، لشديد الوطء على الأرض، جهوري الصوت » .

وهكذا كانت شخصيته ...، وكذلك كانت سياسته ...

كان شديد الوطء على أهل الأرض جميعًا ... جهوري الصوت عليهم جميعًا ...

كان كل إنسان يرعب منه رعبا شديدًا ...، لأنه لا يخاف في الله لومة لائم ...

وكان صوته دائما أعلى من صوت الناس جميعًا ...، لأنه صوت الحق ...، والحق يعلو لا يُعلى عليه!!

فما كان من سمات شخصيته كان من سمات سياسته!!

عن ابن عباس — رضي الله عنه — قال: سألت عمر رضي الله عنه لأي شيء سُميت الفاروق؟ ... فقال: — وقص عمر قصة إسلامه حتى قال — فسماني رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الفاروق »

وكان عمر هكذا وهو يحكم الدنيا كلها ...، فاروقا بين الحق والباطل ...، معلنا كلمة الحق رغم أنف الدنيا كلها!!

« قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه، وهو الفاروق فرق الله به بين الحق والباطل » !!

وكما كانت الشياطين تفر من عمر — من قوة شخصيته — كذلك كانت سياسة عمر ... حين حكم العالم ... كان أهل الباطل يفرون منه فرارا ... ولا يستطيعون أن يثبتوا تجاهه أبدًا!!

قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكًا فجا إلا سلك فجًا غير فجك » !!

وقال رسول الله – ﷺ – : إني لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر .

وهكذا كان – وهو يحكم العالم – ... لا يجرؤ كلب من كلاب الباطل أن يعوي على مسمع من عمر!!

قال النبي – ﷺ – : أشد أمتي في أمر الله عمر » !!

وهكذا كان، وهو يحكم العالم!!

قال رسول الله – ﷺ – : لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب »

ولو ذهبنا نعدد مناقب عمر ... لم يسعها هذا الكتاب ...

وإنما هي قطرة عطر ننشرها بين يدي « إنسانيات عمر »

وسلام على عباده الذين اصطفى ...

والحمد لله رب العالمين،

محمود شلبي

القاهرة ١٤١٤ هـ

١٩٩٣ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# مقدمة

الحمد لله ... والصلاة والسلام على رسول الله ... وبعد...

كما هو الأسلوب من جميع ما كتبتُ ... ندخل إلى عمر ...

سهولة، تفاعل، اندماج، تجدد، تطور، انطلاق، ثم استخراج للمفاهيم السامية من حياة عملاق الإسلام ... عمر بن الخطاب.

وانطلاقة فوق الجزيرة العربية، وفوق الإمبراطورية الرومية، وفوق الإمبراطورية الفارسية...

فوق العالم أجمع ... حيث اتسعت فتوحات عمر، فشملت المشارق والمغارب.

ومن هنا تأتي خطورة الدور الذي أداه عمر في التاريخ ...

لقد كان الرجل الذي اكتملت في عهده الدولة، ونضجت في حكمه الفكرة، واتسع في عهده التطبيق ...

وكانت غرائب، وعجائب، وعظائم من الرجل ...

سوف نرى في ذلك الكتاب أمرًا عجبًا ...

ما من مشكلة اقتصادية، جماهيرية، أو فردية، إلا وضع لها عمر حلا كاملا.

وما من مشكلة سياسية، دولية، أو داخلية، إلا أدلى الرجل فيها برأي، هو الرأي الذي لا يعلو عليه رأي!

وما من شاردة أو واردة، أو ظاهرة أو باطنة، إلا جاءنا الرجل فيها بفصل الخطاب!

فلئن قالوا: إنَّ عَهدَ رسول الله عهدُ مُثُلٍ عليا لا يستطاع اللحاق بها، فلا تضربوا لنا به الأمثال.

ولئن قالوا: إن عهد أبي بكر كان عهد امتداد لتلك المثل فلا يقاس عليه ...

قلنا: ها كم عمر ...

أحد عشر عامًا من الحكم العالمي، الممتد شرقًا وغربًا. المنتظم تحت رايته أمم، مختلفًا ألوانها، وعقائدها، ونظمها، ولغاتها، وآمالها، وأعمالها ...

ولكنها كلها ارتضت عمر حاكمًا، وارتضت اقتصاده نظامًا، وأثنت عليه كلها ثناء جميلا!.

ها كم عمر ... رجل حكم العالم كله، إلا قليلا ... وساسه دينا، ودنيا، حربًا وسلمًا، اقتصادًا واجتماعًا ...

ها كم عمر ... نظامًا سياسيًا، كاملاً، متكاملاً، شهد له الأعداء قبل الأصدقاء.

نظام يشمخ بأنفه إلى السماء، وتتلاشى إلى جواره كل النظم التي قامت، أو تقوم فوق الأرض.

ومن كان في شك، فليقرأ، وليحكم ...

محمود شلبي

ذلكـــم . .

هـــو . .

عُمـــر!

## بعد كم شخص أسلم ؟!

عن عمر – رضي الله عنه – أنه أسلم في ذي الحجة في السنة السادسة من النبوة، وهو ابن ست وعشرين سنة.

وعن داود بن الحصين، والزهري، قالا: أسلم عمر بعد أربعين، أو نيف وأربعين بين رجال ونساء قد أسلموا قبله ... »

## الفاروق!

عن ابن عباس – رضي الله عنه – قال: سألت عمر: لأي شيء سميت الفاروق؟

فذكر حديث إسلامه إلى أن قال: فأخرجنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في صفين له كديد ككديد الرحى، حتى دخلنا المسجد، فسماني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الفاروق » .

## إن الشيطان يفرّ من عمر!

عن سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – قال: استأذن عمر، على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعنده نساء من قريش يكلمنه، ويستكثرنه عالية أصواتهن فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب فأذن له رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فدخل، ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – يضحك

فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله.

قال: (عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي لما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب)

فقال عمر: فأنت أحق أن يهبن

ثم قال عمر: أي عدوات أنفسهن، أتهبنني، ولا تهبن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

قلن: نعم، أنت أغلظ، وأفظ من رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكًا فجا إلا سلك فجًا غير فجك) » .

## بشارة النبي صلى الله عليه وسلم عمر بالجنة!

عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – ، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (يطلع من تحت هذا الصور[1] رجل من أهل الجنة) فطلع عمر، فهنيناه بما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

ثم قال: (يطلع من تحت هذا الصور رجل من أهل الجنة، ثم قال: اللهم إن شئت جعلته عليًا) فطلع علي – رضي الله عنه – » .

---

(١) الصور: الجماعة من النخل ولا واحد له من لفظه.

## قول النبي – ﷺ – يا أخي. لعمر!

... عن عمر، عن النبي – ﷺ – أنه استأذنه في العمرة، فأذن له، وقال له: (يا أخي لا تنسنا من دعائك)

وقال بعدُ في المدينة: (يا أخي أشركنا في دعائك).

قال عمر – ﷺ –: «ما أحب أن لي بها ما طلعت عليه الشمس، لقوله يا أخي».

## عمر سراج أهل الجنة!

عن ابن عمر، قال: قال رسول الله – ﷺ –: (عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة)»

## إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه!

عن أبي ذر – رحمه الله – عن النبي – ﷺ –: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه يقول به».

## الحق بعد رسول الله – ﷺ – مع عمر!

عن ابن عباس، عن أخيه الفضل – ﷺ – قال: سمعت رسول الله – ﷺ – يقول: (عمر بن الخطاب معي حيث أحب وأنا معه حيث يحب، الحق بعدي مع عمر بن الخطاب حيث كان)».

## أشد أمتي في أمر الله عمر!

عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك، قال: قال النبي – ﷺ – (أشد أمتي في أمر الله عمر)».

## إن الله يغضب إذا غضب عمر ؟!

عن عاصم بن ضمرة، عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله – ﷺ –: (اتقو غضب عمر إن الله يغضب إذا غضب » .

## لو كان بعدي نبيّ لكان عمر!

عن عقبة بن عامر، – رحمه الله – قال: قال رسول الله – ﷺ –: (لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب) » .

## جبريل – ﷺ – يتحدث عن فضائل عمر!

عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله – ﷺ – لجبريل: خبرني بفضائل عمر عندكم في السماء

فقال: يا محمد، لو مكثت معك ما مكث نوح في قومه، ألف سنة إلا خمسين عامًا، ما حدثتك بفضيلة واحدة من فضائل عمر... وإن عمر لحسنة من حسنات أبي بكر» .

## فلم أر عبقريًا يفري فرْي عمر!

عن أبي هريرة، عن النبي – ﷺ – قال: (رأيت كأني أنزع على غنم سود إذ خالطها غنم

عفر(١)

إذ جاء أبو بكر فنزع ذنوبين، وفيهما ضعف ويغفر الله له

إذ جاء عمر، فأخذ الدلو فاستحالت غربًا

فأروى الناس، وصدر الشاء فلم أر عبقريًا(٢) يفري فري عمر

فقال رسول الله – ﷺ – (فأوّلتُ أنّ الغنم السود العرب، وأن العفر إخوانهم من هذه الأعاجم)».

## فضل أبي بكر وعمر!

عن أبي سعيد الخدري، عن النبي – ﷺ –: أن أهل عليين ينظر إليهم من أسفل منهم كما ينظُرُ الكوكب الدري في جو السماء، وأن أبا بكر، وعمر منهم، وأنعما ».

## سيدا كهول أهل الجنة!

عن علي – رضي الله عنه – قال بينا رسول الله – ﷺ – وأنا معه في المسجد ليس معنا ثالث إذ أقبل أبو بكر وعمر كل واحد منهما آخذ بيد صاحبه فقال:

(يا عليّ هذان سيدا كهول أهل الجنة ممن مضى من الأولين والآخرين ما خلا النبيين والمرسلين يا عليّ، لا تخبرهما بذلك).

فما أخبرتهما حتى ماتا، ولو كانا حيين ما أخبرت بهذا الحديث أحدًا».

## وزيران من أهل الأرض!

عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – ﷺ –: لي وزيران من أهل السماء: جبريل، وميكائيل، ووزيران من أهل الأرض: أبو بكر وعمر » .

## هكذا نُبعث!

عن ابن عمر ، أن رسول الله – ﷺ –: دخل المسجد وعن يمينه أبو بكر وعن يساره عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال : هكذا نبعث يوم القيامة».

## أتْعَبا من بعدهما!

عن عبد خير قال: سمعت عليًا – رضوان الله عليه – يقول: إن الله جعل أبا بكر وعمر، رضوان الله عليهما، حجة على من بعدهما، من الولاة إلى يوم القيامة سبقا، والله سبقًا بعيدا، وأتعبا

(١) عفر: البياض ليس بالناصع.

(٢) فلم أر عبقريًا يفري فريه: أي يعمل عمله، ويقطع قطعه.

من بعدهما إتعابًا شديدًا » .

## حبّ أبي بكر وعمر سُنّة!

عن عبد العزيز بن جعفر اللؤلؤي قال: قلت للحسن - ﷺ- حب أبي بكر وعمر سُنَّة؟ قال: لا ... فريضة » !

## كمنزلتهما اليوم!

قيل لعليّ ابن الحسن - ﷺ -كيف كانت منزلة أبي بكر وعمر، من رسول الله - ﷺ -؟ قال: كمنزلتهما اليوم وهما ضجيعاه»

## أبو بكر ثم عمر!

عن محمد بن علي بن الحنفية - ﷺ - قال: قلت لأبي: يا أبت من خير الناس بعد رسول الله - ﷺ - ؟ قال: أبو بكر ثم عمر » .

## أول قاضٍ في الإسلام ؟!

عن إبراهيم النخعي قال: أول من ولى أبو بكر شيئًا من أمور المسلمين عمر بن الخطاب، ولاّه القضاء، وكان أول قاض في الإسلام » .

## لو علمت أن أحدًا .. أقوى منيّ!

قال أبو القاسم بن محمد: قال عمر: « لو علمتُ أن أحدًا من الناس أقوى على هذا الأمر منى، لكنت أقدم فيضرب عنقي أحب إلي من أن أَلِيَهُ[1]."!

## هيبته في القلوب ؟!

عن القاسم بن محمد قال: بينا عمر، (رضوان الله عليه) ذات يوم يمشي «وخلفه عدة من أصحاب رسول الله - ﷺ - إذ بدا له، فالتفت فلم يبق منهم أحد إلا وحبل ركبتيه ساقط!!!

قال: فأرسل عينيه فبكى ... ثم قال: اللهم إنك تعلم أني منك أشد فرقًا منهم مني»

## زُهد عمر!

عن أبي محصن الطائي قال: صلى بنا عمر - ﷺ - وعليه إزار، فيه رقاع بعضها أدم، وهو أمير المؤمنين »

* * *

(١) أتولاه (تكتب في الهامش السفلي).

وعن قتادة، أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أبطأ على الناس يوم الجمعة، قال: ثم خرج فاعتذر إليهم في احتباسه وقال: إنما حبسني غسل ثوبي هذا، كان يُغسل، ولم يكن لي ثوب غيره »

## تواضعه!

قال أبو إسحاق الفزاري، قال عمر بن الخطاب –رضي الله عنه –: إن أحب الناس إليَّ من أهدى إليَّ عيوبي »

## خوفه من الله – عز وجل –!

عن داوود بن علي قال: قال عمر –رضي الله عنه –: لو ماتت شاة على شاطئ الفرات ضائعة لظننت أن الله عز وجل سائلي عنها يوم القيامة»

* * *

عن ابن عباس – رضي الله عنه – أنه دخل على عمر، وبين يديه مال فنشج حتى اختلفت أضلاعه ثم قال: وددت أني أنجو منه كفافًا لا لي ولا عليّ ».

## في ذكر بكائه!

عن أبي علقمة بن وقاص قال: كان عمر يقرأ في العشاء الآخرة، يوسف، وأنا في مؤخر الصف.. حتى إذا ذكر يوسف – عليه السلام – سمعت نشيجه »

عن عبد الله بن عيسى قال: كان في وجه عمر – رضي الله عنه – خطان أسودان من البكاء».

عن الحسن –رضي الله عنه – قال: كان عمر – رضي الله عنه – يمر بالآية من ورده بالليل ... فيبكي حتى يسقط... ويبقى في البيت حتى يعاد للمرض »

## تعبده واجتهاده!

عن ابن عباس قال: ما مات عمر – رضي الله عنه – حتى اسود من الصوم ».

عن أسلم أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –كان يصلي ما شاء حتى إذا كان من آخر الليل، يعظ أهله ويقول:

الصلاة الصلاة ...

ويتلو هذه الآية ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ » .

* * *

وعن ابن عمر – رضي الله عنه – قال: ولى عمر، فاستعمل عبد الرحمن يعني على الحج.

ثم كان هو يحج سنيئه كلها حتى مات » !

## كتمانه التعبد وسره!

عن نافع قال: كان أكثرنا لا يعرف لعمر، ولا ابنه البِرَّ حتى يقولا أو يعملا»

## من دعائه ومناجاته!

عن سليمان بن حنظلة، عن عمر بن الخطاب – ﷺ – أنه كان يقول: اللهم إني أعوذ بك أن تأخذني على غرّة ...

أو تذرني في غفلة... أو تجعلني من الغافلين »

## ومن خصائص عمر... التي لم يسبق إليها!

أوّل من كتب التاريخ، عمر لسنتين ونصف من خلافته، فاجتمعوا على الهجرة

أوّل من سمى بأمير المؤمنين

أوّل من جمع القرآن في المصحف

أوّل من جمع الناس على قيام شهر رمضان، وكتب به إلى البلدان، وجعل بالمدينة قارئيْن: قارئا يصلي بالرجال، وقارئا يصلي بالنساء

أوّل من ضرب في الخمر ثمانين

أوّل من سن في عمله بالمدينة

أوّل من حمل الدِرّة وأدب بها

## أوّل مَن فتح الفتوح!

فتح العراق كله ... السواد والجبال وأذربيجان، وكور[١] البصرة وأرضها، كور الأهواز، وفارس

وكور الشام كلها، ما خلا أجنادين، فإنها فتحت في خلافه أبي بكر – ﷺ –

وفتح عمر كور الجزيرة والموصل.

## ومصر والإسكندرية!

وقُتل – ﷺ – وخيله على الري[٢]، قد فتحوا عامتها

(١) بالضم: المدينة والصقع ... جمعه كور الكورة.

(٢) بلدة والنسبة إليه رازي.

## أوّل من وضع الخراج!

وهو أول من مسح السواد، وأرض الجبل، ووضع الخراج على الأرض، والجزية على جماجم أهل الذمة، مما فتح من البلدان..

ووضع على الغني ثمانية وأربعين درهما، وعلى الفقير اثني عشر درهما ...

وقال: لا يعوز رجل منهم درهمًا في كل شهر

## كم بلغ خراج السواد على عهده!

فبلغ خراج السواد والجبل على عهد عمر – ﷺ – ...

مائة ألف ألف وعشرين ألف وافٍ (أي ١٢٠,٠٠٠,٠٠٠ أي: ١٢٠ مليون)...

والواف درهم ودانقين ونصف

## أوّل من مصر الأمصار!

وهو أول من مصرّ الأمصار...

الكوفة، والبصرة، والجزيرة، والشام، ومصر، والموصل ... وأنزلها العرب

وخط الكوفة والبصرة

## أوّل من دوّن الدواوين!

وهو أول من استقضى القضاة في الأمصار...

وهو أول من دون الدواوين

وكتب للناس على قبائلهم .. وفرض لهم الأعطية من الفيء!

## أول من فرض للمسلمين على أقدارهم!

وفرض لأهل بدر، وفضّلهم على غيرهم ....

وفرض للمسلمين على أقدارهم، وتقدمهم في الإسلام

## أول من حمل الطعام في البحر!

وهو أول من حمل الطعام في السفن، من مصر في البحر حتى ورد أنجار ... ثم حمل من أنجار إلى المدينة!

## أول من صادر نصّف مال نائبه إذا عزله!

وقد قاسم غير واحد من عماله ماله، إذا عزله، منهم: سعد بن أبي وقاص، وأبو هريرة

وكان يستعمل قومًا، ويدع أفضل منهم؛ لبصرهم بالعمل، وكان يقول: أكره أن أدنس هؤلاء بالعمل

وهدم مسجد رسول الله - ﷺ - ، وزاد فيه.

وأدخل دار العباس فيما زاد فيه، وهو الذي أخرج اليهود من الحجاز، وأجلاهم من جزيرة العرب إلى الشام، وحضر فتح بيت المقدس، واستعمل أول سنة ولي على الحج، عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - ، ثم لم يزل عمر يحج بالناس في خلافته كلها، فحج بهم عشر سنين، وحج بأزواج النبي - ﷺ - آخر حجة حجها.

واعتمر في خلافته ثلاث مرات، وأخر المقام إلى موضعه اليوم، وكان ملصقًا بالبيت.

## تركه السواد غير مقسوم ووضعه الخراج عليه!

عن إبراهيم التيمي قال: لما افتتح المسلمون السواد، قالوا لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: أقسمه بيننا.

فأبى ... فقالوا: إنا فتحناه عَنوة.

قال: فما لمن جاء بعدكم من المسلمين؟ .. فأخاف أن تفاسدوا بينكم في المياه، وأخاف أن تقتتلوا...

فأقرَّ أهل السواد في أرضهم، وضرب على رءوسهم الضرائب - يعني الجزية -

وعلى أرضهم الخراج،

ولم يقسمها بينهم.

## اترك الأرضين والأنهار لعمالها!

عن يزيد بن أبي حبيب قال: كتب عمر - رضي الله عنه - إلى سعد - رضي الله عنه - حين افتتح العراق:

أما بعد، فقد بلغني كتابك تذكر أن الناس سألوك أن تقسم بينهم مغانمهم، وما أفاء الله عليهم ... فإذا أتاك كتابي هذا فأنظر، ما أجلب الناس عليك من كراع أو مال، فاقسمه بين من حضر من المسلمين ... واترك الأرضين والأنهار لعمالها !!!

؛ ليكون ذلك في أعطيات المسلمين، فإنك إن قسمتها فيمن حضر، لم يكن لمن يجئ بعدهم شيء!

ثم أقول: هذه بعض مناقب أمير المؤمنين ... عمر بن الخطاب ... أما مناقبه كلها ... فلا يطيق أحد إحصاءها.

# صاحب رسول الله

## من الشعب!

نشأ عمر نشأة شعبية، ذاق مرارة الحياة، وشظف العيش، واكتوى بنار آلامها.

لم يكن أبوه (الخطاب) من وجوه قريش، ولا من رؤسائها، وكان رجلا فظا، غليظًا، يكلفه رعي إبله.

فكان يتعبه إذا عمل، ويضربه إذا قصر!

## شخصيته!

كان قويا شديدًا، لا واهنًا، ولا ضعيفًا.

إذا مشى أسرع، ووطئ الأرض وطئًا شديدًا.

وكان جهوري الصوت. وكان يصيح الصيحة، فيكاد من يسمعها يصعق ويغشى عليه!

رأت امرأة فتيانا يقصدون في المشي، ويتكلمون رويدًا فقالت: ما هذا؟

قالوا: نساك

قالت: كان والله عمر إذا تكلم أسمع، وإذا مشى أسرع وإذا ضرب أوجع، وهو الناسك حقا.

## فارس!

وكان إذا هم بركوب فرسه، أخذ بأذن الفرس، وأخذ أذنه بيده الأخرى، ثم نزا على متن الفرس، فكأنما خلق على ظهره،

ثم عداه عدوًا شديدًا.

قال أبو مسعود الأنصاري: كنا جلوسا في نادينا، فأقبل رجل على فرسه يركضه، يجري حتى كاد يوطئنا، فارتعنا لذلك وقمنا، فإذا عمر بن الخطاب،

قلنا: فمن بعدك يا أمير المؤمنين؟!

قال: وما أنكرتم؟ وجدت خفة، فأخذت فرسًا، فركضته.

وهذا هو الصنف من الرجال الذي يحبه الله.

إن الله يريد فرسانًا، يحملون هذه الفكرة، المسماة بالإسلام، على أكتافهم، ويطيرون بها في الآفاق.

ولا يصح لحمل رسالة الإسلام إلا من كان هكذا.

ولقد عاش عمر خمسا وستين سنة، أمضى منها ثلاثين سنة في جاهلية.

## شباب!

عاش عمر شبابه، كما كان يعيش أقرانه في الجاهلية ...، متاع ...، لهو ...، فروسية ... فراغ.

كان فارسا، يشاهد دائمًا على صهوة جواده.

وكان مصارعًا، يصرع أصحابه، ويغلبهم.

وكان تاجرًا، بارعا في فنون التجارة.

وكان قارئا، يقرأ الكتاب، فكانت قراءاته تجعله ممتازًا في تفكيره.

ومن هنا كان عمر قبل إسلامه خبيرًا بالحياة في شرورها حتى إذا جاءت ساعة الصفر من حياته، دخل إلى الإسلام دخول الخبير بألاعيب الأشرار، فاكتملت بذلك شخصيته، وتوازنت عبقريته.

## ساعة الصفر!

اجتمعت قريش ... فقالوا: أي رجل يقتل محمدا؟

فقال عمر بن الخطاب: أنا لها.

فقالوا: أنت لها يا عمر.

فخرج في يوم شديد الحر، متوشحا سيفه، يريد رسول الله - ﷺ - ونفرا من أصحابه، اجتمعوا في دار الأرقم في أسفل الصفا.

فلقيه نعيم بن النحام، فقال: أين تريد يا عمر؟

قال: أريد هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش، وسفه أحلامها، وعاب دينها، وسب آلهتها، فأقتله

قال له نعيم: لبئس الممشى مشيت يا عمر، ولقد والله غرتك نفسك من نفسك .. أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدا؟

فتحاورا حتى علت أصواتهما، فقال عمر: إني لأظنك صبوت، ولو أعلم ذلك لبدأت بك!

فلما رأي النحام أنه غير منته قال. فإني أخبرك أن أهلك، وأهل ختنك قد أسلموا، وتركوك، وما أنت عليه من ضلالتك!

قال عمر: وأيهم؟

قال: ختنك، وابن عمك، وأختك !!!

فلما سمع عمر أن أخته، وزوجها، قد أسلما، احتمله الغضب، فذهب إليهم.

فلما قرع الباب قالوا: من هذا؟

قال: ابن الخطاب.

وكانوا يقرءون كتابًا في أيديهم، فلما سمعوا حسّ عمر قاموا مبادرين، فاختبئوا، ونسوا الصحيفة على حالها.

فلما دخل، ورأته أخته، عرفت الشر في وجهه، فخبأت الصحيفة تحت فخذها.

قال عمر: ما هذه الهينمة التي سمعتها عندكم؟. وكانوا يقرءون (طه) فقالا: ما عدا حديثًا تحدثناه بيننا.

قال: فلعلكما قد صبوتما؟

فقال له ختنه: أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك؟.

فوثب عمر على ختنه سعيد، وبطش بلحيته، فتواثبا، وكان قويًا شديدًا، فضرب بسعيد الأرض، ووطئه وطأ، ثم جلس على صدره.

فجاءت أخته، فدفعته عن زوجها، فنفحها نفحة بيده، فدمى وجهها!

فقالت وهي تمضى: يا عدو الله، أتضربني على أن أوحد الله؟

قال: نعم.

قالت: ما كنت فاعلا فافعل، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، لقد أسلمنا. على رغم أنفك!

فلما سمعها عمر ندم، وقام عن صدر زوجها، فقعد، ثم قال: أعطوني هذه الصحيفة التي عندكم فأقرأها.

وكان عمر يقرأ الكتاب.

فقالت أخته: لا أفعل.

قال: ويحك، قد وقع في قلبي ما قلت، فأعطنيها أنظر إليها، وأعطيك من المواثيق أن لا أخونك حتى تحرزيها حيث شئت.

قالت: إنك رجس ولا يمسه إلا المطهرون، فقم، فاغتسل أو توضأ.

فخرج عمر ليغتسل.

وخرج إليها خباب فقال: أتدفعين كتاب الله إلى عمر، وهو كافر ؟!

قالت: نعم .. إني أرجو أن يهدي الله أخي..

ودخل خباب البيت ..، وجاء عمر .. فدفعت إليه الصحيفة، وكان فيها (طه) وسور أخرى،

فرأى فيها: « بسم الله الرحمن الرحيم » فلما مر بالرحمن الرحيم ذعر، فألقى الصحيفة من يده، ثم رجع إلى نفسه فأخذها فإذا فيها: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [ الحديد ١ :٣ ]

فجعل كلما مر باسم من أسماء الله ذعر.

وكان في الصحيفة – أيضًا – سورة (طه) و(إذا الشمس كورت).

فقرأ:﴿ طه ۝١ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ۝٤ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝٥ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [ طه ١– ٨ ]

فعظمت في صدره، فقال: من هذا فرّت قريش!

ثم قرأ ...

فلما بلغ إلى قوله تعالى:﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ۝١٤ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ۝١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾ [طه: ١٤-١٦]

قال ينبغي لمن يقول هذا أن لا يعبد معه غيره ... دلوني على محمد.

فلما سمع خباب قول عمر، خرج من البيت، فقال: أبشر يا عمر، فإني أرجو أن تكون قد سبقت فيك دعوة رسول الله – ﷺ – يوم الاثنين: اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل بن هشام، أو بعمر بن الخطاب.

قال: دلوني على مكان رسول الله.

فلما عرفوا منه الصدق .. قالوا: هو في أسفل الصفا.

فأخذ عمر سيفه، فتوشحه، ثم عاد إلى رسول الله – ﷺ –، وأصحابه، فضرب عليهم الباب.

فلما سمعوا صوته وجلوا .. وكان حمزة، وطلحة على الباب والنبي – ﷺ – داخل يوحى إليه..

ولم يجترئ أحد منهم أن يفتح له، لما قد علموا من شدته على رسول الله – ﷺ – .

فلما رأى حمزة وجل القوم، قال: مالكم؟

قالوا: عمر بن الخطاب

قال: عمر بن الخطاب؟!. افتحوا له، فإن يرد الله به خيرا يسلم، وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينا.

ففتحوا له، وأخذ حمزة، ورجل آخر بعضديه حتى أدخلاه على رسول الله — ﷺ —.

فقال: أرسلوه ..

فأرسلوه ...

فنهض — ﷺ — فأخذ بمجامع ثوبه، وحمائل سيفه، فنهره نهرة، فما تمالك عمر أن وقع على ركبتيه، وقد ارتعد من هيبته — ﷺ — .

فقال له: ما أنت بمنته يا عمر، حتى ينزل الله بك ما أنزل بالوليد بن المغيرة.

(أي الخزي والنكال)

ثم قال: أسلم يا ابن الخطاب، اللهم اهد قلبه.

فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله!

فكبر المسلمون تكبيرة واحدة، سمعت في طريق مكة !

... وكانت هذه هي ساعة الصفر، في حياة عمر ..

واللحظة الخالدة من شخصيته، لحظة تم فيها الانقلاب، من الظلمات إلى النور!!

انتقل بعدها من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين ..، ومن يومها ...، وعمر يتمدد في التاريخ، موجات من النور، تفصل بين الحق والباطل، وتضيء للعالمين!

## الفاروق!

وقال عمر: يا رسول الله، ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال — ﷺ — : بلى .. والذي نفسي بيده، إنكم على الحق، إن متم وإن حييتم.

قال: ففيم الاختفاء؟ ..، والذي بعثك بالحق لتخرجن..، وأذن رسول الله بالإعلان .. وخرج — ﷺ — في صفين...

عمر في أحدهما ... وحمزة في الآخر.. يثور الغبار من مشيهم ... حتى دخل المسجد!

فنظرت قريش إلى عمر، وإلى حمزة، فأصابتهم كآبة لم تصبهم قط.

وسماه رسول الله ﷺ يومئذ الفاروق.

لقد كانت مظاهرة صامتة .. أريد بها إعلان الحق رغم أنف أعدائه.

## يتحدى الجميع وحده؟!

واشتد إيذاء الكفار للمسلمين، فأذن رسول الله — ﷺ — لأصحابه في الهجرة إلى المدينة في

استخفاء ...

فكانوا يخرجون لذلك أفرادًا وجماعات، مستخفين عن أعين الكافرين...

إلا عمر، فإنه لما هم بالهجرة، تقلد سيفه، وتنكب قوسه، وانتضى من يده أسهمًا، واختصر عصاه التي كانت كالرمح الصغير، ومضى قِبل الكعبة .. والملأ من قريش بفنائها.

فطاف بالبيت سبعا متمكنًا، ثم أتى المقام فصلى...

ثم وقف على الحلق، واحدة واحدة ... فقال لهم: شاهت الوجوه، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس.. من أراد أن يثكل أمه، أو ييتم ولده، أو يرمل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي،

فما اتبعه إلا قوم من المستضعفين، علمهم ما أرشدهم، ثم مضى لوجهه.

وتحدى عمر مكة كلها... بل الدنيا كلها ...، وقامت بنفسه قوة خارقة تريد أن تصارع أهل الباطل جميعًا مرة واحدة ... إلا أنهم جميعًا تراجعوا أمامه، وجبنوا عن لقائه!!

ومن يوم أن هبط عمر المدينة، واستقر المسلمون فيها، وأسسوا الدولة الجديدة في ربوعها.. أخذ عمر مكانه الممتاز إلى جوار رسول الله - ﷺ - .

فكان دائمًا الرجل الثاني في الدولة بعد أبي بكر ...

## لو أمَّرْتَ عمر!

عن ابن عمر قال: لما اشتد بالنبي - ﷺ - المرض، قيل له في الصلاة؟

فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس.

قالت عائشة: إن أبا بكر رجل رقيق القلب، وإنه إذا قام في مقامك لا يكاد يسمع الناس من البكاء، فلو أمَّرْتَ عمر؟.

فقال: مروا أبا بكر فليصل.

فعاودته فقال: مروه فليصل فإنكن صواحب يوسف.

أي: إنكن تحسّنِ للرجل ما لا يجوز، وتغلبن على رأيه.

ثم توفي رسول الله - ﷺ - ... ولم تقو أعصاب عمر على احتمال الصدمة، فكذب بالخبر، فلما علم من أبي بكر أنه الحق، خر صعقا.

إنه لم يستطع أن يتصور أن هذا كان آخر عهده بالنبي - ﷺ - الذي أحبه من أعماق فؤاده!!

# وزير أبي بكر

## حزم!

أفاق عمر من غشيته على يقين أن رسول الله — ﷺ — قد مات..

وعاد إليه عقله سريعًا، فكان أول ما فكر فيه، هو من يتولى أمر هذه الدولة بعد رسول الله — ﷺ — ؟

وأسرع عمر يشق طريقه خلال المجتمعين بالمسجد، يتحدثون في وفاة رسول الله، وسار حتى أتى أبا عبيدة بن الجراح، فقال له: ابسط يدك أبايعك، فأنت أمين هذه الأمة على لسان رسول الله.

قال أبو عبيدة: « ما رأيت لك فهّة (سقطة) قبلها منذ أسلمت! أتبايعني، وفيكم الصديق وثاني اثنين؟! » .

وجاء الخبر أن الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، يريدون أن تكون الإمارة على المسلمين لهم.

فأرسل عمر إلى أبي بكر في بيت عائشة؛ ليخرج إليه.

## إنه قد حدث أمر!

ورد أبو بكر الرسول يقول: « إني مشتغل » .

لكن عمر رأى أمر المسلمين أخطر من أن يترك لحظة أو يشغل عنه شاغل، ولو كان جهاز رسول الله — ﷺ — فبعث كرة أخرى يقول لأبي بكر: « إنه قد حدث أمر لابد لك من حضوره».

وخرج أبو بكر يسأل: أي أمر يمكن أن يصرفه عن جهاز رسول الله — ﷺ — ؟

قال عمر: « أما علمت أن الأنصار قد اجتمعت في سقيفة بني ساعدة يريدون أن يولوا هذا الأمر سعد بن عباده، وأحسنهم مقالة من يقول: منا أمير، ومن قريش أمير؟ ».

وأحس أبو بكر خطورة الموقف، فأسرع، ومعه عمر، وأبو عبيدة، يريدون السقيفة.

## إذا يقتلك الله!

فلما بلغوها تولى أبو بكر مجادلة الأنصار في حزم ورفق.

أما عمر فأقام إلى جانبه ينتظر ما يصير إليه الأمر.

فلما رأي الحباب بن المنذر يحرض الأنصار ليثوروا إن لم يكن منهم أمير، ومن المهاجرين أمير، قام فقال: « هيهات ألا يجتمع اثنان في قرن!. والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم، ونبيها من غيركم! ولكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم، وولى أمورهم منهم!. ولنا بذلك

على من أبى من العرب الحجة الظاهرة، والسلطان المبين. من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه، وعشيرته، إلا مدل بباطل، أو متجانف لإثم، أو متورط في هلكة؟! ».

ورد الحباب يطلب إلى الأنصار إجلاء المهاجرين عن المدينة أو يتولوا عليهم الأمر ثم وجّه الحديث إلى المهاجرين الثلاثة يقول: «أما والله إن شئتم لنعيدنها جذعة » .

فصاح به عمر: « إذا يقتلك الله! »

ورد الحباب: « بل إياك يقتل! »

## هذا عمر ؟!

فتدخل أبو عبيدة في الأمر، ووجه الحديث إلى أهل المدينة: « يا معشر الأنصار كنتم أول من نصر وآزر، فلا تكونوا أول من بدّل وغير » .

وهدأت النفوس قليلا، وعاد المجتمعون يتجادلون بالحجة، وانضم بشير بن سعد، من زعماء الخزرج إلى المهاجرين، فشق كلمة الأنصار.

ورأى أبو بكر أن الأمر قد استوى، وأن اللحظة لحظة الفصل، فقام يدعو الأنصار إلى الجماعة، ويحذرهم الفرقة.

ثم أخذ بيد كل من عمر، وأبي عبيدة، ونادى: « هذا عمر، وهذا أبو عبيدة، فأيهما شئتم فبايعوا! » .

إن أبا بكر يرشح لرياسة الدولة عمر، وأبا عبيدة، فمن يقع عليه الاختيار؟.

ولكن الناس اختلفوا ... ورأى عمر ذلك، فقام فنادى بصوته الجهوري: « ابسط يدك يا أبا بكر! » .

قضى الأمر ... وفصل عمر في القضية!!

وبسط أبو بكر يده فبايعه عمر، وهو يقول: « ألم يأمر النبي أن تصلي أنت يا أبا بكر بالمسلمين؟!. فأنت خليفة رسول الله، فنحن نبايعك، لنبايع خير من أحب رسول الله منا جميعا».

وهكذا أيد عمر رأيه بالحجج العقلية التي اقتبسها من واقع الحياة.

وبايع أبو عبيدة أبا بكر، وهو يقول: إنك أفضل المهاجرين، وثاني اثنين إذ هما في الغار، وخليفة رسول الله على الصلاة، أفضل دين المسلمين. فمن ذا ينبغي له أن يتقدمك، أو يتولى هذا الأمر عليك؟! ».

وتتابع أهل السقيفة، فبايعوا أبا بكر، مجمعين لم يند عنهم إلا سعد بن عبادة.

وكان هذا أول موقف لعمر إثر وفاة رسول الله – ﷺ – . حسم به الخلاف، واندفعت من بعده تلك الأمة؛ لتملك الأرض شرقا وغربا، وأدى أبو بكر لعمر حقه، فاصطفاه وزيرا، يشير عليه كما كان يشير على رسول الله – ﷺ –.

سئل أبو بكر مرة: لسنا ندري من الأمير، أنت أو هو (يعني عمر)؟

فقال أبو بكر: هو، ولكنه أبي!!

إنهم يدرءون التهمة عن أنفسهم، كأنما رئاسة الدولة تهمة يفرون منها!

## القضية العظمى!

ثم كان ذلك الموقف الخالد من أبي بكر .. حين أرادت قبائل عبس وذبيان، القريبتين من المدينة، أن تمنعا الزكاة.

رأى أبو بكر أن يقاتلهم، ودفع حجة مخالفيه بقوله: « والله لو منعوني عقالا، كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه».

وكان عمر من هؤلاء المخالفين، القائلين بموادعة من أرادوا منع الزكاة، والاستعانة بهم على المرتدين.

وكان عنيفًا في رأيه .. وجه الكلام إلى الصديق في حدة، يقول: «كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله – ﷺ –: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فمن قالها عصم مني ماله ودمه، إلا بحقها، وحسابهم على الله! ».

وأجاب أبو بكر على اعتراض عمر بقوله: « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، وقد قال: « إلا بحقها ».

قال عمر: « والله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق ».

وسارت جيوش المسلمين تحارب المرتدين، وتسجل نصرا بعد نصر، وابن الخطاب مقيم إلى جانب الخليفة يشير عليه بالرأي ويدبر وإياه سياسة الدولة!.

كأنه لم يقع بينهما خلاف، وإنما تطاوع عمر لأبي بكر، وعاونه أكبر المعاونة في حروبه!.

ثم نعود إلى قضيتنا العظمى.. قضية المال.. نسأل: لماذا رأى عمر ألا يقاتل مانعي الزكاة؟.

لعله كان يجتهد رأيه، وينظر إلى عموم المسألة، فهؤلاء يمكن استخدامهم مؤقتًا في القضاء على المرتدين.

رأى سياسي لا بأس به .

ولكن أبا بكر كان أعمق فهما لحقيقة الإسلام، وأوسع مدى في إدراك القضية في عمومها.

كان يرى أن التهاون في أخذ الزكاة فيه قضاء على الدين كله من أساسه والقضاء على الدولة الناشئة قضاء تاما.

ذلك أن الجماهير الجائعة في الدولة لا يهمها من أمر الدولة إلا أن تسد جوعها، أو تملأ بطنها، ولا يهمها أمر الدولة بعد ذلك في شيء.

ذلك شأن الجماهير دائمًا، أهم شيء في تقديرها هو الحياة المعيشية، هل هي مكفولة مأمونة، أم ليست ذلك؟

فإن رأت الحاكم يوفر لها معيشتها، ومطالب حياتها، أثنت عليه خيرًا، ومضت تؤيده بكل قواها، وإن رأت غير ذلك لعنت الحكم والقائمين عليه، وعارضته بكل قواها.

وأبو بكر كرجل مسئول يعلم ذلك فلابد له من اقتلاع الفتنة من جذورها.

ثم هذا الدين، كيف يقوم بغير عدالة اجتماعية؟.

وكيف تكون العدالة قائمة ما لم يأخذ الفقراء حقهم من الأغنياء؟

وكان الحق مع أبي بكر، ووقف وقفته التي انحنى لها التاريخ. وأدرك عمر على الفور، أن ذلك هو الحق، واندفع يؤيده بكل ما علم عنه من اندفاع.

وهذا هو المعنى الخطير من ذلك الأمر .. أن الفقراء... الجماهير.. لهم في المال حق مقرر، وأن الدولة مسئولة عن أخذ ذلك الحق من الأغنياء!

## عمر يرى معاقبة خالد!

قضى خالد بن الوليد على الردة في بني أسد، وانتقل من منازلهم إلى البطاح يقضي على الردة في بني تميم، فقتل زعيمهم مالك بن نويرة، وتزوج من امرأته، مخالفًا بذلك تقاليد العرب إذ كانوا يجتنبون النساء في الحرب.

وجاء الخبر إلى المدينة، وذهب عمر إلى أبي بكر غاضبًا، واندفع يقول: « إن في سيف خالد رهقًا، وحق عليه أن يقيده ».

ولم يكن أبو بكر يقيد من عماله.

فقال حين ألح عمر عليه: « هبه يا عمر تأول فأخطأ فارفع لسانك عن خالد ».

فلم يقتنع عمر بما سمع، وأخذ يطالب في إلحاح بعزل خالد.

حتى ضاق أبو بكر بإلحاحه، فقال له: « لا يا عمر . ما كنت لأشيم سيفا سله الله على الكافرين! ».

فما كان من عمر، إلا أن ذهب يطالب بشتى الوسائل بعزل خالد. حتى استدعى أبو بكر خالدًا إلى المدينة.

عنقه .. ثم أمره أن يسير إلى محاربة بقية المرتدين

## إني أرى أن تجمع القرآن!

وكانت معركة اليمامة، تلك التي قتل فيها أربعون ألفًا من المرتدة، وألف ومائتان من أصحاب رسول الله.. كان منهم جمع عظيم من حفظة كتاب الله.

فكر عمر في الأمر .. وذهب سريعًا إلى أبي بكر، وقال: «إن القتل قد استحر بقراء القرآن يوم اليمامة، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن كلها؛ فيذهب قرآن كثير، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن » .

ودهش أبو بكر، وقال: « كيف أفعل شيئًا، لم يفعله رسول الله — ﷺ — ؟! » .

إلا أن عمر، كان يرى رأيا غير رأي الصديق، فأيد رأيه بالحجة إثر الحجة حتى أقنعه .

ودعا أبو بكر زيدًا بن ثابت.. وأمره أن يجمع القرآن، فما دلالة الواقعة؟

دلالتها أن عمر أثبت مرة أخرى أن حرية الرأي لا تأتي إلا بخير، فلو أن عمر كان من اولئك الأتقياء الذين يعيشون في رعب من عذاب النار، وينعزلون عن الحياة شيئًا فشيئًا حتى يصابوا بالتحجر و الجمود ...لو أنه كان من هؤلاء الموتى ما أستطاع أن يفكر، ولا أن يرى ذلك الرأي العظيم، ولحرمت الأمة إلى يوم القيامة تلك النعمة .

ولكنها الحرية، حرية القلب الذي آمن بالله، فاندفع يفكر في كل ما فيه خير للأمة.

وجمع القرآن كما رأى عمر.. وبقى فينا أثرًا من آثار حرية الرأي عند عمر.

وسوف نرى في فصول ذلك الكتاب إلى أي حد بلغت حرية الرأي عند ذلك الرجل العظيم

## ويرى فتح الشام!

ثم تمضي حرية الرأي بعمر إلى أبعد امتداداتها.

أصبح يومًا أبو بكر، فدعا إليه أهل الرأي، وعمر في مقدمتهم. وذكر لهم أن رسول الله — ﷺ —، عول أن يصرف همته إلى الشام... «والعرب بنو أم وأب. وقد أردت أن استنفرهم إلى الروم بالشام، فمن هلك منهم هلك شهيدًا، وما عند الله خير للأبرار، ومن عاش منهم عاش مدافعًا عن الدين، مستوجبًا عند الله — ﷻ — ثواب المجاهدين ».

وطلب إليهم رأيهم في ذلك، فكان عمر بن الخطاب أسبقهم إلى إجابته.

قال عمر: « والله ما استبقنا إلى شيء من الخير قط إلا سبقتنا إليه. قد والله أردت لقاءك بهذا الرأي الذي ذكرت، فما قضى الله أن يكون ذلك حتى ذكرته الآن، فقد أصاب الله بك سبل

الرشاد. سر إليهم الخيل في اثر الخيل، وابعث الرجال تتبعها الرجال، والجنود تتبعها الجنود، فإن الله – ﷻ – ناصر دينه. ومقر الإسلام وأهله، ومنجز ما وعد رسوله » .

وبهت الحاضرون...

وعاد أبو بكر يدعوهم إلى التجهز، فسكتوا ...

كيف يخرج بضعة آلاف من العرب الحفاة إلى إمبراطورية الروم بمقدراتها وجبروتها وجيوشها؟!

إن أبا بكر يطلب إليهم مستحيلا!!!

## عمر يصيح بالجماهير!

فما كان من عمر إلا أن صاح فيهم « مالكم يا معشر المسلمين لا تجيبون خليفة رسول الله إذا دعاكم لما يحييكم ؟!» .

وكانت صيحة ...قضت على الخوف الكامن في النفوس... فرضي الحاضرون بالجهاد، وانطلقوا يتأهبون!.

ونسأل الآن .. أفي القتال حياة؟!

نعم .. وبلغة العصر الحديث: كل الحياة.. والحروب سبب تقدم البشرية.

فهل إذا كان ذلك القتال، انتصارا للحق، وإعلاء لدين الله؟

إنه إذا الخير العظيم، وفي مثل ذلك فليتنافس المتنافسون.

ذلك أن الأمة المقاتلة، تأخذ بأسباب القوة.

القوة في الأجسام، القوة في الإنتاج، القوة في التسلح، القوة في العلم... وهذه أسباب تحيي الأمة، وتنشر فيها دوافع الحياة.

ونحن الآن أحوج ما نكون إلى ذلك المفهوم من سياسة الإسلام ... وحسبنا ما كان من مفاهيم خاطئة ضائعة حالمة خانعة.

ينبغي أن نركز في رءوس جيلنا الصاعد أن في الإسلام آماله وأحلامه، فيتدفق إلى الحق عن طواعية.

إن الشباب لن يستجيب لك إذا قلت له: إن الإسلام سلام، وتسبيح، وصلاة ليس إلا ... ولكنه يأتك توا إذا قلت له: إن الإسلام فيه قتال، وجهاد، وصراع من أجل إعلاء كلمة الحق.

وهذا هو مفهوم أبي بكر وعمر... حين صاحا بحفنة من الرجال أن يندفعوا ليقاتلوا مئات

الألوف... ليقاتلوا إمبراطورية عظمى ولا يبالوا!!

## الشعب يختار عمر!

إستبان الموت لأبي بكر، فخاف أن يترك الناس بلا خليفة، فيكون يوم كيوم السقيفة.

فجمع الناس، لم يشغله مرضه، وألمه عن الاهتمام بأمرهم.

فنزع بيعته من أعناقهم، وكلفهم أن ينتخبوا غيره للخلافة. قال لهم: إنه قد نزل بي ما ترون، ولا أظنني إلا ميتًا لما بي من المرض، وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي، وحل عنكم عقدتي، وردت عليكم أمركم، فأمروا عليكم من أحببتم فإنكم إن أمرتم في حياة مني، كان أجدر ألا تختلفوا بعدي.

فذهبوا، وتشاوروا، وبحثوا، فلم يتفقوا على أحد.

فرجعوا إليه، فوكلوه أن يختار لهم.

قال: فأمهلوني حتى أنظر لله، ولدينه، ولعباده.

وبدأ استشاراته، وجعل يدعو أصحاب الرأي، وكبار الصحابة، واحدًا بعد واحد.

فدعا أولا عبد الرحمن بن عوف، فقال له: أخبرني عن عمر ابن الخطاب؟

فقال له: ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني.

فقال له: وإن!

فقال عبد الرحمن: هو والله أفضل من رأيك فيه.

ثم دعا عثمان، فقال له مثل ذلك.

فقال: علمي به أن سريرته خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله.

فقال أبو بكر: يرحمك الله، والله لو تركته ما عدوتك.

ثم شاور سعيد بن زيد، وأسيد بن الحضير، وغيرهما من المهاجرين والأنصار.

فقال أسيد: اللهم أعلمه الخيرة بعدك، يرضى للرضا، ويسخط للسخط، والذي يسر خير من الذي يعلن، ولن يلي هذا الامر أحد أقوى عليه منه.

## معارضة!

إلا أن بعض الصحابة سمع بذلك، ممن لا يرى انتخاب عمر فدخلوا على أبي بكر، وقال قائل منهم: ما أنت قائل لربك، إذا سألك عن استخلافك عمر علينا، وقد ترى غلظته، وهو إذا ولي كان أفظ وأغلظ؟!

إن هناك معارضة...، وإن كانت قليلة... ترى غير رأي الأغلبية الساحقة.

فماذا كان موقف أبي بكر؟

هل سارع إلى اعتقالهم، أو اتهامهم بالخيانة، أو حتى نظر إليهم نظرة ريبة؟

كلا... وإنما قال: أجلسوني.

فلما جلس، قال: أبالله تخوفوني؟ خاف من تزود من أمركم بظلم، أقول: اللهم إني قد استخلفت على أهلك خير أهلك.

ثم قال للمعارض أبلغ عني ما قلت لك مَن وراءك.

## قرار خطير!

ثم اضطجع، ودعا بعثمان، وأملى عليه قرارًا هذا نصه:

« بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة. في آخر عهده بالدنيا، خارجا منها، وأول عهده بالآخرة، داخلا فيها » حيث يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر، ويصدق الكاذب، إني استخلف عليكم بعدي..»

وأخذته غشية، فذهب به قبل أن يسمي أحدًا.

فكتب عثمان: « عمر بن الخطاب » .

ثم أفاق أبو بكر، فقال: اقرأ على ما كتبت.

فقرأ عليه ذكر عمر.

فكبر أبو بكر وقال: أراك خفت أن تذهب نفسي في غشيتي تلك، فيختلف الناس، فجزاك الله عن الإسلام خيرا والله إن كنت لها لأهلا.

ثم أمره أن يكتب تتمة الكتاب: فاسمعوا وأطيعوا، وإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيرًا. فإن عدل فذلك ظني به، وعلمي فيه، وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب، والخير أردت، ولا أعلم الغيب، ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ والسلام عليكم ورحمة الله » .

ثم أمره فختم الكتاب، وخرج به مختوما، ومعه عمر وأسيد بن الحضير، وأسيد بن سعية القرظي.

فقال عثمان للناس: أتبايعون لمن في هذا الكتاب؟

قالوا: نعم.

## فإنه عمر!

– وفي رواية – أن أبا بكر أشرف على الناس من كوته، فقال: يا أيها الناس إني قد عهدت عهدًا، أفترضونه؟

فقال الناس: رضينا يا خليفة رسول الله.

فقام علي فقال: لا نرضى إلا أن يكون عمر.

قال: فإنه عمر.

فأقروا بذلك جميعًا، ورضوا به، ثم بايعوا.

وانشرح أبو بكر صدرًا، فرفع يديه فقال « اللهم إني لم أرد إلا صلاحهم. وخفت عليهم الفتنة فعلمت فيهم ما أنت أعلم به، واجتهدت لهم رأيي، فوليت عليهم خيرهم، وأقواهم عليه، وأحرصهم على ما أرشدهم.

« وقد حضرني من أمرك ما حضر، فاخلفني فيهم، فهم عبادك، ونواصيهم بيدك » .

« وأصلح لهم من أمرهم، واجعله من خلفائك الراشدين، يتبع هدى نبي الرحمة. وهدى الصالحين بعده، وأصلح له رعيته » .

وهكذا.. كل فقرة من هذا التوجه، فيها بحار من الحقيقة، تتموج بعيدًا بعيدًا..

فإن قال أبو بكر: فإنه عمر...

فلنقل جميعًا: فإنه أبو بكر!!!

# أمـــير المؤمنين

## اللهم إني غليظ؟!

فرغ عمر من دفن أبي بكر، بعد منتصف الليل، لإحدى وعشرين ليلة خلت من جمادى الآخرة، للسنة الثالثة عشرة من الهجرة.

فلما كان الظهر، وازدحم الناس للصلاة، صعد المنبر، ثم قال: «أيها الناس، ما أنا إلا رجل منكم، ولولا أني كرهت أن أرد أمر خليفة رسول الله ما تقلدت أمركم ».

ثم توجه بنظره إلى السماء وقال: اللهم إني غليظ فليني، اللهم إني ضعيف فقوني، اللهم إني بخيل فسخني ».

ثم سكت قليلا.. ثم قال: « إن الله ابتلاكم بي، وابتلاني بكم، وأبقاني فيكم بعد صاحبي. فوالله لا يحضرني شيء من أمركم فيليه أحد دوني، ولا يتغيب عني فآلو فيه عن الجزء والأمانة. ولئن أحسنوا لأحسنن إليهم، ولئن أساءوا لأنكلن بهم ».

## تهديد باستعمال القوة!

وخرج عمر إلى الناس بالمسجد في اليوم الثالث، فلما فرغوا من بيعته قام فيهم، فقال: «إنما مثل العرب مثل جمل أنف (ذلول) اتبع قائده، فلينظر قائده حيث يقوده. أما أنا فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق».

ودوى هدير عمر في المدينة، كما يدوي هدير الموج في الآفاق. وأحس عمر آثار قوله في وجوه الناس، فصعد المنبر حين ازدحموا لصلاة الظهر فقال: « بلغني أن الناس هابوا شدتي، وخافوا غلظتي، وقالوا: قد كان يشتد علينا ورسول الله بين أظهرنا، ثم اشتد علينا وأبو بكر والينا دونه، فكيف وقد صارت الأمور إليه؟!

« ومن قال ذلك فقد صدق.

« ... إنني كنت من رسول الله، فكنت عبده وخادمه، وكان من لا يبلغ أحد صفته من اللين والرحمة، وكان كما قال الله بالمؤمنين رءوفًا رحيما. فكنت بين يديه سيفًا مسلولا حتى يغمدني أو يدعني، فأمضى. فلم أزل مع رسول الله حتى توفاه الله، وهو عني راض! والحمد لله على ذلك كثيرا، وأنا به أسعد.

« ثم ولى أمر المسلمين أبو بكر، فكان من لا تنكرون دعته، وكرمه، ولينه، فكنت خادمه وعونه، أخلط شدتي بلينه، فأكون سيفا مسلولا حتى يغمدني أو يدعني فأمضي. فلم أزل معه كذلك حتى قبضه الله — ﷺ — وهو عني راض. فالحمد لله على ذلك كثيرا، وأنا به أسعد.

« ثم إني قد وليت أموركم أيها الناس فاعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين.

« فأما أهل السلامة، والدين والقصد، فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض.

« ولست أدع أحدًا، يظلم أحدًا، أو يتعدى عليه، حتى أضع خده على الأرض، وأضع قدمي على الخد الآخر، حتى يذعن بالحق.

« وإني بعد شدتي تلك، أضع خدي على الأرض، لأهل العفاف، وأهل الكفاف.

« ولكم على أيها الناس خصال، أذكرها لكم، فخذوني بها: لكم على ألا أجتبي شيئًا من خراجكم، ولا ما أفاء الله عليكم، إلا من وجهه.

« ولكم علي إذا وقع في يدي، ألا يخرج مني إلا في حقه. ولكم علي أن أزيد عطاياكم، وأرزاقكم إن شاء الله تعالى، وأسد ثغوركم.

« ولكم علي ألا ألقيكم في المهالك، ولا أجمركم(١).

« وإذا غبتم في البعوث، فأنا أبو العيال.

« فاتقوا الله عباد الله، وأعينوني على أنفسكم بكفها عني وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإحضاري النصيحة، فيما ولاني الله من أمركم » .

يا ويل من يظلم بعد الآن ... يا ويل من يتعدى على أحد بعد اليوم.

إن عمر له بالمرصاد .. لقد قام في الدنيا عملاق الحق، عبقري الإسلام، عمر بن الخطاب!.

وكان إنذارًا ... أعجب إنذار !!

## الحق المسلح!

وكان من قوله في تلك الخطبة الخالدة: « ولست أدع أحدًا يظلم أحدًا، أو يتعدى عليه، حتى أضع خده على الأرض، وأضع قدمي على الخد الآخر، حتى يذعن بالحق. وإني بعد شدتي تلك، أضع خدي على الأرض لأهل العفاف، وأهل الكفاف » !!

هل سمعت الدنيا؟ هل سمع رؤساء الدول؟ هل سمعت الشعوب والجماهير؟!

أي شيء يجعلنا، بعد هذا الذي سمعناه من عمر نأوي إلى نظام غير نظام الإسلام؟!

وماذا في تلك النظم يداني — ولو قليلا — ما عند عمر؟!

إن عمر يعلن — وإعلانه الحق الواقع — أنه لن يدع أحدًا يظلم أحدًا، أو يتعدى عليه. فهل حدث هذا فعلا في عهد عمر؟

نعم .. فما شهدت الأرض عدلا مثل عدله، وما ظلم أحد في عهده، وعلم ذلك عنه، إلا ردّ إليه حقه!

---

(١) تجمير الجيش: جمعهم في الثغور، وحبسهم من العود إلى أهلهم.

ثم انظر إلى تصوير عمر للحالة التي ينوي إحداثها في كل ظالم .. « حتى أضع خده على الأرض، وأضع قدمي على الخد الآخر» غاية الإذلال للظالم، إنه سيطرحه أرضًا، خده على الأرض، وقدم عمر فوق خده الآخر؟

وغاية الشدة والبأس... حتى متى؟... حتى يذعن بالحق. جبار على الظالمين، جبار على المعتدين .. هذا هو عمر.. إلا أنه على النقيض.. مع أهل العفاف، وأهل الكفاف.

إنه يضع خده على الأرض لصنفين، أهل العفاف والكفاف فمن هم هؤلاء؟

هم الذين يعفون عما بأيدي الناس، ولا يظلمون أحدًا.

وهم الذين حياتهم كفافا، أي بالكاد يجدون ما به يستمرون في حياتهم، فلا فضل مال عندهم، ولا شيء يزيد عن حاجتهم.

إن الكفاف هو ما كف عن الحاجة والسؤال.

وهذا أصل عظيم في سياسة عمر... ونقول عظيمًا؛ لأنه كان أمرًا نافذا طول حياته وحكمه... طبقه، وأخذ الناس به، واشتهر عنه.

ثم ماذا قال عمر؟

« لكم على ألا أجتبي شيئًا من خراجكم، ولا ما أفاء الله عليكم إلا من وجهه » .

أي لا يجوز للدولة أن تدخل شيئًا من حرام إلى خزانتها؛ لأن الإسلام يفرض عليها أن يكون ما لها مكتسبًا من حلال.

ثم ماذا؟ ... « ولكم علي إذا وقع في يدي ألا يخرج مني إلا في حقه» .

فلسفة المصروفات في ميزانية الدولة عند عمر ... فلسفة الإنفاق... لا يخرج مني إلا في حقه... لا يجوز أن تنفق الدولة شيئًا إلا في حقه.

ولو أن الباحثين في الاقتصاد أرادوا أصولا عامة، يهتدون بها في وضع الميزانيات، ما وجدوا خيرًا مما وضعه عمر، وأعلنه منذ أربعة عشر قرنًا أمام الجماهير.

لا يحصل مال إلا من وجهه، ولا يخرج منه إلا في وجهه.

قُضي الأمر، ونطق عمر بفصل الخطاب!

فالميزانية في الإسلام ليست مجرد إيرادات تجمع مما هبّ ودبّ، لا تفريق فيها بين حلال أو حرام وإنما هي أموال طيبة، ليس فيها شيء يحرمه الله.

وكذلك المصروفات، هي أموال طيبة تنفق في وجوه الخير التي أحلها الله وشرعها.

## رفع مستوى المعيشة!

ثم ماذا؟ ... « ولكم علي أن أزيد عطاياكم، وأرزاقكم ».

إن لكل مواطن على الدولة حقًا ثابتًا... أن أزيد مهاياكم وأجوركم... أن أزيد وسائل الربح لكل إنسان.

عمر يقرر أن الدولة ملزمة تجاه الشعب، ومفروض عليها أن تزيد مهايا الأفراد وأجورهم، وأن تزيد لهم أرزاقهم عمومًا، تفتح فرصًا جديدة للعمل، تفتح فرصًا جديدة للربح!

## الدفاع عن الدولة؟!

ثم يمضي عمر في بيان سياسته العامة فيقول: « وأسد ثغوركم» ... الدولة مسئولة أمام الشعب عن صيانة حدودها، وتوزيع الجيوش على الثغور، دفاعا عن كيانها، وجعلها على أعلى درجة من القدرة على الضرب والحركة.

ثم يقول: « ولكم على ألا ألقيكم في المهالك، ليس لرئيس الدولة أن تكون الجيوش ألعوبة في يده، يعبث بها كيف يشاء، ويغامر بها في مغامرات طائشة، تهلكها، وتهلك الدولة من ورائها... وللدولة أن تمنعه من إساءة استعمال القوة التي بيده.

## رجل تربية وسياسة!

وفي زحمة الألفاظ السياسية البحتة، يتحول عمر إلى مربٍ عميق التربية... فيقول: « ولا أجمركم في ثغوركم، وإذا غبتم في البعوث فأنا أبو العيال » !

لماذا يعد عمر الجماهير ألا يحبس الضباط والجنود طويلا في مواقعهم التي فيها يعسكرون؟.

؛ لأن غياب المقاتل طويلا عن بيته، فيه ما فيه من احتمال الفساد... فمن الخير أن يعود بعد قليل إلى منزله؛ لينظر أحواله، ويأنس إلى أهله، ثم يعود إلى القتال.

مبدأ خالد شرعه عمر، ما زالت الدنيا تنظر إليه في إعجاب وإكبار!.

ثم يعلن المربي العظيم مبدأ أخطر وأخطر حين يقول: « فإذا غبتم في البعوث فأنا أبو العيال»..

ومعنى « أنا » هنا، أي: الدولة؛ لأن عمر يتكلم بصفته رئيسًا للدولة.

الدولة تحل محل الأب في الأسرة، في حالة غيابه، دفاعًا عنها، ونشرا لدين الله.. أو بسبب الموت، أو غير ذلك.

فهي مسئولة عن الأسرة مسئولية الأب عنها، تنفق على الأسرة كما كان الأب ينفق عليها. وتحافظ على مقدساتها، وحرماتها، كما كان الأب يحافظ عليها. وتعطف على أبنائها، كما كان الأب يعطف عليها!

## عزل القائد العام للقوات المسلحة!

ما إن تولى عمر الخلافة، حتى سارع إلى عزل خالد بن الوليد، قائد عام القوات الإسلامية المسلحة، وسيف الله المسلول، والرجل الذي تعلقت الجماهير بانتصاراته الخارقة!.

لماذا هذا؟

؛ لأن عمر يريد أن تتعلق قلوب الناس بالله لا بخالد بن الوليد!

والجماهير دائمًا وأبدًا تلتف حول الفاتح الميمون، وتكثر من نسج الخيالات في شأنه.

ولقد أوتي خالد بن الوليد من يمن الانتصارات، وعظمة الفتوحات، ما جعله حديثًا في فم الزمان، وأغنية على لسان الجماهير.

ومعنى هذا أن الجماهير قد افتتنت بخالد، ونسبوا النصر إليه ونسوا الله، الذي هو الناصر الحق، الذي بيده الأمر.

وحين تتعارض الأمور، يقف عمر فورًا إلى جانب الحق؛ ليبطل الباطل.

هذا هو الوجه من قضية عزل خالد، فإن عمر لا يرى لشيء فضلا إلا لله، ولا نصرًا إلا من الله، ولا عزًا إلا من الله ... فإذا تسببت انتصارات خالد، أن تنسب الجماهير النصر إليه، فمعنى هذا أن التوحيد الذي جاء به رسول الله – ﷺ – قد أصيب في نفوس الناس، وأنهم بدءوا يرتبطون بالأسباب، ولا يرتبطون بالله... وهذا أخطر داء تصاب به الجماهير، ويحرمها من تأييد الله.

ذلك هو الوجه الذي نظر إليه عمر حين رأى أن يعزل خالدًا، ويؤمر مكانه أبا عبيدة بن الجراح، بمجرد توليه للخلافة بعد أبي بكر.

وقد كتب عمر منشورًا يذاع في الأمصار والبلدان يوضح هذه الحقيقة للجماهير، وذكر فيه أنه لم يعزل خالدًا عن سخطة ولا عن خيانة، ولكن الناس فتنوا به، فخشى أن يوكلوا إليه ويبتلوا، فأحب أن يعلموا أن الله هو الصانع، وأن لا يكونوا عرضة للفتنة به، وينسبوا النصر إليه، وما النصر إلا من عند الله.

وكتب عمر إلى أبي عبيدة بن الجراح، غداة قُبض أبو بكر، يخبره بوفاة الخليفة.

ثم كتب بعزل خالد، وتولية أبي عبيدة إمارة الجيش مكانه. وأن يكون خالد أمير اللواء الذي كان أبو عبيدة أميره!!!

## أمير المؤمنين!

كان يقال لأبي بكر خليفة رسول الله، فلما استخلف عمر قيل لعمر خليفة خليفة رسول الله.

فقال المسلمون: فمن جاء بعد عمر قيل له خليفة خليفة خليفة رسول الله ؟! فيطول هذا ولكن اجتمعوا على اسم تدعون به الخليفة يدعى به من بعده الخلفاء.

فبعث إليه عامل العراق، لبيد بن ربيعة العاري، وعدى بن حاتم الطائي، فلما قدما المدينة أناخا راحلتيهما بفناء المسجد، ثم دخلا المسجد، فإذا هما بعمرو بن العاص فقالا له: استأذن لنا على أمير المؤمنين.

فقال عمرو: أنتما والله أصبتما اسمه، نحن المؤمنون، وهو أميرنا.

فوثب فدخل على عمر، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين.

قال عمر: ما بدا لك في هذا الاسم؟

قال: إن لبيد بن ربيعة، وعدي بن حاتم قدما فأناخا، وقالا لي: استأذن لنا على أمير المؤمنين، فهما والله أصابا اسمك، أنت الأمير، ونحن المؤمنون.

فجرى الكتاب بذلك.

ومن يومئذ لم يدع أحد عمر خليفة خليفة رسول الله، بل دعاه الناس جميعًا « أمير المؤمنين».

وبقى هذا اللقب له، ولمن بعده من خلفاء المسلمين وملوكهم، وهكذا كانوا دائما ... يتطورون مع الحوادث، ولا يجمدون.

## إعادة فتح العراق!

وألقت الإمبراطورية الفارسية بجيوشها، تريد أن تسحق العرب الذين اجترءوا على انتزاع العراق منها، وتلقى عليهم درسا لا ينسى، ويردهم إلى صحرائهم التي جاءوا منها.

وجاء أبو عبيدة بالجيش الذي خرج على رأسه من المدينة، وانضم إلى الجيش الذي تحت إمرة المثنى، وقاد أبو عبيدة الجميع إلى اللقاء.

واصطدمت القوتان، وكانت معركة النمارق...

ومضت جيوش أبي عبيدة، وانطلقت لتجهز على ما تبقى من جيوش فارس، وفر الفرس،

وتركوا للمسلمين مغانم كثيرة.

ووجه أبو عبيدة قواده، والمثنى في مقدمتهم، فاحتلوا سواد العراق من أعلاه إلى أسفله، وأذاعوا الرعب في الناس، وأعادوا إلى ذاكرتهم أيام خالد بن الوليد.

ورجع الدهاقين إلى أبي عبيدة؛ ليصالحوه، ويعتذروا إليه عما كان منهم، في ممالأة الفرس على العرب، ويذكرون أنهم غلبوا على أمرهم، فلم يكن لهم فيما حدث نهي ولا أمر.

## أأكرمتم الجند بمثله؟!

ولما أتم أبو عبيدة الصلح معهم، جاءوه بآنية فيها ألوان من طعام فارس الشهي، وقالوا: هذا قِرى لك، وكرامة، أكرمناك بها.

قال: أأكرمتم الجند بمثله، وقريتموهم؟!

قالوا: لا!

فرده، وقال: « لا حاجة لنا فيه! بئس المرء أبو عبيدة، إن سحب قوما من بلادهم، وأهراقوا دماءهم دونه، أو لم يهريقوها، فاستأثر عليهم بشيء يصيبه! لا والله، لا يأكل مما أفاء الله عليهم، إلا مثلما يأكل أوساطهم! » .

ولم يأكل من طعام أتى به الدهاقين، غداة ذلك اليوم، حتى علم أنهم قربوا مثله لأصحابه!!

ماذا نستنبط من ذلك؟

أن القادة يأكلون كما يأكل أوساط الناس.

أي أن القادة يعيشون في المستوى المعيشي الذي تعيش عليه الطبقة المتوسطة من الشعب.

وأن الإسلام لا يعترف بامتيازات للطبقة الحاكمة من دون الشعب.

وإنما يريدها سواسية، جسدًا واحدًا، متكافلاً متعاونا!

## المسيحيون والمسلمون صفا واحد!

وألقت فارس بجيوش لا حصر لها، لتخوض مع العرب معركة فاصلة حاسمة!

وبدأ عمر بجمع الجيوش، ويرسلها إلى المثنى في العراق، بينما المثنى هو الآخر، بدأ يستمد القبائل العربية من حوله، أيا ما كان دينها، فالموقف موقف الجميع، لا فرق بين مسيحي ومسلم.

وكانت قوات المثنى تشتمل على أولئك الذين استمدهم فأمدوه، وفيها من القبائل التي استجابت لنداء عمر.

فيها من بني النمر، نصارى قدموا مع أنس بن هلال، وجلاب جلبوا خيلا.

وفيها من تغلب، نصارى جاءوا مع ابن مردى الفهر التغلبي، وجلاب جلبوا خيلا.

وفيها غير هؤلاء رجال من قبائل عربية أخرى مقيمة بالعراق هؤلاء جميعًا رأوا موقف العرب من العجم فقالوا: نقاتل مع قومنا.

وكذلك جمعت رابطة الجنس إلى جيش المسلمين عدد غير قليل من نصارى العراق، وقفوا إلى جانبهم، وحاربوا في صفوفهم.

واصطف الفريقان للقتال، وكان الشهر رمضان، فأفطر المسلمون ليقووا على القتال.

واشتبك الفريقان...، ولم يطق الفرس أن يثبتوا لهذا البأس، فانهزموا، وانقلبوا يولون الأدبار.

وحصرهم فرسان المسلمين، وهم في اضطرابهم، فقتلوهم شر قتله.

وقتل من الفرس في تلك المعركة، مائة ألف، بقيت جثثهم صرعى، طريحة في الميدان، حتى بليت وصارت عظامًا!

وانتصر المسلمون نصر مبينًا.

وقاتل أنس بن هلال النمري النصراني حتى قتل.

وهكذا خرج العرب، على اختلاف أديانهم، نصارى ومسلمين؛ لمحاربة أبناء فارس.

وفي أوج النصر الذي كلل رأس المثنى، نغرت عليه جراحه التي أصابته، حتى قضت عليه.

ومات المثنى بن حارثة الشيباني، بعد أن ضرب الفرس ضربة، لم يستطيعوا أن يفيقوا بعدها أبدًا.

## فتح دمشق!

والآن ننتقل إلى جبهة الشام.. وكان خالد بن الوليد قد انتصر فيها على الروم نصره الساحق في معركة اليرموك...

وما أن تولى عمر الخلافة حتى سارع إلى عزله، وهو في أوج انتصاره وتولية أبي عبيدة قائدًا عامًا للجبهة الغربية مكانه.

نذكر ذلك، ونحن ننتقل إلى الجبهة الغربية؛ لننظر ماذا تعمل القوات الإسلامية المسلحة فيها؟

وكتب أبو عبيدة يسأل أمير المؤمنين رأيه فيما يفعل بعد نصر اليرموك.

ورد عمر عليه، أن يبدءوا بدمشق...

وعلى الفور، انطلق هو وخالد بن الوليد، في قوة الجيش الكبرى، يقصدون دمشق، عروس الشام.

وطالت مقاومة دمشق، وطال حصار المسلمين لها ...، وبدأ اليأس يتسرب إلى نفوس الدمشقيين.

ثم اقتحمها خالد بن الوليد... فصالحوا أبا عبيده، وفتحوا له أبوابها!

واستقر المسلمون بعاصمة الشام وجلت عنها حامية هرقل. فماذا كانت سياسة المسلمين في إدارتها؟

تركوا لأهل دمشق، ما كان لهم من إدارة مدينتهم، وأقاموا الأمر فيها على الأساس الذي صوره خالد في كلمته لبعض أهل العراق: « إن كنتم عربا فماذا تنقمون من العرب؟! وإن كنتم عجما فماذا تنقمون من الإنصاف والعدل؟؟ » .

إحدى اثنتين ... إما أنكم عرب فنحن إخوة، لا ننقم حكم أنفسنا لأنفسنا، وإما أنكم غير عرب، فنحن نحكمكم بالإنصاف والعدل !!!

## الإنجيل والقرآن في معبد واحد!

وكان هناك جانب من دمشق فتح عنوة، فكان كله حقا للمسلمين، على حين فتح جانب منها صلحا، فوجبت عليه الجزية دون سواها.

ولذلك أخذ المسلمون نصف ما في المدينة من كنائس، وأموال، ومنازل بحكم الفتح عنوة.

وتقاسم المسلمون مع أهل المدينة الكنائس، والأموال، والمنازل.

وقسموا الكنيسة الكبرى، كنيسة القديس يوحنا المعمدان فتركوا نصفها للنصارى يقيمون فيه صلواتهم، ويتلون فيه الإنجيل.

وجعلوا النصف الآخر مسجدًا للمسلمين، يتلى فيه القرآن، ويذكر فيه اسم الله، وينادى من فوقه للصلاة!!

وظلت هذه القسمة العجيبة نحوا من ثمانين سنة!!

حتى صالح عمر بن عبد العزيز نصارى دمشق أن يعطوهم جميع كنائس الغوطة، ويتركوا ما كان لهم من كنيسة يوحنا، فرضى النصارى، وأقر عمر بن عبد العزيز هذا الاتفاق!

حادثة عجيبة.. وأعجب منها أن تنشطر الكنيسة شطرين، شطر مسجد، وشطر كنيسة... وأن تؤدى عبادات الإسلام في هذه، وتؤدى طقوس النصارى في تلك!

مبنى واحد، فيه دينان عالميان!

وذلك نموذج من سياسة عمر الدولية، وما بلغته من حرية الأديان والمعتقدات.

## إبادة ٨٠٠٠٠!

وانطلقت القوات الإسلامية المسلحة بالشام؛ لتخوض معركة ثانية مع قوات الروم.

وسارت هذه القوات جميعًا، فعبرت اليرموك، ووقفت أمام الروم ببيسان.

وكان الروم أمامهم يقفون في ثمانين ألف، أشد ما يكونون حرصًا على أن يظفروا بأولئك الذين قضوا على قواتهم باليرموك، وفتحوا عليهم دمشق.

وفجأة هجم الروم على المسلمين، فتلقاهم المسلمون، وقاتلوهم أشد القتال.

واستبسل الروم، وطالت المعركة الليل كله، واستمرت اليوم الذي يليه إلى الليل.

فلما أظلم الليل خارت قوى الروم، فاضطربت صفوفهم، فانهزموا ...، وانطلقوا يفرون، فتلقتهم الأرض الموحلة، فتعذر عليهم السير فيها.

فلحقهم المسلمون ...، والقوهم في الوحل ...، وقتلوهم .. شر قتلة...

وتتابعت البلاد، بعد معركة بيسان، وهزيمة الروم الساحقة فيها تستسلم للفاتحين!

## القادسية ؟!

نحن في السنة الخامسة عشرة من الهجرة ... وعمر رابض كالأسد، في عاصمة الدولة الجديدة المدينة، وقد اتخذ قرارا خطيرا جدا...

قرر أن يجهز على الإمبراطورية الفارسية كلها، لا تقوم بعده أبدًا

وفي الوقت الذي كانت فيه القوات الإسلامية المسلحة تتجه إلى حمص بقيادة أبي عبيدة، لتلتقي مع الروم في معركة فاصلة.

..كان عمر قد قرر أن يخوض مع الفرس المعركة الحاسمة!

وأرسل عمر منشورا إلى عماله على البلاد والقبائل: « لاتدعوا أحدًا له سلاح، أو فرس، أو نجدة ، أو رأى ، إلا انتخبتموه ثم وجهتموه إليّ، والعجل العجل » .

وقال عمر : « والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب » .

ووقع الاختيار على سعد بن أبي وقاص، وأمره عمر على حرب العراق.

ثم وصاه : « يا سعد . لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله — ﷺ — وصاحبه » ...

فإن الله ﷻ لا يمحو السيئ بالسيئ ولكنه يمحو السيئ بالحسن

« وليس بين الله وبين أحد نسب إلا بطاعته » .

« فالناس شريفهم، ووضيعهم في دين الله سواء » .

« يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عنده بالطاعة »

«فانظر الأمر الذي رأيت النبي — ﷺ — يلزمه فالزمه، وعليك بالصبر» ! .

## الاستعداد للمعركة !

واكتمل لسعد بن أبي وقاص جيش بلغ ستة وثلاثين ألفًا. وأمر عمر سعد بن أبي وقاص بالمبادرة إلى القادسية، والقادسية باب فارس.

ثم قال له : « ولا يهولنك كثرة عَددهم وعُددهم ، فإنهم قوم خَدَعة مكرة . وإن أنتم صبرتم، وأحسنتم، ونويتم الأمانة، رجوت أن تنصروا عليهم، ثم لم يجتمع شملهم أبدًا .. » وسار سعد متمهلا حتى نزل القادسية

وخرجت قوات الفرس في مائة وعشرين ألفاً، بقيادة رستم، قائد الفرس الأول.

وعلم سعد بمسيرته، فكتب إلى عمر، فأمره أن يبعث إلى كسرى من يناظرونه، ويدعونه

فبعث سعد إلى يزدجرد وفداً، فيه أهل الرأي، والسياسة، والشجاعة.

وأمرهم أن يدعوه إلى الإسلام، فإن أبي فالجزية، وإلا فالمناجزة.

وغضب يزدجرد غضباً شديداً، حين اجترأ الوفد العربي على مخاطبته في هذا الأمر، وقال: « لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم، لا شيء لكم عندي ! »

ثم أمر من جاء بحمل من تراب، فقال : « احملوه على أشرف هؤلاء ، ثم سوقوه ، حتى يخرج من باب المدائن. ارجعوا إلى صاحبكم، فأعلموه، أني مرسل إليه رستم حتى يدفنه، ويدفنكم معه في خندق القادسية » .

## المعركة !

وخرج رستم بقواته الضخمة تتقدمها الفيلة، أمضى سلاح لدى الفرس!

وبلغ رستم القادسية في جيش عدته مئة وعشرون ألفاً..

وصف عساكره قبالة عسكر المسلمين، وقدم الفيلة أمامه، وبدا بذلك في مظهر من القوة يثير الرعب في النفوس.

ووقف الجيشان ينتظران أمر الصدام .

والتحم الجيشان .. وظلا يقتتلان ثلاثة أيام بلياليهن، متواصلات ...

ثم بدأت صفوف الفرس تضطرب ..، وتأذن الله بالنصر للقلوب المؤمنة ...

واستمكن أحد رجال المسلمين من رستم، وهو يلقى بنفسه في النهر فراراً .. فاقتحم الرجل

النهر وراءه، ثم خرج به، فضرب جبينه بالسيف حتى قتله.

ثم صعد سريره ليصيح : قتلت رستم ورب الكعبة ! إليّ ! إليّ. !

وأطاف الجند به يهللون ويكبرون .. ووهنت قوة الفرس.. وحاول الجالينوس ـ أحد قوادهم — أن يعبر بهم النهر، لكن الردم انهار بهم في النهر المتدافع التيار، فغرق بانهياره ثلاثون ألف فارس، مقترنين بالأصفاد.

وكذلك انهزمت جيوش يزدجرد شر هزيمة، وانطلقت فلولهم يولون الأدبار ! .

## المرأة في خط النار!

واندفع المسلمون يتعقبون الفارين ويجهزون عليهم.

واندفع نساؤهم وصبيانهم حين عرفوا أمر النصر، إلى ميدان المعركة ليشاركوا فيه.

قالت إحداهن : « وشهدنا القادسية مع أزواجنا ، فلما أتانا أن قد فرغ من الناس، شددنا علينا ثيابنا، وأخذنا الهراوى فما كان من المشركين أجهزنا عليه ... وتبعنا الصبيان نوليهم ذلك، ونصرّفهم به»

وكذلك اشتركت الأمة كلها، رجالا، ونساء، وصبية، في هذه المعركة.

وتلك آية أخرى، نرفعها في وجوه المتحجرين، ودعاة التجمد، ونقول لهم : ها هي المرأة في عهد عمر تدخل خط النار ، وتقاتل فيه . .

وهؤلاء هم الصبيان يشاركون كذلك في القتال. .

ومن هنا يجب أن ينشأ الجيل الصاعد كله، بناته وبنيه، تنشئة عسكرية.. حتى إذا مس المعتدى وطننا خرجنا إليه جميعاً، نصليه ناراً .. ولن يستعمر شعب آثر الموت على الحياة، وتعلم فنون القتال، ووعاها.

وانتهت معركة القادسية، وكانت نتيجتها الحتمية، كسائر المعارك التي خاضها المسلمون مع أعدائهم ، نصراً للحق، وهزيمة للباطل.

واستشهد من المسلمين ثمانية آلاف وخمسمائة! !

خسارة كبيرة في الرجال ... ولكن انتصار الحق كان أكبر!

## فتح عاصمة كسرى!

وأمر عمر بالزحف إلى المدائن، عاصمة الإمبراطورية الفارسية.

فأمر سعد بالسير إليها ، وتجمع جنوده على شاطئ دجلة، ولم يبق بينهم وبين المدائن سوى النهر.

ورأى الجند مبانيها الفاخرة ، وعمارتها النادرة ، يطل من بينها قصر عظيم ... هو قصر كسرى فصاحوا ، الله أكبر...هذا أبيض كسرى .

وبينما كان المسلمون يقفون كالأسود، ينتظرون ساعه الهجوم على شاطئ دجلة.

كان كسرى قد رعب لساعته مما رأى، فأمر رجاله، فحملوا بيت ماله، وما خفّ من متاعه وخزائنه، وحملوا النساء والذراري، وفروا بها يقصدون بلدة من فارس اسمها حلوان!!

## جيش يسير على الماء!

وأمر سعد فرسانه فاندفعوا جميعاً ... ألوفا مؤلفة إلى لجة النهر...وامتلأ النهر بالخيل، فلم يكن ماؤه في هذه الساعة ليرى ! فلما عبر سعد بالجيش، كان أهل المدائن جميعًا قد فروا !! أين الإمبراطورية الفارسية ؟!

فرت أمام هؤلاء ... الذين جاءوا إليها ليزيلوها فزالت!

## في إيوان كسرى !

ودخل سعد بجنده القصر، وجعل يجيل بصره فيما احتواه، من نفائس وعجائب، ويتلو قوله تعالى: « كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ».

[الدخان ٢٥-٢٩]

وصلى سعد صلاة الفتح ، ثماني ركعات بتسليمة واحدة .

ثم أمر أصحابه فجاءوا بأطفال المسلمين من سائر مدن العراق وقراه فأنزلهم المدائن ! .

ونزل سعد قصر الأكاسرة، وأقام به، واتخذ الإيوان مصلى! وارتفعت كلمة لا إله إلا الله في قصر عبدة النار! .

## ٣,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ دينار !

ووجد سعد خزائن كسرى مترعة بالأموال، ونفيس الثياب والأمتعة والآنية والألطاف والأدهان، وما إلى ذلك مالا تعبر عن قيمته الألفاظ والأرقام ! .

ليس هذا وحده، وإنما بعث سعد جنده يطاردون يزدجرد، والذين فروا معه إلى حلوان، فأدركوهم، وجاءوا بما حملوه، فإذا قيمته تضاهي قيمة ما بالقصر.

ووجد المسلمون بدور المدائن من التحف والنفائس، ما أذهل خيالهم، وما دلّ على ترف أهلها ترفا لم يعرفه غير الفرس .

ذكروا أن سعدا وجد بخزائن كسرى ثلاثة آلاف ألف ألف ألف دينار !

ووجدوا بالقصر من التحف والأمتعة مالا تدري قيمته ...

وجاء الذين خرجوا في أثر يزدجرد بتاج كسرى مرصعاً بالدر والجوهر، وبثيابه من الديباج المنسوج بالذهب، المنظوم بالجوهر.

كما جاءوا بخرزات كسرى ، ووشاحه ، ودرعه التي فيها الجواهر.

ووجد المسلمون بدور المدائن سلالا مختومة برصاص ظنوا ما فيها طعاماً، فإذا هو آنية من الذهب والفضة، وبلغ من كثرة ما وجدوا من ذلك أنه كان الرجل يطوف ليبيع الذهب بالفضة متماثلين.

وهكذا وضعت كنوز كسرى، وكنوز الفرس كلها، تحت أقدام الفاتحين المؤمنين.

ونحن نسجل هذا هنا .. من هذا الفصل من الكتاب؛ ليعلم العالم أجمع أن الدولة الإسلامية في عهد عمر، بلغت غاية ما تبلغه الدولة من الغنى وكثرة الأموال.

وحسبك أن الإمبراطورية الفارسية كلها — تلك الإمبراطورية التي عمرت مئات السنين — إذ كانت عبارة عن نصف العالم القديم، قد أصبحت بمقدراتها، وأموالها وسائر طاقاتها ملكا للدولة الإسلامية.

وإنك تستطيع أن تتصور مدى ما كانت عليه فارس من نعيم وأموال، إذا تصورت أن خزانة كسرى وجدوا بها ٣,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ دينار ! !

فكيف إذا أحصينا ما عند أغنياء الدولة آنئذ، وسائر طبقاتها من أموال ؟

ويمكنك أن تدرك ذلك إذا تصورت كتلة كالكتلة الغربية مثلا، بذهبها، وثرواتها كلها، ومصانعها، وشركاتها، تصبح ملك دولة واحدة.

لقد كانت الفرس في ذلك العالم القديم تشبه كتلة العالم الغربي الآن في عالمنا المعاصر.

فانظر بكم تقوم أموال الكتلة الغربية ؟ .

نقول هذا، لنضع تحت أعين الناس فكرة سريعة عن دولة عمر، وأنها كانت تموج بالأموال موجاً.

حتى إذا تكلمنا بعد ذلك عن عمر كان في اعتبارنا أن الدولة كانت غنية إلى أبعد حدود الغنى، ومع هذا استطاع عمر أن يسوسها سياسة عادلة محكمة.

فكيف والإمبراطورية الفارسية كلها كانت إحدى غنائم المسلمين بينما هناك الإمبراطورية الرومية، وكنوزها بعد ذلك !

إنه يمكن أن يقال: إن العالم كله كان يومئذ تحت قدمي عمر!!!

## القعقاع يفتح جلولاء!

ظن كسرى أنه يستطيع من المسلمين انتقاما. فاجتمع الفرس من كل مكان بجلولاء على أربعين ميلا من المدائن .

وجاءت هذه الأنباء سعداً، فبعث بها إلى عمر، بالمدينة، فأمره بلقائهم...

وأرسل سعد إليهم اثني عشر ألفاً على مقدمتهم القعقاع بن عمرو.

والتقى الفريقان ... فاقتتلوا قتالا شديداً، لم يعهد مثله. لقد كان الفرس يخوضون معركة حياة أو موت ...

وحمل المسلمون، وقاتلوا عدوهم قتالا مخيفاً، وانهزم الفرس، وأخذهم المسلمون من كل وجه حتى قتل من الفرس في ذلك الوقت مائة ألف رجل، وفر من بقى منهم، فاتبعهم القعقاع، يريد أن يجعلهم حديثاً !.

وكتب سعد إلى عمر بفتح جلولاء ، وبالغنائم العظيمة التي غنمها، واستأذنه في مطاردة الفرس داخل بلادهم .

لكن عمر كان لا يرى التوسع ، وآثر الحذر فكتب إليه بقول: « وددت لو أن بين السواد (ما بين نهرى العراق) والجبل سدا لا يخلصون إلينا ، ولا نخلص إليهم ، حسبنا من الريف السواد إني آثرت سلامة المسلمين على الأنفال ».

وكان رأيا سديداً من العبقري الملهم.

## كتيبة من النساء!

وبينما تتلاحق انتصارات المسلمين بشمال العراق وجنوبه .

اشتد القتال، وتداوله الفريقان، واستمات فيه الفرس ... وإنهم لكذلك إذ رأوا كتيبة مقبلة، حسبوها مددًا للمسلمين فانهدت قوتهم، وانهزموا.

ولم تكن هذه الكتيبة إلا نساء المسلمين خرجن من أخبيتهن واتخذن من خمرهن رايات، وسرن بها يردن معاونة الرجال! فماذا نأخذ من هذا ؟

أن المرأة في عهد عمر امرأة مقاتلة، تكّون الكتائب وتزحف في خط النار، وتقاتل.

وحسب تلك الواقعة فخراً، أن الفرس ظنوها مددا ضخما فرعبوا، وانهزموا ! .

ولعل في هذا أبلغ رد على أولئك الذين يريدون أن يجعلوا المرأة جماداً لا يشارك في الحياة، ولا ينفعل بالأحداث العامة !!

## سياسة عمر في العراق!

لما فتحت جلولاء، كتب سعد إلى عمر في أمر الفلاحين، من فر منهم ومن أقام ، وكان قد فر منهم بضعة وثلاثون ومائة ألف ، يتألف منهم بضعة وثلاثون ألف بيت.

فكتب إليه عمر : « أن أقر الفلاحين على حالهم إلا من حارب أو هرب منك إلى عدوك...

ونفذ سعد أوامر عمر هذه ، فأقرّ الفلاحين ، ودعا من لج ، ووضع الخراج على من رجع، وقبل الذمة.

## مصادرة أموال آل كسرى!

واستصفى سعد ما كان لآل كسرى ، ومن لج معهم من الأمراء، والدهاقين، وغيرهم.

وكان ما استصفاه من هذه الأموال كثيراً موزعاً بين جبل فارس، وتخوم العرب.

وكانت هذه الأموال التي استصفاها سعد حبسًا لا يجوز بيعه، كما لا يجوز بيع المنافع العامة من الآجام ، ومفيض المياه ، وسكك البريد ، وما كان لبيوت النار : معابد المجوس.

وترتب على تنفيذ هذه السياسة أن بقيت للفلاحين أرضهم، واعتبروا من أهل الذمة، سواء منهم من أقام بأرضه أثناء الحرب، ومن فر منها جزعا، ثم عاد بعد الحرب إليها.

## حبس الأراضي!

أما الأراضي التي كانت لآل كسرى، ولمن اشترك في الحرب من الأمراء والأشراف والدهاقين، فاعتبرت ملكا خاصًا للدولة، حرم التعامل فيه، وأبيح للفلاحين من أهل العراق استغلاله لقاء أجر يدفعونه للخزانة، للدولة.

وقد أجرى هذا الحكم على الأراضي المملوكة لبيت النار. فأما المنافع العامة من مجاري المياه، وسكك البريد، فكانت ملكا عامًا، حرم التعامل فيه.

كيف كان العراق حين فتحه المسلمون ؟

كان ككل دولة عمها الظلم والفساد ... كان طبقتين: ... طبقة عالية شامخة تملك كثيراً ... وأغلبية ضعيفة مستضعفة لا تملك شيئا!

فماذا كان حكم عمر في القضية ؟.

أما أملاك الأسرة المالكة، والكبراء والعظماء فيصادر، ويصبح ملكا للدولة لا يجوز التعامل فيه، ولا بيعه ولا شراؤه حبساً على منفعة الجماهير.

وأما أملاك صغار الفلاحين، فتبقى بأيديهم كما هي سواء حاربوا أم لم يحاربوا لقاء دريهمات معدودة ... ضريبة بسيطة تسمى الخراج.

وهذا هو العدل ... الذي كان يتميز به عمر دائماً.

ثم ماذا ؟ . . ثم أمرت الدولة الجديدة بتأميم المنافع العامة، التي يحتاجها الشعب في حياته العامة، كالآجام، والمراعي ومفيض المياه، وسكك البريد، وما كان لبيوت النار !

فما معنى هذا ؟ . . معناه أن عمر سبق العالم الحديث كله بنظامه هذا ..

وإلا فما معنى جعل المراعي ملكا للدولة .. إلا أن يكون المقصود بها عدم سيطرة الرأسماليين على المراعي، التي لا يستغنى عنها الشعب؟

وما معنى أن تكون المياه ملكا للدولة إلا أن يكون هذا هو الحرص على منفعة الناس.

إن عمر يأبى أن يملك أحد مرفق المواصلات، وإنما يجب أن يكون ملكا للدولة (للشعب).

ولئن كان عمر قد أمر بتأميم سكاك البريد، فلأن هذا هو الموجود في عهده من مرافق المواصلات.

وهو مبدأ هام يقاس عليه ... البرق، سكك الحديد، البريد، السلكي، اللاسلكي ... كل ذلك يجوز أن يكون ملكا... للدولة ... قياسا على أوامر عمر !

هذا هو عمر أيها الناس ...أوضح تطبيقًا للإسلام، هذا هو عمر يصادر أموال الظالمين ويردها إلى الخزانة العامة، ويقر الفلاحين في أراضيهم ...

فماذا أنتم قائلون ؟

## الأموال تتدفق!

وأدى هذا التنظيم إلى تدفق الأموال إلى الخزائن العامة من مصادر شتى من الخراج، والجزية، والأرض المملوكة للدولة .

فاستطاع عمر أن يجرى العطاء من هذه الأموال على الجند، وأهليهم بالكوفة والبصرة، وسائر مصالح المسلمين .

رفض عمر أن يوزع أراضي السواد على الجند الفاتحين، وانتهج أسلوبًا جديدًا، تطور تطورًا سريعًا ...، وقضى بترك الأرض لأهلها يؤدون عنها خراجًا بسيطًا.

وهكذا يتبين لنا أن عمر حين وجد إمبراطورية فارس تتهاوى تحت قدميه ... ساسها على أسلوب عادل مقتبسًا من كتاب الله، وسُنة رسول الله، فجاءت سياسته في العراق سياسة العدل والمساواة .

## فرار إمبراطور الرومان!

في نفس الوقت الذي كان فيه سعد بن أبي وقاص يتم تدمير الإمبراطورية الفارسية ...

كان أبو عبيدة بن الجراح وزملاؤه بالشام، يتقدمون فيه، ويفتحون مدنه؛ ليتموا تدمير الإمبراطورية الرومية !

وكانت أنطاكية يومئذ عاصمة الإمبراطورية الرومية في الشرق، أو المدينة التي تلى فيها مدينة قسطنطين .

من أجل ذلك كان عمر حريصًا على فتحها، وكان الاستيلاء عليها يعادل عنده فتح المدائن، وفتح بيت المقدس .

فهل فكر الامبراطور في الدفاع عنها؟ . . كلا . . لقد أثرت الهزائم المتلاحقة في نفسه، فترك المدينة الخالدة أنطاكية، وفر إلى القسطنطينية ! .

وسار إليها أبو عبيدة، وخرج إليه أهلها، فهزمهم في معركة حامية .

وسقطت أنطاكية، وأصبحت سوريا كلها جزءا من الدولة الاسلامية..

تمامًا.. كما فر امبراطور فارس أمام سعد بن أبي وقاص .. ها هو إمبراطور الروم يفر أمام أبي عبيدة.

## ١٠٠٠٠٠ قتيل من الرومان!

بينما كان أبو عبيدة يسير مظفرا في شمال الشام. كان عمرو بن العاص، وشرحبيل، يواجهان من قوات الروم التي اجتمعت بفلسطين، ويجاهدان للقضاء عليها.

وكانت هذه القوات عددا عظيما، يقودها أخطر قواد الرومان، وأدهاهم، ويسمى أطربون.

وكتب عمرو إلى عمر . . فأمر أمير المؤمنين يزيد بن أبي سفيان أن يوجه أخاه معاوية إلى قيسارية ليفتحها، فينقطع المدد الذي يأتي إلى أطربون عن طريق البحر .

والتقى معاوية بأهل قيسارية، وكانوا قوة هائلة، وقاتلوا مستميتين . .

إلا أن النتيجة دائما معروفة ..

قضى معاوية عليهم حتى كانت قتلاهم في المعركة ثمانين ألفًا بلغوا بعد الهزيمة، والفرار مائة ألف .

وسقطت قيسارية، وامتنع المدد عن أطربون من طريق البحر.

## سقوط بيت المقدس!

وحاصر عمرو بجيوشه بيت المقدس شهورا، واشتدت مقاومة المدينة حتى كتب عمرو إلى عمر يستمده .

فأناب عمر عليا على المدينة، وأمر الناس بالسير معه.

وسار عمر على رأس الجيش الذي اجتمع له من المدينة، حتى نزل الجابية، وكان قد كتب إلى أمراء الجيوش في الشام أن يوافوه بها ليوم سماه لهم .

فلما عرف قواد عمر مقدمه إلى الجابية، ساروا إليه يتقدمهم يزيد بن أبي سفيان، ثم أبو عبيدة ، ثم خالد بن الوليد، على الجند في عرض يأخذ بالأبصار .

ونزل عمر بمعسكر الجابية ... وجاءت رسل صفر نيوس أسقف بيت المقدس، يتمون الصلح مع أمير المؤمنين .

وصالحهم عمر على صلح أكثر من صلح دمشق سخاء، وكتب لهم معاهدة، ووقع عليها.

ورجع رسل صفر نيوس بالمعاهدة إلى القدس، فسر الأسقف سروراً عظيما .

وساد الفرح أهل المدينة جميعاً . . كيف لا وقد أعطت المعاهدة للجميع حرية العقيدة، وحرية الإقامة، وحرية الخروج من المدينة، وحرية الحياة مهما تنوعت، ومهما تعددت ؟ واعتبرها عمر مدينة دولية لها كل الحرمات، وكل القدسات .

## عمر يدخل بيت المقدس!

وامتطى أمير المؤمنين فرسه، ودخل به بيت المقدس، ومعه عدد من قواده ..

وتلقاه البطريق صفر نيوس، وكبراء المدينة، فتلطف بهم وأدناهم، وتحدث إليهم حديثًا أدخل محبته في قلوبهم.

وجاء المساء، وانصرف القوم ... وخلا عمر بنفسه ... فقام يصلى من الليل طويلا، شكرًا لله على ما أنعم به عليه .

فلما أصبح جاءه صفر نيوس، وسار معه خلال المدينة، يشرح له آثارها، وكم لها من آثار!

وبينما الرجلان بكنيسة القيامة أدرك عمر موعد الصلاة . . فطلب البطريق إليه أن يصلى بها، فهي من معابد الله ..

إلا أن عمر اعتذر، بأنه إن يفعل يتبعه المسلمون على تعاقب القرون .

وصلى في مكان قريب من الصخرة المقدسة، على أطلال هيكل سليمان .

وفي هذا المكان شيد المسلمون من بعد مسجدًا ضخمًا، هو المسجد الأقصى .

أما في عهد عمر فقد كان هذا المسجد بسيط البناء كمسجد رسول الله بالمدينة يوم أقيم.

## عمر يعمل كنّاسًا!

ورأى عمر على الصخرة كناسة كان الروم يلقونها فوقها، فقال لأصحابه : اصنعوا كما أصنع.

ثم جثا في أصلها، وجعل يحمل ما عليها بنفسه، فيلقيه بعيدا عنها .

وصنع أصحابه كما صنع، ومازالوا بالصخرة حتى زال كل ما عليها، فما دلالة تلك الفعلة التي فعل ؟

إنها دلالة عظيمة ... أن الإسلام يسوى بين الأعمال جميعاً، فليس هناك عمل عظيم في ذاته، وعمل حقير في ذاته، وإنما الكل سواء من حيث هو عمل .

وأنهى عمر رحلته إلى بيت المقدس، وفتح الله له المدينة العالمية. وكانت أنباء الفتح قد بلغت عليا والمسلمين بالمدينة. فاستقبلوه بظاهر المدينة استقبالا عظيما .

## محاكمة خالد!

وكتب عمر إلى أبي عبيدة، أن يستقدم خالدًا، وأن يعقله بعمامته، وينزع عنه قلنسوته، حتى يعلم : أأجاز الأشعث بن قيس من ماله أم من إصابة أصابها، فإن زعم أنها من إصابة فقد أقر بخيانته، وإن زعم أنها من ماله فقد أسرف!

وأمره أن يعزله على كل حال، وأن يضم إليه عمله !

وكتب أبو عبيدة إلى خالد فقدم عليه، فلم يذكر له عن كتاب عمر شيئا .

وجمع الناس، وجلس لهم على المنبر ..

ثم قام رجل البريد الذي أرسله أمير المؤمنين يسأل خالدا: أمن مالك أجزت بعشرة آلاف، أم من إصابة أصبتها ؟

وألح الرجل في السؤال . . وألح خالد في الصمت.

وقام بلال فقال : إن أمير المؤمنين أمر أن تعقل بعمامتك، وأن تنزع عنك قلنسوتك ، حتى تجيب عما تسأل عنه الآن .

وتناول بلال قلنسوته، ولم يديه وراء ظهره، وعقله بعمامته وقال : « ما تقول ؟ أمن مالك ام من إصابة ؟ » ..

وأجاب خالد : بل من مالي !!

وأطلقه بلال ... وأعاد قلنسوته، ثم عممه بيده وقال: « نسمع ونطيع لولاتنا ، ونفخم ونخدم موالينا » .

وكتم أبو عبيدة الأمر عن خالد ... فاستبطأ عمر تنفيذ أمره ... فبعث إلى خالد يستقدمه، ليبلغه بنفسه ما يريد .

وجاء خالد إلى المدينة معزولا .

والتقى الرجلان ... وقال خالد لعمر : « لقد شكوتك إلى المسلمين ، وبالله إنك في أمرى غير مجمل يا عمر ! » .

فقال عمر : « فأين هذا الثراء ! من أين هذا اليسار الذي تجيز منه بعشرة آلاف ؟ .

وجعل يكرر عليه هذا السؤال كلما رآه . . فلما ضاق خالد قال له: « من الأنفال والسهمان ما زاد على الستين ألفًا فهو لك».

ما زاد عن ثروة خالد أيام أبي بكر، يردها إلى الخزانة العامة.

وقوَّم عمر عروض خالد بثمانين ألف درهم، ترك له منها ستين ألفاً، وأخذ العشرين الزائدة، فأدخلها بيت المال .

وتحدث قوم إلى عمر في شأن خالد، وقالوا له: يا أمير المؤمنين، لو رددت على خالد ماله؟

وأجابهم عمر: إنما أنا تاجر للمسلمين والله لا أرده عليه أبدا.

يا للقضية ! .. هذا عمر يزأر كالأسد الثائر من أجل الجماهير الكادحة .. أن المال ليس ملكا لأحد دون الآخر، يعبث به كيف يشاء، وإنما المال لمصلحة الجميع ... فلا آلاف للشعراء والفنانين، وإنما الآلاف للكادحين.

## سياسة عمر بالشام

وأصبحت الشام من أقصاها لأدناها، قطرا من أقطار الدولة الإسلامية، وعمه العدل الذي عم العراق من قبل .

واستمسك أكثر أهله بمسيحيتهم، وأدوا الجزية عن رضا وطواعية .

وما الجزية! ... وما تلك الدريهمات القليلة بجانب الحرية، والعدل، والمساواة، والدفاع عن البلاد إذا هوجمت؟

وأين هذا مما كانوا عليه أيام الرومان، من ضرائب باهظة، واضطهاد عقائدي، وتفكك مذهبي؟!

# المجـــاعة!

كان سبب المجاعة أن أمسك المطر في شبه الجزيرة العربية كلها تسعة أشهر كاملة، وتحركت الطبقات البركانية من أرضها، فاحترق سطحها، وكل ما عليها من نبات، فصارت الأرض سوداء مجدبة كثيرة التراب، فإذا تحركت الريح سفت رمادا.

؛ ولذا سمى هذا العام عام الرمادة .

ونشأ عن إمساك المطر، وهبوب الرياح، وهلاك الزرع والضرع، جوع أهلك الناس والأنعام، فقد فني الكثير من قطعان الغنم والماشية، وجف ما بقي منها، حتى كان الرجل يذبح الماشية، فيعافها لقبحها، رغم جوعه، وبلواه.

ومن ثم أقفرت الأسواق، فلم يبق فيها ما يباع ويشترى، وأصبحت الأموال في أيدي أصحابها لا قيمة لها، إذ لا يجدون لقاءها ما يسد رمقهم.

وطال الجهد واشتد البلاء، فكان الناس يحفرون أنفاق اليرابيع والجرذان، ويخرجون ما فيها!

وكان أهل المدينة أحسن من غيرهم حالا أول العهد بالمجاعة.

فالمدينة حضر ادخر أهله حين الرخاء ما اعتاد أهل الحضر ادخاره، فلما بدأ الجدب جعلوا يخرجون ما ادخروا يعيشون منه.

أما أهل البادية فلم يكن لهم مدخر، فاشتد بهم الكرب من أول الأمر.

ثم إنهم هرعوا إلى المدينة يجأرون إلى أمير المؤمنين بالشكوى، ويلتمسون لدى أهلها قتاتا يقيمهم.

وازداد هؤلاء اللاجئون عددا فضاقت بهم المدينة، واشتد بأهلها البلاء، فصاروا في مثل حال أهل البادية جوعا وجدبا ! .

## ماذا صنع عمر!

اشتدت المجاعة وجاء عمر بخبز مفتوت بسمن، فدعا رجلا بدويا فأكل معه فجعل البدوي يتبع اللقمة الودك إلى جانب الصفحة

فقال له عمر: كأنك مقفر من الودك ؟

وأجابه الرجل: أجل! ما أكلت سمنا، ولا زيتا، ولا رأيت آكلا له منذ كذا وكذا إلى اليوم!

وقامت بنفس عمر أعتى ثورة يمكن أن تقوم بنفس رجل.. وأقسم .. لا يذوق لحما، ولا سمنا، حتى يحيا الناس!! .

وظل على هذا العهد حتى أذن الله، فعاد المطر، وزال عن الناس الجدب! .

## أول مبدأ خطير!

وقدمت السوق عُكة من سمن، ووَطْب من لبن .. فاشتراهما غلام له بأربعين درهما .

وذهب إليه الغلام فقال له: قد أبر الله يمينك، وعظم أجرك قدم السوق، وطب من لبن، وعكة من سمن، فابتعتهما بأربعين.

قال عمر: أغليت. . فتصدق بهما، فإني أكره أن آكل إسرافا.

وأطرق عمر هنيهة ثم قال: كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسسني ما يمسهم؟!

وذلك هو أول المبادئ الخطيرة التي وضعها عمر في عام المجاعة.

ما معنى هذا؟.. أن عمر يقرر أن الحاكم عليه أن يعاني بنفسه آلام الشعب، ويذوق بنفسه تجربة الفقر، وألم الحرمان، حتى يستطيع أن يعنى بمشاكل الفقراء، وأن يحل آلام المحرومين.

كذلك حرم على نفسه أن يأكل شيئا لا يأكله كل فرد في الشعب، حرم السمن واللحم، حتى يأكل كل فرد السمن واللحم.

يؤخذ من ذلك أن عمر يفرض على أهل الحكم أن يكونوا على مستوى أقل الطبقات، حتى يذوقوا نفس الآلام التي تعانيها تلك الطبقات، فيعملوا على إزالة مامنه يشكون .

فالرجل الجائع هو الذي يستطيع أن يحل مشاكل الجوعى. والرجل الضائق هو الذي يستطيع أن يحل مشاكل الضائقين .

## عمر يسود وجهه!

واسودّ وجه عمر ..، ونحل جسمه ..، وقرقرت أمعاؤه من الجوع . .

حتى رآه الناس عام الرمادة، وقد اسود لونه. وكان أبيض مشربا بحمرة — ذلك أنه كان يأكل السمن، واللبن، واللحم، فلما أمحل الناس، حرمها على نفسه، وأكل بالزيت، وأكثر من الجوع حتى كان الناس يقولون — وقد رأوا ما أصابه —: « لو لم يرفع الله المحل، عام الرمادة، لظننا أن عمر يموت همًا بأمر المسلمين » .

## ياغوثاه ! . . ياغوثاه!!

كتب إلى عمرو بن العاص بفلسطين يقول: سلام عليك! أما بعد، أفتراني هالكا، ومن قبلي، وتعيش أنت، ومن قبلك!

فيا غوثاه ! . . ياغوثاه ! . . ياغوثاه ! .

عمر يتفجع، ويتوجع، ويستنجد . . لا لنفسه، وإنما للشعب، للجماهير الجامعة .

و أجابه عمرو: «... لأبعثن إليك بعيرًا أولها عندك، وآخرها عندي».

وبعث عمر بمثل هذا الكتاب إلى معاوية، وأبي عبيدة بالشام. وإلى سعد بالعراق .

فأجابوه جميعًا بنحو مما أجاب به عمرو .

وهكذا... كل أعضاء الجسم تستجيب لنجدة أي جزء يصاب، أو يحتاج من الجسم ... تماما كما شبههم رسول الله – ﷺ – .. كمثل الجسد

## القرى قبل العواصم!

وكان أبو عبيدة أسرع الأمراء استجابة لنداء عمر، وغياثاً لأهل شبه الجزيرة .

سبقهم جميعًا فقدم في أربعة آلاف راحلة محملة طعاماً .

فولاه عمر قسمته فيمن حول المدينة .

كانوا يهتمون بأهل القرى قبل أهالي المدن، والعواصم.

ويطعمون البعيدين قبل الأقربين ... وكان ذلك سياسة عامة من الدولة، تتبعها في شأنها كلها.

وتلك علامة الحكم الصالح . . أن يمد الخدمات العامة إلى القرى قبل العواصم حتى يطمئن الأبعدون أن حقهم واصل إليهم قبل المتمركزين في العواصم .

## الدولة ملزمة بإطعام الجميع!

وبعث عمرو بن العاص الطعام من فلسطين على الإبل، وفي السفن، من ثغر أيلة (العقبة).

وبعث معاوية ثلاثة آلاف بعير من الشام.

وبعث سعد بن أبي وقاص ألف بعير من العراق تحمل كلها الدقيق.

خلا خمسة آلاف كساء أرسلها عمرو، وثلاثة آلاف عباءة أرسلها معاوية.

إمدادات سريعة، تتوالى؛ لنجدة الجزيرة العربية الجائعة .

وهكذا كانوا... يغيث بعضهم بعضاً ... سراعاً ... فماذا كان مسلك عمر؟

أصدر أمراً بتعيين وزيرا للتموين يشرف على توزيع الإمدادات على أهل الأمصار والبادية.

ثم أشرف بنفسه على إطعام أهل المدينة، ومن وفد إليها!

## إحصائيات وبطاقات!

وأمر عمر ليلة، بعد أن فرغ الناس من العشاء بإحصاء الذين طعموا على موائده فكانوا سبعة آلاف رجل.

وأحصيت العائلات التي لم تأت، والمرضى، والصبيان، فكانوا أربعين ألفاً.

وزاد هؤلاء، وأولئك بعد أيام ... فكان الذين تعشوا عنده عشرة آلاف، والآخرون خمسين ألفاً.

وكان العمال يقدمون في السحر إلى قدور عمر، فيعملون حتى يصبحوا ثم توزع العصيد، ويوزع اللحم على المرضى والصبيان، والأسر، ممن لا ينالون طعامهم على موائد أمير المؤمنين !.

هذا هو الإحصاء في عهد عمر .. دقة متناهية وصورة حقيقية لواقع الناس .. لا نجد فيه تلك الإحصائيات الخيالية التي يقدمها كثير من حكام هذا الزمان إلى شعوبهم؛ ليخدعوهم بها، ويموهوا عليهم حقيقة الدولة الاقتصادية.

وأكثر من ذلك ... كان عمر يتعهد هؤلاء جميعاً بنفسه؛ ليطمئن إلى أنهم حصلوا على ما يدفع عنهم غائلة الجوع.

وكان عمر يرسل الدقيق، والتمر، والأدم، إلى منازل القادرين على تهيئتها، لغذائهم شهرا بشهر.

يوزع ذلك عليهم في نظام يشبه نظام « البطاقات » أيام الحروب في عهدنا الحاضر .

أرأيتم ؟ ... شهر بشهر .. يزاد، وينقص حسب كمية الموجود بخزانة الدولة !

روعة والله يا عمر ... روعة ! !

## أخطر مبادئ العدل!

وفي خلال تلك المعركة ... معركة الجوع .. قال عمر: «لو لم أجد للناس ما يسعهم، إلا أن أدخل على أهل كل بيت، عدتهم، فيقاسموهم أنصاف بطونهم، حتى يأتي الله بالحيا[1]، فعلت، فإنهم لن يهلكوا على أنصاف بطونهم » .

تلألأ يا عمر تلألأ ... تلألأ وأسطع على آفاق الأرض، في عصر الذرة، عصر الفضاء .. ؛ ليعلم أولئك المجانين أنك قررت أخطر مبادئ العدالة الاجتماعية قبل أن يكونوا في الوجود !

عمر يقرر ... رئيس الدولة الأعظم يقرر أنه سيلزم كل أسرة أن تطعم مثل عددها !

الأسرة التي عددها خمسة ملزمة بإطعام خمسة! .

لماذا ؟ ...؛ ليقاسموهم أنصاف بطونهم ! .

مبدأ خطير منك يا عمر . . إنه يريد أن يقتسم كل فرد جائع نصف بطن الشبعان !!

يا لها من فلسفة لا تصدر إلا من إشعاع رباني ! .

---

(١) المطر.

لماذا؟ ..؛ لأنه لن يموت إنسان إذا أكل نصف الطعام الذي يأكله !

وأطلقتها يا عمر، فيها جمال الحق، وكمال العدل ..، وما زالت تدوى، وتدوى في الآفاق!.

ماذا نستنبط من ذلك .؟

إن للدولة أن تنزع من كل فرد نصف ضرورياته إذا كانت هناك مجاعة، وتردها في الفقراء والمحتاجين إليها، لتحقق التوازن بين الجميع .

## الأمة كلها تلتجئ إلى الله!

سوف نرى الآن أبهج صورة من صور ربانية عمر.

وأنها نظام حي، يستمد حياته من قيوم السماوات.

بذل عمر ما هو فوق طاقة البشر، في دفع المجاعة عن شعب شبه الجزيرة العربية.

إلا أن المقادير كانت فوق طاقة الرجل، ففشا المرض في الناس، وهلك منهم كثيرون.

فكان عمر يتعهد المرضى بنفسه، ويبعث بالأكفان لمن مات، ويصلى عليهم.

وازداد في شبه الجزيرة المرض والموت، وبلغ الهول منهم أشده.

فلما اشتد الهول عزم عمر على أن تخرج الأمة كلها، تجأر إلى الله، في وقت واحد.

وكتب عمر إلى نوابه في الأمصار، أن يخرجوا بالناس في يوم عيّنه لهم، وأن يتضرعوا إلى ربهم أن يرفع البلاء عنهم.

وفى الوقت المحدد للجميع، خرج عمر بالناس إلى الصحراء، وعليه بردة رسول الله.

وبكى عمر بكاء طويلا بين يدي ربه، وبكوا ...

منظر خالد بهيج ... شعب يخرج كله إلى الفضاء، وعلى رأسه أمير المؤمنين... يجأر إلى الله، ويبكي، ويتضرع!

وهذا هو الفارق بين النظم المادية، ونظام الإسلام، أو بين نظم الموتى، ونظام الأحياء !!!

## ادعوني أستجب لكم!

اخترقت أدعيات المؤمنين أجواز السماء، وارتفعت إلى الله العظيم، وعلم الله صدقهم في التجائهم، فاستجاب لاضطرارهم، وانفتحت أبواب السماء بماء منهمر وسيول دافقة !

فاهتزت أرض الجزيرة العربية، وربت، واخضرت وارتفع البلاء عن الناس.

فأصدر عمر أوامره بإجلاء الأعراب الذين قدموا المدينة بسبب المجاعة.

وجعل يسير بينهم يقول: اخرجوا اخرجوا! الحقوا ببلادكم!

## وقف تحصيل الزكاة!

ثم ندخل إلى مبدأ آخر خطير ... ذلك أنه لم يبعث جباته عام الرمادة؛ ليقبضوا الزكاة بل أخرهم إلى أن ارتفع الجدب

فلما اطمأن الناس إلى العيش، وكثرت عندهم مادته، أمر الجباه أن يسيروا إليهم ، وأن يأخذوا من كل قادر حصتين .

حصة عن عام الرمادة، وأخرى عن العام الذي بعده.

وأن يقسموا إحدى الحصتين على المعوزين، ويقدموا عليه بالثانية !!

هكذا كان عمر .. يحس ما يحسون، ويألم كما يألمون! .

## الطاعون!

مضت المجاعة بآثارها الرهيبة ... فأنزل الله على الشعب بلاء آخر، يختبرهم به، كما اختبرهم بالمجاعة .

فقد فشا الطاعون في عَمَواس من أرض فلسطين، ثم انتقلت عدواه إلى الشام، فجعل يفتك بكل من يصابون به فتكا ذريعًا.

لم يكن الواحد منهم يطعن حتى يدركه الموت!

وطال الوباء شهورًا، هلك أثناءها من المسلمين خمسة وعشرون ألفا بالشام وحدها.

وكان منهم أبو عبيدة، ومعاذ بن جبل، ويزيد بن أبي سفيان، وغيرهم كثير.

وانتشر الوباء في العسكريين، كما انتشر في المدنيين على حد سواء.

## فراراً من قدر الله إلى قدر الله!

وكان عمر قد نوى الذهاب إلى الشام؛ تفتيشا وتنظيمًا لشئونه بعد ما تم فتحه من أقصاه إلى أدناه.

وسار من المدينة حتى إذا بلغ قريبًا من تبوك لقيه أمراء الأجناد، فأخبروه أن الأرض سقيمة، وقصّوا عليه قصة الطاعون وشدة إصابته.

وأمر عمر فنادى ابن عباس في الناس؛ ليعدوا رواحلهم متى أصبحوا.

فلما صلوا الصبح التفت عمر إليهم وقال: « إني راجع فارجعوا » .

وجاء أبو عبيدة، فقال له: « أفرارًا من قدر الله يا عمر؟! » ونظر عمر طويلا إلى أبي عبيدة

ثم قال: « لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة ! نعم، فرارا من قدر الله إلى قدر الله! ».

وأقبل عبد الرحمن بن عوف، فقال: عندي من علم، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه، وإذا وقع وأنتم به فلا تخرجوا فرارًا منه » .

وفرح عمر بهذا الحديث وقال: الحمد الله، انصرفوا أيها الناس ! .

وعاد عمر ومن معه إلى المدينة ... وعاد أمراء الأجناد، ومن معهم إلى أعمالهم.

## أمات أبو عبيدة!

عاد عمر إلى المدينة، وكتب إلى أبي عبيدة: « فإني قد عرضتْ، لي إليك حاجة، أريد أن أشافهك فيها، فعزمتُ عليك إذا نظرت في كتابي هذا ألا تضعه من يدك حتى تقبل إليَّ».

وقرأ أبو عبيدة الكتاب .. وأدرك أن عمر يريد أن يستخرجه من الوباء، وأن يحتفظ به حيا ليخلفه في إمارة المؤمنين.

إلا أن أبا عبيدة كان يرى أن القائد ينبغي عليه أن يبقى مع جنوده في السراء والضراء، فقال: يغفر الله لأمير المؤمنين !

ثم كتب إلى عمر: « إني قد عرفت حاجتك إليَّ وإني في جند من المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم، فلست أريد فراقهم حتى يقضى الله فيَّ وفيهم أمره وقضاءه. فحلني من عزمتك يا أمير المؤمنين، ودعني في جندي » .

وقرأ عمر هذا الكتاب، فبكى، فسأله من حوله : أمات أبو عبيدة ؟

فأجاب ودموعه تسيل: « لا . . وكأن قد ».

## مات الرجل الثاني!

قرأ عمر كتاب أبي عبيدة .. فبكى ..

وشاور أهل الرأي في الوسيلة التي ينقذ بها أهل الشام من الطاعون . .

ثم كتب إلى أبي عبيدة: « إنك أنزلت الناس أرضاً عميقة، فارفعهم إلى أرض مرتفعة نزهة».

وإن أبا عبيدة ليفكر في تنفيذ هذا الأمر، إذ طعن فمات!

ومات الرجل الذي رشحه أبو بكر ليخلف رسول الله يوم السقيفة.

وفقد عمر بموته الرجل الثاني، الذي كان يطمع أن يخلفه في إمارة المؤمنين ! .

ثم زال الطاعون بعد أن أفنى من المسلمين بالشام خمسة وعشرين ألفا.

وبعد أن انتقل من الشام إلى العراق، ففتك فيه بأهل البصرة أشد مما فتك بغيرهم، وكان أهل البصرة من خير جند المسلمين.

## رحلة تفتيشية!

قرر أمير المؤمنين أن يذهب بنفسه إلى الشام، ليرتب أموره، بعد أن زال عنه الطاعون، وهلك من جنده العدد الكثير.

وغادر عمر المدينة، في جماعة من أصحابه، وعين عليًا نائبًا له عليها.

واتخذ طريقه إلى أيلة ( العقبة ) .

ثم سار من أيلة، فنزل الجابية، فجعلها مقره.

وذكر له عماله بالشام وفلسطين ما كان من أمر المسلمين، وما نزل بهم.

فزار بلاد سورية جميعها ، وتفقد شئون المسلمين في شتى أرجائها، وبذل لهم، ورتب منازلهم بدمشق، وحمص، وسائر المدن التي بلغ فيها الفتك أشده.

ثم إنه نظم ثغور الشام، ومسالحه، وأعاد توزيع القوات في كوره، وسمى الرجال الذين عينهم عليها .

وبذلك استقر كل أمر في نصابه، وعاد كل شي إلى نظامه، واطمأن الناس بعد طول الفزع.

## بلال يؤذن للصلاة!

وأزمع عمر الرحيل ...، وحضرت الصلاة ..، فقال له الناس: لو أمرت بلالا فأذن؟!

وكان بلال قد انقطع عن الأذان منذ قبض رسول الله.

وأذن بلال .. وارتفع صوته الندى – تماما – كما كان يؤذن أيام رسول الله – ﷺ –!

فلم يبق من الناس واحد إلا بكى .. وبكى من لم يدرك النبي – ﷺ – لبكائهم.

وكان عمر أشدهم بكاء ! !

ثم ودع أهل الشام، وعاد إلى المدينة !!!

# تصفية الإمبراطورية الفارسية !

## معركة نهاوند!

طمع المسمى كسرى في استرداد ما ضاع من ملكه، فجعل يثير الفرس، ويحركهم ضد الحكم الجديد.

وكتب أمراء فارس إلى يزدجرد أن يكون على رأس حركتهم، حتى يجتمع الفرس جميعاً عليه، ويخرجوا إلى عدوهم؛ ليدفعوه من فارس إلى الأبد.

وبعث كل أمير من جنده إلى نهاوند، حتى بلغ عددهم مائة وخمسين ألفا، اجتمعوا بإمرة الفيرزان.

واختار عمر قائد المعركة ... « النعمان بن مقرن » بعد أن استشار الشعب في اختياره.

وكتب عمر إلى القائد: « إن جموعا من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند فإذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله، وبعون الله، وبنصر الله، بمن معك من المسلمين ... فإذا اجتمع إليك جنودك فسر إلى الفيرزان، ومن جمع معه من الأعاجم وغيرهم » .

## ٣٠٠٠٠ يقاتلون ١٥٠٠٠٠!

وعرف الفيرزان أنهم جاءوا إليه ثلاثين ألفا ... بينما هو في خمسين ومائة ألف ! .

واندفع الجيش كله، والفيرزان على رأسه؟ ليطهروا أرض فارس من أولئك العرب !

وكبر النعمان ثلاثا، ثم اندفع واللواء في يده، فانقض على الفرس، وجعل يطيح بالرءوس، ويجندل الفرسان .

والتقى الفريقان متصافحين بالسيوف فلم يكن يسمع إلا وقع الحديد على الحديد.

وانهمرت الدماء، فكان الناس والدواب تزلق عليها لكثرة ما تلطخ به أديم الأرض منها.

وبينما يشق النعمان طريقه في قلب العدو، زلق جواده في الدماء فصرعه.

## واستشهد القائد العظيم!

وأقبل الليل، والمسلمون يدفعون عدوهم أمامهم ...، وانتشر الظلام ...، وقد أصاب الفرس الإعياء، فانكشفوا وتراجعوا منهزمين . ، فأمعن المسلمون فيهم قتلا .

فهلك من الفرس مائة وعشرة آلاف قتيل.

تلك هي المعركة الخالدة « نهاوند » ، حيث التقى ٣٠٠٠٠ من المسلمين ١٥٠٠٠٠ من الفرس، وكانت النتيجة الحتمية دائما.

نصراً ساحقاً للمسلمين، وهزيمة ماحقة لأعدائهم!

وهكذا كانت نهاوند من فتح فارس، ما كانت القادسية من فتح العراق لم يقم للفرس بعدها قائمة؛ لذلك سماها أهل الكوفة فتح الفتوح.

ورأى عمر ما أصاب الفرس من انهيار، فأسرع يجهز على ما تبقى من بلادهم.

ودفع قواته في سائر ولاياتهم حتى لا يبقى فيها لمقاومة أثر، لذلك عقد بنفسه ألوية، عهد إلى أصحابها بالانسياح في أرض فارس جميعاً.

واندفعت جيوش عمر تتم الاستيلاء على بقايا الإمبراطورية الفارسية.

## تصفية الإمبراطورية!

اندفعت القوات المعسكرة بأصبهان إلى خراسان.

وتدفقت قوات من البصرة، ومن البحرين، إلى فارس وكرمان.

وسارت الأمداد من بلاد العرب تعزز الجيوش المنتشرة في مختلف الأرجاء من أرض كسرى.

وكذلك أصبحت بلاد كسرى من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب مسرحا لحرب واسعة. كانت جيوش المسلمين في كل غزواتها قلة أبدا ثم كانت مع ذلك منتصرة فيها جميعاً.

وكان الملك الشريد الطريد كسرى يزدجر، يتتبع أثناء هذا القتال حيثما كان من منازل فراره فلا يرى لنفسه ملجأ يأوي إليه؛ ليستقر فيه بل يضطر إلى التنقل من ملجأ إلى ملجأ والاعتصام بمدينة بعد مدينة.

## مهزلة كسرى!

وسقط إقليم خراسان كله . . وسار الأحنف - قائد جيوش المسلمين فيها - على رأس الجيش يريد مرو الشاهجان حيث التجأ يزدجرد، وكانت مرو عاصمة خراسان، ومدينتها الكبرى.

فماذا فعل المدعو كسرى ؟ .. لم يلبث حين سمع بمسيرة الأحنف إلى مرو أن خرج إلى مرو الروذ، وهي مدينة قريبة منها، لكن الأحنف لم يمهله حتى يتحصن بها، وإنما تابع زحفه وأزعج كسرى مرة أخرى فخرج المذكور من مرو الروذ إلى بلخ.

وزحف المسلمون إلى بلخ، وسقطت هي الأخرى ففر المذكور منها هي الأخرى.

ولم يبق ليزدجرد في أرض مملكته الواسعة موضع يفر فيه أو يفر إليه ...؛ لذلك فر هذه المرة مجتازًا النهر الذي يفصل بين فارس وأرض التتار!

فنزل بسمرقند على خاقان الترك، لاجئًا إليه.

وهكذا تحول المذكور، الذي كان على أكبر عرش في العالم وقتئذ، إلى لاجيء سياسي !!

## عمر يعلن هلاك كسرى!

وأقبل أهل فارس على الأحنف فصالحوه وعاهدوه. ودفعوا إليه خزائن كسرى وأمواله، التي كان يريد أن يفر بها خارج البلاد، فاسترجعوها منه.

ورجعوا إلى بلادهم، فاطمأنوا بها.

وسار الأحنف إلى مقر قيادته..، وكان ما استفاء المسلمون في هذه المواقع عظيما، بلغ فضل المحارب مثله يوم القادسية!

وتدفقت الأموال مرة أخرى إلى المسلمين!

وكتب الأحنف إلى عمر بالفتح، وبعث إليه بالأخماس. فأمر عمر بالكتاب فقرئ... ثم خطب الناس فكان مما قاله: « ألا إن الله قد أهلك ملك المجوسية، وفرق شملهم، فليسوا يملكون من بلادهم شبرا يضر بمسلم، لا وإن الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون .

والله بالغ أمره، ومنجز وعده، و ومنبع آخر ذلك أوله » .

فقوموا في أمره على وجل يوف لكم بعهده، ويؤتكم وعده.

« ولا تتبدلوا، ولا تغيروا فيستبدل الله بكم غيركم. . فإني لا أخاف على هذه الأمة أن تؤتى إلا من قبلكم » .

وتنبأ عمر أن تؤتى هذه الأمة من قبل أئمتها ..، وقد كان ..، وكانت الفتنة، وكان الاختلاف، لا من الشعب، وإنما من القادة دائما. . اختلفوا، فتفرقت الأمة!

وما زال هذا الذي توقعه عمر، هو سر بلاء الشعوب الإسلامية في أيامنا هذه يختلف ملوكهم وقادتهم وراء أهوائهم. أما الشعوب، فعلى قلب رجل واحد، وعلى إحساس واحد، ولكن المرض هناك .. في أصحاب الشهوات من أهل القيادات!

## الشعب يفتك بكسرى!

فر المذكور إلى أرض الترك .. إلا أنه كان يحلم أن يعود يومًا ما إلى ملك آبائه وأجداده، فكان يراسل أهل خراسان لعلها تثور بالمسلمين، فيلهتبها فرصة، ويعود إلى ملكه!.

وثارت خراسان في عهد عثمان بن عفان، وخيل إلى يزدجرد أن الفرصة قد أتت، فسار من بلاد الترك حتى نزل مرو، واجتمع بمن كان يكاتبهم .

لكن المسلمين ما لبثوا أن قضوا على الثورة، وأخذوا بيدهم زمام الأمر .

عند ذلك رأي أصحاب يزدجرد أنه لا طاقة لهم بما يريد، فاختلفوا معه، وانفضوا من حوله، فعاد يحاول الفرار والرجعة من حيث أتى.

لكن الفرار لم يكن هذه المرة يسيرًا، فقد تخلت عنه الأرض كلها .

وقد بث المسلمون عيونهم من الفرس؛ ليحيطوا به، ويقتادوه إليهم أسيرا.

وعرف الملك الشريد ما دبرّ له، فأوى إلى طاحونة على شاطئ النهر . .

وهناك قتل شر قتلة .

قيل إن أهل خراسان أحاطوا به في ملجئه، ثم دخلوا عليه، فقتلوه، وألقوا بجثته في النهر!.

وكانت هذه هي نهاية الإمبراطور الطاغية .. لقد صفى الشعب حسابه معه ..، وتولى بنفسه الانتقام من الرجل الذي ضيعه!

## كيف حكم الإسلام الإمبراطورية الفارسية!

تلك الإمبراطورية الواسعة الشاسعة الجامعة ..التى انهارت.. وسقطت بأكملها بأيدى المسلمين.. وإستسلم أمراؤها أميرًا بعد أمير .. كيف حكمها الإسلام؟؟

لقد رأى الفرس هذا الحكم أكثر إنصافًا و عدلًا، و أقل إرهاقا لهم من حكم الأكاسرة.

فقد تركهم المسلمون ، ولم يزعجوهم عن دينهم، ولم يتدخلوا في شئونهم.

ثم جعلوا لأمراء الولايات من الإستقلال، أكثر مما كان لهم في عهد يزدجرد وأسلافه.

كما تركوا المناصب العامة للفرس، لم يحاولوا استغلالها لأنفسهم.

واكتفوا بالجزية، تلك الضريبة البسيطة، يقتضونها وفاقًا للمعاهدات المعقودة، بينهم و بين مختلف الولايات.

وحتى هذه الضريبة، كانوا يسقطونها عن الذين يقومون بواجب الدفاع عن وطنهم مع المسلمين ضد أعداء البلد!

إلا أن عمر العبقرى الملهم، لم يطمئن إلى ذلك كله، فأقام المسالح فى شتى أرجائها، وأحتاط بذلك لكل انتقاض يمكن أن تقوم به طائفة من أبنائها.

ورأى العقلاء من أبناء فارس سمو الإسلام..

ثم رأوا انهم بمجرد إسلامهم أندادًا للحاكمين يساوونهم ويصاهرونهم، لهم ما لهم، و عليهم ما عليهم..

فدخل الفرس في الإسلام أفواجًا!!

وأنتهت دولة الأكاسرة إلي الأبد!!

# فتح مصر!

بينما كانت جيوش المسلمين تنساح في بلاد الفرس لتجهز على إمبراطورية النار، كان عمرو بن العاص، يتقدم بجنوده في مصر، يفتح مدنها، ويجلي الرومان عنها، ويسقط دولتهم فيها!

هنالك تدمير لإمبراطورية الفرس، وهنا تدمير لإمبراطورية الروم .. في وقت واحد!

وهناك انتصارات متتابعة خارقة .. وهنا انتصارات متلاحقة. ويدبر هذا كله ذلك الرجل البسيط. الرابض كالأسد بالمدينة، المسمى عمر !! .

## كيف كان الفتح!

عاد عمر من رحلته التفتيشية بالشام بعد أن استمع إلى حجج عمرو بن العاص في فتح مصر، فلما نزل المدينة، جمع أهل الرأي فيها، وذكر لهم حجج عمرو، وشاورهم في الأمر، فانقسموا في رأيهم .

ولما كان عمر يرى الفتح، فقد كتب إلى عمرو يأمره بالشخوص إلى مصر.

وكان عمرو محاصرا قيسارية حين جاءه كتاب أمير المؤمنين فاستخلف معاوية بن أبي سفيان على حصارها.

وتحرك في قوة صغيرة .. أربعة آلاف ... وسار متمهلا بساحل البحر، جاعلا وجهته العريش.

وواصل عمرو سيره في أربعة الآلاف الذين معه إلى العريش فألفوها خلاء ليس بها للروم قوة، فتخطاها منحدرا إلى الجنوب.

ولم يلق عمرو من يوقف سيره حتى بلغ مدينة الفرما، وهناك لقيه الروم في قوة حاولت صده عن الغزو.

وتحصن الروم بالمدينة لمواجهة العرب، إلا أن عمرًا وأصحابه، حاصروا الفرما شهرا ثم اقتحموها واتخذوها معقلا بعد أن هزموا الروم فيها شر هزيمة !

## معركة بلبيس!

انضم إلى عمرو بعد فتح الفرما جند من البدو المقيمين على تخوم الصحراء المصرية، فعوضوا المسلمين عمن فقدوا في أول حصار ضربوه بمصر.

ثم إن عمراً سار منحدرا إلى الجنوب ملازما هذه التخوم، فتخطى مدينة مجدل القديمة، إلى موضع القنطرة اليوم.

ومن هناك اتجه غربا إلى القصاصين..

وتابع مسيرته جنوبًا بغرب حتى بلغ بلبيس.

وفي هذا الطريق الطويل الذي قطعه فرسان المسلمين في أرض مصر لم يكن عمرو يدافع إلا بالأمر الخفيف.

بلغ المسلمون بلبيس وصاروا على ثلاثة وثلاثين ميلا من مدينة مصر، وحصونها، وبعث المقوقس حاكم مصر إلى عمرو، أول ما نزل بلبيس، من يفاوضه؛ ليرجع عن مصر.

إلا أن قائد جند الرومان، الأطربون، أبى إلا مقاتلة المسلمين.

وسار الأطربون في اثني عشر ألفًا كاملي العدة، حتى يأخذ المسلمين ببلبيس على غرة.

ولقد فاجأهم، وبيتهم بياتا شديدًا .

لكن عَمرا كان الحذر كل الحذر، وكان كل جيشه فرسانا في عدة القتال.

وحميت المعركة بين الفريقين .. فقتل فيها من العرب عدد ليس بالقليل، وخسر الروم ألف قتيل وثلاثة آلاف أسير.

ثم ماذا ؟ .. ثم انهزم الأطربون، وتمزق جيشه ...، وقتل في المعركة!

ومكث عمرو نحوا من شهر ببلبيس بعد انتصاره الساحق . ثم تقدم متاخمًا الصحراء حتى نزل قريبًا من قرية « أم دنين » على النيل ..، وكانت أم دنين تقع في موضع حي الأزبكية الآن.

## سقوط أم دنين ؟!

وجاء الرومان إلى حصن بابليون أكبر قواتهم، وأمدوا حصن أم دنين بقوات مسلحة قوية.

وكان حصن بابليون حصنا رومانيا منيعًا، يقع موقع مصر القديمة الآن، وكان متين البنيان، قوى الأسوار. وما زالت منه أطلال لا تزال تشهدها أعيننا حتى الآن.

وأدرك عمرو بن العاص دقة الموقف وخطورته.

فبعث رسولا إلى المدينة بكتاب يطلب فيه المدد ... بينما أذاع في الجند أن المدد يوشك أن يجيء !!

ثم إنه تقدم إلى أم دنين فحاصرها، ووقف قبالتها، يمنع عنها العتاد والتموين.

ومضت أسابيع لم يتغير الموقف فيها.

وإن الفريقين لذلك، إذا جاءتهم الأنباء بمقدم أول مدد لهم.

وأقبل المدد، ورآه حماة حصن أم دنين جنود هرقل، فرعبوا، وقل خروجهم للقاء المسلمين.

فلما رأى عمرو ذلك منهم، وكان قد عرف مداخل الحصن، ومخارجه، تخير وقتا أمر فيه أصحابه أن يشدوا كلهم على الحصن شدة رجل واحد؛ ليأخذوه عنوة.

وسار هو في طليعتهم إلى بابه، ففتحه الله عليهم، فاستولوا عليه بعد قتال عظيم، وبعد أن أسروا من بقى فيه حيا!.

وتم الاستيلاء على أم دنين . . وعبر عمرو مع جنده النيل في السفن التي كانت بمرساها، وسار على رأسهم يتخطون الصحراء، مجتازين أهرام الجيزة ! .

## إبادة ورعب؟!

وانطلق ثعلب الصحراء المسلم إلى الفيوم.

وجاءه البدو المقيمون بهذه المنطقة بأنباء عرف منها أن كتيبة من الروم بإمرة رجل اسمه حنا، تسير مختفية في النخيل والأجام قبالته متنصةً أخباره، فإذا حاول اقتحام البلاد الآهلة، دعت الجيش المرابط في ثغور الفيوم لمواجهته.

فواصل عمرو السير حتى بعد بحنا وكتيبته عن الجيش ... ثم ارتد إليه ... وحاصره، ومن معه...، وقتلهم عن آخرهم.

وحقق عمرو مراده بتلك الفعلة، فرُعب أهل الإقليم جميعًا.

واكتفى عمرو بما فعل .. وانسحب عائدا إلى أم دنين سريعًا ! بعد أن حققت خطته أهدافها، حين أشاع الرعب في إقليم الفيوم، فتحدثت مصر كلها أن هؤلاء قوم لا يغلبون!

وعبر عمرو بجيشه النيل إلى الشاطئ الشرقي، واتصل بالمدد الذي بعثه إليه أمير المؤمنين، ونزل عين شمس، على مقربة من الحصن الروماني .

## معركة عين شمس!

أيقن عمرو أن ساعة الفصل بينه وبين الرومان قد اقتربت.

فجمع أصحابه من أولى الرأي في الحرب، وتداول معهم في خطة القتال، وكان كل أمله أن يستخرج الرومان من بابليون ليقاتلهم في الفضاء.

وجاءته عيونه بأن الله محقق عما قليل رجاءه.

فقد تداول تيودور، أمير جند الروم مع أصحابه، فرأوا أن مقامهم بالحصن يظهرهم أمام المصريين مظهر الضعف والجبن، ويغرى الناس بالانضمام إلى المسلمين، ومعاونتهم.

وقد كانت أعدادهم تفوق أعداد المسلمين، وكانوا خيرا منهم عدة.

؛ لذلك عزموا الخروج إلى العرب لقتالهم، وقرروا السير إلى عين شمس لإجلائهم عنها.

وعرف عمرو خطتهم، فدبر للقائهم، والقضاء عليهم.

أخرج خمسمائة رجل ساروا تحت الليل من وراء الجبل حتى دخلوا مغار بني وائل عند قلعة الجبل.

وأخرج خمسمائة آخرين جعل عليهم خارجة بن حذافة، فساروا قبيل الصبح إلى أم دنين (حي الأزبكية الآن).

وزود هؤلاء وهؤلاء بأوامره.

فلما تنفس الصبح سار هو من عين شمس على رأس قواته كلها ، حتى بلغ موضع العباسية الآن.

وهناك انتظر جموع الروم القادمة من حصن بابليون.

وخرج الروم من حصنهم في الصباح الباكر، وتقدموا إلى ناحية عين شمس، وتعاهدوا أن يقضوا على الغزاة القضاء التام!

والتقى الفريقان، كل يريد أن يقضى على عدوه . . وعلا غبار المعركة.

وإنهم لذلك إذ انحدرت الكتيبة المختبئة في مغار بني وائل، تهوي من الجبل فتعصف بمؤخرة الروم عصفًا!

وفوجئ الروم بمكيدة عمرو، فتولاهم الفزع لما أصابهم، فاضطربت صفوفهم، وتقهقروا متياسرين نحو أم دنين.

عند ذلك خرج الكمين الآخر إليهم يقوده حذافة بن خارجة، فأمعن فيهم قتلا !

ورعب الرومان، وتصوروا أن ثلاثة جيوش من العرب تقاتلهم من ثلاث نواح مختلفة، وأنهم لا أمل لهم في المقاومة.

فانحل نظامهم، ولاذ أكثرهم بالهرب يطلبون النجاة من سيوف العرب !

وانتهت معركة عين شمس إلى نصر حاسم للعرب!

## عِـــــــزّة!

وسار عمرو إلى مدينة مصر فاستولى عليها بغير قتال.

ثم نقل معسكره من عين شمس فأنزله بين البساتين والكنائس، في المكان الذي أقام فيه الفسطاط من بعد.

وعلم بأن حامية الروم بالفيوم فرت إلى نقيوس حين علمت بنصر المسلمين، فجهز على الفور كتيبة سارت في طريق الصحراء، فاستولت على إقليم الفيوم كله !.

ولم يكتف بهذا بل أرسل قوة أخرى إلى جنوب الدلتا، فاستولت في إقليم المنوفية على أثريب ومنوف .

وأمر عمرو أن يؤتى بالحكام من الروم مجموعة أيديهم في الأصفاد، وأرجلهم في القيود..

ورأى المصريون ذلك المنظر، خشعت نفوسهم، وازدادوا رُعبًا !

واستولى الرعب على كثير منهم، ففروا إلى الإسكندرية.

## حصار حصن بابليون!

كثر اللاجئون من الرومان إلى حصن بابليون، وعزموا على الدفاع عنه، والقتال دونه .

وعزم عمرو على محاصرة الحصن ..

وكان ذلك الحصن حين الفتح العربي قلعة رومانية من أمنع القلاع وأقواها.

وكان الروم بالحصن يرمون العرب بالمجانيق فيجيبهم العرب بالحجارة والسهام.

ودام الحصار على ذلك شهوراً ...

وضاق العرب ذرعا بالشهور السبعة التي انقضت منذ حاصروا الحصن، ففكروا في ضرورة اقتحامه مهما كان الثمن.

وكان الزبير بن العوام أشدهم حماسة، وأكثرهم على الموت في سبيل الله إقبالا، فقال في الناس: « إني أهب نفسى الله، وأرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين » .

ثم أقبل بعد أيام في الليل مع كتيبة آزرته، فطمموا الخندق المحيط بالحصن في موضع اختاروه، ووضعوا سلما على السور علاه الزبير بعد أن أمر أصحابه إذا سمعوا تكبيره أن يرقوا إليه، وأن يجيبوه جميعًا.

واستوى الزبير بأعلى الحصن؛ وانطلق يكبر، وسيفه يلمع في يده ... فتبعه أصحابه، وصعدوا السلم، وساروا إلى جانبه، وكبروا معه.

وأجاب المسلمون من خارج الحصن تكبيرهم.

فأيقن الروم أن العرب قد اقتحموا الحصن فهربوا .

وعمد الزبير إلى باب الحصن ففتحه، ودخل المسلمون، واستولوا على ما فيه .

وخرج جند الروم من الحصن، يعلوهم عار الهزيمة !!!

## فتح الإسكندرية !

وسار عمرو إلى الاسكندرية، عاصمة البلاد، وعروس الشرق . . .

وطال حصاره لها أربعة عشر شهراً .، وأمير المؤمنين ينتظر أنباء فتحها دون جدوى .

فاشتد غضب عمر لبطء الفتح، وقال لأصحابه: « ما أبطأوا لفتحها إلا لما أحدثوا » !

ثم كتب عمر إلى عمرو . . عجبت لإبطائكم عن فتح مصر.

إنكم تقاتلونهم منذ سنتين. وما ذلك إلا لما أحدثتم، وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم. وإن الله تبارك وتعالى لا ينصر قوماً إلا بصدق نياتهم.

« وقد كنت وجهت إليك أربعة نفر، وأعلمتك أن الرجل منهم مقام ألف رجل ... فإذا أتاك كتابي هذا فاخطب الناس، وحضهم على قتال عدوهم، ورغبهم في الصبر والنية، وقدم أولئك الأربعة في صدور الناس، ومر الناس جميعاً أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد.

وليكن ذلك عند الزوال، يوم الجمعة، فإنها ساعه تنزل الرحمة، ووقت الإجابة، وليعج الناس إلى الله، ويسألونه النصر على عدوهم » .

أرأيت ؟ ... إن عمر يضع بنفسه خطة اقتحام الإسكندرية، ويختار قواد الجيش بنفسه، ويحدد ساعة الصفر، ساعة الهجوم !

## اقتحمـــوا!

كيف السبيل إلى فتح الإسكندرية، ويتجهز بها خمسون ألفًا من الرومان في حصون هي غاية في المناعة؟!

جمع عمرو الناس، وقرأ عليهم الكتاب، ثم دعا أولئك النفر الذين ذكروا فيه فقدمهم.

وأمر الناس أن يتطهروا، ويصلوا ركعتين، ثم يرغبوا إلى الله — ﷻ — ، ويسألوه النصر على عدوهم، ففعلوا.

ودعا عمرو عبادة بن الصامت، وعقد له، وولاه قتال الروم.

وخرج الجيش، وعلى رأسه عبادة بن الصامت، الرجل الأسود البشرة!

وهذا هـو الإسلام العظيم ... لا يفرق بين أسود وأبيض!!

واقتحموا الإسكندرية اقتحام رجل واحد، كما أمرهم أمير المؤمنين.

وكانت معركة هائلة، فاقت معارك القادسية، والمدائن، ونهاوند ...

ففتح الله عليه ليومه ... وهرب الروم في البر والبحر!! ودخل المسلمون الاسكندرية قهرا، في أول السنة العشرين من الهجرة، فاقتحموا أسوارها، وفتحوا أبوابها. ففر الروم منهم إلى البر والبحر وأذعن لهم سكان العاصمة، وأسلموهم مقاليدها.

ودخل أصحاب رسول الله — ﷺ — ظافرين . . ورأوا الإسكندرية لأول مرة . .

ماذا رأوا ؟ ... رأوا المدينة في أبهى صورها ... الحضارة آنذاك كانت في الاسكندرية !

كتب عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين : « فإني فتحت مدينة لا أصف ما فيها ، غير أني أصبت فيها أربعة آلاف بنية ، بأربعة آلاف حمام وأربعين ألف يهودي عليهم الجزية، وأربعمائة ملهى للملوك » .

لقد كانت الاسكندرية وقتئذ أكبر عاصمة عالمية، فيها جميع اللغات، وجميع الحضارات، وجميع الأجناس، وجميع الأديان، وجميع الاتجاهات ... ومع هذا كله حكمها الإسلام، ونظمها، وكفل لأهلها أسعد حياه ! .

## الانطلاق إلى برقة!

أصبح الأمر في مصر خالصاً للمسلمين من شواطئ بحر الروم إلى بلاد النوبة .

فهل هدأ عمرو واستراح إلى ذلك ؟ . . كلا . . بل خرج في قواته ، فسار من الاسكندرية إلى برقة .

ولم يكن الطريق بينهما صحراوياً كما هو اليوم ، بل كان بحري في أرض خصبة ، تحيط به من الجانبين زروع وفاكهة وكروم و عمران متصل.

وسار فرسان المسلمين في نزهة ممتعة حتى انتهوا إلى برقة . فسلمت صلحا، ورضيت أداء الجزية !!

## ثم إلى طرابلس!

ثم واصل عمرو سيره إلى طرابلس ، وكانت ميناء حصينة ، به قوة من الروم تحميه.

وعرف العرب أثناء حصارها ، أن المدينة غير محصنة من جانب البحر ، فانسل جماعة منهم من تلك الناحية ، وصاحوا مكبرين ، فلم يسع الروم إلا الفرار إلى السفن تاركين المدينة ، يفتح الحراس أبوابها ، فيدخلها عمرو على رأس جيشه !!!

## إلى الأطلنطي!

هل وقف عمرو عند هذا الحد؟ ..كلا.. إنه سير الكتائب تذيع الرعب في قلوب أهل الإقليم فاستسلم السكان جميعًا.

وكتب إلى أمير المؤمنين يستأذنه في السير إلى تونس، وما وراءها من شمال أفريقيا حتى المحيط الأطلنطي .. فلم يأذن له.

فعاد إلى برقة حيث أقبلت إليه أكبر قبائل البربر فدانت له بالطاعة.

فلما تأكد القائد العربي أن لم يعد للروم سلطان بشمال أفريقيا، عاد إلى الإسكندرية بالأسرى

والغنائم؟!.

## حرية العقيدة!

كان أول أمر أذاعه عمرو بن العاص في الناس جميعا من النوبة إلى الإسكندرية، أن لا إكراه في الدين، وأن حرية العقيدة أمر مقدس فلن يضار أحد في حريته، أو في ماله بسبب دينه أو مذهبه.

من شاء أن ينتقل من دين إلى دين أو من مذهب إلى مذهب فلن يصاب لذلك بسوء.

ومن أسلم فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم .

منشور جيب أذاعه عمرو بن العاص في أنحاء البلاد .

ونفذت هذه السياسة بدقة، وإخلاص.

ورأى المصريون حكمًا جديدًا، يحترم الحريات، ويترك الناس أحرارا في آرائهم، وعقائدهم، ومذاهبهم الفكرية .

وقارنوا بين ما جاء به حكم الإسلام، وما كانوا عليه من اضطهاد، وتعذيب دام عشرة أعوام أيام الرومان، فأيقنوا أن الإسلام هو دين الحرية !!!

## والمساواة!

وخفف عمرو وطأة الضرائب، وألغى ما قرره الرومان من فروق بين الناس في أمرها .

كان الرومان يحصلون غير جزية الرءوس ضرائب كثيرة من أنواع شتى أكثرها غير عادل.

وكانوا قد منحوا امتيازات طبقية لبعض الطوائف، فأعفوهم من الجزية، ومن ضرائب معينة، خصوصاً أهل الإسكندرية .

فألغى عمرو ما كان غير عادل من تلك الضرائب، وسوى بين الناس في أدائها .

فتحدث الناس بعدالة عمرو، عدالة الإسلام !!!

## العاصمة الجديدة!

كتب عمرو إلى أمير المؤمنين يستأذنه في المقام بالإسكندرية ، وإقامة حكومته بها، وسأل عمر الرسول : هل يحول بيني وبين المسلمين ماء .

فأجابه : نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل.

لذلك كتب إلى عمرو : « لا أحب أن تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف » .

فلما عاد من الإسكندرية أمر جنده أن ينزلوا : عند الفسطاط، وأن يختطوا دورهم حوله.

واختطت المدينة، وقسمت بين أحياء العرب، وبناها لهم القبط.

وبنى عمرو مكان فسطاطه ( خيمته )، وما حوله مسجدا بين حدائق وأعشاب .

وظل قائماً مع أصحابه حتى حرروا قبلته .

ثم إنه اتخذ في المسجد منبرا يخطب الناس من فوقه، فلما عرف عمر صنيعه ذاك كتب إليه يقول : « فإنه قد بلغني أنك اتخذت منبرا ترقى به على رقاب المسلمين أما حسبك أن تقوم قائماً والمسلمون تحت عقبيك ؟ ! فعزمت عليك إلا ما كسرته ! » .

## فكسره عمرو . . وأزاله!

وبنى لعمر بن الخطاب دارًا وكتب إليه . إنا قد اختططنا لك دارا عند المسجد الجامع .

فأجابه عمر : أني لرجل من الحجاز أن يكون له دار بمصر ! وأمره أن يجعلها سوقاً للمسلمين، فنفذ عمرو أمره !.

ودائما وأبدا .. تجد عمر عالياً على الدنيا، عالياً على شهوات النفس.

لقد أبى أن ينزل تلك الدار ، وأمر بتحويلها إلى الشعب، إلى الجماهير !

## نموذج للمجتمع الإسلامي!

كما أنشئت الكوفة ، والبصرة ، في العراق ، مدنا إسلامية ، يطبق فيها النظام الإسلامي الصحيح ، كذلك أنشئت الفسطاط مدينة إسلامية، بعيدة عن مدينة مصر، مستقلة عنها في كل شيء.

ودائما نلحظ في تلك المدينة التي ينشئها الجيش الإسلامي، أن المسجد يتوسطها، وتنتشر من حوله بيوت الجنود.

وفي هذا المجتمع الصغير، تتمركز الفكرة الإسلامية، بقواها ومبدئها .

القوة ممثلة في الجيش كله، والفكرة ممثلة في كتاب الله . مجتمع كامل يطبق الإسلام على نفسه في كل شيء، وعلى استعداد دائما لبذل دمه في سبيل عقيدته.

ومن هذا المجتمع الصغير كان ينبثق الإسلام نورا على البلاد التي يفتحها ، وتوجيها لأبنائه، وعدلا في حكمه .

وهو أبرع أسلوب في الدعوة إلى دين الله، وعرض الفكرة على الأجانب عنها .

وسرعان ما اقتنع المصريون، وسرعان ما دخلوا بعد ذلك في دين الله أفواجا !!!

## فليأت البطريك آمنـــا!

فلما أيقن رهبان القبط أن عمرا يحترم حرية العقائد، خرج عدد عظيم منهم من الأديار التي كانوا قد اعتصموا بها من اضطهاد الرومان.

وساروا إلى عمرو يعلنون له الطاعة .

وكتب للقبط جميعا أمانا خص فيه بنيامين بقوله : « فليأت البطريق الشيخ نفسه، وعلى القبط الذين بأرض مصر ، والذين في سواها ، لا ينالهم أذى » .

وعلم بنيامين بما أذاعه الفاتح العربي، فخرج من مخبأه بالصحراء، وسار إلى الإسكندرية، فدخلها دخول الظافر، في مظاهر من ابتهاج القبط، لا يساورها خوف، ولا يشوب صفوها كدر!

وعاد إلى الإسكندرية يلهج بالثناء عليه ، ويقول لأتباعه : «عدت إلى بلدي الإسكندرية، فوجدتُ بها أمنا من الخوف ، واطمئنانا بعد البلاء، وقد صرف الله عنا اضطهاد الكفرة، وبأسهم»

وكان المصريون يقولون : « ما خرج الروم من الأرض ، وانتصر عليهم المسلمون إلا لما ارتكبه هرقل من الكبائر ، وما أنزله بالقبط وملتهم . لقد كان هذا سبب ضياع أمر الروم، وفتح المسلمين لبلاد مصر ».

## المصريون يتدفقون على الإسلام!

أشاع عمرو جوا من الحرية في ربوع البلاد، كما أشاع جوًا من العدالة والمساواة في أنحائها.

فأقبل العقلاء من المصريين على النظر في المذاهب المختلفة ثم انتهى أكثرهم إلى قبول الإسلام، والدخول فيه .

لماذا ؟ .. إن أحداً لم يكرههم على الإسلام ، أو يرهبهم؛ ليقبلوا هذا الإسلام ، فلماذا تدفقوا عليه ؟

؛ لأنهم رأوا فيه ما يمضي مع الفطرة السليمة الكريمة .

رأوا فيه شعاع لا إله إلا الله، التي تهفو لها الأفئدة عن طواعية وحنين؛ لأنها فطرة الله التي فطر الناس عليها .

ورأوا فيه قوماً عدولا ، يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه .

ورأوا فيه دعوة عامة لكل الناس، لا تفرق بين لون ولون ، ولا بين حر وعبد ، ولا بين شريف ووضيع ، وإنما الكل سواء .

والعقول السليمة إذا هيأت لها جوا من الحرية ، تهتدى بفطرتها إلى ما في الإسلام من تعاليم.

يقول بتلر : « ليس من العدل أن يقال إن كل من أسلم من القبط إنما يقصد الدنيا وزينتها. وإذا كان منهم من أسلم طمعاً في أن يتساوى بالمسلمين الفاتحين حتى يكون له مالهم ؛ وينجو من دفع الجزية فإن هذه المطامع ما كانت لتدفع إلا من كانت عقيدتهم غير راسية .

« أما الحقيقة المرة فهي أن كثيرين من أهل الرأي والحصافة قد كرهوا المسيحية لما كان من عصيان لصاحبها ، إذ عصيت ، ما أمر به المسيح من حب، ورجاء في الله ، ونسيت ذلك في ثوراتها وحروبها التي كانت تنشب بين شيعها وأحزابها .

« ومنذ بدا ذلك لهؤلاء العقلاء لجأوا إلى الإسلام فاعتصموا بأمنه ، واستظلوا بوداعته وطمأنينته وبساطته » .

## سياسة عمر العليا في مصر!

أما الجيش وقياداته فكانت حقا خالصا للمسلمين الفاتحين . وأما الشرطة فقد تركت للمصريين ، كما كانت أيام الرومان .

وكانت الأوامر إلى الجيش الإسلامي الفاتح ، أن يكون مستعدا للدفاع عن البلاد ضد أي عدوان خارجي؛ لذلك حرم على أفراده أول الأمر امتلاك أي شبر من أراضي مصر .

وفرضت للجنود مهايا يقتضونها لنفقتهم ونفقة أمرهم، وأقاموا على ذلك كل خلافة عمر.

فكانت المهايا تصرف إلى الجيش من حصيلة الجزية ، وإن تبقى شيء أرسل إلى المدينة ، العاصمة المركزية للدولة .

أما المناصب المدنية فترك عمرو أكثرها لجماعة من الروم كانوا يتولونها من قبل دولتهم قبل الفتح ، ثم آثروا البقاء بمصر بعد الفتح .

ورضى كثير منهم الإسلام؛ ليكون لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم .

أقر عمرو ميناس على حكم مصر السفلي ، حيث كان من عهد هرقل .

وأقر غيره من بني جنسه على حكم بعض الأقاليم .

كما أقر الروم الذين كانوا فيما دون ذلك من المناصب، ولم يتركوا مصر.

وشغل القبط المناصب التي خلت؛ لأن أصحابها من الروم تركوا البلاد .

وهكذا الإسلام ... يتطور ، ويتجدد ، ويتبلور مع كل ظرف، وكل زمان !!!

## عُمر يأمر باستشارة البطريرك!

عجيب هذا الإسلام ... إنه يقبل آراء الناس جميعاً، سواء كانوا له أم عليه، ويهضمها، ويخرجها نظاماً طيباً إلى الجميع .

لما عرف عمر مكانة بنيامين من المصريين، كتب إلى عمرو أن يلتمس الرأي عند البطريق القبطي في خير الوسائل لحكم البلاد وطمأنينة أهلها .

وفرح بنيامين فرحاً شديداً .. وأخلص المشورة لعمرو .. وكانت آراؤه أن يحصل الخراج (ضريبة الأطيان) من غلة الأرض عند فراغ الناس من زروعهم ، ومن عصر كرومهم.

وأن تحفر خلجان مصر ، وتصلح جسورها ، وتسد ترعها . وأن يعطى العمال أرزاقهم بغير انقطاع لئلا يرتشوا .

وألا يباح مطل الناس حقوقهم بغيا بغير حق . وألا يلى أمور الناس عامل ظالم .

إن البطريرك يرى أن إصلاح نظام الحكم في مصر ، يجب أن يعتمد على الأسس الآتية :

تحصيل ضريبة الأطيان الزراعية بعد جني المحاصيل .، الاهتمام بمشروعات الري والطرق لزيادة الرقعة المزروعة.، صرف مهايا الموظفين والعمال بانتظام، لئلا يرتشوا .، سرعة إنهاء موظفي الدولة لأعمال الجمهور لئلا تتعطل. عزل كل موظف ظالم مهما كانت أوضاعه عن وظيفته.

أرأيت !... إن ما أشار به البطريرك . وأقره عمرو ، يكاد يكون نفس ما يشير إليه المصلحون الآن، ومصر هي مصر دائمة ... مشاكلها وحلولها لا تتغير...

وارتاح عمرو إلى ما أشار به البطريرك ، فكتب إلى عماله في أرجاء البلاد ، وأمرهم أن يتبعوا هذا الرأي لا يحيدون عنه .

## خليج أمير المؤمنين!

وانطلق الفاتح العربي يشعل الثورة الإصلاحية في أنحاء البلاد المصرية.

والإسلام دائما وأبدا ينادي بمبدئه الخالد «إن أريد إلا الإصلاح»

هذا هو عمرو بعد أن أشاع العدل والمساواة في أنحاء مصر ، ينطلق إلى تنفيذ المشروعات الكبرى ، للنهوض باقتصادها.

وبادر عمرو إلى القيام بهذا العمل العظيم .. وأتمه في وقت قصير لم يبلغ عامًا كاملا.

وكان هذا الخليج يجري مبتدئا من شمال بابليون متجها شمالا بشرق إلى بلبيس . فإذا جاوزها اتجه شرقًا إلى بحيرة التمساح؛ ليخرج من جنوب هذه البحيرة . فيتابع جريانه خلال البحيرات المرة فيبلغ البحر الأحمر عند السويس.

## معسكرات العمل!

جند عمرو الألوف من العمال المصريين للقيام بحفر الخليج، وكانت أوامر صريحة قاطعة، أن يتم المشروع في أقرب وقت مستطاع.

وما هي إلا شهور حتى خرج الخليج إلى الوجود ، علا رائعا يشهد للقيادة العربية بالعبقرية، ويشهد للإنتاج المصري بالعظمة . فلماذا لا نلجأ نحن الآن إلى ما لجأ إليه عمرو ، فجند جميع الفلاحين لبناء قراهم من جديد ؟

فلماذا لا نأمر أهل كل قرية أن يبنوا قريتهم الجديدة بسواعدهم بلا مقابل ، وما أكثر أوقات الفراغ عند القرويين ؟!

يمكن أن نفعل هذا .، وكثيرا غير هذا ، ولم نخرج في ذلك كله عن توجيه الاسلام ، وما فعله عمرو قبل ذلك في هذه البلاد .

## عمرو يشق قناة السويس!

وانطلق العملاق العربي في ثورته الاصلاحية . . وكان أعجب ما فكر فيه عمرو أنه كان يريد حفر خليج بين بحيرة التمساح، وبحر الروم ، يصل مياه البحرين ، الأحمر والأبيض ، نحو ما هو حادث اليوم .

واعتزم عمرو القيام بهذا العمل الضخم ، لولا اعتراض أمير المؤمنين أنه بسهل للروم اختراق هذه القناة، وتسيير سفنهم إلى البحر الأحمر .

ولم يكن للعرب إلى يومئذ أسطول تجاري أو أسطول حربي يقف في وجه أسطول الروم أو ينافسه .

فكان العدول عن حفر قناة تصل مياه البحرين بعض ما يقضى به الحذر !

ما هذا ؟ .. إنه العملاق العربي إذا انطلق . . إن عمرًا بن العاص كان يريد ، وعزم فعلا على شق قناة السويس ، لولا أن منعه من ذلك أمير المؤمنين لأسباب عسكرية ، هي حماية العالم الإسلامي من أسطول الروم .

ولقد مضت القرون . . حتى كان القرن التاسع عشر ، وشقت هذه القناة بأيدي أبناء مصر، ومات فيها الآلاف منهم ، ومع هذا تبلغ الوقاحة بالاستعمار يومًا ما أن يظن أن تلك القناة حق خالص له دون أبناء البلد !

حتى كانت الوقفة الخالدة . . واسترد العرب قناتهم الخالدة.

إن انتزاع الشعب لقناته من أيدى الاستعمار ، كان تنفيذًا تاريخيا لآمال عمرو بن العاص ، حين اعتزم شقها يوما من الأيام.

وافتتح خليج أمير المؤمنين ، وسارت فيه السفن من الفسطاط إلى البحر الأحمر . . وكان طريقًا عالميًا للتجارة الدولية ، أعاد إلى مصر أهميتها ، كطريق عالمي للمواصلات.

ولو أن أمير المؤمنين وافق عمرا على رأيه، وتركه يشق قناة السويس، ويصل بحيرة التمساح ببحر الروم؛ لكان من ذلك طريقاً عالميا آخر، ولنعم العالم بطريقين عظيمين مائيين، يصلان البحر الأبيض بالبحر الأحمر .

الأول خليج أمير المؤمنين ، والثاني قناة السويس .

## عقلية فعالة متطورة!

كان حكم عمرو لمصر رحمة للمصرين ، فهنئوا فيه بعدالة الإسلام ، ورحمة الإيمان .

أخذ بنصيحة بنيامين في أمر ضريبة الخراج وتحصيلها ، وكان يذهب إلى أبعد من ذلك في تخفيف وطأته.

فقد كان هذا الخراج يزيد، وينقص تبعًا لحالة الفيضان، ومحصول الزراعة ، وكان أعيان كل قرية، وبلد يجتمعون كل عام في لجنة تحدد مقدار ما يحصل منها حسب هذه الأحوال.

فإذا زاد المال الذي يحصل من بلد على الخراج المفروض عليها ، أنفق الزائد في إصلاح احوالها.

وكان ما يحصل من ضريبة الخراج أقل بكثير مما كان الروم يحصلوته من الضرائب الكثيرة الفادحة التي فرضوها على المصريين فيما سوى العاصمة من أرجاء البلاد.

كما أسقط عمرو الامتيازات التي كان يتمتع بها أهل الاسكندرية ، وسوىّ بينهم ، وبين سائر سكان البلاد.

ومن هنا نعلم أن عقلية عمرو عقلية متطورة فعالة ، تتبلور مع الأحداث، ولا تقف جامدة أمام حوادث الحياة..

وهكذا كان هؤلاء الناس دائما...لم يكونوا ككثير من مسلمي اليوم ، غافلين عن دنياهم، جاهلين بها ، وإنما كانوا حركة دائبة ، وتوثب دائم نحو الأرقى والأرقى ..

وتدفقت تبعًا لسياسة عمرو العملية فى مصر الأموال على الخزانة العامة، حتى بلغ ما يجبى من ضريبة الجزية وحدها ستة عشر مليونا من الدنانير سنويا، فضلا عما كان يجبي من ضريبة الخراج.

وبقى نظام الإدارة في دواوين الدولة جاريا مجراه من قبل. وطابت الحياة لعمرو بن العاص وطابت الحياة للمصرين جميعا، وبعث يصف مصر إلى أمير المؤمنين ...

## مصر شجرة خضراء؟!

« واعلم يا أمير المؤمنين أن مصر قرية غبراء ، وشجرة خضراء ، طولها شهر ، وعرضها عشر، يكنفها جبل أغبر ، ورمل أعفر. يخط وسطها نيل مبارك الغدوات ، ميمون الروحات ، تجري فيه الزيادة والنقصان كجرى الشمس والقمر ، له أوان يدر حلابه، ويكثر فيه ذبابه ، تمده عيون الأرض وينابيعها.

« حتى إذا ما اضلخم عجاجه، وتعظمت أمواجه ، فاض على جانبيه فلم يمكن التخلص من القرى بعضها إلى بعض إلا في صغار المراكب، وخفاف القوارب ، وزوارق كأنهن في المخايل، ورق الأصائل.

« فإذا ما تكامل في زيادته ، نكص على عقبيه كأول ما بدأ في جريته، وطما في درته ».

« فعند ذلك يخرج أهلها. يحرثون بطون الأرض ، ويبذرون بها الحب ، يرجون بذلك النماء من الرب .

« فإذا أحدق الزرع وأشرق، سقاه الندى ، وغذاه من تحته الثرى» .

« فبينما مصر يا أمير المؤمنين لؤلؤة بيضاء ، إذا هي عنبرة سوداء، فإذا هي زمردة خضراء، فإذا هي ديباجة رقشاء ، فتبارك الله الخالق لما يشاء .. » .

فلما ورد الكتاب على عمر بن الخطاب وقرأه قال : « لله درك يا ابن العاص! لقد وصفت لي خبراً كأني أشاهده » !!

# اغتيال عمر !

## اللهم ارزقني الشهادة!

كان عمر يحج كل عام، ويدعو ولاته وعماله يوافونه أيام الحج بمكة كي يحاسبهم على أعمالهم، ويشاركهم في تدبير شئون ولايتهم.

فلما كانت السنة الثالثة والعشرين للهجرة ، حج معه أزواج رسول الله — ﷺ —.

فلما قضى مناسكه ، وأفاض من منى ، أناخ بالأبطح ، فكوم كومة من بطحاء، ألقى عليها طرف ثوبه ثم استلقي عليها .

ورفع يديه إلى السماء ، ثم قال : اللهم كبرت سني ، وضعفت قوتي ، وانتشرت رعيتي ، فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط . « اللهم ارزقني الشهادة في سبيلك ، واجعل موتى في بلد رسولك » .

إن الرجل يريد أن يستشهد .. إن الرجل يعرف مقام الشهادة!!!

## تهديد!

كان عمر لا يأذن لصبي قد احتلم أن يدخل المدينة .. حتى كتب إليه المغيرة بن شعبة ، وهو على الكوفة ، يستأذنه في غلام صايغ يدعى أبا لؤلؤة ، واسمه فيروز، يحسن أعمالا كثيرة فيها منافع الناس : فهو حداد، و نقاش ، ونجار.

فأذن له عمر .. فأرسل به المغيرة ، وكان يستغله كل يوم أربعة دراهم ، وضرب عليه مائة درهم في كل شهر؛ لأنه كان يصنع الأرحاء (جمع رحي وهي الطاحون).

فجاء الغلام إلى عمر يشتكي إليه ويقول : يا أمير المؤمنين، إن المغيرة قد أثقل على غلتي ، فكلمه لي ليخفف عني .

فقال له عمر : ما تحسن من الأعمال ؟

فذكرها له ، فقال له عمر : فما خراجك بكثير ، فاتق الله ، وأحسن إلى مولاك.

وكان في نية عمر أن يقابل المغيرة فيكلمه يخفف عنه ، فانصرف العبد مغضبا ، وقال : وسع الناس كلهم عدله غيري!

وكان خبيثا ، إذا نظر إلى السبي الصغار ، يأتي فيمسح رءوسهم، ويبكي ، ويقول : يأكل عمر كبدي!

فأضمر قتل عمر . فاصطنع خنجرا له رأسان وسمّه .

ثم أتى به الهرمزان فقال : كيف ترى هذا ؟

وجعل أبو لؤلؤة يتحين الفرص ، فمر يوما بعمر ، فقال له عمر : حدثت أنك تقول : لو

أشاء لصنعت رحى تطحن بالريح ؟. فالتفت العبد ساخطًا ، عابسًا إلى عمر (ومع عمر جماعة)

قال : لأصنعن لك رحى يتحدث بها الناس .

فلما ولى ، قال عمر للذين معه : أوعدني العبد آنفا!!.

## كيف وقع الحادث؟!

خرج عمر من منزله بالمدينة ، قبل مطلع الشمس ، من يوم الأربعاء ، لأربع بقين من ذي الحجة ، سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، يؤم الناس لصلاة الفجر.

وكان يوكل رجالا في المسجد بالصفوف يسوونها ، قبيل كل صلاة ، فإذا استوت جاء هو فنظر إلى الصف الأول ، فإذا رأى فيه متقدما أو متأخرا علاه بالدرة ، حتى إذا انتظم الجميع في أماكنهم كبر للصلاة.

دخل عمر في تلك الساعة من ذلك اليوم ، ولم يكد يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر.

فما هو إلا أن كبر حتى ظهر رجل فجأة قبالته ، فطعنه بخنجره ست طعنات ، إحداها تحت سرته.

وأحس عمر حر السلاح، فالتفت إلى المصلين ، باسطا يديه يقول : « أدركوا الكلب فقد قتلني! » .

وكان الكلب أبا لؤلؤة النصراني فيروز – غلام المغيرة – وكان فارسيا، أسر في نهاوند ، ثم وقع في ملك المغيرة بن شعبة .

ثم اندفع يريد الفرار نجاة بنفسه ، وهاج الناس مضطربين لما سمعوا ، وأقبل كثيرون منهم على الكلب يريدون القبض عليه ، والتنكيل به .

ولم يدعهم فيروز يأخذون بتلابيبه ، بل جعل يطعنهم يمنة ويسرة، حتى طعن اثني عشر رجلاً، مات منهم ستة !

فلما رأى ذلك عبد الرحمن بن عوف طرح عليه رداءه وطرحه أرضا .

وتأكد فيروز أنه مقتول لا محالة مكانه ، فانتحر بالخنجر الذي ضرب به أمير المؤمنين .. ونحر نفسه !

كانت الطعنة التي أصابت عمر تحت سرته ، قد قطعت الصفاق والأمعاء ، وكانت لذلك قاتلة .

ولم يستطع عمر الوقوف من حرها ، بل سقط طريحًا .

## قرار القومسيون الطبي!

لما احتمل عمر ... انطلق الناس معه إلى البيت ، فقال قائل: لا بأس ، وقائل : أخاف عليه .

قال ابن عمر : فسمعت عمر يقول : أرسلوا إلى طبيب ينظر إلى جرحي هذا .

فأرسلوا إلى طبيب من العرب ، فسقى عمر نبيذًا ( منقوع التمر ) فشبه النبيذ بالدم ، حين خرج من الطعنة[١].

فدعوت طبيبًا من الأنصار ، من بني معاوية ، فسقاه لبنا ، فخرج اللبن من الطعنة بصديد أبيض .

فقال له الطبيب : يا أمير المؤمنين اعهد[٢]

قال عمر : صدقني أخو بني معاوية ، ولو قلت غير ذلك كذبتك .

لقد كان قرار القومسيون الطبي أن عمر سوف يموت ، فها هو شراب النبيذ يخرج من فتحة الطعنة التي تحت السرة بلون الدم ، ثم ها هو اللبن يخرج بصدد أبيض ، أي أن أحشاءه تقذف ما يلقى إليها ولا تمسكه!

## ما أخاف إلا إمارتكم هذه!

لما سقي عمر اللبن، وخرج من جرحه ، قالوا لا بأس عليك يا أمير المؤمنين .

قال : إن يكن القتل ثابتًا فقد قتلت .

فجعل الناس يثنون عليه يقولون : جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين . كنت وكنت ، ثم ينصرفون، ويجيء آخرون فيثنون عليه

فقال : أما والله على ما تقولون ، وددت أني خرجت منها كفافا ، لا عليّ ولا لي وأن صحبة رسول الله ﷺ سلمت لي .

وروى أنه قال ، أبالإمارة تزكونني ؟ لقد صحبت رسول الله — ﷺ —، وهو عنى راض ، وصحبت أبا بكر فسمعت وأطعت ، وتوفى أبو بكر وأنا سامع، ومطيع ، وما أصبحت أخاف على نفسي إلا إمارتكم هذه .

---

(١) الطعنة التي تحت السرة.

(٢) يريد أنه ميت لا محالة ، فعليه أن يوصي بما شاء.

عن ابن عباس قال : لما طعن — رضي الله عنه — ، دخلت عليه فقلت : أبشر يا أمير المؤمنين ، قد مصّر الله بك الأمصار ، ودفع بك النفاق.

قال : أفي الإمارة تثنى علي يا ابن عباس ؟ !

قال : وفي غيرها .

قال : والذي نفسي بيده لوددت أني خرجتُ منها كما دخلتُ فيها ، لا أجر ولا وزر .

## يموت مدينا وكنوز الأرض في يده!

قال لابنه : يا عبد الله بن عمر ! انظر ما على من الدين . . فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألف درهم .

قال عمر : إن وفى به مال آل عمر فأده من أموالهم، وإلا فاسأل فيه بنى عدىّ ، فإن لم تف أموالهم فاسأل فيه قريشاً ، ولا تعدهم إلى غيرهم .

قال عبد الرحمن بن عوف : ألا تستقرضها منها من بيت المال حتى تؤديها ؟

فقال عمر : معاذ الله أن تقول أنت وأصحابك بعدي : أما نحن فقد تركنا نصيبنا لعمر، فتعزوني بذلك ، فتتبعني تبعته ، وأقع في أمر لا ينجيني إلا المخرج منه.

ثم قال لعبد الله بن عمر : اضمنها . . فضمنها .

فلم يدفن عمر حتى أشهد بها ابن عمر نفسه على أهل الشورى ، وعددًا من الأنصار.

وما مضت جمعة حتى حمل المال إلى عثمان ، وأحضر الشهود على البراءة بدفعه !

هل سمعت الدنيا ؟ ... عمر ، الذي فتح الإمبراطوريتين ، وجاءته كنوزها قناطير مقنطرة من الذهب والفضة ، يموت مدينا !

وليس هذا وحده وجه العجب ، وإنما الأعجب أنه يرفض أن يقترض من خزائن الدولة المبلغ اللازم لسداد ديونه !

وأعجب من ذلك وأعجب أنه يأمر ابنه ، أمام الجميع أن يسدد ذلك الدين من مال أسرة عمر !

ثم ترتفع عظمته وتعلو حين تسدد أسرته ديونه بعد أسبوع من إصابته ، وذلك في خلافة عثمان !!

لو شاء عمر لأخذ ما شاء من الأموال من الخزانة العامة ، ولما كان لأحد أن يقول في ذلك شيئاً ، فهو أمير المؤمنين ، وحاكم المشرقين، ومن حقه على الدولة أن تقوم بنفقات أسرته.

ولكنه تعفف ... فمات مديناً ، ورفض أن تتحمل الدولة من دينه شيئا !

فليعتبر اللصوص ، وليراجعوا أنفسهم فيما يأخذون من الخزانة العامة من أموال !!!

## عبدٌ يصلي بالناس!

وجعلها شوري في ستة : عثمان ، وعلى" ، وطلحة ، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص .

وجعل عبد الله بن عمر معهم مشيرا ، وليس منهم .

وأجلهم ثلاثا ، وأمر صهيبا أن يصلي بالناس !

أعظم بفعلك يا عمر ! ... تعين صهيبا ؛ ليصلى بالناس ثلاثة أيام ، وهي فترة الانتقال التي حددها لاختيار الخليفة من بين الستة ؟ !

معنى هذا أن صهيباً كان وصيا على العرش ، أثناء فترة الانتقال ، وصى على عرش أكبر دولة في العالم ، ويصلي بالشعب والصلاة من أظهر مظاهر الولاية العامة.

وفي هذه اللفتة من عمر تكريم للضعفاء ، وتكريم للجماهير الكادحة ، وهم دائما الأغلبية الساحقة من الشعوب .

## إن كان شقاق فهو فيكم!

ودعا عمر هؤلاء النفر الذين جعل الخلافة شورى بينهم ، فقال : «إني قد نظرت لكم في أمر الناس ، فلم أجد عند الناس شقاقا إلا أن يكون فيكم ، فإن كان شقاق فهو فيكم .

ثم قال : إن قومكم إنما يؤمرون أحدكم أيها الثلاثة ( لعبد الرحمن وعثمان وعلى ) .

فاتق الله يا عليّ ، إن وليت شيئا من أمور المسلمين ، فلا تحملن بني هاشم على رقاب المسلمين.

ثم نظر إلى عثمان وقال : اتق الله ، إن وليت شيئاً من أمور المسلمين ، فلا تحملن بني أمية على رقاب المسلمين.

وإن كنت على شيء من أمر الناس يا عبد الرحمن ، فلا تحمل ذوي قرابتك على رقاب الناس.

ثم قال : قوموا فتشاوروا فأمروا أحدكم .

وقاموا يتشاورون . . .

قال عبد الله بن عمر : فدعاني عثمان مرة ، أو مرتين ؛ ليدخلني في الأمر ، ولا والله ما

أحب أني كنت فيه ، علما أنه سيكون في أمرهم ما قال أبي ( أي من الشقاق ) والله قلما رأيته يحرك شفتيه بشيء قط إلا كان حقا .

فلما أكثر عليّ عثمان قلت له : ألا تعقلون ؟ أتؤمرون وأمير المؤمنين حي ؟ !

فو الله لكأنما نبهت عمر من مرقد .

فقال عمر : أمهلوا ، فإن حدث بي حدث فليصل لكم صهيب، مولى بني جدعات ، ثلاث ليال ، ثم أجمعوا أمركم ، فمن تأمر منكم على غير مشورة من المسلمين فاضربوا عنقه !!

## ليتني لم أخلق!

واقترب الوعد الحق ، وأحس عمر أنه لم يبق له إلا لحظات في هذه الحياة !

فجعل يحاسب نفسه عما قدمت يداه ، فهو عما قليل ، سيقف بين يدى ربه ، يسأله عما قدم وأخر .

واشتد خوف عمر، وكان يزداد خوفا من الله كلما أقبل على الآخرة.

وكان يشتد خوفه كلما ازداد ثناء الناس عليه !

روى أنه مد يده فأخذ تبنة كانت على الأرض إلى جنب فراشه فرفعها أمام عينيه ، وقال «ليتني كنت هذه التبنة! ليتني لم أخلق ! ليت أمي لم تلدني ! ليتني لم أك شيئا ! ليتنى كنت نسيا منسيًا» .

## ضع خَدِّي بالأرض!

وأوصى عمر ألا يغسلوه بمسك ، أو يقربوا منه مسكا ، على ما كان يصنع العرب بذوي المكانة منهم.

وقال لابنه : « اقصدوا في كفني ، فإنه إن يكن لي عند الله خير أبدلني خيراً منه ، وإن كنت على غير ذلك سلبني فأسرع سلبي.

« واقصدوا في حفرتي ، لا تخرجن معي امرأة ، ولا تزكوني بما ليس في، فإن الله هو أعلم بي.

« وإذا خرجتم لي فأسرعوا في المشي فإنه إن يكن لي عند الله خير قدمتموني إلى ما هو خير لي ، وإن كنت على غير ذلك كنتم ألقيتم من رقابكم شرا تحملونه » .

وكان عبد الله بن عمر يسمع هذه الوصية ، وقد جلس إلى فراش أبيه ، ووضع رأسه على فخذه

فلما أحس أنه يموت قال لابنه : ضع خدى بالأرض .

قال له عبد الله : هل فخذي والأرض إلا سواء ؟!

قال عمر : ضع خدي بالأرض لا أُم لك !

فلما وضع ابنه خده بالأرض، شبك بين رجليه، وجعل يقول : ويلى، وويل أمي إن لم يغفر الله لي !

وظل يكررها

حتى فاضت نفسه !!!

## ادخل بسلام!

فاضت نفس عمر إلى ربها ...

ولما حان دفنه ، حمل إلى المسجد ، ووضع بين قبر رسول الله – ﷺ – ومنبره ؛ ليصلى عليه.

فتقدم صهيب ، فصلى عليه ، وكبر أربعًا .

ثم حمل القوم جثمانه ، فوقفوا به على باب عائشة . . .

وقال عبد الله بن عمر : يستأذن عمر بن الخطاب ، أن يدفن مع صاحبيه ؟

وأجابت عائشة : ادخل بسلام .

ودخل القوم إلى حجرة رسول الله ، فأنزلوا الجثمان إلى مثواه الأخير .

وكان رأس أبي بكر قد جعل عند كتفي النبي ، فوضع رأس عمر عند كتفي أبي بكر .

وتولى عبد الله بن عمر تسوية الجثمان في مكانه.

قالوا : طعن عمر يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة، سنة ثلاث وعشرين ، ودفن يوم الأحد ، صباح هلال المحرم، سنة أربع وعشرين .

وكانت مدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام .

وكان عمره يوم توفى خمسًا وستين سنة وثلاثة أشهر ونصفا !!!

# رجل الدولة الأعظم !

## سياسة عمر سياسة الإسلام!

ذهب أبو بكر إلى ربه ، والجيوش الإسلامية تقاتل في الشام لا تدرى مصيرها ، والجيوش الإسلامية الأخرى ترابط في العراق تنتظر أوامر الخليفة .

وجاء عمر ... فأشعلها حربًا في الجبهتين ، فانهارت الإمبراطورية الفارسية بأكملها .

وانهارت الإمبراطورية الرومانية ... فسقطت الشام أكملها حتى أوشكت القسطنطينية نفسها على السقوط . .

وسقطت مصر كلها، وشمال أفريقيا ... وضمت إلى الدولة الإسلامية.

ومن هنا تبدأ الخطورة ... إن الدولة الإسلامية في عهد عمر شملت الجزيرة العربية كلها، وشملت الإمبراطورية الفارسية كلها، وشملت غالبية الإمبراطورية الرومانية .

فإذا أردت أن تحدد الدولة الإسلامية في عهد عمر ، قلت إنها تمتد من بحر قزوين شرقًا إلى الجزائر غربًا ، إلى بلاد النوبة جنوبًا إلى تركيا شمالاً ...

فما معنى هذا؟ ... معناه أن تلك الدولة كانت تشمل ما نسميه الآن بالعالم العربي ، ويزيد عليه إيران كلها، وأفغانستان، وكثير من دول أواسط آسيا.

فما معنى هذا ؟ . . معناه أن عمر حكم تلك الدول جميعاً ، وساسها . . .

وما وجه الأهمية من هذا ؟ ... العالم العربي الحديث مصر، ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب، السودان ، اليمن ،السعودية ، الأردن ، فلسطين ، سوريا ، العراق ، لبنان ، الكويت، إمارات الخليج العربي ، قطر ، إيران ، أفغانستان ، أذربيجان ... وكثير من أقطار آسيا الوسطى.

كل هذه البلاد كانت وحدة يحكمها عمر ، وتنزل على حكمه وترضاه، وتعيش في ظله سعيدة.

فمن الناحية الجغرافية كانت دولة عمر ، تشمل العالم العربي كله وزيادة عليه كثير من البلاد كإيران وأذربيجان وغيرها.

أما من الناحية العامة ، فقد كانت تلك المجموعة السياسية تشمل أديانا مختلفة ، وأجناساً مختلفة ، واتجاهات مختلفة ومع هذا كانت كلها يحكمها عمر ، وتسعد بحكم عمر ! .

كانت مصر آنذاك دينها المسيحية ، إلا ما كان بالإسكندرية من جاليات أجنبية مختلفة من اليونان، والرومان، واليهود وغيرهم .

وكانت فارس إمبراطورية شاسعة واسعة ، مجوسية ، تعبد النار، وتنتشر فيها معابد النار.

وفيها غير هؤلاء اللادينيون ، واليهود، وعقائد أخرى عديدة .

وكانت بلاد الشام مسيحية ، فيها أكبر الكنائس ، وفيها الصليب الأعظم ببيت المقدس . وفيها إلى جوار ذلك اليهود، وغيرهم من الملل الأخرى .

إلا بلاد الحجاز ، فقد كانت إسلامية بحتة . عمل عمر أن يجعلها خالصة المسلمين ، حتى لا يجتمع بجزيرة العرب دينان .

الأديان كلها تعيش جنباً إلى جنب في تلك المجموعة، والاتجاهات كلها تعيش متجاورة في عهد عمر !

فما دلالة ذلك ؟

دلالته أن عمر وسع كل شيء حُكْما ، وصلح للدنيا كلها سياسة . أما من الناحية الموضوعية، فكان عمر ، رأس الدولة ، وكان في الوقت نفسه خير رجل يمثل الإسلام تمثيلا صحيحا، شهد له بذلك رسول الله ، وشهد له أصحاب رسول الله — ﷺ —.

وأما المجموعة التي كانت تعاونه في الحكم فكانوا خير مجموعة تمثل الإسلام كذلك تمثيلا صحيحا .

فيهم أكبر مجموعة من أصحاب رسول الله ، وأكبر مجموعة ممن تبعهم بإحسان ... فهم بذلك جمهور الإسلام الحقيقي .

ماذا تأخذ من هذا كله ؟ ...

نريد أن نقول إن دولة عمر كانت تشمل أكبر رقعة من العالم القديم المعروف يومئذ .

ودولة عمر كانت تشمل جميع الشعوب العربية، وزيادة، ودولة عمر كانت جميع الأديان ممثلة فيها .

ودولة عمر كانت تشمل أكبر مجموعة ممن يمثلون الإسلام التمثيل الصحيح .

فإذا كانت الدولة تحكم أهم مناطق العالم القديم ، وتحكم أكبر عدد من سكان العالم القديم، وتحكم جميع ديانات العالم القديم ، ويقودها أكبر مجموعة من رجالات الإسلام الصحيح فهي بعد ذلك الدولة الإسلامية الصحيحة .

فإذا سئلت : أين الإسلام ؟ . قلت : هو عهد عمر .

وإذا سئلت : أين التطبيق الإسلامي الصحيح ! . قلت هو تطبيق عمر.

لماذا ؟ ، لأن عمر هو الرجل الذي فقه الإسلام الفقه الصحيح ، الشامل ، الكامل.

والمجموعة الحاكمة من حوله ، فيهم خيرة أصحاب رسول الله ، الذين يمثلون تلك المدرسة

التمثيل الصحيح .

فهم جمهور الإسلام ، الذي يمثله تمثيلا صحيحاً

ومن هنا يمكن أن نقول ، ونحن مطمئنون إلى ما نقول غاية الاطمئنان .

إن عمر هو تطبيق الإسلام .

والذين حكموا مع عمر هم قادة الإسلام .

والذين عملوا مع عمر وتحت لوائه ، هم جنود الإسلام .

والأمة التي عاشت تحت حكم عمر هي أمة الإسلام .

والدولة التي أخرجها إلى الناس عمر ، هي دولة الإسلام .

والأسلوب الذي حكم به عمر ، هو أسلوب الإسلام .

والسياسة التي ساس بها عمر ، هي سياسة الإسلام .

والقضاء الذي قضى به عمر ، هو قضاء الإسلام .

والاقتصاد الذي نظم به عمر الأموال في عهده ، هو اقتصاد الإسلام .

وهكذا ... يمكن أن نقول : إن الصورة الصحيحة للتطبيق الإسلامي ، هي الصورة التي صنعها عمر .

وعلى هذا نقول إن سياسة عمر ، هي سياسة الإسلام . .

## جائزة الدولة التقديرية!

كان الجالينوس من أمراء الفرس، وأغنيائهم ، فقتله أثناء المعركة شاب من المسلمين اسمه «زهرة » وسلبه ، فجاء بسلبه إلى سعد بن أبي وقاص ، قائد عام المعركة ، فقال له سعد : هل أعانك عليه أحد ؟

قال : نعم .

قال : من ؟

قال : الله .

وكان سعد قد استكثر سلبه ، فكتب فيه إلى عمر ، فكتب عمر إلى سعد : « أتعمد إلى مثل زهرة ، وقد صلى بمثل ما صلى به، وقد بقي عليك من حربك ما بقي ، تكسر قرنه ، وتفسد قلبه ؟! امض ، وفضله على أصحابه عند العطاء بخمسمائة » .

فدفع سعد بن أبي وقاص إلى زهرة سلبه ... فباعه زهرة بسبعين ألفا ! !

وقد فضل سعد بن أبي وقاص ، أصحاب البلاء كلهم عند توزيع الغنيمة على المحاربين، بخمسمائة، وهم خمسة وعشرون رجلا منهم زهرة صاحب هذه القصة !

ما معنى هذا ؟ .. هل كان عمر داعية رأسمالية ؟ .

كلا ... وإنما كان يطبق ما أمرت به شريعة الله ، شريعة العدل. فماذا كانت أوامر الشريعة البيضاء ؟ .

كان أمرها أن من قتل قتيلا أثناء الحرب فله سلبه ... أي: له أن يأخذ ما يجده معه من الغنيمة ، مهما كانت قيمتها .

و لقد استكثر سعد سلب ذلك القتيل ، واستكثر أن ينفرد زهرة بتلك الأموال وحده ، فسأل في ذلك أمير المؤمنين ...

فكان رد عمر حاسما : امض ، ... أي: نفذ ياسعد أمر الله ، ولا تجعل لرأيك وضعا مع أمره سبحانه .

وصدع سعد بالأمر ، وسلم سلب القتيل إلى زهرة . . .

ليس هذا وحده ... وفضله بعد هذا عند توزيع الغنائم العامة بخمسمائة ! .

ذلك أنهم قوم ينتهون عند أوامر الله ، ولا يجعلون لهواهم موضعاً بعد أمره سبحانه .

وباع زهرة نصيبه بسبعين ألفاً ، وصار بذلك رأسماليا .

فما غضب من ذلك عمر ، بل شجعه ، وأمر به ! .

فهل في هذا من حكمة ؟. أكبر حكمة وأعلاها .

إن في ذلك تشجيعاً للجنود أن يستبسلوا في القتال ، ويندفعوا كالآساد المنطلقة إلى أعدائهم، يسلبون منهم ما استطاعوا .

بذلك يسرع النصر إلى المسلمين ، وتجنى الدولة كلها خير ذلك النصر

فلربما كان القتيل قائدا في صفوف الأعداء ، فيؤدى قتله إلى انهيار بنيانهم كله ، وتصدعه... فليس شيئاً ذا بال أن يأخذ قاتله سلبه ، فلربما فقد القاتل حياته في تلك المحاولة ، ولا شي يعدل الحياة ، ولو كانت كنوز الأرض كلها ! .

تلك هي فلسفة الشريعة البيضاء من الأمر ... فما هي فلسفة عمر في القضية ؟ .

إن عمر يسوس الدولة طبقا لأوامر الله ورسوله ، لا طبقاً لهواه ... فما كان فيه نص فلا رأى ، وما لم يكن فيه نص ، فهناك يكون الرأي والاجتهاد .

ولا يقال هنا إن في هذا لدليل على إقرار عمر للرأسمالية ... ذلك أن الإسلام لا يدعو إلى رأسمالية ، ولا إلى اشتراكية ، وإنما هو داعيه عدالة اجتماعية ، العدالة التي يحددها الوحي الإلهي ، لا تلك التي تحددها أهواء الناس .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [ المائدة ٥٠ ]

فلا يتصايح الغرب ، إعجابا بالحادثة ، واستدلالا منها على ما يؤيد مذهبهم ... وإنما ليعلم الجميع أن الإسلام نظام لا نظير له ، ولا ند له ، ولا يماثله شيء من نظم الناس ، فإن طابق نظاما أو خالفه فذلك شيء يشرف ذلك النظام ، ولا يشرف الإسلام ، لأن الإسلام هو الحق الذي يقاس عليه ، ولا يقاس هو على نظام وضعه إنسان .

ما كان عمر رأسمالياً ، ولا اشتراكيًا ، ولكن كان حنيفاً ، مسلماً ، ينفذ ما أنزله الله ، وما أتى به رسول الله – ﷺ – !!

## لا نورث . . ما تركناه صدقة!

أمر عظيم هذا الذي ندخل إليه الآن ... ونعالجه في هذه السطور .

وفقه أعظم من عمر ، يدل على ما في هذا الإسلام العظيم، من قواعد العدالة العالمية .

راجعه عليّ والعباس وناس معهم ، في مسألة الخمس ، فقال لهم : أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض ، أو تعلمون أن رسول الله – ﷺ – قال : لا نورث ، ما تركناه صدقة؟

قالوا : نعم .

ثم أقبل عمر على العباس وعليّ . فقال : أنشدكما بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، أتعلمان أن رسول الله – ﷺ – وسلم قال : لا نورث ما تركناه صدقة ؟ .

قالا : نعم .

فقال عمر : إن الله ﷻ كان خص رسول الله – ﷺ – بخاصة لم يخصص بها أحدا غيره ، قال: (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول) .

فقسم رسول الله – ﷺ – بينكم أموال بني النضير ، فو الله ما استأثر عليكم، ولا أخذها دونكم حتى بقى هذا المال ، فكان رسول الله – ﷺ – يأخذ منه نفقة سنة ، ثم يجعل ما بقى أسوة المال[1].

ثم قال عمر : أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض أتعلمون ذلك ؟ .

---

(١) يضمه إلى الأموال العامة.

قالوا : نعم .

ثم نشد عباساً وعليا بمثل ما نشد به القوم ، أتعلمان ذلك؟

قالا : نعم .

قال : فلما توفي رسول الله — ﷺ — قال أبو بكر : أنا ولي رسول الله — ﷺ — ، فجئتما تطلب ميراثك من ابن أخيك ، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها ، فقال أبو بكر : قال رسول الله — ﷺ —: لما نورث ما تركناه صدقة .. فرأيتماه كاذبًا آثمًا غادرًا خائنًا ، والله يعلم أنه لصادق بار راشد تابع للحق. ثم توفي أبو بكر ، وأنا ولي رسول الله — ﷺ — ، وولي أبي بكر ، فرأيتماني كاذباً آثمًا غادرًا خائنًا، والله يعلم أني لصادق بار راشد تابع للحق ، فوليتها ، ثم جئتني أنت وهذا وأنتما جميع ، وأمركما واحد ، فقلتما : ادفعها إلينا ، فقلت: إن شئتم دفعتها إليكما على أن عليكما عهد الله أن تعملا فيها بالذي كان يعمل رسول الله— ﷺ — ، فأخذتماها بذلك ؟ .

قالا : نعم .

قال : ثم جئتماني لأقضى بينكما ، لا والله لا أقضى بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة، فإن عجزتما عنها فرداها إلى .

تلك . هي الأقصوصة ، نسوقها ليشم ريحها الطيب سكان هذه الأرض إلى يوم القيامة .

وأجمل ما فيها ، تلك الرائحة الزكية ، رائحة قوله — ﷺ —: لا نورث ما تركناه صدقة ! .

نعم... فإن رسل الله أرفع من أن يورثوا ، وكيف يورثون . ولم يبعثوا إلا رحمة للعالمين.

إنه لمبدأ ... يا له من مبدأ ! لو يعقله الذين يعملون في قيادة الشعوب ، وزعامة السياسات العالمية ؟ .

إن أصحاب الرسالات ينبغي أن يتنزهوا ، وأن يتعففوا عن شهوة المال ، واكتناز الكنوز.

إنهم في مقام القدوة .. فيجب أن يكونوا أسوة حسنة لشعوبهم.

إن في هذا التعبير المحمدي الرائع إيجازاً ، وتوجهاً رفيعاً . . إنه ليقطع دابر الأطماع البشرية، ويجعل رئيس الدولة فوق الشبهات ، وسلوكه بعيداً عن المصلحة الشخصية .

فمتى علم رئيس الدولة أنه لا يورث ، أن كل ما تركه من أموال ... تزيد عن ثروته وقت دخوله إلى الحكم ... سيئول إلى الدولة ، ولا ينتفع ورثته منه بشيء ، انحسمت من نفسه شراهة جمع المال ، وانصرف بكليته إلى المصلحة العامة ... وإلا فلمن يجمع، ولمن يكتنز؟

من أجل ذلك قالها رسول الله — ﷺ — فذهبت تجلجل في آفاق الحياة: لا نورث ...

نحن معاشر الأنبياء لا نورث ... نحن لسنا جباة أموال ، ولا دعاة مطامع ، نحن هداة ،

نعمل لله ، وندعو إلى الله ، وأجرنا على الله . .

صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله ، وعلى رسل الله من قبلك .

إنكم تدعون إلى الله لوجهه ، ابتغاء ما عنده ، وذلك أعلى مقام بشرى يستطاع.

﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا ﴾[يس ٢١] ، ... نعم أنتم أحق الناس بالاتباع ، لأن نفوسكم أطيب النفوس ، وقلوبكم أعظم القلوب .

ودائما وأبدا ... هي قاعدة لا تتخلف أن رسالات الله يجب أن تؤدى إلى الناس لوجه الله، ويجب أن يتجرد دعاتها عن الرغبة في الأموال ، ويجب أن يرتفعوا بأنفسهم عن إرادة المال.

ولن يصلح طالب مال أن يكون داعية إلى الله .

إنه شرط .. ويا له من شرط !!!

## أخطر مبدأ عدالة!

نحن الآن مع عمر ..؛ لننظر كيف تصرف الرجل العبقري في أخطر مشكلة مالية ، وكيف كانت سياسته حيالها؟

فتح المسلمون العراق ، وأصبحت أرض السواد ، وهي الأراضي الزراعية التي بين النهرين، دجلة والفرات ، بأيدي المسلمين ، غنيمة خالصة لهم .

فماذا يفعل عمر في تلك الأراضي الزراعية الواسعة ، هل يقسمها بين الفاتحين ، أم ماذا يفعل فيها ؟ .

ووجه ابن الخطاب بتلك المشكلة العويصة ، ولم يكن معه نص من كتاب ولا سنة ، ولم يسبق للمسلمين أن فتحوا أرضاً زراعية تبلغ تلك المساحة اتساعا. إنه قطر بأكمله يقع غنيمة بأيدي المسلمين ، فكيف التصرف فيه ؟

وأنا أدعو قادتنا ليسمعوا ، وأدعو قادة العالم الإسلامي ليسمع ، وأدعو كل مذاهب العالم الاقتصادية والسياسية لتسمع كذلك .

وسوف يجد الجميع أن عمر كان عبقرياً فذا ، لم تلد النساء مثله . وأنه كان على آخر طراز من التطور السريع المتلاحق المتدافع .

دعا عمر كبار الصحابة ، فاستشارهم فرأى أغلبهم أن يقسمه . وكان بلال بن رباح من أشدهم في ذلك .

وكان رأى عمر أن يتركه، ولا يقسمه !!

فقال عمر : اللهم اكفني بلالا وأصحابه .

إن حاسة العدل في الرجل تحركه نحو العدالة ، وتدفعه دفعاً الى تطبيقها ، ولو لم يكن في معلومه تلك المسميات الحديثة.

ومكثوا يبحثون في يومين أو ثلاثة ...

ثم قال عمر : إني وجدت حجة : قال الله تعالى في كتابه :

﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ ..[ الحشر ٦ ]

حتى فرغ من شأن بني النضير. فهذه عامة في القرى كلها.

ثم قال :

﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [ الحشر ٧ ]

ثم قال :﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [ الحشر ٨ ]

ثم لم يرض حتى خلط بهم غيرهم فقال :﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [الحشر ٩] . فهذا فيما بلغنا والله أعلم للأنصار خاصة .

ثم لم يرض حتى خلط بهم غيرهم فقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر ١٠]

فكانت هذه عامة للمقاتلين وغيرهم .

فكيف أقسمها بينهم فيأتي من بعدهم فيجدون الأرض بعلوجها قد اقتسمت، وورثت عن الآباء، وحيزت ؟!

ثم قال عمر : ما هذا برأي .

فقال له عبد الرحمن بن عوف : فما الرأي ؟ . ما الأرض ، والعلوج ، إلا ما أفاء الله عليهم؟

فقال عمر : ما هو إلا كما تقول ، ولست أرى ذلك ، والله لا يفتح بعدى بلد فيكون فيه كبير نيل ، بل عسى أن يكون كلا على المسلمين .

« فإذا قسمت أرض العراق بعلوجها ، وأرض الشام بعلوجها ، فما يسد به الثغور ؟ وما يكون للذرية والأرامل بهذا البلد وبغيره من أهل الشام والعراق ؟

فأكثروا على عمر ، وقالوا : أنقف ما أفاء الله علينا بأسيافنا ، على قوم لم يحضروا ، ولم يشهدوا ، ولأبناء القوم ، ولأبناء أبنائهم، ولم يحضروا ؟!.

فكان عمر لا يزيد على أن يقول : هذا رأى .

قالوا : فاستشر

قال : فاستشار المهاجرين الأولين فاختلفوا .

فأما عبد الرحمن بن عوف ، فكان رأيه أن تقسم لهم حقوقهم.

ورأى عثمان وعليّ ، وطلحة ، وابن عمر ، رأى عمر .

وكان هؤلاء المستشارون بمثابة المجالس النيابية في هذه الأيام، وكان عمر بمثابة رئيس الدولة، الذي يملك حل المجلس أو دعوة غيره ، فصرفهم ، وأرسل إلى عشرة من الأنصار ، خمسة من الأوس ، وخمسة من الخزرج ، من كبرائهم وأشرافهم .

فلما اجتمعوا ألقى عليهم كلمة قرر فيها الأسلوب المثالي في الحكم ، وعرض فيها حجته، وترك لهم الحرية في الموافقة أو المخالفة .

فحمد عمر الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : إني لم أزعجكم إلا لأن تشتركوا في أمانتي فيما حملت من أموركم .

« فإني واحد كأحدكم ، وأنتم اليوم تقرون بالحق ، خالفني من خالفني ، ووافقنى من وافقني.

« ولست أريد أن تتبعوا هذا الذي هواى . معكم من الله كتاب ينطق بالحق ، فو الله لئن كنت نطقت بأمر أريده ما أريد به إلا الحق .

قالوا : قل ، نسمع يا أمير المؤمنين .

قال : قد سمعتم كلام هؤلاء القوم الذين زعموا أنى أظلمهم حقوقهم، وإني أعوذ بالله أن أركب ظلما ، لئن كنت ظلمتهم شيئاً هو لهم ، وأعطيتهم غيره لقد شقيت .

ولكن رأيت أنه لم يبق شيء يفتح بعد أرض كسرى ، وقد غنمنا الله أموالهم وأرضهم وعلوجهم، فقسمت ما غنموا من أموال بين أهله، وأخرجت الخمس فوجهته على وجهه ، وأنا في توجيهه .

« وقد رأيت أن أحبس الأرضين بعلوجها ، وأضع عليهم فيها الخراج ، وفي رقابهم الجزية، يؤدونها فتكون فيئا للمسلمين : المقاتلة والذرية ، ولمن يأتي من بعدهم .

« أرأيتم هذه الثغور ؟ لا بد لها من رجال يلزمونها .

« أرأيتم هذه المدن العظام كالشام ، والجزيرة ، والكوفة ، والبصرة ، ومصر ، لا بد من شحنها بالجند ، وإدرار العطاء عليهم فمن أين يعطى هؤلاء إذا قسمت الأرضون والعلوج(1)؟!

فقالوا جميعا : الرأي رأيك ، فنعم ما قلت وما رأيت ، إن لم تشحن هذه الثغور، وهذه المدن بالرجال ، وتجرى عليهم ما يتقوون به رجع أهل الكفر إلى مدنهم !!!

## عمر يحبس الأراضي الزراعية ... ويرفض توزيعها على الفاتحين!

فقال عمر : قد بان لي الأمر .. فمن رجل له جزالة وعقل ، يضع الأرض مواضعها ، ويضع على العلوج ما يحتملون ؟

فاجتمعوا له على عثمان بن حنيف وقالوا : تبعثه إلى أهم من ذلك ، فإن له بصرا وعقلا وتجربة.

فأسرع إليه عمر فولاه مساحة أرض السواد .

فأدت جباية سواد الكوفة قبل أن يموت بعام مائة ألف ألف درهم !

## الدولة تسترد أملاكها!

أما الأرض التي أقطعها بجيلة ، وكانت بجيلة ربع الناس ، في القادسية .

وكان عمر جعل لجرير وقومه ربع ما غلبوا عليه من السواد، فأخذوه سنتين أو ثلاثاً .

ثم إن جريرا وفد إلى عمر ، فقال له : يا جرير لولا أني قاسم مسئول ، لكنت على ما جعلت لكم ، وإني أرى الناس قد كثروا فردوا ذلك على المسلمين

ففعل ، وفعلوا .

وأعطاهم عمر ثمانين دينارا .

ما هذا ؟ . هذا مبدأ خطير .. لقد كان لقبيلة بجيلة ربع الأراضي الزراعية ، بين نهري دجلة، والفرات ، كان هذا حقا لهم ثابتاً ، يملكونه ، لقاء ما بذلوا ، وقاتلوا في فتح العراق ، حيث كانت جيوشهم ربع جيوش الفاتحين .

واستمرت تلك القبيلة تملك ربع الأراضي الزراعية بالقطر العراق ثلاث سنين .

إلا أن عمر بعبقريته العجيبة ، رأى أن ذلك أصبح ظلماً غير مقبول ، فانتهز فرصة قدوم جرير — زعيم تلك القبيلة إليه — وقال له : يا جرير لولا أني قاسم مسؤول ، لكنت على ما جعلت

---

(١) العلوج: الرجال .

لكم.

لولا أني رئيس الدولة ، وأنا قاسم لأموالها بالعدل بين شعبها ، ومسئول عن العدالة الاجتماعية بين طبقات الشعب كلها . . .

لولا ذلك لأقررتكم على ملكية ربع أراضي العراق الزراعية ولكن الأمر غير ذلك ، أنا رئيس الدولة ، والدولة مسئولة عن الشعب كله ، وليس من العدل في شيء أن تستأثر قبيلة بربع أراضي قطر بأكمله ... لا بد من إعادة النظر في الأمر .

« وإني أرى الناس قد كثروا ، فردوا ذلك على المسلمين ».

إن عدد السكان يزداد ، وتلك الزيادة أصبحت تستلزم رد الأراضي التي بأيديكم إلى المسلمين، إلى الدولة ، إلى الأملاك العامة.

ما هذا ؟ ... لقد كانت ربع الأراضي الزراعية بالعراق مازالت بأيدي تلك القبيلة ، فلم يكن عمر مطمئناً إلى ذلك الوضع الشاذ فما زال بزعيمهم، حتى نزلوا عنها ، وردت إلى أموال الشعب، تلبية للزيادة المستمرة في عدد السكان ... إني أرى الناس قد كثروا ... فردوا ذلك على المسلمين.

فأين ومن أين ؟... أين قادة العالم كله ليسمعوا... أليس هذا تصرف عمر ؟!! .

## لكل مواطن ما يكفيه!

( ورُوِى ) أن عمر صالحهم ، من ربع السواد ، على أن فرض لهم في ألفين من العطاء.

ما معنى هذا ؟ ... معناه أن عمر حين استرد ربع أرض العراق ، الذي كان بأيدي تلك القبيلة . . .

لم يقف بعد ذلك جامدا ، وليكن ما يكون ، وإنما كان إنسانا، ولم يكن جبارا عنيدا ...

فرض ... قرر لهم ألفين من العطاء .

فرض لهم مهايا ثابتة ، يأخذونها من خزانة الدولة ، بدلا من امتلاكهم لربع الأراضي .

إنه مبدأ الكفاية ... يأخذون ما يكفيهم ، وما يقوم باحتياجاتهم .

أما أن يحتكروا امتلاك الأراضي من دون الناس ، فلا . . إن هذا نوع ظلم يأباه عمر !!!

## قضية خطيرة جدًا!

والآن نأخذ أنفاسا عميقة ... ونتأمل طويلا ، تلك القضية التي عاناها عمر ، وشغلت الشعب الإسلامي على عهده ...

ها هو عمر يصول ويجول بين أصحاب رسول الله — ﷺ — ، يناقش تلك القضية ، وها هو

فريق المعارضة يقول بضرورة توزيع أراضي العراق على الفاتحين ، كما هو النظام المتبع في الغنائم عموما .

وها هو عمر يرى رأيا جديدا ، ويتطور في القضية تطورا عجيباً ، ويستنبط رأيه هذا من كتاب الله ، فيدل بذلك على أن فقه عمر فقها عالياً ، وأن الحق يدور مع عمر حيث دار .

وقال عمر : إني قد وجدت حجة .

ثم ساق الآيات من سورة الحشر ... ثم قال : فكيف أقسمها بينهم فيأتي من بعدهم فيجدون الأرض بعلوجها (رجالها) قد اقتسمت، وورثت عن الآباء، وحيزت ؟ ما هذا برأي ! .

فيقول له عبد الرحمن بن عوف ، زعيم المعارضة : فما الرأي؟. ما الأرض والعلوج إلا مما أفاء الله عليهم ؟!

فيقول عمر : ما هو إلا كما تقول ، ولست أرى ذلك ... فإذا قسمت أرض العراق بعلوجها ( رجالها ) وأرض الشام بعلوجها ، فما يسد به الثغور ؟ !.

إن عمر حائر ، شديد الحيرة في هذا الأمر الخطير ، فالقرآن صريح في أن الواجب هو قسمة الغنائم على المحاربين ، أربعة أخماسها لهم ، والخمس للدولة ...

ولكن عمر غير ميال إلى تطبيق هذا المبدأ على الأراضي الزراعية ؛ لأنها مصدر رئيسي من مصادر الحياة للشعب ، فإذا قسمت بهذا النحو الثغور ، فمن أين للدولة الإنفاق على جيوشها الكثيرة في قواعدها ومعسكراتها العديدة .

ومن أين للدولة المصادر التي تعتمد عليها الأجيال القادمة في أرزاقها ؟

لو أن عمر اتجه إلى تقسيم الأراضي الزراعية على المحاربين . . فمعنى هذا أن مصادر الثروة ستكون في أيدي طبقة واحدة من الأمة ، هي طبقة المحاربين ، وللشعب بعد ذلك أن يأكل الهواء!.

لا بد إذن من نظرة جديدة ، متطورة ، إلى اقتصاد الأمة على أن تكون هذه النظرة في حدود ما رسم الله ، وأنزل إلى عباده .

وصاح عمر صيحته الشهيرة : إني قد وجدت حجة ! .

لقد كان عمر يخوض معركة جماهيرية عنيفة ... الأمة من حوله قد انشقت انشقاقا خطيرا في هذا الأمر . . .

فريق يرى ضرورة التطبيق الحرفي ، وتوزيع الأراضى فورًا على المقاتلين ؛ لأنها جزء من الغنيمة.

وفريق يرى رأى عمر ، ويميل إليه ، ويرى ألا توزيع ، بل تطور في التطبيق .

وفرح عمر أشد الفرح حين لمع في رأسه شعاع من كتاب الله . . فقرأ آيات سورة الحشر . . وظل يستخرج منها ... حتى تناهى إلى قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر ١٠]

فقال من فوره : فكانت هذه عامة للمقاتلين، وغيرهم .فكيف أقسمها بينهم فأتى من بعدهم فيجدون الأرض بعلوجها قد اقتسمت، وورثت عن الآباء وحيزت ؟ ما هذا برأي .

وأطلقها عمر خالدة خلود الحقائق الكونية ، أن أرض العراق لن تقسم ، وسوف تبقى بأيدى أهلها ، وتتحول إلى أرض خراج ، أي: من أراد استثمارها من الشعب فله ذلك ، نظير خراج معين ، إلا أن عمر ، رجل الإسلام العظيم ، ما كان ليستبد برأيه ، ولو كان حقا . وها هو يسعى ليأخذ من الأمة إجماعا على اتجاهه الجديد . .

ها هو يرسل إلى عشرة من الأنصار ، خمسة من الأوس وخمسة من الخزرج ... وها هو يخطب فيهم في أخطر قضية بشرية . . : إني لم أزعجكم إلا لأن تشتركوا في أمانتي فيما حملت من أموركم ، فإني واحد كأحدكم ، وأنتم اليوم تقرون بالحق خالفني من خالفني ، ووافقني من وافقني . ولست أريد أن تتبعوا هذا الذي هواى، معكم من الله كتاب ينطق بالحق ، فوالله لئن كنت نطقت بأمر أريده ، ما أريد به إلا الحق .

انظر إلى أمانة العرض . . عمر . . رئيس الدولة ... يبسط القضية في أمانة وصدق ... ويقرر أن الأمة منها من خالفه ، ومنها من وافقه .

ثم يقول للعشرة أنه لا يريد منهم أن يتبعوا هواه ، وإنما يرجعوا إلى كتاب الله الذي ينطق بالحق ، وأنه لم ينطق بما نطق إلا إرادة الحق .

فماذا قالوا لعمر ؟ . . قالوا : قل نسمع يا أمير المؤمنين .

إن الشعب يريد أن يسمع من عمر .

وأنا أدعو الشعب الآن ليسمع كذلك من عمر فاستمعوا جميعاً، وأنصتوا ... إن عمر رجل الدولة الأعظم سوف يعلن أخطر قرار اقتصادي عالمي .

## بيان هام من رئيس الدولة الأعظم!

قال عمر : قد سمعتم كلام هؤلاء القوم الذي زعموا أني أظلمهم حقوقهم .

« وإني أعوذ بالله أن أركب ظلما ، لئن كنت ظلمتهم شيئاً هو لهم، وأعطيتهم غيره لقد شقيت .

« ولكن رأيت أنه لم يبق شيء يفتح بعد أرض كسرى ، وقد علمنا الله أموالهم وأرضهم

وعلوجهم .

« فقسمت ما غنموا من أموال بين أهله ، وأخرجت الخمس ، فوجهته على وجهه ، وأنا في توجيهه .

« وقد رأيت أن أحبس الأرضين بعلوجها ، وأضع عليهم فيها الخراج ، وفي رقابهم الجزية، يؤدونها ، فتكون فيئًا للمسلمين المقاتلة، والذرية ، ولمن يأتي من بعدهم .

« أرأيتم هذه الثغور ؟ . لا بد لها من رجال يلزمونها .

« أرأيتم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر ؟ لا بد من شحنها بالجند، وإدرار العطاء، فمن أين يعطى هؤلاء إذا قسمت الأرضون والعلوج ؟

## ماذا كان رأي الشعب!

فقالوا جميعاً : الرأي رأيك ، فنعم ما قلت ، وما رأيت إن لم تشحن هذه الثغور ، وهذه المدن بالرجال ، وتجرى عليهم ما يتقوون به ، رجع أهل الكفر إلى مدنهم .

واجتمع للقضية الخطيرة إجماع الشعب ، وإجماع الحكومة ، فأصبحت رأيا إسلاميا مقررا إلى الأبد.

فحبس عمر أراضي العراق الزراعية ، تنفيذاً لكتاب الله ، وتنفيذًا لإرادة الشعب . وتنفيذًا للعدالة الاجتماعية التي هي جوهر الإسلام .

وأصبحت أراضي العراق الزراعية ، بين دجلة والفرات ، بيد أهلها ما يأتي من خراجها يرد في جميع الشعب ، المحاربين ، وذرياتهم ، ومن بعدهم .

وانشقت من القضية قضايا خطيرة ، وتقررت مبادئ عظمى ، صارت من بعد منارات تهتدى بها الجماهير في سيرها العام .

المبدأ الأول : أن حبس مصادر الثروة ، أمر قرره عمر ، وقررته معه الأمة الإسلامية ، فصار إجماعا واجب التنفيذ .

المبدأ الثاني : أن للدولة أن تحبس ما شاءت من مصادر الثروة ، ومؤسسات الإنتاج ، ما دام ذلك يحقق عدلا اجتماعيا ، ويمنع استغلالا واقعاً .

المبدأ الثالث : أن عمر توسع في تطبيق مبدأ حبس مصادر الثروة فيما كان من فتوحات بعد العراق . . في الشام في مصر .

هذا ... وأما المبدأ الرابع فهو اتجاه الإسلام نحو التطور دائما ، والتقدم دائما .

إن الإسلام نظام حضاري إلى أبعد حدود التقدم ، ونظام تطوري إلى آخر مدى يتصوره

إنسان .

وآية ذلك أن عمر رأى أن يستعمل عقله ، حتى فيما نزل من عند الله ، ونطق به القرآن، وما زال يتابع الآيات ، ويسبح في أنوارها ، حتى استخرج منها لؤلؤته الخالدة من قوله سبحانه ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ فأدخل الأجيال كلها ، والشعوب كلها في إطار (من بعدهم) واعْتبر لهؤلاء حقًا ثابتًا في أراضي العراق!.

عجبا لك يا ابن الخطاب ! .. يا دُرَّة العقول ، ونور الألباب ! . أي: تطورية ، وأي تقدمية تؤخذ من استنباط عمر ؟ .

ولكننا نحن المتخلفون ... هناك تخلف في تفكيرنا ، تخلف في زراعاتنا، تخلف في صناعاتنا، تخلف في عاداتنا ، تخلف في أذواقنا ، تخلف في كل شيء ... حتى في فهمنا لديننا ! !

ظلمات ... ظلمات ... بعيدة ... بعيدة جدا ... تلك التي نشأنا فيها ... فباعدت بيننا وبين حقيقة ديننا .

تالله إن الإسلام لأكبر دعوة إلى التطور ، ولكن المفاهيم الخاطئة التي عششت في رءوسنا هي التي حالت بيننا وبين روحه الحقيقية !

الإسلام الذي حول أضيع أمة ، وأفقر أمة ، الحفاة العراة ، إلى قادة عالميين ، يقودون العالم كله نحو آفاق الحق والحرية والعلم والحضارة . .

أفبعد هذا من دليل على ما في طبيعة هذا الدين من دفع نحو التطور والتقدم ؟ .

فمن أين إذا ما نحن فيه ؟ ... من شيء واحد ... لقد انسلخ العالم الإسلامي من جوهر الإسلام ، وبقى منسوبا إلى هذا الإسلام !!!

أما المبدأ الخامس: فهو أن الاجتهاد فريضة على الأمة الإسلامية والاجتهاد بلغة الفقهاء القدامى ، هو ما نسميه التطور الفقهي بلغة اليوم .

ولا يجوز أن يقفل باب الاجتهاد إلا إذا جاز أن نقفل باب الحياة على الأحياء .

فإذا استحال وقف الحياة ، فقد استحال وقف الاجتهاد . ذلك أن الاجتهاد في العالم الإسلامي القديم ، كان عبارة عن آراء العلماء فيما يستحدث من أمور الحياة ، التي هي نتيجة طبيعية لتطور الحياة وتقدمها .

لقد صار للأمة الإسلامية فقهاء يجتهدون ، يوم اندفعت في حياتها ، فاندفعت تلتمس حكم دينها فيها يجري، ويبتكر في حياتها.

والعكس صحيح ... لقد أقفل باب الاجتهاد ، يوم وقفت حياة المسلمين ، يوم جمدوا ، يوم ماتوا ، يوم ذلوا ، وضاعوا ، وناموا.

ومن هنا تتلألأ قاعدة أغلى من كل شيء ... إن فتح باب الاجتهاد سُنة كونية مترتبة على عودة الأمة إلى الحياة ، لا تحتاج إلى السادة العلماء ليأذنوا للناس بفتحها .

ذلك أن الحياة ماضية ، رضى العلماء أم لم يرضوا ؛ لأن الحياة إرادة الله ، ولا راد لإرادة الله.

ومتى كانت هناك حياة ، فهناك تطور ، هناك تقدم .

ومتى تطورت الأمور ، وتقدمت الحوادث ، كان السؤال البديهي من كل مسلم ومسلمة: ما هو حكم الله في هذا الأمر ؟!

فلا بد من الإجابة فورًا ، وإلا فالويل للعلماء من الجماهير . إن الجماهير حينئذ تنطلق ولا تبالى ، ما دام العلماء قد تخلفوا عنها، ولم يتقدموا معها .

وهذا هو السر فيما كان من عداء شديد بين الجماهير إذا ثارت على أوضاعها القديمة ، إرادة التطور والتقدم ، وبين رجال الدين الجامدين .

ولو فقه رجال الدين الجامدون حقيقة دينهم ، وتطوروا مع شعوبهم في إطار النصوص السماوية، لضاقت الهوة بين الفريقين . . .

ولكنهم يجمدون ، ويتحجرون ، ويحمّلون الدين عار جمودهم !.

ولو أنهم سارعوا إلى الجماهير الثائرة ، وأسعفوها بما يحسن توجيهها نحو التقدم ، مما أنزل الله، لأمكن لكل ثورة أن تتجه نحو الله .

ولكن الثوار يريدون أن ينطلقوا ، بينما هؤلاء يريدون لهم أن يجمدوا ... فتكون الطامة... حيث يستحيل أن تمنع الفقاقيع التيار من المرور ، إن التيار سوف يجرفها ويمضى !

فليعقل الذين لا يعقلون ... وليفهموا أن فتح باب الاجتهاد حقيقة لازمة رغم تلك السخافات التي نرى بعض كتب الفقه القديمة محشوة بها... من أن باب الاجتهاد قد سُدّ وأوقف؛ لأنه لا يوجد من هو أهل لذلك .

لقد كان قولهم هذا تعبيرا صحيحا يعكس أحوال هؤلاء الفقهاء في عصورهم المظلمة .

ولو بقيت حياة المسلمين متدافعة ، عزيزة ، مستمرة نحو التقدم والتطور ، في أيامهم ، لما استطاعوا أن ينطقوا بذلك ولكنهم كانوا كأهل زمانهم .

والآن ... وقد انبعثنا ، وانطلقت إرادتنا الحرة ، تقرر وجودها، بدون تسلط عليها . . .

الآن تشتد حساسيتنا ، ويشتد شعورنا بالتخلف في كل نواحي حياتنا .

نتطلع إلى السادة العلماء ليسعفونا بحكم ديننا فيما نحن آخذين فيه من تطور وتقدم متدافع

يتموج نحو الأحسن .

وهنا يصبح فتح باب الاجتهاد فريضة شرعية ، وسنة كونية ، تفرض نفسها علينا فرضاً، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

كيف نلائم بين ديننا ، وانبعاثنا التطوري الجديد . . .

هل يمكن الملاءمة بين كليهما ؟ .

تلك هي مهمة الاجتهاد ... أو التطور بلغة اليوم .

ولقد اجتهد عمر، وأفتى في مشكلة من أعقد مشاكل الاقتصاد الحديث ... وكان اجتهاده أن يحبس أرض العراق الزراعية، ولا يوزعها . . .

ثم توسع عمر في التطبيق ، فلم يكتف بحبس أراضي العراق الزراعية ، بل انطلق يحبس أراضي الشام ، ثم انطلق يحبس أراضي مصر .

هل هذا صحيح ، وواقع تاريخي ، أم هو خيال مؤلف ؟ .

الواقع أنه حق واقع ، واتجاه عام شامل لعمر .

فما دليل ذلك ؟ . دليله ما هو آت ... فتقدم واقرأ ، ثم قم واحْكُم !

## حبس أراضي الشام!

كتب قائد عام القوات المسلحة بالشام ، أبو عبيدة بن الجراح ، إلى أمير المؤمنين ، بهزيمة المشركين في الشام ، وبما أفاء الله على المسلمين ، وما أعطى أهل الذمة من الصلح ، وما سأله المسلمون من أن يقسم بينهم المدن وأهلها ، والأرض وما فيها ، من شجر أو زرع ، وأنه أبي ذلك عليهم ، ويسأله أن يكتب إليه برأيه فيه ...

تأمل ... الفاتحون يطالبون القائد العام بتوزيع الأراضي الزراعية وما فيها من شجر أو زرع عليهم ... وأبو عبيدة يرفض ذلك الاتجاه ! .

أبو عبيدة يميل إلى اتجاه آخر ... إلى اتجاه حبس هذه الأرض ولكن أبا عبيدة لا يستطيع ذلك الأمر الخطير ، العظيم ، إلا إذا رجع إلى أمير المؤمنين ، فكتب إلى عمر يستفتيه، ويسأله أوامره ، في الموضوع .

فماذا كان جواب عمر ... في أخطر قضية اقتصادية سياسية ؟ وأنا أنادي البشرية كلها بصوت جهوري : انتباه انتباه استمعوا إلى قرار رئيس الدولة الأعظم ، عمر بن الخطاب ، الذي جعل الله الحق على لسانه وقلبه ، في أهم قضية عالمية .

كتب إليه عمر: « إني نظرت فيما ذكرت ، مما أفاء الله عليك ، والصلح الذي صالحت

عليه أهل المدن والأمصار ، وشاورت فيه أصحاب رسول الله – ﷺ –

فكل قد قال في ذلك برأيه .

وإن رأيي تبع لكتاب الله تعالى

وقال الله تعالى :﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ ﴾ وهم المهاجرون الأولون .

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ ﴾ فإنهم الأنصار .

﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ ولد آدم ، الأحمر ، والأسود.

فقد أشرك الله الذين من بعدهم ( أي من المسلمين ) في هذا الفيء إلى يوم القيامة .

فأخر ما أفاء الله عليك في أيدى أهله .

واجعل الجزية عليهم بقدر طاقتهم ، تقسمها بين المسلمين .

ويكونون عمار الأرض ، فهم أعلم بها وأقوى عليها.

ولا سبيل لك عليهم ، ولا للمسلمين معك أن تجعلهم فيئًا ، وتقسمهم ، للصلح الذي جرى بينك وبينهم ، ولأخذك الجزية منهم بقدر طاقتهم .

فإذا أخذت منهم الجزية ، فلا شيء لك عليهم ولا سبيل.

أرأيت لو أخذنا أهلها ، فاقتسمناهم ما كان يكون لمن يأتي من بعدنا من المسلمين ؟ والله ما كانوا يجدون إنسانا يكلمونه ، ولا ينتفعون بشيء من ذات يده .

فاضرب عليهم الجزية ، وكف عنهم السبي ، وامنع المسلمين من ظلمهم ، والإضرار بهم ، وأكل أموالهم إلا بحقها .

ووفِّ لهم بشرطهم الذي شرطت لهم، في جميع ما أعطيتهم »

## قواعد عامة خطيرة!

ماذا في قرار عمر ؟ .

ماذا قال الرجل الذي لم تشهد الأرض مثله ، عدلا ، وقوة ، وشدة في الحق ؟ .

ومثل عمر إذا تكلم ، وجب على الآدميين جميعاً أن ينصتوا

ومثله إذا حَكَم ، وجب على البشرية أن تفكر فيما حكم ...

ومثله إذا فصل في قضية ، أصبح لزاماً على المسلمين أن يتبعوها ، ويتفهموها ، وينفذوها..

؛ لأن عمر ، هو الرجل الذي آتاه الله فقه هذا الدين ووفقه إلى تطبيقه ، فما قاله فهو قول الإسلام ، وما حَكَم به فهو حُكْم الاسلام .

ثم فوق ما هو رجل الاسلام الأول ، فإنه رجل عالمي ، إنساني ، ارتفع وسما ، حتى أصبح مثالا عاما لكل الناس ، مهما تنوعت عقائدهم ، واختلفت نظراتهم إلى الحياة .

أيا عمر ... لماذا عقمت النساء فلم تلد مثلك ؟

والآن ... نطلق القواعد الصاروخية ، أو نطلق الصواريخ العمرية ، من قواعدها ، عبر التاريخ، وعبر القرون ، فتكتسح أمامها تلك العفونات المترسبة في أعماق المسلمين ، من آماد وآماد.

أما الصاروخ الأول الذي نطلقه ... فقول عمر : إني نظرت فيما ذكرت، وشاورت فيه أصحاب رسول الله — ﷺ —، فكل قد قال في ذلك برأيه .

مبدأ عام ... سياسة الدولة العليا ، ليست من حق رئيس الدولة وحده ، يستبد بها كيفما شاء ، كلا ، وإنما شاورت فيه أصحاب رسول الله، وعرضت عليهم القضية ، وإنها لأخطر قضية تلك الأراضي الشاسعة بالشام ، أراضي سوريا ، والأردن ، فلسطين ، ولبنان ...

وقال كل من أصحاب رسول الله في القضية برأيه . . .

حرية الكلمة ... ليس لعمر ، ولا لأي رئيس دولة ، أن يمنع الناس من حرية الكلمة ...

ها هم أولاء أصحاب رسول الله يقولون ، ويختلفون ، فمن ذاهب إلى الاتجاه الرأسمالي ، وقائل بتقسيم الأراضي على الناس، وتمليكها لهم.

ومن ذاهب إلى الاتجاه الآخر ، وقائل بمنع التقسيم ، وحبس الأراضي بيد الدولة . . .

وعمر ... رئيس الجمهورية ... رجل الدولة الأعظم ... يستمع من هؤلاء ، وهؤلاء!!!

ليس هناك إرهاب مسلط على أحد ، وإنما الكل آمنون مطمئنون ..

لا يؤثر في عمر ، أن خالفه هذا ، أو أيده ذاك ؛ لأنه رئيس الدولة ، ويجب عليه أن يتنزه عن الأهواء والشهوات ! .

يا له من صاروخ ! ... وأين الصواريخ التي تتبارى فيها الإنسانية اليوم ، وتتنافس في صناعتها، من ذلك الصاروخ الذي أطلقه عمر منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام ، وما زال حتى الآن ينطلق، ويدوى عبر القرون ؟ .

## صاروخ الشورى ... والحرية!

في الشورى تتجلى الحقائق ، والحرية تحقق الشورى .

فلا يتصور أن تكون هناك شورى ، إلا إذا كانت هناك حرية .

ولا يتصور أن يكون هناك حرية ، إلا إذا كان هناك أمن للجميع .

ولقد كان كل ذلك حقائق ثابتة نافذة في عهد عمر . . .

وكان هو يفرح بمن ينتقده ، ويسر بمن يهدى إليه عيوبه .

ولكن لماذا لم يستبد عمر برأيه ، ويقرر مباشرة ، حبس أراضي الشام ، وعنده سابقة مقررة عندما أجمعوا على حبس أراضي العراق ؟ .

ألم يكن كافيا هنا قياس أمر على أمر ؟ .

كان يمكن ذلك ... ولكن الشورى كانت فطرة في هؤلاء

الناس ، حاكمهم ومحكومهم ، رئيسهم وشعبهم .

من أجل ذلك شاور عمر أصحاب رسول الله — ﷺ — في الأمر .. ومن هنا ندرك أن حكم الإسلام حكم شورى، وأن الحكومة ملزمة بهذه الشورى دائما وأبدا ، خصوصا في مهام الأمور.

وأي شيء أهم من تقرير اتجاه الدولة حيال مصادر الثروة؟

لقد كان المجتمع الإسلامي يتبلور ، ويتميز ، ويؤكد شخصيته آنذاك...

فلا بد من الرجوع إلى الأمة لتقول كلمتها ، وتقرر إرادتها ...

## كلمة الله هي العليا!

ثم ندخل الآن إلى القواعد الخطيرة ، لننطلق منها صاروخا جبارا ، مازال هو الآخر يشق طريقه إلى القمم العليا من هذه الحياة .

ذلك هو قول عمر : « وإن رأيي تبع لكتاب الله تعالى . . كيف هذا ؟ ... كيف يقرر الإسلام حرية الكلمة ، ثم يعود فيقيدها بتلك الحدود ، ويقول بألا يجاوز الإنسان حدود الله ؟ . أليس هذا هو الحجر على حرية الرأي ؟

كيف التوفيق بين القول بحرية الرأي ، والقول بالتقيد بحدود الله ؟

إنها لقضية غاية في الاستشكال ، ولكنها غاية في الجمال !

وكيما يكون في إمكاننا الوصول إلى سر هذه الحقيقة ، ينبغي علينا أن نفكر شيئاً ما في من هو صاحب الحق الأول في إدارة هذه الحياة ! .

فمعلوم أن الحياة لم تكن ، ثم كانت عند ما أرادها الله .

فالله موجدها ، ومبدعها ، وخالقها ، فهو صاحب الحق الأول فيها .

ومعلوم أن الناس لم يكونوا ، ثم كانوا ، عندما أراد الله أن يكونوا فالله موجدهم ، ومبدعهم ، وخالقهم ، فهو صاحب الحق الأول فيهم .

﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴾ [ الإنسان: ١، ٢]

وكانت الحياة ، وكان الناس ، تنفيذًا لإرادة الله ....

فمن حق الله الذي لا ينازعه فيه أحد ، أن يكون له الرأي الأول في الحياة ، وفي الناس

فقال الله تعالى للناس : آمركم بكذا ، وأنهاكم عن كذا ، ولكم ما بين ذلك .

ذلك أن الله وحده هو الذي يعلم العلم الكامل الأسلوب الذي يحقق السعادة الحقة لهذا المخلوق الذي خلقه المسمى بالإنسان .

وهو الذي يعلم أن الإنسان لا يستطيع وحده أن يدرك حقيقة هذه الحياة ، فلو تركه دون أن يبين له طريقه ، ضل وهوى .

فمن رحمته ، ومن حبه للإنسان ، بين له معالم الطريق الذي يسلكه . . .

وهذا حق الله على عباده ؛ لأنه أوجدهم لغاية يريدها منهم ، ومن حق المالك أن يتصرف فيما ملك .

تماماً كما تقول لطفلك : يا صغيري ، العب في حديقة البيت كيف شئت ولكن لا نقترب من خلايا النحل فإنها تؤذيك .

فينطلق الطفل يلعب في سرور ، ثم يبدو له أن يعبث بالنحل، فما يمد إليه يديه ، حتى يهاجمه النحل من كل مكان، فيصرخ الطفل : أبتاه ، أبتاه .

ويأتي الوالد مسرعا ، فيجد ابنه، وقد تورم وجهه ، وهو يبكي . ولا يدرى كيف الخلاص ... فيقول له : ألم أقل لك لا تقرب هذه الخلايا ؟!

نفس المنطق ، ونفس الفكرة ... والخلق عيال الله ! . فليس حجراً على الحرية إلا... الإنسانية أن يقول الله لعباده لا تشركوا بالله شيئا .

إلا اذا كان حجراً على حرية الانسان ، أن تقول له لا تأكل السم !

هذه كتلك ... فإذا كانت البشرية تعتبر أن نهيها عن احتساء السم نصيحة كريمة لا تحد من حريتها ، فعليها أن تعتبر أوامر الله نصائح كريمة لا تحد من حريتها .

فكيف وهو الله ... خالق كل شيء ... الذي بيده ملكوت كل شيء .. لا يكون له ذلك الحق ، مطلق الحق ؟ .

إن الناس بلغوا غاية الوقاحة ، حين لا يعطون الله حقه ، ويتوهموا أن يمنعوه سبحانه من سلطانه المطلق سبحانه سبحانه !!!

ومن هنا ينحل الإشكال ، وتسطع الحقيقة بوجهها المنير ؛ فتضئ لنا السبيل .

أما نحن فلنا الحرية كل الحرية في مباشرة حياتنا كيف نشاء ...

ذلك حق مقرر للإنسان ، فقد خلقهم الله جميعاً أحرارا .

وأما الله فله الحق المطلق أن يوجه الحياة كيفما شاء ، وإلى الوجهة التي يريدها ... ذلك حقه الذي لا ينازعه فيه منازع ، ولن يستطيع أحد أن ينازع .

« من لم يرض بقضائي ، ويصبر على بلائي ، فليخرج من تحت سمائي ، وليلتمس ربًا سواي» .

« الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، من نازعني إحداهما ، قصمته ولا أبالى » .

﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ ﴾ [ الرحمن ٣٣ ].

ومن هنا تستقيم الأمور بين الخالق والمخلوق وبين الله والإنسان.

الإنسان حُرٌّ . نعم . ولكن لله أن يوجهه الوجهة التي يُريد.

فليستمتع الانسان بالحياة ... كيفما شاء ... ولكن في حدود ما أنزل الله .

وليتناقش الانسان في أموره ... كيفما شاء ... ولكن في حدود أوامر الله .

ولقد كان عمر ، أوضح مثال ، وأصدق مقال ، لهذه الحال . حين قال : وإن رأيي تبع لكتاب الله !

نعم إن عمر يستمتع بحرية الرأي ، لكنَّ رأيه تبع لأوامر الله، في كتاب الله .

وهذا من معاني قوله سبحانه : **وكلمة الله هي العليا**

ينبغي دائما في المجتمع المسلم ، وفي الدولة المسلمة، وفي تصرفات المسلم ، أن تكون كلمة الله هي العليا ، هي النافذة ، هي المقدمة.

﴿ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ ﴾ [ الحجرات ١ ] ، لا تجعلوا آراءكم ، وأهواءكم ، مقدمة على كلام الله ، وكلام رسول الله .

ألا لا إشكال، ولا استشكال ، في هذه الحال أو في غير تلك الأحوال .

وهذا ما ينبغي علينا أن نفهمه من فقه عمر ، وموقفه الخالد في تلك المشكلة الكبرى ، مشكلة حبس مصادر الثروة الرئيسية ، في البلاد .

لقد اشتق عمر رأيه من كتاب الله ، ووجَّه الدولة كلها تلك الوجهة على أساس من كتاب الله .

فأين الدليل الذي بيدك يا عمر ؟

وهنا نطلق الصاروخ الثالث ، من قواعد عمر العالمية . . .

## عمر يبتكر مذهبه من القرآن!

نحن الآن نشهد أروع مظهر في التاريخ من مظاهر التطور ، مظاهر الاجتهاد ... حين وقف عمر يعلن كيف ابتكر مذهبه من كتاب الله ، ومن نصوص القرآن؟

هو ذا عمر يقول : قال الله تعالى : الآية ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ ﴾ وهم المهاجرون الأولون .

ثم يقول : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ ﴾ فإنهم الأنصار .

ثم يقول : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ ولد آدم الأحمر والأسود ، فقد أشرك الله الذين من بعدهم في هذا الفيء إلى يوم القيامة .

هذا هو استنباط عمر ، وإنه لاستنباط لا يخطر على بال أحد إلا عمر نفسه ...

إنه يرى أن الموارد التي تأتي من الغنائم إلى المسلمين هي لجميع المسلمين ، اشتقاقاً من قوله سبحانه ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ ، وفسرها بولد آدم الأحمر والأسود !!.

ما هذا يا عمر ؟ ... بأي عقل تفكر ، ومن الذي هداك إلى هذا التطور العجيب ؟ !

الله ألهمك يا عمر ، أم ماذا أقول ؟ !

يا أعجوبة الإسلام ، وحجة الإيمان ... يا عُمر !!

جميع الناس ، الأحمر والأسود ، كل الطبقات ، كل الألوان، صاحبة حق في موارد الدولة!.

ولكن بأي أسلوب تصل الجماهير إلى حقوقها في هذا المال؟ .

أبالأسلوب الرأسمالي ، أم بالأسلوب الاشتراكي ؟ .

هو ذا يقول ، ويفصل في القضية : فقد أشرك الله ، الذين من بعدهم ، في هذا الفيء ، إلى يوم القيامة .

تحديد ما بعده من تحديد !!!

ما أفقهك يا عمر! ... أين نحن مما كنت تفكر ؟ .

وتلك هي العبقرية الفكرية التي لا تدانيها عبقرية ... نتطور في حدود القرآن ، ونسوس أمورنا بما نفهمه من القرآن ! .

ولكن لماذا فقد المجتمع الإسلامي هذه الاتجاهات الحية ، البضة ، الجميلة ، المتطورة ، وانقلب إلى مجتمع رأسمالي ، ينهب بعض أفراده كل أرزاق الشعوب ، والجماهير تموت بين أيديهم ، وهم لا يشعرون ! .

كان ذلك ... يوم انحرفت الأمة الإسلامية عن دينها ، عن حقيقته ، وتسلط عليها الظالمون من أبنائها ، أو من غير أبنائها ، فنشأت مفاهيم منحرفة ، بعيدة عن روح هذا الدين .

فلعلك الآن قد استبان أمامك ، أن هذا الصاروخ أشد الصواريخ العمرية انطلاقا ، وأعظمها تأثيرا .

## عمر يطبق حبس الأراضي الزراعية في مصر!

وكانت موجة . . موجة عامة ، امتدت إلى كل أنحاء الدولة الإسلامية، حتى دخلت إلى مصر ...

كيف هذا ؟ ...

لما فتحت مصر عنوة ، قام الزبير بن العوام فقال : يا عمرو اقسمها .

فأبى عمرو بن العاص قائد عام القوات المسلحة الإسلامية بمصر ، ورفض أن يقسم أراضي مصر الزراعية على الفاتحين .

لقد كان عمرو متأثراً بالموجة التي سادت الدولة آنئذ .

فقال الزبير : والله لتقسمها كما قسم رسول الله – ﷺ – وسلم خيبر.

إن الزبير يقيس أراضي مصر ، على أراضي خيبر ، ولكن شتان بين وضع ووضع .

فمن يحكم في القضية إلا أمير المؤمنين ؟ .

فكتب عمرو بن العاص إلى عمر في ذلك .

فماذا كان جواب عمر ، في أخطر قضية في كيان المجتمع الاسلامي كله؟.

كتب إليه عمر أن يقيها، ولا يقسمها .

لا رأسمالية ، لا احتكارية ، لا استغلال طبقة لطبقة في الاسلام ... ولكن عدالة ، وتعاون لخير الجميع .

كيف يأذن عمر لبضعة آلاف من المسلمين أولئك الثمانية آلاف من الفاتحين ، كيف يأذن لهم بامتلاك أراضي مصر كلها ، البالغ مساحتها وقتئذ ستة ملايين من الأفدنة ؟!

أي: أن نصيب المقاتل سيكون سبعمائة وخمسين فدانا .

لم يأذن عمر بهذا القدر من الملكية الزراعية ، رغم أنه ليس كبيراً

أبي عمر ذلك إباء كبيراً ، وكتب إلى عمرو أن يبقيها ، ولا يقسمها

فما معنى هذا ؟ ... معناه كبير ... كبير جدا في مفاهيم الحقيقة، ومصالح الجماهير .

فلو أن الأرض قسمت بين الفاتحين ، فمعنى هذا أن ثمانية آلاف سيمتلكون القطر المصري وسائر الشعب المصري سيكون معدماً ، في خدمة السادة الثمانية آلاف !!!

وهذا شيء يمحه الاسلام، ويبغضه ؛ لأنه ليس من طبيعته، طبيعة العدل ، والإخاء .

من أجل ذلك كانت سياسة عمر في مصر ، هي وضع جميع أراضي مصر في خدمة كل الشعب .

كيف هذا ؟ ... قال أبو يوسف ، في كتابه الخراج ، يعبر عن عبقرية عمر في سياسته الاقتصادية ، تعبيراً يناسب أهل زمانه: « والذي رأى عمر من الامتناع من قسمة الأرضين بين من افتتحها ، عندما عرفه الله ما كان في كتابه من بيان ذلك توفيقاً من الله كان له فيها صنع ، وفيه كانت الخيرة لجميع المسلمين ، وفيما رآه من جمع خراج ذلك و قسمته بين المسلمين ، عموم النفع لحمايتهم ؛ لأن هذا لو لم يكن موقوفا على الناس في الأعطيات والأرزاق ، لم تشحن الثغور ، ولم تقو الجيوش على السير في الجهاد ولما أمن رجوع أهل الكفر إلى مدنهم إذا خلت المقاتلة والمرتزقة ، والله أعلم بالخير حيث كان » .

هذا هو أبو يوسف الفقيه الإسلامي ، منذ أكثر من ألف ومائتي عام، يقرر أمورا . . .

يقرر أن اتجاه عمر بالدولة الإسلامية وجهة عموم النفع ، في العراق ، في الشام ، في مصر، في كل مكان فيه أراضي زراعية ، وهي ثروة العالم الأساسية في ذلك الحين ، كان توفيقاً من الله لعمر، وكان فيه عموم النفع للمسلمين .

ويقرر أن ذلك هو الذي يمكن الدولة ، من تقوية الجيوش ، والدفاع عن الدولة ضد غارات أعدائها .

فلو أن الأرض وزعت على المحاربين ، واحتكروها لأنفسهم دون الملايين الكادحة ، لكانت فتنة ؛ ولأدى ذلك إلى اختلال موازين العدل بين الناس .

## اتجاه عمر أبعد من التأميم المعاصر!

الآن استبان أن عمر طبق نظام حبس الأرض في جميع أنحاء الدولة الاسلامية ، عراقها ، وشامها ، ومصرها .

وأنه كان يهدف من ذلك إلى إشراك الشعب في إيرادات تلك الثروة .

إلا أن عمر كان أبعد وأشمل في اتجاهه ، من التأميم الحديث فجعل جميع الأراضي الزراعية حبسًا ، وسمح لمن هي بأيديهم أن يستغلوها، نظير دفع الخراج إلى الدولة .

وما يتجمع من تلك الضريبة ، ينفق منه في الأعطيات والأرزاق ، أي: في المهايا والأجور، وإعداد الجيوش، وتسليحها وذلك كله لجميع الشعب .

ولكن ... أين كان مخبوءًا هذا كله ؟ ... لماذا لم نألف هذه الاتجاهات في مجتمعاتنا الإسلامية قرونا طويلة ؟.

؛ لأننا كنا نياما ... كانت بلادنا تدار من الخارج !!!

## الجماهير الكادحة أحقّ بالخدمات العامة!

استمعوا أيها الصائحون ، إلى ما فعله عمر في عهده من نظام عجيب .

حمى أرضًا ، وخصها لمواشي المسلمين على أن يقدم في الانتفاع الفقراء على أهل القطعان الكبيرة ، والعدد الكبير من الأنعام ؟

قال أسلم : رأيت عمر بن الخطاب استعمل مولى له يدعى هنيًّا على الصدقة ، فقال له: « يا هُنيء » ، ضم جناحك عن الناس ، واتق دعوة المظلوم فإنها مجابة .

« وأدخل رب الصريمة ، ورب الغنيمة (أي صاحب القليل) .

وإياي ونعم ابن عفان ، وابن عوف ، فإنهما أن تملك ماشيتهما يرجعان إلى زرع و نخل.

وإن رب الصريمة ، والغنيمة ، إن تملك ما شيته يأتيني ببينة فيقول : يا أمير المؤمنين : أفتاركه أنا لا أبالك ؟ فالماء والكلأ أيسر من الذهب والفضة ، وايم الله إنهم ليرون أنا قد ظلمناهم ، وأنها لبلادهم ، ومياههم ، قاتلوا عليها في الجاهلية ، وأسلموا عليها في الاسلام .

والله لولا أن المال الذي أحمل عليه في سبيل الله ما حميت على الناس من بلادهم شيئاً».

يا لك من عبقري يا عمر ! ... إنك تطير بالمجتمع إلى آفاق عليا ، ما زال العالم الحديث يرنو إلى تحقيقها ، وأشك أن يستطيع تحقيقها طالما أن الاستعمار يطحن بأضراسه أمما بأكملها .

إن عمر خصص أرضاً ترعى فيها جميع حيوانات الشعب .

ووضع لها نظامًا بديعًا ... أن الفقراء أحق بالرعي فيها من الأغنياء.

؛ لأنه يرى أن الأغنياء إن هلكت ماشيتهم ، وجدوا ثروة أخرى يعتمدون عليها ، وجدوا زرعا ونخيلا ... أما الفقراء فلا يجدون شيئاً ، إذا أهلكت ماشيتهم التي لا يملكون سواها .

ما معنى هذا ؟ ... معناه أن. عمر بلغت منه الحساسية مبلغا عظيما إنه يحس مشاكل الشعب ، وآلام الفقراء ... إنه عدو لطغاة الأغنياء ، يضرب على أيديهم أن يسرقوا من الفقراء حقوقهم المشروعة لهم من الدولة .

وتلك الحساسية من عمر ، هي ما تحتاجه الدول جميعًا في عصرنا الحديث .

إن العالم في حاجة إلى حكام عندهم من الحساسية ، ولو بعضًا ما كان عند عمر ... إذا لتغير وجه السياسة العالمية ، ولاتجهت الدنيا وجهة جديدة نحو الخير العام .

ولكن أنى لحاكم أن يعمل على ما فيه الرحمة بالجماهير ، وهو نفسه ليس من تلك الجماهير في شيء ، لا من طبقتهم ؛ ولا من أحاسيسهم ، ولا يعيش في مشاكلهم ؟!

ولكن انظر إلى عمر يقول للمشرف على الأرض المخصصة لرعي ماشية الشعب : وإياى ونعم ابن عفان وابن عوف ، فإنهما أن تهلك ماشيتهما ، يرجعان إلى زرع و نخل . . .

إن ماشية عثمان بن عفان ، وماشية عبد الرحمن بن عوف، لا ينبغي أن ترعى في مراعي الدولة فهناك من هم أحق بذلك وإن ماشيتهما إن تهلك يمكنهما أن يرجعا إلى زرع، ونخل يملكانه!.

فقه عجيب ... وحاسة مرهفة ، تتفاعل مع الجماهير ، في آلامها ، وأحوالها كلها .

وطالما أن الحاكم من أعماق الشعوب ، وأن الله في أعماق قلبه فحدّث ذلك عن الخير الذي يكون منه لشعبه، ولا حرج .

ولقد اجتمع ذلك كله من أطرافه لعمر ... فهو رجل شعبي، وهو رجل رباني ... وهو ممتاز في شعبيته ، وممتاز في ربانيته ... فكان منه ما لم يكن من أحد من الحاكمين ! .

ذلك شيء من عجائب نظام عمر، وإنه لقطرة من بحار حقيقة الإسلام ... ذلك النظام الشامل الكامل الخالد .

ماذا نفقه من ذلك ؟ . . نفقه منه أن سياسة عمر كانت عدالة شاملة ...

وأن الدولة في عهد عمر ، دولة خدمات للجماهير ، وليست حكرا للرأسماليين ، والاستغلاليين .

وأنها كذلك تطارد طغاة الأغنياء ، وتمنعهم أن يختلسوا حقوق الفقراء . وأن علينا أن نضرب دائما على أيدي الانتهازيين والإحتكاريين بين الطفيليين .

وأن نحرم على الأغنياء الاستمتاع بالخدمات العامة مجانًا، ونخص بها الجماهير ، الطبقات الكادحة ، الفقراء ، ومن في مستواهم .

فليس من العدل، أن يأتي الرجل القادر ؛ ليزاحم الجماهير في أقواتها ، ومساكنها ، ومنافعها.

إن نظام عمر هذا . يشير بأصابعه كلها إلى إقرار السياسة الحديثة العادلة التي تهدف إلى إتاحة الفرص للجماهير الكادحة، وتقديمهم على الأغنياء في الخدمات العامة .

فإذا كانت الدولة تبنى مساكن لمتوسطي الدخل ، فينبغي أن تحرمها على القادرين ، وأن

تضرب على أيديهم وتحول بينهم وبين مزاحمة أصحابها في الانتفاع بها .

وهكذا ... كل ذلك من الإسلام ؛ لأن كل شيء يحقق التوازن والعدالة بين الناس ، فهو مما يحبه الله ويأمر به ... ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ﴾[ النحل ٩٠]

## سياسة حبس الأراضي التي تؤدى إلى رفاهية الشعب!

ماذا كانت نتيجة حبس الأراضي في العراق ، وفى الشام ، وفى مصر ؟ .

هل أدت إلى شر أم إلى خير ؟ .

لقد أدت إلى رفاهية عجيبة ، لم يشهد العرب لها مثيلا من قبل ! .

لقد تدفقت بسببها الأموال إلى خزانة الدولة كالسيل الجارف ، مما استطاع معه عمر أن يفرض مهايا ومرتبات ومخصصات ثابتة لكل إنسان في الدولة ، ذكرا كان أو أنثى ، كبيرا أو صغيرا، حتى الأطفال ، حتى الرضع منهم ! .

ولقد بلغ نظام المرتبات في سنة ٢٠ هجرية من عهد عمر ، مبلغًا لم تصل إليه أي دولة حديثة في القرن العشرين ! .

وأنا لا أقول هذا حماسا وعصبية ، وإنما إليك هذ الحديث بالأرقام الثابتة تاريخيًا ، المسجلة في الوثائق والمراجع التي لا شك فيها !!!

## عمر يسبق عصر الذرَّة!

قال الدكتور بدوى عبد اللطيف ، في كتابه النظام المالي المقارن في الإسلام ما نصه :

« أما في عصر عمر ، فقد تغير نظام الأعطيات ، وحددت رواتب الولاة والعمال ، وذلك تمشيا مع تقدم الدولة ونموها .

اتسعت رقعة الدولة في أيامه ، وزادت ممتلكاتها ، فشملت العراق ، والشام ، ومصر ، وقسمت البلاد المفتوحة إلى تقسيمات إدارية محكمة ، فكانت مصر وما وليها قسما ، والشام وكورها قسما آخر ، والعراق يشمل قسمين كبيرين : الجهات الشمالية لفارس ، وحاضرتها الكوفة، والجهات الجنوبية وحاضرتها البصرة. وظلت جزيرة العرب على أقسامها الأولى ، وبعث الخليفة إلى كل قسم من هذه الأقسام الإدارية أميرًا حازمًا عادلا يتولى حكمها وإدارتها ، وزود كل أمير بعدد من الأعوان والمساعدين في شئون البلاد وتنظيمها ، وجباية أموالها . فكان يوجد في الولاية الكتاب، والقضاة، وعمال الخراج ، وعمال الصدقات ، ونحو ذلك مما كان متبعا في دولتي الفرس والروم ، وبلغ من شدة حرص الخليفة وعنايته بمصالح الدولة توزيع أعمالها على عمال لهم استقلالهم . فيما وكل إليهم . حتى لا تتزاحم الأعمال أو تضطرب الأمور .

فكان للصلاة والحرب عامل — وهو الأمير —، ولتحصيل الأموال عامل آخر ، ولمساحة الأرض وتقدير الضرائب وإحصاء الناس عمال لهم خبرة ودراية .

أجرى الخليفة الأعطيات على هؤلاء الأمراء والعمال والقضاة والكتاب وغيرهم ، وقدرها تقديرا يتناسب مع المنصب وما يتطلبه من الأعمال ، وقد راعى فيها أن تكون متفقة مع البيئة والمكان الذي يحل فيه العامل من حيث القرب والبعد ، ومشقة العمل، وما تتطلبه ضروريات المعاش من غلاء ورخص ، لم يجعل لصرفها موعدا ثابتاً لا يتخلف .

## الأعطيات الشهرية :

فكان بعض الأمراء يتناولون أرزاقهم كل شهر ، كعمار بن ياسر والى الكوفة ، على صلاتها وجيوشها ، الذي تقرر أن يكون راتبه ستمائة درهم كل شهر وهو أول والى حدث معه ذلك في عصر عمر ، وشريح قاضي الكوفة ، والقاضي سليمان بن ربيعة الباهلي . فكان راتب الأول مائة درهم وعشرة أجربة في الشهر ، والثاني خمسمائة درهم كل شهر .

## الأعطيات السنوية :

والبعض الآخر تقرر أن تكون رواتبهم يوميا وسنوياً ، كعثمان بن حنيف — مندوب الدولة لمساحة الأرض وتقدير الضرائب — الذي تقرر أن يكون راتبه السنوي خمسة آلاف درهم فوق راتبه اليومي ، وهو : ربع شاة ، وخمسة دراهم .

وبعض العمال كانت رواتبهم شهريًا ويوميًا ، كعبد الله بن مسعود قاضى الكوفة ، فقد كان راتبه الشهري مائة درهم ، واليومي ربع شاة .

## الأعطيات اليومية :

وقد كانت المرتبات لبعض العمال تصرف سنوياً فقط وذلك مرتب معاوية بن أبي سفيان والى الشام ، فقد كان ألف دينار كل عام ، أو يوميا فقط ، وذلك عياض بن غنم والى حمص ، إذ كان راتبه اليومي دينارا وشاة ومدا .

## المفاضلة في الأعطيات :

مما تقدم نرى أن عمر كان يفاضل بين المرتبات حسب طبيعة المنصب وخطورته ، فراتب معاوية وعمار بن ياسر أفضل المرتبات جميعاً ؛ لأنهما جعلا على الصلاة والجند ، وهي الإمارة يومئذ(١) .

---

(١) رأينا من المستحسن أن نحول هذه الأعطيات إلى العملة المصرية الحالية تسهيلا لمعرفتها ، والإحاطة بها . على اعتبار أن الدرهم يساوى أربعة قروش مصرية، والدينار ستين قرشا . (كان هذا حسب الأسعار سنة ١٩٦٠).

كذلك نرى أن موعد صرف الأعطيات لم يكن متحدا ، و لعل السبب في هذا الاختلاف يرجع إلى طبيعة الجهة ، أو إلى موسم الموارد .

وأنها كانت تصرف نقدا ذهبا وفضة — غالبا — أو ذلك مع مقدار من الحنطة والشاه .

## اهتمام عمر بأعطيات القضاة :

ونرى — أيضا — أن عمر قد اهتم بأمر القضاء ، فجعل للقاضي مرتبا محترمًا ، لعلمه أن القاضي يزيد استقلالا، ويظهر بالمظهر اللائق بمنصبه كلما كانت ناحيته المالية موفورة .

فإذا كانت أكثر الدول — الآن — تعمل على مبدأ توسيع رزق القاضي ، وإجراء الرواتب المحترمة للقضاة لكي يتفرغوا إلى عملهم ، وصرف معظم أوقاتهم لخدمة العدالة والإنسانية . فإن عمر بن الخطاب قد سبقهم إلى تقرير هذا المبدأ الخطير ، حتى تدفع الشبهة التي تتصل بذمة القاضي ونزاهته.

## أعطيات الجند :

## ( في عصر الرسول وأبي بكر )

لم يكن للجند أيام الرسول وأبي بكر فرض مقرر ، أو عطاء ثابت ، بل كان أمرهم إذا غزا المسلمون وغنموا أخذوا نصيبا من الغنائم قررته الشريعة الاسلامية ، أو ورد إلى المدينة مال من الفيء، أحضر إلى مسجد الرسول — عليه الصلاة والسلام — ، وفرق بين المسلمين ليومه ، ولم يكن ثم تفضيل في توزيع هذا الفي بل كان الكبير والصغير، والذكر والأنثى، الحر والعبد في الأعطيات سواء « قسم أبو بكر أول عام الفيء فأعطى الحر عشرة ، والمملوك عشرة ، والمرأة عشرة ، كذا

---

عطاء عمار بن ياسر في كل شهر ٢٤ جنيها مصريا .

عطاء شريح في كل شهر ١٦ جنيها مصريا .

عطاء سليمان بن ربيعة في كل شهر ٢٠ جنيها مصريا .

عطاء عثمان بن حنيف في كل شهر ٢٢ جنيها مصريا تقريبا .

عطاء عبد الله بن مسعود في كل شهر أربعة جنيهات مصرية .

عطاء معاوية في كل شهر ٥٠ جنيها مصريا تقريبا .

عطاء عياض بن غنم في كل شهر ١٨ جنيها مصريا .

وهذا يشبه ما عليه الحكومة المصرية الآن في تقدير مرتبات مثليها في الخارج ، وكذلك طلبة البعثات العلمية حين يبعثون إلى الجامعات الأجنبية ، إذ يراعى في ذلك مستوى المعيشة في تلك الجهات المختلفة.

عشرة ، ثم قسم في العام الثاني فأعطاهم عشرين .. عشرين [1] ... » .

## في عصر عمر :

## ( نظام أعطيات الجند والمبادئ التي وضعها عمر )

أما عمر فقد اهتم بتنظيم أعطيات الجند ورأى العدول عن النظام السابق إلى نظام المفاضلة[2] في الأرزاق . على أساس توزيع الطبقات وفق مبادى. كانت تلائم عصره كل الملاءمة، وهي القرب من النسب النبوي والسابقة في الإسلام ، وقرر أن تصرف معاشات رجال الإسلام على هذين المبدأين العظيمين اللذين يعتبران الآن من أهم المبادئ المقررة في الدول الحديثة .

وبذلك أصبح في مقدمة الجميع آل بيت رسول الله — ﷺ —، وكان يتسلم مخصصاتهم العباس ابن عبد المطلب ، فيتصرف فيها بما تقتضيه حكمته ، وما يراه من المصلحة ، دون أن يكون للخليفة دخل في هذا التوزيع .

ثم تلا ذلك زوجات الرسول — عليه الصلاة والسلام — مع اختصاصهن بمعاش مستقل عن آل الرسول — عليه الصلاة والسلام —.

أما بقية المسلمين فقد قسموا إلى طبقات حسب ترتيب اشتراكهم في حروب الإسلام ، فجعلت الأفضلية لأهل بدر ، ثم جاء بعدهم من حاربوا من بدر إلى الحديبية ثم من حاربوا من الحديبية إلى آخر حروب الردة . ثم تلا ذلك من شهد القادسية واليرموك ، ثم من جاء بعدهم طبقات بعد طبقات . مع ملاحظة أنه جعل مخصصات لزوجات المحاربين .

وفيما يلى بيان لميزانية المعاشات بحسب ما يستطيع الباحث استنتاجه من الروايات المختلفة في كتب التاريخ :

### ( أ ) مرتبات بيت الرسول وأزواجه :

٢٥,٠٠٠ درهم للعباس بن عبد المطلب ينفق منها على آل بيت رسول الله — ﷺ — كل عام.

٦,٠٠٠ لكل واحدة من أزواج الرسول — عليه الصلاة والسلام — في كل عام .

---

(١) هذه رواية السيدة عائشة رضي الله عنها، وفيها " قسم أبي أول عام ... ".

(٢) يقول عمر : « لا أجعل من قاتل رسول الله ﷺ كمن قاتل معه » ، على حين أن أبا بكر أبى ذلك قائلا: « هذا معاش الأسوة فيه خير من الأثرة إنما عملوا لله ، وإنما أجورهم على الله . . وليس هذا ثمنا لأعمالهم»..

**(ب) مرتبات المحاربين القدماء :**

٥,٠٠٠ درهم لكل من شهد بدرا ، وقد ألحق عمر بهم أربعة ليسوا منهم ، الحسن والحسين ابنى على لقرابتهما، وأبا ذر الغفاري، وكان من كبار الصحابة. وسلمان الفارسي، وقد أبلى أحسن البلاء في الدفاع عن الإسلام في وقعة الخندق، وإليه ينسب الفضل في حفر الخندق .

٤,٠٠٠ لكل محارب جاهد في صفوف الإسلام من بدر إلى الحديبية .

٣,٠٠٠ لكل محارب جاهد في صفوف الإسلام من الحديبية إلى آخر الردة .

٢,٠٠٠ لكل محارب جاهد في صفوف الإسلام في القادسية إلى اليرموك .

١,٠٠٠ درهم لكل محارب جاهد في صفوف الإسلام بعد اليرموك (الروادف الأولى).

٥٠٠ درهم للروادف المثنى .

٣٠٠ درهم للروادف الثليث .

٢٥٠ درهم للروادف الربيع .

٢٠٠ درهم أهل هجر والعباد .

١٠٠ درهم لكل صبى ثبت اشتراكه في حرب من الحروب.

**(ج) مرتبات زوجات المحاربين القدماء :**

٥٠٠ درهم لزوجات المجاهدين في بدر.

٤٠٠ درهم لزوجات المجاهدين من بدر إلى الحديبية .

٣٠٠ درهم لزوجات المجاهدين من الحديبية إلى الردة .

٢٠٠ درهم لزوجات المجاهدين في القادسية واليرموك .

وكان يعطى لكل فرد ممن تقدم — زيادة على عطائه — طعام جريبين كل شهر .

هذا ولم يغفل عمر أمر الغلمان والأطفال، والمولود الصغير واللقيط، فقد أجرى عليهم الأقوات، وقدر لهم الأرزاق ، وكان أدناها مائة درهم قابلة للزيادة إذا نما و ترعرع .

وعلى العموم فلم يترك عمر شخصاً من المسلمين عائلا إلا أغناه .

حتى فرض لأناس لا عشائر لهم ، ولا قبائل ، ولا موالى ينتسبون إليها ، ما بين المائتين إلى الثلثمائة.

من ذلك يتضح أن هذا التنظيم الذي أوجده عمر ، والتوزيع الذي روعي فيه القرابة والأقدمية،

والكفاية ، كان غاية في الدقة والعدالة ، حيث نال كل شخص — على حسب الدرجة التي وضع فيها — نصيبه كاملا موفورا، وأن ذلك كان نتيجة لكثرة إيرادات الدولة التي كانت تتدفق إلى عاصمة الإسلام تدفقا لم يره المسلمون من قبل.

## كيفية توزيع الأعطيات:

وكان يقوم بتوزيع هذه الأعطيات على ذويها في أرجاء الدولة الاسلامية أمراء الجيوش وعرفاؤها ، فكان عطاء كل جند من الأجناد يعطى لأمير الجيش ، فيتولى التوزيع على العرفاء ، وهم بالتالي يوزعون الأعطيات على أربابها.

وقد بلغ من شدة حرص الخليفة عمر ، وعنايته بذلك أن كان يتولى بنفسه أمر التوزيع والصرف ، والتحري في ضبطه، فكان يذهب إلى بعض القبائل ، ويعطى لكل فرد ما يستحقه في يده .. « أن عمر كان يحمل ديوان خزاعة حتى ينزل قديدا فتأتيه فلا يغيب عنه بكر ولا ثيب حتى يعطيهن في أيديهن ، ثم ينزل عسفان فيفعل مثل ذلك » .

* * *

والآن ... هل جاءك مصداق ما قلت لك ؟..

إن عمر قد سبق عصر الذرة والفضاء ... وبلغ بمجتمعه ، آخر ما ترنو إليه الإنسانية في سعيها نحو الكمال والرفاهية لكل الشعب.

لقد أصاب عمر بنظامه الإسلامي ، عصفورين بحجر واحد...

أبقى على الأراضى الزراعية بأيدي أهلها ، فهم أعلم بها ... وأخذ منهم لقاء استغلالها الخراج .

فلما تدفقت الأموال من تلك الضريبة، وغيرها إلى خزانة الدولة، دون عمر الدواوين ، وجعل لكل إنسان في الدولة الاسلامية مرتبًا ثابتًا...

للرجال مرتبات . .، وللنساء مرتبات ....، والأطفال مرتبات ....، وللعاجزين مرتبات ... وإن ما من مواطن أو مواطنة إلا وله مرتب معلوم ، تسعى به الدولة بنفسها إليه ، حتى تضعه في يديه!.

فنبئوني بعلم ... هل من نظم العالم القائمة الآن نظام بلغ ذلك الحد من الكمال ؟!

## عمر يتطور ويأخذ بنظام الرومان!

وكان الداعي إلى العطاء ، أنه لما كثرت الأموال ، جمع عمر ناسا من أصحاب رسول الله — ﷺ — فقال:

« ما ترون ؟. فإني أرى أن أجعل عطاء الناس في كل سنة؛ وأجمع المال فإنه أعظم للبركة».

فقال علي بن أبي طالب : تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من مال ، ولا تمسك منه شيئًا.

وقال عثمان بن عفان : أرى مالا كثيرا يسع الناس ، وإن لم يجدوا حتى تعرف من أخذ من لم يأخذ ، خشيت أن ينتشر الأمر .

فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة : يا أمير المؤمنين ، قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا (سجلات) ، وجندوا جنودا، فدون ديوانًا ، وجند جنودا.

فأخذ عمر بقوله.

فدعا عقيل بن أبي طالب ، ومخزمة بن نوفل ، وجبير بن مطعم ، وكانوا نساب قريش ، وكتابه.

فقال : اكتبوا الناس على منازلهم. فكتبوا فبدءوا ببني هاشم ثم اتبعوهم أبا بكر وقومه ، ثم عمر وقومه على الخلافة.

فلما نظر إليه عمر قال : « وددت والله أنه هكذا ، ولكن ابدؤوا بقرابة النبي - ﷺ - ، الأقرب فالأقرب ، حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله» وكان ذلك سنة عشرين.

## العمل أساس الشرف!

قال أسلم : رأيت عمر بن الخطاب ، حين عرض عليه الكتاب (السجلات) و بنو تيم على أثر بنى هاشم ، و بنو عدى على أثر بني تيم ، فأسمعه يقول : ضعوا عمر موضعه ، وابدءوا بالأقرب فالأقرب من رسول الله - ﷺ - .

فجاءت بنو عدى إلى عُمر ، فقالوا : أنت خليفة رسول الله - ﷺ -، فلو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم ؟

إنهم يريدون من عمر ، أن يقدم نفسه على الناس ؛ لأنه أمير الناس، فهل رضى عمر ذلك الاتجاه ؟

لا ... فإن عمر لا يحيد عن الحق أبدا ... فلنسمع إلى جواب عمر.

قال : « بخ بخ بني عدي ، أردتم الأكل على ظهري ، وأن أهب حسناتي لكم؟!. لا والله حتى تأتيكم الدعوة ، وإن أطبق عليكم الدفتر (أى ولو أن تكتبوا آخر الناس ).

وإن لي صاحبين سلكا طريقا ، فإن خالفتهما خولف بي.

والله ما أدركنا الفضل في الدنيا ، ولا ما نرجو من الآخرة من ثواب الله على عملنا ، إلا بمحمد ، فهو شرفنا ، وقومه أشرف العرب، ثم الأقرب فالأقرب.

إن العرب شرفت برسول الله — ﷺ —، ولو أن بعضها يلقاه إلى آباء كثيرة ، وما بيننا وبين أن نلقاه إلى نسبه ثم لا نفارقه إلى آدم إلا آباء يسيرة.

ومع ذلك ، والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال ، وجئنا بغير عمل ، فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة.

فلا ينظر رجل إلى القرابة ، ولنعمل لما عند الله ، فإن من قصر به عمله ، لم يسرع به نسبه»

هذا جواب عمر ... وإنه لجواب ... يتلألأ لألاؤه ، ويشع سناؤه، أبد الآبدين.

ولو ذهبنا وراء كل كلمة من جوابه ، نتمدد مع إشعاعاتها ، لطارت بنا إلى ما وراء الآفاق، وما لا يدرك من المعاني .

إلا أننا نكتفي منها بعبارة واحدة ، تمس وترًا حساسًا من نفوسنا نحن البشر ، وهو وتر المساواة بين الجميع.

يقول عمر : لئن جاءت الأعاجم بالأعمال ، وجئنا بغير عمل ، فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة.

فالشرف عند عمر للعمل ، لا للنسب ، ولا للطبقات ، ولا للأوضاع الاجتماعية .

العمل هو الذي يرفع الإنسان عند الله ، ويجعله أولى بمحمد، من القرشيين ، وأصحابه .

ثم يقول عمر : فلا ينظر رجل إلى القرابة ، ولنعمل لما عند الله ، فإن من قصر به عمله، لم يسرع به نسبه .

يوجه عمر أنظارنا إلى أسمى طريق نحو المساواة ... لا ينظر أحد إلى القرابة ، لا يعتمد على أقاربه ، وليعمل .. ولكن أي عمل ؟ .. لما عند الله ، لوجه الله ، ابتغاء ثواب الله .

ثم يطلقها خالدة : فإن من قصر به عمله لم يسرع به نسبه! وهذا هو التشريف بالعمل... وإنه لأصدق ميزان بين الناس.

أشرفهم أعملهم لما عند الله . .

ومتى استقر ذلك المعنى في نفوس المجتمع ، أحبوا العمل، وانطلقوا يعملون ، ويعملون لأنهم يعلمون أن العمل هو السبيل الوحيد ليشرفوا، ويرتفعوا .

وبذلك تنقرض طبقة العاطلين بالوراثة ، ويتحول المجتمع إلى خلية دائبة ، متفاعلة ، تعطي وتأخذ وتعمل !!!

## عمر يرجع إلى رأي أبي بكر!

كان أبو بكر قد سوى بين الناس في القسم ، فقيل لعمر في ذلك فقال : لا أجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه ، فكان يقدم الأقرب فالأقرب من رسول الله — ﷺ —.

فإذا استووا في القرابة ، قدم أهل السابقة ، حتى انتهى إلى الأنصار

فقالوا : بمن نبدأ ؟

قال : ابدءوا برهط سعد بن معاذ ، ثم الأقرب فالأقرب إليه.

ولما رأى المال قد كثر ، قال : إن عشت إلى قابل ، لألحقن آخر الناس بأولهم ، حتى يكونوا في العطاء سواء .

فتوفى عمر قبل ذلك.

وكان رأيه التفضيل في الأعطية على السوابق ، ورأى أبي بكر التسوية بينهم ، وكان يقول : هم إخوة ، أبوهم الإسلام ، فهم في هذا المعني أسوة ، وأجور أهل السوابق عند الله.

فرجع عمر إلى رأى أبي بكر آخرًا.

ماهذا ؟...هذه قضية من أخطر القضايا السياسية الاقتصادية. هل نسوي بين الناس جميعا في المرتبات أم نفاضل بينهم ؟

أما أبو بكر فيرى التسوية ..؛ لأنهم إخوة ... وأما تفاضلهم في السبق والبلاء في الإسلام، فيترك ذلك إلى الله ، يثيبهم عليه.

وأما عمر ، فيرى التفضيل لأنه لا يجعل من قاتل، مع رسول الله ، كمن قاتل ضده وفاضل بين الأعطيات على هذا الأساس ، فالرجل وسبقه في الإسلام ، والرجل وبلاؤه في الإسلام .

فأي الرأيين أولى، وأحق أن يتبع ؟

يبدو أن الحق هنا مع أبي بكر ؛ لأنه يتفق مع روح الإسلام، روح الأخوة والمساواة ، وليس لنا أن نحتج بتفاضل الناس في الجهاد ونصرة الدعوة فإن ذلك يكون لوجه الله ، لا ابتغاء الدنيا.

والأخوة تستلزم المساواة التامة ، وألا يتميز أحد على أحد في الماديات.

وآية ذلك أن عمر نفسه صاحب الرأي القائل بالتفضيل قال: لئن عشت إلى قابل ، لألحقن آخر الناس بأولهم ، حتى يكونوا في العطاء سواء.

فرجع إلى رأى أبي بكر آخرًا ، إلا أنه توفي قبل تنفيذ هذه المساواة.

وإذا اختلف في أمر من هذا الدين ، ووجدنا أبا بكر وعمر في جانب ، على أن الحق معها.

وهاهما يتفقان على التسوية بين الناس ، فوجب العلم أن ذلك هو اتجاه الإسلام الحقيقي.

وهذا دليل واضح على أن الحق يختلف فيه ، وأن الاختلاف في الحق لا يعني الانحراف عنه، بل يعني أن هناك حياة في الأمة ؛ لأن الأحياء هم الذين يختلفون ، بينما الموتى لا يختلفون!.

فإذا خالف عمر عن رأي أبي بكر ، فذلك دليل على حرية الرأي عند هؤلاء الناس ... دليل على أنهم أحياء.

أما الجمود ... فهو وحده ثمرة الموتى من الأمم.

وماذا علينا أن يرى أبو بكر التسوية في تقسيم المال ، ويرى عمر التفضيل فيه ... ما دام كلاهما يبتغي العدالة الاجتماعية بين الناس ؟! .

إن الخلاف في الحق رحمة ... ودليل على الحياة.

لقد كان عمر عظيما حين ابتدع رأيه ، وخالف فيه صاحبه، وكان أشد عظمة ، حين رجع إلى رأى صاحبه في آخر حياته ، وصمم على تنفيذه.

وهذا هو الإسلام ... جهاد دائم للوصول إلى الحقيقة ..، ولا عليك أن تخطئ ... فإن الله يحب منك أن تخطئ بشرط أن تعود عن خطئك إذا علمت وجه الصواب مما أنت فيه ... كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون ... العائدون عن خطئهم إلى الصواب...أما أن نقف كالحجارة المرصوصة، لانفتح فما بحق أو خطأ ، فذلك شيء لم نخلق من أجله !!!

## الحد الأدنى للأجور!

قالوا : ثم فرض للناس على منازلهم ، وقراءتهم للقرآن وجهادهم.

فما معنى ذلك ؟... معناه أن عمر قرر مرتبات لكل واحد من الناس، وفاضل بينهم على قدر منزلتهم في الإسلام ، أو علمهم ، وهو المقصود بقراءتهم للقرآن ؛ لأن القرآن هو المظهر الأعلى في ذلك العصر ، أو جهادهم، أي على قدرتهم في الحرب و قتال الأعداء.

قالوا : ثم جعل من بقي من الناس بابًا واحدًا ، فألحق من جاء من المسلمين بالمدينة في خمسة وعشرين دينارا لكل رجل.

وفرض للآخرين معهم .

وفرض لأهل اليمن وقيس بالشام والعراق ، لكل رجل ما بين ألفين إلى ألف إلى تسعمائة؛

إلى ثلاثمائة ... ولم ينقص أحدًا من ثلاثمائة.

وقال عمر : « لئن كثر المال ، لأفرضن لكل رجل ، أربعة آلاف درهم:

ألف لسفره.

وألف لسلاحه .

وألف لأهله .

وألف لفرسه وبغله ...

ما هذا ؟ ... هذا هو الحد الأدنى للأجور عند عمر ...

إنه يقرر إنه إذا كثر المال فسوف يفعل ذلك ... أربعة آلاف أي مائة وستين جنيها(١) ... باعتبار الدرهم أربعة قروش .

أربعون جنيها سنوياً .. مصاريف سفر ..

وأربعون جنيها سنوياً .. مصاريف تسلح .

وأربعون جنيها سنوياً .. مصاريف زوجة .

وأربعون جنيها .. مصاريف انتقال .

هذه صورة مما كان عليه المجتمع أيام عمر ، وما كان يتمنى أن يفعله عمر لكل فرد في الشعب، إذا كثر المال ، إذا سمحت إيرادات الدولة بذلك .

إنه يريد الرفاهية لشعبه .. ويتعجل تلك الرفاهية .. ويقرر لها المقررات الثابتة .

إنه يجعل الدولة ملزمة بأسفار المواطن ، وسلاحه ، وأسرته ، وانتقالاته .

ولعمرك ... ماذا يبق من لوازم الحياة بعد هذا ؟ .

لاشي... لأن الحياة في أيامهم تلك ، لم تكن تزيد على ذلك . إلا أننا نستنبط من اتجاهات عمر هذه ، قواعد كبرى في سياسته ...

نستنبط منها أن الإسلام يريد أن يكون المواطنون على أحسن حال ، وأرفع مستوى من المعيشة ، يمكن للدولة أن تحققه لرعاياها .

وأن الإسلام دين اليسر وعدم الحرج ... يريد من الناس. أن يستمتعوا بالحياة ، وأن يسخروها لأنفسهم ، وأن يتعاونوا على ذلك التسخير ، ولا يريد منهم بعد ذلك إلا أن يذكروا أن لهم ربا هو

---

(١) حسب الأسعار سنة ١٩٦٠ — وقد تضاعفت ومازالت تتضخم .

الذي تفضل عليهم بذلك النعم ظاهرة وباطنة .

وأنه حقيق أن يشكر ، وأن يعبد لأنه هو المنعم .

وأن سياسة الإسلام سياسة عجيبة ، توائم بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة ، وتجعل منهما مزيجاً رائعاً ، يحقق السعادة في هذه الحياة ، وفي الحياة الآخرة .

وماذا بقى للانسان من أنواع السعادة ، بعد أن يسعد في الدارين ؟ .

وأن عمر كان رجل حياة من الطراز الأعظم ... يعمل ما استطاع على رفع مستوى المعيشة، وعلى تحقيق مجتمع ترفرف عليه الرفاهية .

فلم يكن انساناً ممسوخاً معتزلا للحياة ، وإنما كان انساناً يفهم تلك الحياة أعمق الفهم ، وينظر إليها بنور إلهي عظيم جعله الله في قلبه .. فتتراءى حقائقها أمام بصيرته عارية من كل زيف ... فيندفع بمجتمعه على بصيرة وهدى » .

كان رجل حياة .. حياة حرة عادلة ، كريمة ، عاملة ، بمجاهدة داعية إلى الله ، وإلى صراط مستقيم .

فاستطاع بذلك أن يجعل مجتمعه أسعد المجتمعات ، وأغناها ، وأرقاها ، وأكرمها ، وأعدلها، وأحقها بالحياة .

## مساواة النساء بالرجال في الأجور!

قالوا : وفرض لصفية بنت عبد المطلب ستة آلاف درهم .

ولأسماء بنت عميس ، وأم كلثوم بنت عقبة ، وأم عبد الله ابن مسعود ، ألف ألف درهم.

وفرض لنساء المهاجرين ، والأنصار ، ستمائة ستمائة ... وأربعمائة أربعمائة ، وثلاثمائة ثلاثمائة ، ومائتين مائتين .

فما معنى هذا ؟... معناه أن ارتفاع مستوى المعيشة في عهد عمر بلغ حدًا عجيبًا .

فالأسرة الواحدة ، فيها عدة مصادر للدخل ، فرض للزوج ، وفرض الزوجة...

وأن النساء كان لهن من الحقوق ما للرجال ، وكان عمر يفرض لهن أحياناً فروضًا أكثر مما يفرضه لكثير من الرجال.

ليس هذا وحده دليل ارتفاع مستوى المعيشة في عهده ، وإنما بلغت الرفاهية إلى أن فرض فيه عمر للمواليد فروضا !!

## عمر يسبق جميع النظم الحديثة!

قالوا : « وكان يفرض للنفوس مائة درهم.

فإذا ترعرع بلغ به مائتي درهم.

فإذا بلغ زاده » ...

ما هذا ؟ ... هذا هو عمر ، أو هذا هو الإسلام .. المنفوس ، الطفل الذي ولد لساعته ، تقرر له الدولة مائة درهم بمجرد ولادته ، الدولة تلتزم بالمواطن بمجرد خروجه إلى الحياة ... ليس المولود عبئًا على والديه ... وإنما الدولة مسئولة عنه لساعته ... فليطمئن الآباء ، ولتطمئن الأمهات، فإن الدولة تلتزم بكل مولود ساعة ولادته ! .

فإذا ترعرع الطفل ، فإذا بلغ سنتين او ثلاثا ، بلغ به مائتي درهم !.

غاية الحساسية من الدولة نحو المواطنين، إنها ترتقب المواليد ، وتمضي معهم يومًا بيوم ... وتنفق عليهم ساعة بساعة !.

فأى نظام في عالمنا الحديث بلغ ما بلغته عدالة عمر ؟.

فإذا بلغ زاده ... إذا أصبح فتى بالغًا ، زاد عطاءه ، وقررت له الدولة ما يناسب مطالب حياته.

وهكذا ... الأسرة سعيدة غاية السعادة في عهد عمر ... الأب له فروض على الدولة ، والأم لها فروض ، وكل مولود ، كل طفل ، كل فتاة ، كل فتى ، لهم كذلك فروض .

فهل استطاعت دولة حديثة أن تبلغ هذا المستوى الرفيع بمواطنيها؟.

## حتى المواليد غير الشرعيين ... سعداء!!

قالوا : وكان إذا أتى باللقيط فرض له مائة درهم ... وفرض له رزقًا يأخذه وليه كل شهر ما يصلحه ... ثم ينقله من سنة إلى سنة ..، وكان يوصي بهم خيرًا ..، ويجعل رضاعهم ونفقتهم من بيت المال !!!

وهنا ينبغي على البشرية كلها أن تقف إجلالا لعمر... إجلالا للإسلام، الذي كرم الانسان، حين كرم اللقيط !.

ومن هو اللقيط ؟ ... هو طفل بريء ، ولد من آثار جريمة أبويه .. فليس له ذنب في الأمر، وإنما الجريمة جريمة والديه...

فحين يأتى عمر ، وهو رئيس الدولة الإسلامية الأعظم ، فيقرر له مائة درهم ، ثم ينقله من سنة إلى سنة ، ويزيده بما يناسب حاجياته ..

وحين يتجاوز عمر هذا الحد ، ويقرر لمن يقوم بتربيته ورعايته رزقًا معلومًا ، ويزيده كلما ترعرع

اللقيط.

وحين يجعل عمر تكاليف رضاع اللقطاء ، ونفقتهم في بيت المال.

حين يقرر رئيس الجمهورية الإسلامية الأعظم ذلك فإنما يخط في سجل الإنسانية الخالدة مبادئ عظمى .. ستظل أبدا أسمى ما وصل إليه الإنسان .

اللقيط .. ذلك المخلوق الذي ألقته أمه بعيدًا عنها ..لتتخلص من عاره، وتنجو من آثاره... ذلك المخلوق الذي تشمئز منه النفوس ... ينظر إليه عمر نظرة أخرى .. ينظر إليه على أنه مخلوق بريء ... له ما لأي انسان من حقوق على الدولة.

له حق الحياة ..، وحق الرعاية ..، وحق التربية ..، وحق التعليم ..، وحق الحرية...

له على الدولة أن تعفيه من بلاء الضياع ، وحسبه ما رمته به المقادير من بلاء التكوين .

ذلك عمر ... أو ذلك هو الإسلام ..، وإنه ليبدو عاليًا جدًا .. فوق ما يأمل الانسان وزيادة !!!

ولو أن عمر أصم أذنيه وأراح الدولة من عناء اللقطاء ، ومهمة رعايتهم ، لما عابه أحد، ولقال كثير منهم : ليست الدولة ملزمة ، أن تتحمل آثار إجرام المجرمين .

ولكن عمر كان ربانيًا ، فنظر إلى الأبناء غير الشرعيين ، على أنهم مواطنون ؛ لأنهم برآء من جريمة وجودهم.

وأنا أدعو المشتغلين بالشئون الاجتماعية في شتى بقاع العالم ، أن يتأملوا اتجاه عمر في هذه المشكلة ، خصوصًا في تلك الدول التي كثر فيها الأبناء الغير شرعيين في أعقاب الحرب العالمية الثانية... وسوف تدهشهم عظمة عمر ، وإنسانيته الرفيعة !!!

## الكفاية!

ما أسعد الجماهير بك يا عمر !.

لماذا ؟ ... يعطى كل فرد ما يكفيه ..؛ لأنه يؤسس الدولة على أساس من الكفاية المدروسة على الطبيعة.

قالوا : وجمع ستين مسكينا ، وأطعمهم الخبز ، فأحصوا ما أكلوا فوجدوه يخرج من جريبين.. ففرض لكل إنسان منهم ، له ، و لعياله ، جريبين في الشهر .

أرأيت ؟.. لقد أمر رئيس الجمهورية الإسلامية الأعظم، فكتب له عيال أهل العوالي ، فكان يجري عليهم القوت.

ولكن كيف قدر لهم ذلك القوت ؟. لقد أطعم ستين مسكينا، فوجد أن طعامهم يخرج من جريبين ، فقدر لكل إنسان منهم ، له، ولكل فرد من عياله ، جربين في الشهر .. باعتبار أكلتين في اليوم ! .

وهذه هي الكفاية بلغة العصر الحديث ... لكل إنسان ما يكفيه.. بما يناسب إيرادات الدولة ، ودخلها العام .

فالكفاية في أمريكا ، غير الكفاية في مصر، غيرها في اليمن. لكل دولة ظروفها ، وقدرتها الخاصة بها.

## الرجال والنساء والعبيد سواء!

قالوا : وأمر عمر بجريب من الطعام ، فطحن ، ثم خبز ، ثم ثرد ، ثم دعا ثلاثين فأكلوا منه غذاهم حتى أصدرهم ، ثم أمر في العشاء مثل ذلك.

فقال عمر : يكفي الرجل جريبان في الشهر (لأن الجريبين تكفى ستين أكلة ، فكأنه قدر للفرد أكلتين في اليوم) .

فكان يرزق الرجل ، والمرأة ، والمملوكة ، جريبين في كل شهر .

فما معنى هذا ؟. معناه أن عمر بعد أن قرر مقررات الأفراد من المعاش الشهري على أساس من الكفاية ، أطلق مبدأه خالدا، هو المساواة بين الأفراد في تلك المقررات ... الرجل... المرأة... المملوكة ... الكل سواء.

وهذا مبدأ خطير من مبادى المساواة بين أفراد المجتمع . أفضل لرجل على امرأة ، ولا لامرأة حرة على امرأة مملوكة وإنما الجميع سواء.

## رئيس الدولة الأعظم يحمل بنفسه المال إلى مستحقيه!

مهما تصل الحضارة الحديثة ، فإنها لن تصل إلى ما وصل إليه عمر ، من عدالة إنسانية رفيعة.

قال هشام الكعبي : « رأيت عمر بن الخطاب —رضي الله عنه—، يحمل ديوان خزاعة حتى ينزل قديدا، فتأتيه بقديد ، فلا يغيب عنه امرأة بكر ، ولا ثيب ، فيعطيهن فى أيديهن .. ثم يروح فينزل عسفان فيفعل مثل ذلك ، حتى توفي » .

عمر ، رئيس الجمهورية الإسلامية الأعظم ، أكبر كتلة دولية عالمية آنئذ، الممتدة من المحيط الأطلنطى غربا ، إلى حدود الصين شرقًا ، إلى خط الاستواء جنوبًا ، إلى القسطنطينية شمالا ، رئيس الدولة الأوحد الأعظم في زمانه ، يفزع من بيته إلى بيت المال ، ثم يحمل السجل الذي به أسماء

المستحقين من خزاعة ، ويحمل معه نصيبيهم من العطاء، ثم يتحرك بنفسه حتى ينزل قديدا ، ويوزع بنفسة الأعطيات على أصحابها ... فلا يغيب عنه امرأة بكر ولا ثيب إلا أعطاها في يدها!

وأعجب من ذلك ... أنه ينتقل إلى عسفان ... ويوزع فيها مثل توزيعه في قديد!!!

وأعجب من ذلك وذلك ... أنه يستمر على هذا حتى توفى!!!

أعظم الناس سلطاناً ، وأوسعهم ملكا ... عمر بن الخطاب.. ينتقل بنفسه إلى الشعب ، في مجاهل الصحراء ، والجبال، والأودية، وفي يده السجلات ، والأعطيات ، ويباشر التوزيع بنفسه، على كل رجل ، وكل امرأة ، وكل إنسان !!

ولو شاء لجلس مكانه ، وبعث عماله ..، ولو شاء لاعتذر بكثرة مسئولياته ..، وإنها لكثيرة... ولكنه عمر ... أعجوبة زمانه ..، وكل زمان ... ينطلق إلى الشعب ، ويحمل إلى الجماهير حقها من المال في خزانة الدولة!

أي تكريم للإنسانية هذا يا عمر ؟!

ما سمعنا هذا في آبائنا الأولين ، ولا شهدنا هذا في دولة من دول العالم الحديث !!!

وهذا هو الإسلام ... ذلك الشيء المجهول بين أهله ، المجهول بين أعدائه .

وأنا أقسم بالله العظيم ... لو أن هذا الإسلام وجد بين أهله، من يمسح عنه تراب القرون الوسطى ، ويخرجه إلى الناس في صفائه الأول ، لخرج منه نور عظيم يشع إشعاعاته العليا ، وينير السبيل أمام هذه البشرية الحائرة الدائرة في الهواء.

ولكن الإسلام ابتلى بأتباعه ، فألحقوا به العار ، وكانوا له أسوء مثال!

إن الإسلام ظل يتقهقر في نفوس أتباعه حتى انتهى إلى أوراد ، وتسابيح ، وتراتيل ... وما أنزله الله إلا رحمة شاملة للعالمين.

والآن... نجلى على مشهد من العالم كله ، أعجب نظام قرره عمر في المشكلة الخالدة ، المشكلة الاقتصادية ... فليسمع العالم!

**ما أحدٌ إلا وله في هذ المال حق... ما أحدٌ أحقُّ به من أحد!!**

تلألئى ... تلألئى... يا كلمات عمر ... واملئي الدنيا بنورك السرمدي الخالد .

أين أنتم يا دعاة العلمانية يا أعداء الحق تعالوا واسمعوا...

أين أنتم يا قادة العالم الرأسمالي ، ويا شعوبه ، تعالوا واسمعوا. أين البشرية كلها ، في مستوياتها المختلفة ، قوموا واسمعوا.. عمر .. عملاق الحق ، سيلقي عليكم بيانا... أخطر بيان..

قال عمر : « والله الذي لا إله إلا هو ، ما أحدٌ إلا وله في هذا المال حق ، أعطيه أو منعه.

وما أحدٌ أحق به من أحدٍ ... وما أنا فيه إلا كأحدكم.

ولكننا على منازلنا من كتاب الله — ﷻ —، وقسمنا من رسول الله — ﷺ — .

فالرجل وبلاؤه في الإسلام ، والرجل وقدمه في الإسلام، والرجل وغناؤه في الإسلام.

والرجل وحاجته في الإسلام.

والله لئن بقيت ليأتين الراعي ، بجبل صنعاء ، حظه من هذا المال، وهو مكانه ، قبل أن يحمر وجهه » ( أي في طلبه )

هذا هو البيان الخطير الذي قرره عمر ، وهو في رأيي أعظم ما أطلقه من الأصول العامة في مشكلة المال والاقتصاد.

وسوف نسير معه ، جنبًا إلى جنب ، في ضوء شعاعه الباهر عسى أن ندرك موقفنا الحقيقي من ذلك الإشكال الخالد ، إشكال المال .

« والله الذي لا إله إلا هو » ... عمر ، الذي جعل الله الحق على لسانه وقلبه يقسم بالله الذي لا إله إلا هو ... يؤكد أعظم تأكيد، ما سوف يقرره من مبادئ ... وحين يقسم عمر ، وجب أن يكون معلوما أن قنبلة من قنابل الحقيقة سوف تنفجر في الآفاق.

« ما أحد إلا وله في هذا المال حق » ... ما من أحد ، ذكر أو أنثى ، صغير أو كبير ، كل مواطن ، كل مواطنة ، كل طفل ، كل رضيع ... كل إنسان في الأمة ، له في هذا المال حق!!!

وأحب أن نحفظ جميعًا هذه الجملة الخالدة عن ظهر قلب ، ونرددها دائما ؛ لأن تلك الجملة رأسمالنا في صراعنا الذي نحن فيه....

إن العالم الإسلامي يعيش الآن معركته الخالدة ، بين التقدم والتخلف ، بين التطور والجمود، بين الفهم الميت للإسلام والفهم الصحيح للإسلام .

## ما أحد إلا وله في هذا المال حق!

مبدأ عام هام ، شامل كامل ... وشعار عالمي ، نستطيع أن نرفعه دائما ؛ لنواجه به التخلف في العالم الإسلامي ، ونصفع به وجوه الرأسماليين، ووجوه العلمانيين على حد سواء .

إن نظرية عمر في المال ، هي نظرية الإسلام في المال .

المال مال الله ... والخلق خلق الله ... فالمال إذا حق للجميع، ما أحد إلا وله في هذا المال حق !

من أجل ذلك أقسم عمر أعظم قسم ؛ ليؤكد ذلك الشعار الخالد .

« أعطيه أو منعه » ... وهذه الجملة أخطر وأخطر من سابقتها ... إن عمر يقرر أن كل إنسان له في هذا المال حق ، سواء أعطى هذا الحق أو منعه .

ما معنى هذا ؟ .. معناه عجيب عبقري ... الأصل العام أن لكل إنسان في المال حقا ... ولا يسقط ذلك الحق ، إعطاء صاحب الحق حقه أو منعه عنه !.

ماذا يشتق من هذا ؟... يشتق منه أن كل مواطن له حق في أموال وطنه ، وأن هذا الحق ثابت له ، سواء أعطته الدولة إياه أو منعته إياه...

ماذا أريد أن أقول ؟ .. أريد أن أقول أن لكل مصري – مثلا – حقا في أموال مصر ، وأن هذا الحق ثابت له ، سواء أعطته الدولة إياه ، أو منعته إياه.

فإذا تقررت تلك القاعدة ، فرعنا عليها أصولا عامة ، في أوضاع مجتمعنا المصري ... فنقول: إن لكل مصري ولكل مصرية حقا في أموال مصر ، أرضها، مساكنها ، مصانعها، شركاتها ، معادنها، نيلها ، صحرائها ، في كل شيء من أموال مصر.

فهل أعطت الدولة كل مصري ذلك الحق أم منعته ؟

الواقع التاريخي يقول إن الأوضاع الفاسدة منعت المصريين ذلك الحق ...

منعته حين قامت أوضاع اجتماعية ، تمنح كل الأموال لحفنة من الناس، وتحرم كل الأموال على كل الناس إلا هذه الحفنة !

ولكن...هل أسقط هذا المنع حق الشعب في أموال مصر؟.

لا... إن عمر أو إن الإسلام يقرر أن للمصريين والمصريات حقا ثابتا في أموال مصر ، أعطوه ام منعوه .

ذلك شيء من فهم عمر ... وإنه لفهم عبقري عجيب !.

## وما أحدٌ أحقُّ به من أحد!

ثم يعود عمر إلى المعنى العام ، فيخصصه ، ويحدده ، ويوضحه ، فيقول : « وما أحد أحق به من أحد » ... فيسد بذلك باب المعاذير، والتأويل ، والتميع ، والتفكك من وضوح الإسلام.

ليس أحد أحق بالمال من أحد... ليس المخلوق كائنًا من كان في الدولة أن يزعم أنه أحق من أحد بهذا المال...

ليس من حق أسرة من الأسر أن تزعم أنها أحق من سائر رعايا الدولة .

وليس لأسرة حاكمة – مثلا – أن تزعم آنها أحق بالأموال من دون المصريين جميعًا ، لأن لكل مصري حقًا في هذه الأموال .

وهكذا .. يطلق عمر تحديدًا للقضية .. يوضح معالمها للشعوب، للجماهير ... حتى لا يخدعها حاكم أو طاغية ، أو متسلط.

كأن عمر يصيح بالبشرية ... يصيح بالشعوب : إياكم أن يزعم لكم زاعم أن أحدا أحق بهذا المال من أحد ... لا فكلكم سواء ... في الحقوق سواء....

إلا أن الآتي أخطر وأخطر !!!

## وما أنا فيه إلا كأحَدِكم!

رئيس الجمهورية الإسلامية الأعظم يقول : وما أنا فيه إلا كأحدكم !! ما عمر في هذا المال إلا كأحد أبناء الشعب ، سواء بسواء !.

وهنا تنبثق قاعدة عظمى من عدالة عمر ... إن رئيس الدولة ليس له من حق في مال الدولة إلا كما لأي مواطن عادي من أبناء الدولة.

فليس لرئيس الدولة أن يزعم أن له حقوقا مالية فوق حقوق سائر الناس .

وليس له أن يتعلل بالمعاذير ، ويزعم المزاعم ... هذا من جهة الحاكم، أما من جهة الشعب، فعليه أن يلزم رئيس الدولة حدّه الذي حدّه الله له ...

على الشعوب أن تقف برؤسائها عند حد الله ... أن ليس لهم في المال إلا ما لأحدهم .

إيه يا ابن الخطاب ... أين رؤساء الدول الآن مما تريد ؟!

أين رؤساء الدول في العالم الحديث مما ترسم ؟!

ولكنك أنت كنت تنطق بمعالم الإسلام التطبيقية ، كما أرادها الله ، وكما أنزلها من عنده، من قبل أن تغشاها وساخات الأهواء، وعفونات القرون .

أنت تنطق بالحق يا عمر ... الحق الذي يقول: وما أنا فيه إلا كأحدكم.

قرار من رئيس الجمهورية الإسلامية الأعظم ، ليس لي من المال إلا كأحد أفراد الشعب!.

لا امتيازات ، ولا مخصصات ، ولا شيء غير حقوق الفرد العادي !.

هل يستطيع رئيس دولة في العالم الحاضر أو القادم أن يعلن مثل هذا على شعبه ؟!

هل يستطيع رؤساء الدول أن يفكروا في قرار عمر ، قرار الإسلام، وأن يعلموا أنه ليس لهم

في أموال الدولة إلا كأحد الناس؟!

ليت شعري.. أين الناس الآن من مفاهيم الإسلام الحقيقية؟ لقد بعدنا جدا عن الطريق !!

## قضية التفضيل!

وبعد أن قرر ابن الخطاب قواعده العامة ... جعل يسرد الأسباب التي من أجلها فضل بعض الأفراد على بعض ، في تقدير الأعطيات.

فقال : « ولكنا على منازلنا من كتاب الله ﷻ ، وقسمنا من رسول الله — ﷺ — . فالرجل وبلاؤه في الإسلام ، والرجل وقدمه في الإسلام ، والرجل وغناؤه في الإسلام » .

لماذا عاد عمر ففاضل بين الناس في العطاء ؟ . رغم أنه قرر بادئ ، ذي بدء، أنه ليس أحد أحق بهذا المال من أحد؟.

الواقع أن عمر كان يرى بعبقرتيه ، أن يزاد المال في أيدي أصحاب الدعوة ، وأهل السبق إليها ، وأصحاب التضحية في سبيلها؛ لأن ذلك يؤدى إلى تركيز الأموال في أيدي الطبقة المؤمنة بالله ، التي تتجه بهذه الأموال وجهة الخير ، لما في قلوبها من رغبة شديدة لإرضاء الله.

فهو صاحب فلسفة في هذا الاتجاه ، فلسفة تهدف إلى إضعاف حزب الشر ، وتقوية حزب الخير ، لتكون له الغلبة دائما ، باعتبار أن المال عصب الحياة الدنيا .

وهو وجه لطيف من عمر ... وقد احتج له حين عورض فيه ، بقوله : لا أجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه ؟.

يريد عمر أن يقول أنه لا يستطيع أن يسوى بين أعداء الدعوة وأنصارها.

وهو وجه قوى ... إلا أن الأقوى والأعمق ، هو التوجيه الإسلامي العام ... هو التسوية بين الناس في الأموال ... هو مذهب أبي بكر ..، وقد اعترف عمر بهذا في آخر حياته ..، ورجع إلى رأي أبي بكر آخرا .

لقد اجتهد عمر في القضية رأيه ..، ورأى التفضيل على أسس وجيهة ... ولكن عمر السباق إلى الحق ، الرجاع عن الخطأ ... أحس أخيرا أن ما ذهب إليه لا يمضي مع اتجاه الإسلام، اتجاه الأخوة والمساواة المطلقة ، فرجع عن سياسته ، واتجه إلى إلغائها .

والآن ... اجتمع الشيخان ... أبو بكر وعمر... على حكم واحد في القضية ، واجتماعهما هو القول الفصل فيها ... وهو حكم الإسلام...

فأصبح مقررًا أن نقول : الإسلام يقرر المساواة المطلقة بين الناس في الحقوق المالية ... كأصل عام...

## الرجل وحاجته!

ثم يدخل بنا عمر إلى نظريته الخطيرة في تحقيق الكفاية فيقول : والرجل وحاجته...

إن المساواة بين الناس في الأعطيات حق مقرر ، وأصل عام من هذا الإسلام...

إلا أن القضية لها وجه آخر ... فإن الناس يختلفون في حاجاتهم ، ومستوى الأسعار في بلد غيره في الآخر ، فهناك اعتبارات شتى تتدخل في الأمر...

فأطلقها عمر لتتلألأ أمام البشرية دائما : الرجل وحاجته ... الكل يأخذ بقدر حاجياته، بالقدر الذي يحقق احتياجاته في الحياة!

أرأيت ؟ ... الأصل العام المساواة .. ولكن هذه المساواة تتحدد بالكفاية ، بالحاجة بلغة عمر !.

فأي سبق للنظم الحديثة ، بعد أن حدد عمر القضية : المساواة والكفاية ..

وبلغة اليوم : العدل والكفاية ؟؟!!

## ليأتين الراعي بصنعاء حظه من هذا المال!

ثم يتلألأ عمر ، أشد ما يكون نورًا ، حين يقول : « والله لئن بقيت ، ليأتين الراعي بجبل صنعاء ، حظه من هذا المال ، وهو مكانه، قبل أن يحمر وجهه » .

عمر يقسم ، لئن عاش ؛ ليضعن من النظم، ما يكفل وصول نصيب الراعي بجبل صنعاء باليمن من المال ، وهو مكانه ، لا يتحرك منه ، وقبل أن يحمر وجهه ؛ خجلا من طلب مرتبه من الدولة !.

ماذا وراء هذا ؟... إن وراءه أن عمر يقرر أنه لو عاش بعد لحظته تلك ليحدثن انقلابا عاما في نظام الدولة المالي ... انقلابا يكفل لكل مواطن ، وكل مواطنة ، أن تسعى الدولة بحقه في المال إليه، وهو مكانه ، حتى ولو كان بأقصى الجزيرة العربية ... بجبل صنعاء ، البعيد عن المدينة .. مهما كانت المسافة فالدولة مسئولة عن وصول حق المواطن المالي إليه.

سوف لا تضطره الدولة أن يطالب بحقه أو أن يقف المواقف التي يحمر لها وجهه خجلا من المطالبة بحقه .

أي إحساس هذا يا ابن الخطاب ... يامن تربيت في رحاب رسول الله — ﷺ — ... أإنك لأنت الذي يقرر هذا ؟..

أين الناس ليسمعوا منك ... أين العالم الإسلامي ليتعلم منك ... أن الدولة ينبغي دائما أن تكون في خدمة الجماهير.

وأن لكل مواطن ، وكل مواطنة حقا ثابتا في أموال الدولة ، وأن الدولة مكلفة بتوصيل ذلك الحق إليه ؟...

أين الناس ليسمعوا حقائق الإسلام ... قبل أن تلوثها الأهواء ... ويحجبها تطاول القرون؟.

## الشعب السعيد!

يسمع الناس في أيامنا هذه عن ارتفاع مستوى المعيشة في بعض الدول الغربية ، وعن ثراء تلك الشعوب ، وعن سعادة الأسرة فيها، ويتمنى الناس لو بلغوا ما بلغوه من المدنية ، وسهولة الحياة...

ويخيل إلى كثير من جهلة المسلمين أن الاسلام سبب ما هو فيه من تأخر، وانحطاط وتخلف... ويتوهم المسلمون أنهم لو تفلتوا من قيود الإسلام ، فإنهم سوف يمرقون إلى السعادة كما تمرق سفينة الفضاء في السماء ، وسوف يطيرون إلى الثراء سراعا

وإلى هؤلاء الضائعين ، الجاهلين ، الذين لا يعقلون من أمر دينهم شيئا ، ولا من أمر حياتهم شيئا .. إلى هؤلاء أقدم بيانا عن الشعب في عهد عمر ؛ لينظروا أي الشعبين كان أرقى وأسعد، الشعوب الغربية ، أم الشعب في عهد عمر ؟!

قدم خالد بن عُرفطة على عمر ، فسأله عما وراءه ؟

فقال : « يا أمير المؤمنين !. تركت الناس يسألون الله أن يزيد في عمرك ، من أعمارهم.

وما وطئ أحد القادسية إلا وعطاؤه ألفان ، أو خمس عشرة مائة .

وما من مولود يولد إلا ألحق في مائة ، وجريبين في كل شهر .

ذكرا كان أم أنثى . دوما يبلغ لنا ذكر، إلا ألحق على خمسمائة أو ستمائة .

فإذا خرج هذا لأهل بيت ، منهم من يأكل الطعام ، ومنهم من لا يأكل، فما ظنك به؟ إنه لينفقه فيما ينبغي وفيما لا ينبغي!؟ ».

قال عمر : « والله المستعان ، إنما هو حقهم أُعطوه .

وأنا أسعد بأدائه إليهم منهم بأخذه .

فلا تحمدني عليه ، فإنه لو كان من مال الخطاب ما أعطيتموه، ولكني قد علمت أن فيه فضلا ، ولا ينبغي أن أحبسه عنهم.

فلو أنه إذا خرج عطاء أحد هؤلاء ، ابتاع منه غنما ، فجعله بسوادهم ، فإذا خرج عطاؤه الثانية ابتاع الرأس والرأسين ، فجعله فيها، فإني — ويحك يا خالد بن عرفطة – أخاف عليكم أن

يليكم بعدي ولاة ، لا يعد العطاء في زمنهم مالا ، فإن بقي أحد منهم أو أحد من ولده كان لهم شيء قد اعتقدوه فيتكئون عليه.

فإن نصيحتي لك وأنت عندي جالس ، كنصيحتي لمن هو بأقصى ثغر من ثغور المسلمين، وذلك لما طوقني الله من أمرهم قال رسول الله – ﷺ – :من مات غاشًا لرعيته لم يرح رائحة الجنة» [أخرجه البخاري]

ماذا في هذا الحوار ؟.. إن القادم من العراق يقدم تقريرًا إلى عمر عن أحوال الشعب ، ويذكر في هذا التقرير ، أنه ترك الناس يسألون الله أن يزيد في عمر أمير المؤمنين من أعمارهم .

لماذا ؟؛ لأن الشعب سعيد بحياته ... فهو يدعو الله أن يطول عُمْر عُمَر ، حتى يبلغ آلاف السنين ، فلا تنقطع عنهم تلك السعادة التي هم فيها.

أمن ، عدل ، رفاهية ، مستوى معيشي مرتفع ، مساواة ، إيمان ، دعوة ، عزة ، علم ، أخلاق ، قل ما شئت من الخير وأكثر ، يستمتع به الشعب ، في عهدك يا عمر ... فلماذا إذا لا يتمنى ذلك الشعب أن يطول عمرك ويطول؟

لحظات من السعادة تحققت للإنسان على يدى عمر ، سنوات عديدة تمر كأنها لحظات، لأن الأوقات السعيدة تمر سراعًا.

لماذا كانوا سعداء ؟... ما وطئ أحد القادسية إلا وعطاؤه آلفان؟..

كل إنسان ، له مرتب سنوي ، ألفان من الدراهم ... ثمانون جنيها سنوية(١) .

هل هذا فقط ؟... كلا ، هذا لشخصه وحده.... أما الأولاد: فما من مولود يولد إلا ألحق في مائة ، وجريبين في كل شهر !.

ما هذا؟.. لا عليك أيها المواطن في عهد عمر ، أن تتزوج ، وأن تتناسل ، فإن الدولة تحمل عنك تكاليف الأولاد جميعًا ... ما من مولود يولد إلا قررت الدولة له فورًا مئة درهم شهريًا ، وجريبين ، أي وما مقداره ستين أكلة شهريًا .

وبذلك يضاف إلى إيراد الأسرة إيراد جديد .

فالمولود خير وبركة و نعمة على الأسرة .

هل هذا وحده للأولاد الذكور ؟... كلا وللإناث أيضا ذكرًا كان أو أنثى!!

هذه حقائق خالدة تضعها يا عمر ،.. حقائق إسلامية بيضاء أبدا ، رائعة أبدا ..، أن الذكر

---

(١) حسب أسعار سنة ١٩٦٠ – وقد تضاعفت ومازالت .

كالأنثى ، في حقوق العطاء ، وها هو التاريخ يصفق لك بكلتا يديه إعجابا مما قررت وشرعت.

أسرة سعيدة ... للرجل عطاء ، وللزوجة عطاء ، ولكل طفل عطاء ، الذكر والأنثى على حد سواء !!.

هذا هو المجتمع في عهد عمر ، مجتمع سعيد ، شعب سعيد، يتكون من أسر سعيدة ، تتكون من أفراد سعداء.

الدولة تعطيهم ما يكفيهم جميعا وزيادة ... فمن الناحية المعيشية هناك رفاهية ، ومن الناحية النفسية هناك اطمئنان ، ومن الناحية الروحية هناك إيمان ، ومن الناحية العسكرية هناك فتوحات قاهرة للعالم أجمع ، ومن الناحية الإنسانية هناك عدالة تامة ومساواة عامة ، ومن الناحية الدولية هناك عزة عالمية يستمتع بها الشعب ، عزة مطلقة ، فالدولة الإسلامية هي الدولة الأعظم الأوحد في الأرض ؛ فلماذا بعد هذا لا يكون الشعب سعيدًا؟.

ولكن عمر ... هذا الذي يقود ذلك الشعب السعيد ... هل كان هو الآخر سعيدا ؟

قال عمر : الله المستعان ، إنما هو حقهم ، وانا أسعد بأدائه إليهم منهم بأخذه ، فلا تحمدني عليه ، فإنه لو كان من مال الخطاب ما أعطيتموه، ولكني قد علمت أن فيه فضلا ، ولا ينبغي أن أحبسه عنهم ! .

هو ذا عمر يقرر أنه كذلك سعيد .. وأنا أسعد بأدائه إليهم منهم بأخذه...

إن كان الشعب سعيدا بأخذ حقه من مال الدولة ، فأنا أسعد بأدائه إليهم !!.

ما هذا يا عمر ؟... ما الذي أسعدك ؟ ..

أسعده أنه أدى الحق إلى أصحابه...

وتلك سعادة النفوس الكبيرة ... إنها لا تسعد يوم تنتهب لنفسها ، وإنما تسعد يوم تعطي غيرها !!.

وعمر في هذا لا ندّ له ، ولا نظير له ، ولا مثيل له ... هو مفخرة الإنسان ، في كل زمان ومكان ، عقمت الرجال أن يلدن مثل عمر!!

إن الألفاظ تموت في يدي حين أعزم على التعبير عنك يا عمر... ماذا أقول فيك ؟.

أعبقري أنت ؟... ما العبقرية ؟ ما الإنسانية ؟ ما الخلود؟.

تفاهات كلها إذا وصفت بها ... إنما أنت الحق تبدى في رجل، أو رجل تبدى في الحق!!.

تعلو يا عمر على الأفهام ... فلا يستطاع لأحد أن يدرك !.

فأين الموتى ليسمعوا ... أين الذين جهلوا حقيقة الإسلام، فظنوا أنهم ضاعوا بسبب انتسابهم

للإسلام ؟.

والحقيقة أن الإسلام هو الذي ضاع بسبب انتسابه إليهم ؟.

إنما الاسلام سلام وحياة ، سعادة ونظام ... لا يدانيه أي نظام قائم الآن .

؛ لأن سعادة الاسلام شيء موصول بالله ... والسعيد من ركز حضارته على دين الله ، ووصلها بأسلوب رسول الله – ﷺ – إنه يجتمع له خيران ، خير الدنيا ، وخير الآخرة.

إن المجتمع الأمريكي مثلا بلغ مستوى من الرفاهية ، ولكنها رفاهية مادية علمانية ...

أما المجتمع على عهد عمر ، فكان يجمع بين الرفاهية وبين الصلة بالله ...

وشتان بين هذا وذاك ... كبعد ما بين الحياة والممات ... إن هناك آلاف الحالات سنويا، من الانتحار في المجتمع الأمريكي ... ولكن مجتمع عمر، لن تجد فيه حالة انتحار واحدة ... فلماذا ؟ لأن سعادة الإنسان في سعادة قلبه ، وسعادة قلبه في وصله بخالقه فإذا انهدمت هذه الصلة ، انعدمت الطمأنينة من القلب ، فهناك القلق الحارق ، الذي يدفع إلى إهلاك النفس ، إلى الانتحار.

إن سعادة مجتمع عمر سعادة حقيقية ، لا تزعزعها أعاصير القلق ، وصواعق الإعراض عن الله ، أما سعادة المجتمع الأمريكي ، فهي سعادة مادية لا تؤدى إلى سعادة حقيقية.

## هذه هي المرأة في مجتمع عمر!

لما خرج العطاء ، أرسل عمر إلى أم المؤمنين ، زينب بنت جحش –رضي الله عنها – بالذي لها ، فلما دخل عليها قالت : غفر الله لعمر ، غيري من أخواتي كان أقوى على قسم هذا مني !

فقالوا : هذا كله لك .

قالت : سبحان الله ! واستترت منه بثوب !

قالت : صبوه ، واطرحوا عليه ثوبا...

ثم قالت لبرزة بنت رافع : أدخلي يدك ، فاقبضي منه قبضة ، فاذهبي بها إلى بني فلان ، وبني فلان (من أهل رحمها وأيتامها).

فقسمته حتى بقيت بقية تحت الثوب ... فقالت برزة : غفر الله لك يا أم المؤمنين ، والله لقد كان لنا في هذا حق ؟!

قالت : فلكم ما تحت هذا الثوب .

قالت : فكشفنا الثوب فوجدنا خمسة وثمانين درهما .

ثم رفعت يدها إلى السماء فقالت : اللهم لا يدركني عطاء لعمر ، بعد عامي هذا .

فماتت –رضي الله عنها – فكانت أول أزواج النبي – ﷺ – لحوقا به.

تلك هي الأقصوصة...

أقصوصة أم المؤمنين ، وموقفها من المال الذي بعث به عمر إليها ، نصيبها من العطاء السنوي .

٦٠٠٠ درهم ، جاءوا بها إلى زينب ، عطاؤها السنوي.

فظنت أولا أن ذلك لأمهات المؤمنين جميعا ، فلما أخبروها أنه لها عجبت ، ووقفت تأمر بتوزيعه ، حتى تصدقت به كله ، وبقى منه خمسة وثمانون درهما ، فتصدقت به على برزة !!

ماذا بقي لزينب أم المؤمنين ؟... لا شيء !!

هل وقف الموضوع منها عند هذا الحد؟... كلا ، إنها لتسمو وتسمو، فترفع يديها إلى السماء وتقول : اللهم لا يدركني عطاء العمر بعد عامي هذا !

ثم ماذا بعد هذا ؟ ... استجاب الله لها ، فماتت !!.

ذلك نموذج للمرأة في عهد عمر ، أما الدولة فإنها تؤدي ما عليها نحو الشعب ، وتبعث بالعطاء إليها ، وأما هي فتسمو على المادة ، وتتنزه عن المال ، ولا تهدأ أعصابها حتى تتخلص من ذلك العطاء كله ، صدقة لوجه الله ... ثم لا تتصور أن يبعث إليها عمر بذلك العطاء ، فتتمنى على الله أن لا يدركها عطاء عمر بعد عامها هذا ... فتموت !!.

هل هذه أقاصيص عن بشر ؟.. نعم ، ... ولكن أي صنف من الناس كانت هاتيك النساء؟

إنها زينب : أم المؤمنين ... زوج رسول الله – ﷺ – ... إحدى اللاتي قال الله فيهن ﴿ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ ... نوع رفيع سامٍ ...

نوع أذهب الله عنه الرجس ، وطهره تطهيراً عظيمًا ، من الشح، والبخل ، وحب الدنيا ، والأنانية ، وحب المال... فوقفت تشرف على توزيع عطائها كله...

فلما أحست أن صدرها مازال به ضيق ... رغبت إلى الله أن يقبضها ، لتتخلص من دنيا، يبعث فيها عمر إليها بعطاء ! .

ماذا فيما فعل عمر يؤذي شعورها ؟. لا شيء في عرف الناس.. وشيء كبير في عرف من كانت على مستوى أمهات المؤمنين...

إن تلك النفوس لا ترى أن تتعلق بالمال ، وإنما ترى أن ما عند الله خير لها وأبقي .

فهي تضيق بهذا المال إذا جاءها ... ثم تضيق بالدنيا كلها ، وتراها سجنًا لها، يقيد حريتها

فهي ترغب إلى الله أن يفك أسارها .. أن يتوفاها.. فتتخلص الروح من سجن الدنيا ،

وتنطلق حيث تشاء من مُلك الله..

هذا شعاع ضئيل يضيء لنا شيئا قليلا ما تكنه تلك النفوس الكبار ...

والله وحده يعلم ما تكنه صدورهم، وما يضمرون .

## حقيقة موضوع الجزية!

يكثر القيل والقال حول « الجزية » في الإسلام ، ولماذا الضرب على الذمي دون المسلم، وهل يفهم من ذلك أن الإسلام يفرق بين المواطنين ، و يميز المسلم على غير المسلم ؟.

تلك هي الشبهات التي تثار في وجه الإسلام ، من الذين لا يعقلون شيئا عن الإسلام، ولا هم يريدون أن يعقلوا !.

أما أقصوصة « الجزية » . فملخصها أن الإسلام فرض الزكاة على كل مسلم يملك نصابًا تجب فيه الزكاة ، كما فرض القتال على كل مسلم يستطيع القتال .

أما الزكاة فضريبة المال ، وأما القتال فضريبة الدم ، وهما أمران لازمان لكل أمة تريد أن تحيا حياة كريمة عزيزة .

وأما الجزية فهي الضريبة التي يدفعها غير المسلم نظير إعفائه من الضريبتين ، الزكاة ، والقتال.

فغير المسلم هنا هو الرابح ؛ لأنه لا يدفع زكاة ماله ، ولا يدفع ضريبة دمه ، ويدفع نظير ذلك شيئًا تافهًا ، يسمى الجزية !.

ولما حبس عمر أرض السواد ، وهي ما بين نهري دجلة والفرات ، وأقرها بأيدي أهلها ، لم ينقلهم بالتكاليف ، بل وضع عليهم من الجزية ( وهي على الأفراد ) والخراج ( وهو على الأرض ) مقدارا أقل مما كانوا يدفعونه للفرس بكثير .

فرض عمر على جريب[1] الكرم عشرة دراهم ، وعلى جريب النخل خمسة دراهم ، وعلى جريب الشعير درهمين .

تأمل ؟!. هذا هو الخراج الذي فرضه عمر .. وإذا علم أن الجريب أرض مساحتها ٣٦٠٠ ذراع تقريبًا أي نحوا من فدان مصري، وأن الدرهم أربعة قروش ... أمكن أن تعلم أن ضريبة الخراج التي فرضها عمر على الفدان المزروع عنبًا بالعراق هي أربعون قرشًا (١٠ درهم × ٤ قروش )[2].

---

(١) الجريب : مكيال ... والجريب من الأرض مَبْذَر الجريب الذي هو المكيال .

(٢) تقدير الدرهم بأربعة قروش حسب أسعار سنة ١٩٦٠ — وقد تضاعفت ومازالت .

وضريبة الفدان المزروع نخلا ، وما أدراك ما بلح العراق ، هي عشرون قرشا ( ٥ درهم × ٤ قروش).

وضريبة الفدان المزروع شعيرًا ، هي ثمانية قروش (٢ درهم × ٤ قروش )!!

وتعجب بعد هذا ثم تعجب من سماحة النظام الإسلامي ، وسهولته، وجماله ، و بساطته.

أربعون قرشًا يدفعها صاحب فدان من الحدائق ، ولا شيء عليه بعد هذا !.

وعشرون قرشًا يدفعها صاحب فدان من النخيل، ولا شيء عليه بعدها !

وثمانية قروش يدفعها صاحب فدان من الشعير، ولا عليه بعدها !

هذا هو الخراج أيها الصائحون في وجه الإسلام ، ولن تجدوا تخفيفا، ولا تبسيطا مثل تخفيف الحكم الإسلامي عن كاهل رعاياه، أياما كانوا عقيدة أو جنسا أو لونا.

ولا يوجد في العالم الحديث أبسط ولا أقل من تلك الضرائب.

وماذا يفيد دافع تلك الضرائب الرمزية ؟.. إنه يفيد كثيرا.. يفيد أمنا مستتبا في أنحاء دولة واسعة ، يمكنه من الحياة الناعمة الهادئة ، ويفيد عزة دولية رائعة للدولة التي ينتمي إليها ، تمكنه من الشموخ بأنفه إلى السماء ..

ويفيد حرية شاملة كاملة في عقيدته ، وآرائه ، واتجاهاته العامة والخاصة ، تمكنه أن يسعد في حياته كلها .

ومتى اجتمع للمواطن الأمن والعزة والحرية ، فهو المواطن السعيد. فماذا عن الجزية ؟. الأمر أعجب وأغرب ...

أما الجزية ، فكانت أربعة وعشرين درهما في السنة ، على كل رجل، وأعفى منها النساء والصبيان !.

ستة وتسعون قرشا ، أي نحو جنيه مصري ، ضريبة الدفاع عن كل رجل قادر على حمل السلاح ، نظير إعفائه من ضريبة الدم، من التجنيد الإجباري ، والعمل تحت السلاح .

ومن منا لا يرحب في عصرنا هذا بدفع جنيه واحد كل سنة ، ويعفى من التجنيد ، هو وأسرته كلها .

بقليل من التأمل ، ندرك أن الأسرة التي قوامها رجل وزوجة، وعدد من الأطفال ، لا تدفع جزية إلا عن الرجل القادر على القتال ، أي عن فرد واحد ، أي جنيه واحد سنوية عن الأسرة !

ثمانية قروش شهريا ضريبة الدفاع التي تدفعها الأسرة نظير حمايتها في أوطانها من أعداء وطنها، وأعداء عقيدتها .

إن أي أسرة في العالم المتمدين اليوم تدفع أضعاف أضعاف هذا المبلغ ، وهي سعيدة، لأنها تنعم بأمن دولي لقاء تلك الضريبة .

إن ميزانية التسلح في دولة كالولايات المتحدة تبلغ بلايين الدولارات سنويًا ، وإذا وزعت تلك المبالغ الباهظة على الشعب الأمريكي ، كان ما يتحمله كل فرد أمريكي مئات الدولارات سنويا من ميزانية التسلح .

ومع هذا لم يقل أحد أن الفرد الأمريكي لا ينبغي أن يدفع تلك المئات من الدولارات للحكومة الأمريكية ، بل على العكس ، إنهم يرحبون بزيادة ميزانية التسلح ؛ لأن قوة الدولة هي في نظرهم الضمان الوحيد ، لعدم تسلل الأعداء إلى بلادهم .

ولينظر الإنسان إلى دول العالم الكبرى ، وليقرأ ميزانياتها ، يمكنه أن يعلم كم ترصد كل منها للتسلح ، وكم يتحمل كل مواطن فيها من تلك المبالغ .

وتلك هي طبيعة الأمور ، ومنطق الواقع ، فلا يعقل أن تكون هناك عزة دولية لدولة ما إلا إذا كانت هناك قوة لتلك الدولة يحسب حسابها .

كما لا يعقل أن تكون هناك قوة ، إلا إذا كانت هناك أموال ينفق منها على تلك القوة.

ولا يعقل أن تكون هناك أموال إلا إذا فرضت الدولة على رعاياها من الضرائب ما يكفل تجمع تلك الأموال في خزانتها .

فإذا استبان لكل ذي عقل أن ضريبة الدفاع التي تفرضها الدولة الإسلامية على رعاياها من غير المسلمين ، كانت أقل بكثير جدا، مما تفرضه سائر الدول الحديثة على رعاياها ... وجب الإقرار للإسلام بتفوقه على كل نظام ؛ لأنه يضمن لرعاياه عزة دولية ، بأقل التكاليف الممكنة، وأقل الضرائب المفروضة .. وهذا من غير شك يؤدى إلى رفاهية الشعوب المستظلة برايته، لأنها تدفع قليلا، وتنعم بالكثير .

وإذا علم أن الدولة الإسلامية في عهد عمر ، كانت الدولة الأعظم والأوحد في الأرض، الكبرى في المجال الدولي ، العملاق الجبار ، وغيرها أقزام صغار منها يرتجفون .

إذا علم هذا من الواقع التاريخي الذي لا خيال فيه ، ولا مغالاة فيه ... وكيف يكون حال دولة ابتلعت أكبر كتلتين عالميتين آنئذ الكتلة الشرقية ، فارس ، والكتلة الغربية ، الرومان؟.

إنها الدولة العظمى الكبرى ، ورعاياها ينعمون بكل المزايا التي ينعم بها الشعب الذي يعيش

في ظلال الدولة العزيزة المهيبة المترامية الأطراف.

إن الرجل الانجليزي مثلا ، ينعم بمزايا لا ينعم بها الرجل الذي يتبع دويلة صغيرة ... وما ذلك إلا لأن الأول يستمتع بدولة مترامية الأطراف ، ويظفر بخيراتها من دون الثاني .

فكيف بالدولة الإسلامية على عهد عمر ، وقد كانت أقوى القوى العالمية ، وأغنى الكتل الدولية ... وكيف برجل يعيش في ظلالها ، و أي مزايا يمكنه أن يحصل عليها في ربوعها ؟!

لو أراد العلا وجده سهلا مبذولا ...

لو أراد الغني وجد فرصة ممنوحة للجميع .

لو أراد الأمان والسلام وجدهما نظامين بديهيين .

لو أراد أي شيء جاءه ذلك الشيء يسعى إليه .

وهذا كله كان ينعم به غير المسلم في الدولة الإسلامية مقابل لا شيء ، فلا هو يقاتل عن هذه الدولة ، ويبذل دمه في سبيلها ، حتى يمكن أن نقول أنه يدفع ضريبة الدم ، ولا هو يدفع شيئًا ذا بال من ماله نظير تلك النعم كلها ... إنما يدفع ثمانية قروش شهريًا عن أسرته ، وله أن ينعم بكل شيء في ربوع دولة تضم ثلاثة أرباع العالم يومئذ !!

أي سعادة ، أي لذة ، أي نعيم ، ومن هنا .. وضح الإسلام وتبدى أمام الأمم المفتوحة... تلألأ أمامها نورا بلا مقابل ، ودنيا بلا حقد ، ومساواة بلا طبقات ، وعدلا بلا أجر ، وجنة عرضها السماوات والأرض بعد هذا كله ... فلماذا لا يتدفقون إليه ؟..

وقد كان ... فما آنست الأمم المفتوحة من الإسلام حقيقته، حتى انطلقت تدخل فيه أفواجا .

تلك هي الجزية ... التي أكثروا فيها المقال..

تشريف للمواطن غير المسلم وتخفيف عنه ، وتيسير لحياته!!!

## اسمعي يا دنيا... عمر يفرض ليهودي في بيت المال

مر عمر بسائل شيخ كبير، ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه ، وقال : من أي أهل الكتاب أنت ؟.

قال : يهودي .

قال : فما ألجأك إلى ما أرى ؟

قال : اسأل الجزية والحاجة والسن ؟

فأخذ عمر بيده إلى منزله ، فأعطاه شيئا من المال !

حتى هنا ... يمكن أن يقال : صدقة أخرجها عمر أو أعطاها ليهودي ... ولكن الآتي هو الأهم من الأقصوصة الرائعة .

ثم أرسل عمر إلى خازن بيت المال ، فقال له :

انظر هذا وضربائه (أمثاله) فوالله ما أنصفناه ، أكلنا شبيبته ثم خذلناه عند الهرم، ورووا أنه تلا قوله تعالى﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ وقال : الفقراء هم المسلمون ، وهذا من المساكين، من أهل الكتاب .

وتلك هي عالمية الإسلام ، لقد كان عمر رجلا عالميًا ، إنسانيا تعم رحمته كل إنسان ، بلا تفريق ، ولا ألوان .

إنه يقرر قواعد سريعة جامعة ... ما أنصفناه ... أكلنا شبيبته، ثم خذلناه عند الهرم..

لقد ظلمته الدولة ، أخذت منه شبابه ، وخذلته عند الكبر ، عند العجز عن الكسب والتكسب.

مبدأ خطير ، يومئ أن على الدولة أن ترعى رعاياها إذا بلغوا الكبر ، أو عجزوا عن الكسب، فكما أخذت منهم شبابهم ، فيجب أن ترد إليهم الجميل في شيخوختهم...

ليس هذا وحده ... بل هناك ما هو أعلى وأغلى – وعليها أن تسوي بين رعاياها في ذلك... أيا ما كانت عقائدهم ومذاهبهم الشخصية...

هذا هو شيخ يهودي رآه عمر يسأل ... فأعطاه .. ثم أمر بإسقاط الجزية عنه ، وعن كل من كان على شاكلته ، ثم يذهب إلى أبعد من ذلك ، فيأمر بإعطائه معاشا من بيت المال ، يعيش منه مدى حياته !.

ثم يستخرج عمر فهما عميقا جدا من كتاب الله ... يستنبط استنباطا لا يفطن إليه إلا من كان على فقه عمر ... أن الصدقات ، أموال الزكاة ، يجوز أن ينفق منها الفقراء ، وهم أهل الحاجة من المسلمين، والمساكين وهم أهل الحاجة من غير المسلمين !!.

أعني أن الزكاة التي يدفعها أصلا الممولون المسلمون ، يجوز للدولة أن تنفق منها على غير المسلمين ! .

تأمل ! هذا هو عمر .. هذا هو الإسلام فأين في نظم العالم القائمة ، ما يبلغ تلك السماحة؟

## لا جزية إذا اشترك المواطن في الدفاع عن الوطن!

أسلم رجل ، فكانت تؤخذ منه الجزية ، فأتى عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إني أسلمت، والجزية تؤخذ مني ؟.

قال : لعلك أسلمت متعوذا ( أي فرارا من دفعها )

قال : أما في الإسلام ما يعيذني ؟

قال : بلى

وكتب عمر ألا تؤخذ منه ، ولا من أمثاله الجزية !!!

وليس هذا فقط، بل تسقط الجزية عمن يقاتل في صفوف المسلمين ، ويدافع عن الوطن.

وقد أسقط عمر الجزية عن قوم من الفرس ، تعهدوا بالقتال مع المسلمين .

ومن هنا نتبين أن الجزية ضريبة يدفعها الذميّ لقاء إعفائه من الجندية ، فإذا جند، وأدى حق الدفاع عن بلاده سقطت عنه ، وإذا أسلم كذلك سقطت عنه ؛ لأن دخوله الإسلام معناه أنه سيفرض عليه القتال فرضا كما هو مفروض على سائر المسلمين.

ومما يدل على أن الجزية الأصل فيها أن تكون ضريبة دفاع ، أن عمر بن الخطاب كلم في نصارى بني تغلب ، لما هم أن يأخذ منهم الجزية فقيل له : يا أمير المؤمنين ، إن بني تغلب قوم عرب، يأنفون من الجزية ، وليست لهم أموال ، وإنما هم أصحاب زرع وماشية ، ولهم نكاية في العدو، وإن ألزمتهم بها لحقوا بالروم ، فلا تعن عدوك عليك بهم ..

فماذا كان من العبقري عمر ، أمام تلك المشكلة ؟

صالحهم على أن ضاعف عليهم الزكاة بدل الجزية ؟!

تأمل ... عمر يتطور ... يتصرف حسبما تملى عليه الظروف... أسقط عنهم الجزية ، وفرض عليهم بدلا منها ضعف زكاة أموالهم.

فما معنى هذا ؟ .. معناه أن نصارى تغلب تدفع الزكاة نصفين، نصف زكاة ، ونصف نظير اعفائهم من القتال .

وهذا هو عمر ... رجل متطور ، يدور مع الحق حيث دار ...، لا جمود، ولا عنت ، ولا إرهاق .

وثمة دليل آخر ، على أن الجزية ضريبة تقابل اعفاء المواطن من القتال .

قال عمر يوما لأصحابه : ما أدري كيف أصنع بالمجوس ؟

فوثب عبد الرحمن بن عوف فقال : أشهد على رسول الله — ﷺ — أنه قال : سنوا بهم سنة أهل الكتاب [ المحدث : الألباني].

وعلى الفور ... كتب عمر إلى واليه على ميسان ( منطقة بين البصرة وبغداد ) أن خذ من قبلك من المجوس الجزية ، فإن رسول الله — ﷺ — أخذ الجزية من مجوس هجر .

ليست الجزية اذًا شيئًا مضروبا على أهل الكتاب وحدهم، وإنما هي ضريبة دفاع عامة ،

تؤخذ من كل رجل قادر على القتال ، من الأمم المفتوحة، طالما أنها مازالت على عقيدتها ودينها ، ولم تدخل في الإسلام بعد ... وذلك كله عوضا عن إعفائهم من الجندية والقتال .

فإذا أسلم الرجل ، أو انضم إلى جيش المسلمين ، سقطت عنه تلك الجزية إلى الأبد !!!

## من أحيا أرضا فهي له!

نادى عمر على المنبر : من أحيا أرضا ميتة فهي له .

من رأى أن أناسا يضعون أيديهم على الأرض الميتة ، ولا يستغلونها، فأعلن : أنه ليس لمحتجر، حق بعد ثلاث سنين .

فمن ترك الأرض التي أحياها ثلاث سنين مهملة، نزعت يده عنها .

والاحتجار أن يجعل لها سورا ، أو يحفر فيها بئرا ، أو ما أشبه ذلك ما تكون به الحيازة ، ثم يدعها فلا يعمرها ، ولا يدع غيره يعمرها ...

هذا هو نداء عمر إلى الشعب ... دعوة عريضة عالية لإصلاح الأراضي البور ، والتسابق إلى زراعتها وعمارتها .

إن الدولة تملّك الأراضي الشعب ، بلا مقابل ، وبلا إجراءات...

يكفي أن تضع يدك على قطعة أرض بور ، لم يسبقك أحد إلى استغلالها ، وتعمل على إحيائها ، فهي بعد ذلك حق خالص لك لا ينازعك فيها منازع .

وهذا الأسلوب من عمر هو خير أسلوب لتنمية الثروة الاقتصادية في البلاد ، وزيادة الدخل القومي .

فأنت تدفع الناس إلى التسابق إلى امتلاك الأراضي ، فترضى بذلك غرائز الملكية منهم ، ثم أنت بعد ذلك لم ترهق ميزانية الدولة ، ولم تأخذ من أحد شيئا ... فالأرض كانت بورًا مهملة، وهؤلاء جاءوها ليزرعوها ويصلحوها.

ويمكن أن يقال أن هذا هو اقتصاد الفطرة ، لا اقتصاد القوانين المفتعلة .

الأرض أرض الله ؛ لأن المال مال الله ... ثم بعد ذلك القاعدة الأخرى، الأرض لمن سبق.

فمن سبق إليها وأصلح شأنها ، فهو مالكها ، والدولة تحمي ملكيته لها .

ولو تصورنا ناسا هبطوا إلى مكان ما من الأرض ، لا حياة فيه، ولا عمران ، فإن الذي يحدث أن كلا من هؤلاء الناس يختار له مكانا منها ، ويشرع في إعداده لنفسه، واستغلاله لحسابه.

هذه هي الفطرة ...، وهذا عين ما دعى عمر إليه الجماهير...

هذه هي الصحراء أمامكم ... استبقوا إليها ... من أصلح شيئا منها فهو له .

وكلما كانت النظم المعمول بها في الدولة ماضية مع فطرة الله التي فطر الناس عليها ، كلما كانت ثابتة راسخة، لا تهدم، ولا تدفع الناس إلى التلوى والاحتيال عليها ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [ الروم ٣٠ ] .

## عمر يرفض الإقطاع!

تشمئز النفوس، وتتقزز ، إذا ذكر الإقطاع والإقطاعيون !.

فهل الإقطاع جريمة كبرى ، أم وباء وبيل ، أم ماذا دفعهم دفعًا إلى ذلك الشعور ؟

أما الإقطاع الزراعي في مصر ، فقد كان فعلا جريمة في حق البلاد والعباد .

فقد كان أكثر السادة الإقطاعيين ، نهازين ، يفرطون في أي شيء إلا في أموالهم .

كانوا قليلا من الخير ما يفعلون ... وقد كانوا هكذا؛ لأن المال إذا جمع من حرام أدى إلى الحرام .

ذلك أنك إذا تتبعت أكثر الإقطاعيات الزراعية في مصر ، وجدتها غير طبيعية...

يندر أن يوجد من الإقطاعيين الزراعيين ، من جمع أراضيه بالحق ، ومن طريق حلال .

من أجل ذلك اندفع أولئك إلى إنفاق تلك الأموال في الحرام كما جمعت من حرام .

وهذا يفسر تلك السلسلة الطويلة من المفاسد التي نتجت عن تلك الطبقة في البلاد .

ومتى وجد الترف والفسق ، وجد الفساد ، وجد الدمار ، وجد الاستعمار .

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [ الإسراء ١٦ ] .

وهذا ما حدث ... طبقة الإقطاعيين ، المترفين ، تتأمر ، تحكم، فسقوا فيها ، فخرجوا عن حدود الله ، عن حدود العدل في البلاد ، فحق عليها القول، فحقت عليها سنة الله التي لا تتبدل، فدمرت تدميرا ... استعمار ، ذلة ، فساد، رشوة ، ظلم، زنا ، نهب ، كل ما تتصور من أنواع التدمير النفسي والمعنوي والمادي ، انحطاط تام ، وانهيار عام .

ذلك كان الإقطاع في مصر ، وهذا ما ترتب عليه...

والجماهير على حق إذ اشمأزت من ذكره ، فليس لك أن تلوم المظلوم إذا أبغض من ظلمه، ولكن عليك أن تلوم الظالم على ظلمه .

ذلك منطق الفطرة ، ولست مستطيعًا أن تضاد فطرة الناس.

هذا عن الإقطاع الزراعي في مصر ... فماذا عن الإقطاع في الإسلام؟.

للإقطاع في الإسلام وضع آخر غير هذا الإقطاع المعهود في أيامنا هذه...

الإقطاع في الإسلام نوع من إحياء الموات ، ذلك أن الأرض الميتة التي لم يحيها أحد، ولم يملكها مسلم، ولا معاهد ،. وليست أرض جزية ولا يجر إليها ماء جرية ، يكون للحاكم أن يقطعها شخصًا بعينه ، أي أن يخصه بحق إحيائها . واستثمارها .

وقد أقطع الرسول – ﷺ – ، وأبو بكر ، وعمر . والإقطاع مقداره متروك لرأي الحاكم. .

وإليك أقصوصة عابرة ... في الموضوع ... موضوع الإقطاع في الإسلام ، تبين لك حقيقة اتجاه الاسلام في هذا الأمر أقطع أبو بكر طلحة أرضا ، وكتب بذلك كتابًا ، وأشهد عليه أناسًا منهم عمر .

فأتي طلحة عمر بالكتاب ، وقال : أختم على هذا .

فرآه عمر ، فاستكثره ، فقال : لا أختم، أهذا كله لك دون الناس ؟

فرجع طلحة مغضبا إلى أبي بكر ، فقال : والله ما أدري أأنت الخليفة أم عمر ؟!

قال أبو بكر : بل ، عمر ، ولكنه أبى !

## أهذا كله لك دون الناس؟!

تلك حجة عمر في رفضه للإذن الذي أصدره الخليفة أبو بكر.

إن عمر يستكثر أن يستأثر طلحة بتلك الأرض كلها من دون الناس.

إنه يرفض بشدة ، ويمزق الكتاب ، ويرد على أبي بكر ما فعل!

وأبو بكر يوافقه آخر الأمر إلى ما ذهب إليه ، أو يلغي إذنه الذي أصدره!.

ما معنى هذا كله ؟... معناه أن عمر ، وهو أصدق وأصفى صورة تنفيذية تطبيقية للإسلام، ينادي بأعلى صوته نداءه الخالد : أهذا كله لك دون الناس ؟... ثم يمزق اتجاه أبي بكر، ويرفضه ، فلا يرى أبو بكر مندوحة من الأخذ برأي عمر .. لماذا ؟. أمن خوف قام بقلب أبي بكر؟

كلا .. فما كان أبو بكر من أولئك الذين يتراجعون خشية الناس .

وإنما؛ لأن صراخ عمر ، دوى في أعماق أبي بكر ، فأيقظ فيه أنوار الحقيقة ، فاستجاب الصديق لفوره إلى ندائها .

أهذا كله لك دون الناس ؟... أطلقها عمر خالدة خلود الحق ، وجلجل بها عالية ، وانتفض بها عمر ،كما ينتفض الأسد إذا هوجم. ولقد أحس عمر أن الحق يهاجم ، أن طلحة يريد أن يستأثر بمساحة كبيرة من الأرض دون الناس ، يا له من ظلم ، يا له من بغى على الجماهير!.

أبدا لن يكون هذا .. ولن يشهد عمر على باطل ... ولو كان أبو بكر هو الذي أذن فيه .

وغضب عمر ، فغضبت له المقادير ، واهتز الفاروق فاهتزت له جوانب أبي بكر ..وتطاير ما فعله أبو بكر هباء و ألغي الإجراء !

وهذا هو رأي الإسلام في الإقطاع .. إن الإسلام يشجع الناس؛ ليستثمروا أموالهم المعطلة في إصلاح الأراضي البور ، أو الأراضي التي لا تجد من يزرعها ، ولا تجد من يملكها .

ولكنه يضع قيودا على هذه الملكية ، قيودا تدور في إطاره الخالد : أهذا كله لك دون الناس؟.

إنه لا يسمح بالتملك في إسراف ، وإنما يسمح به في تحديد وتقييد حتى لا يستأثر فرد بمساحات ، ولا يجد غيره شيئا يملكه ويعيش منه .

ماذا أريد أن أقول .. أقول: إن الإسلام لا يقر أبدا الطغيان في التملك، وإلا لأقر عمر ما فعله أبو بكر ، على مشهد من أصحاب رسول الله — ﷺ — .

ولكن عمر رجل نفاذ إلى الأغوار ، يدرك كثيرا مما يغيب عن غيره ، ولو كانوا من أصحاب رسول الله ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

يدرك عمر أن امتلاك فرد لمساحات شاسعة دون الآخرين معناه إذلال لأولئك الآخرين، و تمكين لهذا الفرد من أعناقهم .

إنه تسلط رهيب على الجماهير ... حتى ولو كانت تلك الأراضي بورا ... نعم فعن قريب سوف تتحول إلى جنات ، ويومئذ يتحول المالك إلى إله أو شبه إله في الأرض ... فيكون فتنة للذين لا يملكون، ويكون فسادا في الأرض عريضًا .

إذا لابد من بتر الفتنة قبل أن تكون أو لابد من تدمير الصنم قبل أن يرتفع...

وتلك هي الاشعاعات العمرية النفاذة التي سلطها على القضية، فكشفت زيفها ، وأضاءت باطنها .

آه لو استمكن طلحة أن يقتطع تلك الأرض ، كما وافقه أبو بكر على امتلاكها ... لو استطاع طلحة أن يحقق الاتفاقية ، لتحول آل طلحة من بعد أبيهم إلى الترف ، وما يستتبعه من مزالق وانحرافات .

والإنسان هو الإنسان ..، وما يفسده الآن ، يفسده في كل آن ... فكان عمر سيفًا بتارًا، بتر الفساد من منبته .

هذا هو الإقطاع في الإسلام ... أن يسمح الحاكم لفرد أو شركة في استصلاح شيء من الأراضي البور ، لقاء امتلاكه بعد ذلك، والانتفاع بمنافعه.

ثم يحد الإسلام تلك الملكية في الحدود التي تناسب مصلحة الجماهير، حسبما يراه الحاكم صالحا للأمة .

إن الإقطاع بالمفهوم الحديث ، أن يكون الإنسان صاحب آلاف من الأفدنة ، يمتلكها نهبًا، أوغصبًا ، أو استغلالا لنفوذ ، فذلك أمر لا عهد للإسلام به ، وإنما هو طغيان الأفراد ، أو الحكومات ، على الجماهير المستضعفة ، التي لا حول لها ولا قوة .

ذلك رأى الإسلام في الإقطاع ، وما هو بإقطاع ، إن هو إلا استصلاح الأراضي ، وتشجيع الناس على ذلك .

من أجل ذلك كان عمر يشجع الناس على استقطاع الأرض الصحراء ، إرادة تعميرها .

خرج رجل من أهل البصرة ، فقال لعمر:

إن قبلنا أرضا بالبصرة ليست من أرض الخراج ، فإن رأيت أن تعطينيها، أجعلها مرعى لخيلي، فافعل.

فكتب عمر إلى أبي موسى : إن كانت كما يقول ، فاقطعه إياها .

إن عمر يفصل في القضية ، قضية الإقطاع في الإسلام ... إن كانت كما يقول فاقطعه إياها.. إن كانت تلك المساحة من الأرض ليست من أرض الخراج ، ليست من الأرض المزروعة، ولا يملكها أحد من الأفراد ، وهي بعد ذلك أرض صحراء، يمكن إصلاحها ، والانتفاع بها كمرعى للخيل ... إن كانت كذلك فاقطعه إياها .

أما الأرض المزروعة فعلا ، كأرض السواد ما بين نهري العراق ، فلا يسمح عمر لأحد بامتلاكها ...

وقد مرت علينا صرخته الخالدة ، من قصة حبس أراضي العراق، والشام ، ومصر.

إن مصادر الانتاج يجب أن تبقى بأيدي الشعب ، وملكا للشعب.

## حرية التجارة!

من المعلوم والمقرر في الحياة الحديثة ، أن الدولة إذا أعلنت الحرب على دولة أخرى ، قطعت معها العلاقات الدبلوماسية ، وبالتالي قطعت العلاقات التجارية ، جمّدت الاتفاقات المالية القائمة، وأوقفت الصادرات والواردات حتى تضع الحرب أوزارها .

بل إن الحياة في القرن العشرين تذهب إلى أبعد من ذلك ، إن العالم كان ينقسم إلى كتلتين اقتصاديتين ، الاشتراكية والرأسمالية وتحاول كل كتلة أن تتعامل مع نفسها ، وتوصد جميع الأبواب في وجه الكتلة الأخرى ، حتى في أوقات السلام .

والعالم الحديث يزعم أنه لا سبيل له إلا أن يسلك هذا الأسلوب ، فما دامت الاشتراكية تحاول أن تبتلع العالم الرأسمالي، فلابد للرأسمالية من إغلاق الأبواب . في وجهها فلا تعامل ولا علاقات اقتصادية ..

والعكس كذلك صحيح ، فما دام العالم الرأسمالي كان يحكم الحصار الاقتصادي على العالم الاشتراكي ، فلا بد للاشتراكي من معاملته بالمثل ، وإغلاق الأبواب في وجه الدول الرأسمالية .

حصار رهيب كان مفروضا في كلتا الكتلتين...وكانت هناك محاولات ومداورات ، والتواءات دولية ، للتفكك من هذا الاختناق الاقتصادي ، إلا أن الأصل العام في اتجاه الكتلتين، أن كلا منها تتربص بالأخرى الدوائر .

كان هذا هو حال العالم الحديث ، في أيامنا هذه ... هذا العالم الذي يتنادي أنه أرقي تطور وصل إليه الإنسان في تاريخه كله !.

فلننظر الآن إلى الدولة الإسلامية على عهد عمر ، وقد كانت -كما قلنا مرارا – أكبر كتلة دولية في عالمها – كيف كان موقفها من التجارة الدولية ، وكيف كانت سياستها الانتقادية حال دول الأعداء ؟

ثم بعد ذلك يمكننا أن نقارن دولة عمر ، بكتلة العالم الاشتراكي ، أو العالم الرأسمالي ، لنعرف أي الاتجاهين كان أرقى، وأيهما كان أكثر حرية؟

كان ملوك العرب والعجم جميعًا في الجاهلية ، يأخذون من التجار ١٠٪ من أموالهم ، إذا مروا بهم .

أما عمر فقد قرر أن يؤخذ من تجار المسلمين ٢,٥٪ من رأس المال ، أي: يؤخذ منهم الزكاة المفروضة على أموالهم ليس إلا .

وقرر أن يؤخذ من تجار الذميين ٥٪ .

أما المحاربون – وهم تجار الدول الأعداء – فيؤخذ منهم ١٠٪ وذلك على قاعدة المعاملة بالمثل. كتب أهل منبج (وكانوا مشركين) إلى عمر دعنا ندخل أرضك تجارًا وتعشرنا .

فشاور عمر أصحاب النبي – ﷺ – فأشاروا به ، فكتب إلى أبي موسى (قائد العراق).

خذ منهم كما يأخذون هم من تجار المسلمين.

وهكذا فتح عمر الباب على مصراعيه أمام التجارة الخارجية .

أذن للتجار المحاربين ، الذين من دولة محاربة ، في التجارة داخل الكتلة الإسلامية ، كيفما شاءوا ، على أن يدفعوا للدولة الإسلامية ١٠٪ من رأس المال المستثمر في العملية داخل دار

الإسلام .

وقد عاملهم عمر في ذلك معاملة المثل ... خذ منهم كما يأخذون هم من تجار المسلمين.

وهذا هو الفارق البعيد بين سياسة العالم الاقتصادية الآن ، وبين سياسة الإسلام الاقتصادية.

إن الإسلام يفصل بين حالة الحرب القائمة بينه و بين إحدى الدول ، وبين تجارته مع تلك الدولة .

هناك حرب بين الإسلام والروم مثلا ... ولكن هذا شيء والتجارة شيء آخر ... فليتجر التجار ، وليكن التعامل بين الدولتين على مصراعيه ، فهذا شيء والحرب شيء آخر .

حرية التجارة على أوسع معانيها ، لا تحجير ، ولا تضييق ، ولا تجميد للحياة الاقتصادية الدولية .

أما الضريبة الجمركية التي يدفعها تجار الحرب فتتحدد بالمثل؛ كان الأعداء يأخذون من تجار المسلمين ١٠٪ فلتكن هذه هي نفس النسبة التي يفرضها عمر عليهم .

وهكذا نجد نظام التجارة الخارجية الذي أقره الإسلام في حالة الحرب والسلم ، أكثر حرية ، وأكثر رقيًا وتقدمًا ، مما عليه العالم الحديث في أساليبه الاقتصادية الدولية .

فما يكاد يدوى نفير الحرب الآن بين دولتين ، حتى ينطلق الذعر العام في النفوس ، ويضع التجار أيديهم على قلوبهم ، مما سيحدث من إجراءات عنيفة تؤدي إلى شلل الحياة الاقتصادية وجمودها تماما بين الفريقين.

وكما ذكرنا مرارا ... إن الإسلام دين الحرية في كل شيء ، إلا أن تكون حرية تقر باطلا وتمحق حقًا ... ودين السلام إلا أن يكون سلامًا يضيع حقًا ويعلي باطلا ... ودين الإخاء إلا أن تكون أخوة تطمع عدوًا في مصالح الشعب ... نقول الآن إن الإسلام يعتبر حالة الحرب حالة شاذة، ليست طبيعية ، بينه وبين الدول التي تحاربه ، فهو لذلك يفرق بين التجارة وبين الحرب، ولا يمانع في تبادل المنافع بين بلاده و بلاد أعدائه .

والإسلام في هذا أعمق غورا ، وأبعد مدى ، من أولئك الذين يسوسون العالم الحديث إلى حافة الهاوية ، وينفخون في نار الخصومات الدولية وأحقادها .

ذلك أن دولة الاسلام دولة فكرة ودعوة ... أعلى وأشرف وأسمى فكرة ... يريد أن يعرض نظامه على كل إنسان ، وكل دولة ... ودخول التجار الأجانب إلى بلاده وخروجهم ، هو خير فرصة ليلمسوا بأنفسهم عظمة الدولة الاسلامية ، وسموها في جميع اتجاهاتها ، في عباداتها، في نظام حكمها ، في مجتمعها ، في أخوتها ، في عدالتها ... فيحمل أولئك الأجانب إلى بلادهم أفكارا

طيبة عما رأوا ، وينقلون إلى أممهم صورة لما شاهدوا ... وهذا وحده خير دعاية للإسلام، وفكرة الإسلام.

والتاريخ مليء بالأحداث التي ترتبت على حرية التجارة بين دار الإسلام ودار الأعداء ، وأدت في النهاية إلى تدفق الجماعات والأمم على هذا الدين .

فقد حدث أن شعوب القارة الهندية ، جاءت تلقائيا في عهد عمر بن عبد العزيز ... جاءت أمم من الهند وحدها ... عن طواعية ؛ لتعلن إسلامها بين يدى عمر بن عبد العزيز ؛ لما سمعوا عن عدله ؛ ولما علموا من عظمة الدولة الاسلامية في أيامه .

الإسلام إذا دولة مؤسسة على فكرة... فكرة إلهية ... مفروض على الدولة تبليغها بشتى الوسائل ، فلئن قامت الحرب بينه و بين دولة ما ، فلا يجوز أن تمنع حالة الحرب وصول الدعوة بشتى طرق الدعاية إلى سائر الناس .

دين عجيب ، ودولته دولة عجيبة ، وأساليب ساستها عميقة بعيدة ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون!!

إن دولة الاسلام دولة مفتوحة للجميع ... هي العالم الحر الحقيقي ... ليس عندها ما تخشى أن يراه كل أعدائها...

ليست دولة الستار الحديدي كما كان يُسمَّى الاتحاد السوفيتي سابقًا ؛ لأنها لا تخشى أن تنكشف للناس ... بل على العكس إنها تريد أن يقبل عليها الجميع ؛ ليشهدوا بأنفسهم كيف جعل منها الإسلام وحدة رفيعة ، منيعة ، متآخية في الله ...

ماذا تتصور من العظمة ، يشهدها الناس في دولة عمر ، دولة الإسلام ؟.

يدخل الأجانب إليها تجارا ، فيرجعوا عنها دعاية عريضة لعظمتها ، وعزتها ، وعدلها ، وربانيتها ، وسموها ..

وحدث ولا حرج بعد هذا عن أثر تلك الدعاية في نفوس الأعداء .

والآن أسوق إليك قصة ، تبرهن على صدق مذهبنا في هذه القضية ... أن حرية التجارة بين الاسلام و أعدائه ، كانت خير دعاية الإسلام ، وبالتالي سبب دخول أمم بأكملها في دين الله.

## عبقرية العدل!

بعث عمر زياد بن حدير الأسدي على عشور (جمرك) العراق والشام، وأمره أن يأخذ من المسلمين ربع العشر ، ومن الذميين نصف العشر .

فمر عليه رجل من بني تغلب ، من نصارى العرب، ومعه فرس فقوموها بعشرين ألفًا ، فقال:

أعطني الفرس ، وخذ مني تسعة عشر ألفًا ، أو أمسك الفرس وأعطني ألفا .

فأعطاه ألفًا وأمسك الفرس . ثم مر عليه راجعًا ، في سنته نفسها، فقال : أعطني ألفًا أخرى.
فقال له التغلبي : كلما مررت بك تأخذ منى ألفًا ؟!

قال : نعم .

فرجع إلى عمر ، فوافاه في مكة ، وهو في بيت له ، فاستأذن عليه ، فقال : من أنت ؟.

قال : رجل من نصارى العرب ... وقص عليه قصته .

قال له عمر: كُفيت

ولم يزده عمر على ذلك!

فرجع الرجل إلى زياد بن حدير ، وقد وطن نفسه أن يعطيه ألفًا أخرى...

فوجد كتاب عمر قد سبق إليه ، وفيه : من مر عليك ، فأخذت منه صدقة ، فلا تأخذ منه شيئا إلى مثل ذلك اليوم من قابل ، إلا أن تجد فضلا ! !

فقال الرجل : قد والله كانت نفسي طيبة أن أعطيك ألفًا ، وإني أشهد الله أني بريء من النصرانية ، وإني على دين الرجل الذي كتب إليك هذا الكتاب !!

ماذا في هذا ؟ ... فيه دلائل وآيات على المذهب الذي ذهبنا إليه ... أن دولة الاسلام دولة فكرة ودعوة قبل أن تكون دولة دنيا ومنافع.

وأن الحاكم في الإسلام مثل هذه الفكرة في سلوكه، وأعماله، وأقواله .

وأن الدولة بتمثيلها لفكرة الإسلام تمثيلا صحيحًا ، وأن حاكمها بتطبيقه للإسلام على نفسه تطبيقًا حقيقيًا ... خير دعاية للفكرة ... دعاية لا تقاوم ، ولا تخيب أبدا .

وهل من شيء يؤثر في النفس البشرية أعظم من العدل؟.

اللهم لا... ها هو الرجل من دولة الأعداء المحاربين يرفع قضيته إلى عمر ... وها هو رئيس الجمهورية الإسلامية الأعظم يستمع إليه ... ثم لم يزد على أن قال له : كفيت !

وخرج الرجل يجرر أذيال الخيبة .. ما هذا؟.. هل هذه الكلمة الواحدة تصنع له شيئا ؟.. وماذا يفيد من قول عمر له : كفيت؟

وتذهب نفس الرجل حسرات ، ويعود آسفا إلى العراق، وقد يئس من إعفائه من تكرار الضريبة كلما مر على جمرك عمر، ويوطن نفسه على دفع الألف درهم المطلوبة ، ولا يبعد أنه قد حدث نفسه أنه كان مغفلا إذ يعرض قضيته التافهة هذه على عمر ، ويشغل رئيس الدولة بهذا

الأمر الصغير .

ثم ماذا ؟ ... ثم يفاجأ الرجل بأمر لم يكن في حسبانه أبدا .. يفاجأ بكتاب عمر قد سبقه إلى زياد .. لا تأخذ منه شيئا إلى مثل ذلك اليوم من قابل !!

فماذا كان من التاجر الأجنبي ؟ ... بهرته عظمة العدل ، وهزت كيانه من أعماقه ، وأحدثت بنفسه انقلابا نفسانيًا خطيرًا ... تحول — على أثره — قلبه من دين إلى دين ، من النصرانية التي كان عليها إلى الإسلام الذي عليه عمر، ذلك الرجل الذي حكم في قضيته ذلك الحكم العادل ، الباهر، القاهر .

ولم يتمالك الرجل نفسه أن يعلن سبب الثورة التي قامت بنفسه فصاح بها : إني أشهد الله أني بريء من النصرانية ، وأني على دين الرجل الذي كتب إليك هذا الكتاب ؟!.

إنها عبقرية العدل .. العدل الذي كان من عمر ، العدل الذي تحول إلى تنفيذ سريع ، وتطبيق أسرع من مندوب عمر..

وكيف لا يرغب الرجل أن يتحول إلى دين رجل أنصفه وأكرمه؟.

كيف ... والناس حين يشهدون شيئا من الرقي المادي أو الأخلاق الذي عليه مجتمع الدول الحديثة ، ينقلبون إلى ببغاوات تردد أناشيد الثناء على تلك المجتمعات ؟ .

فكيف لا يرغب الرجل أن يكون على دين رجل كعمر ؟..

ومن هنا يتلألأ شيء من عظمة الإسلام ، وندرك قطرة من بحار الحقيقة العمرية ، حقيقة الإسلام .

ومن هنا ندرك أن هذا الإسلام لن يقتنع به العالم الحديث ، ولن يؤمن بما فيه من عظمة، حتى تكون هناك دولة إسلامية ، تطبق الإسلام تطبيقًا صحيحًا في أحكامها وشعبها ، ويومئذ يؤمن العالم الحديث بالإسلام ، وحضارة الإسلام ، وروعة الإسلام .

أما أن ندعو الإنسان الحديث إلى الإسلام ، وهو مجرد نظريات جميلة في الكتب والمقالات، فهذا شيء لا يثير التفات العالم الحديث في كثير أو قليل .

إن الاشتراكية يوم أن كانت مجرد أفكار في رأس منشئها، أو سطور في كتب مؤسسها ، لم تكن شيئا يثير اهتمام الناس .

ولكن يوم أن قامت الدولة الاشتراكية ، وأصبحت حقيقة واقعة ... التفت العالم الحديث كله إليها في رعب واهتمام .

كذلك كل فكرة ، وكذلك هذا الإسلام ، سيظل شيئا لا وزن له عند أعدائه ، حتى تقوم

الدولة الإسلامية التي تنفذه ... يومئذ ستلتوي الأعناق إليها طوعا أو كرها ، ويومئذ تقوم الدنيا وتقعد من أجل الإسلام .

ومن هنا أصر النبي - ﷺ - أن تقوم الدولة الإسلامية ... فلما أقامها رعبت قريش ، ثم رعبت الجزيرة العربية ثم رعبت فارس ، والروم ، وتداعى العالم كله أمام رهبوت الاسلام وقهروته .

ومن هنا كذلك أصر أبو بكر أن تتمدد الدولة الإسلامية ، ولم يرض أن تنكمش على ما تركها عليه محمد - ﷺ - .

ومن هنا ايضًا قرر عمر أن تواصل الدولة الإسلامية امتدادها حتى اتسعت في عهده اتساعا لا مثيل له لإمبراطورية قبل الإسلام

وقامت الدنيا وقعدت ، وتساءل الناس جميعًا : ما هذا ؟.

فقال التاريخ : هذا هو الإسلام ، هذه دولة الإسلام ... أفسحوا لها الطريق ، فإنها كلمة الله ، وكلمة الله هي العليا ... لا تضعوا الأحجار في طريقها ، فما من أحد قاومها إلا بددته ، لأنها إرادة الله ، وإرادة الله لا تقاوم .

وسوف يظل هذا الإسلام شيئا لا وزن له دوليًا ، حتى تقوم دولته ، ويومئذ يرهبه العالم كله، وعنه يبحثون !!

## تعديل التعريفة الجمركية!

وكان عمر إذا رأى مصلحة في تعديل مقدار العشر بدله ؛ لأن أصله (المعاملة بالمثل) و(مصلحة الناس) ، فكان يأخذ من النبط من الزيت والحنطة نصف العشر (٥٪) ، لما احتاجت المدينة إليهما ، ليكثر حملهما إليها .

فما معنى هذا ؟ .. معناه أن عمر يتطور مع الحوادث ، ومع ما فيه تخفيف عن الجماهير.

لم يكن أبدا ذلك الرجل جامدا ولا متحجرا .. وإنما كان عقلا فعالا ، ينفعل بما يصيب الناس ، ويألم لآلامهم ، ويعمل جاهدا لتخفيف ما يثقلهم.

لقد خفض الضريبة الجمركية على الواردات إلى المدينة من الزيت والحنطة ... خفضها من ١٠٪ إلى ٥٪ ليكثر التجار من استيرادها ، فيتوافر القوت للشعب ، وتخف أعباء المعيشة عن الجماهير.

وهكذا دائما وأبدًا كان عمر ... في كل شأن من شئون الحياة ما وجد سبيلا إلى التطور إلا سلكه ، مستنبطا من كتاب الله، وسنة رسوله ، ما يؤيد السبيل الذي تطور إليه .

وكثيرا ما صادم عمر بأسلوبه هذا قادة الأمة ، وفاجأهم برأيه في شأن من شئون الحياة ... ثم ما يزال بهم ، يجلو لهم وجه الحق مما يراه، حتى تنشرح صدورهم إلى ما ذهب إليه ، ويأخذوا في

تنفيذه ، فإذا فيه خير عميم للأمة كلها.

ولقد مر علينا كيف صادم برأيه الأغلبية الساحقة من قادة الأمة ، في موضوع الأراضي الزراعية بالعراق ، وكيف كان يرى ألا تقسم على المحاربين، بينما ترى الأغلبية التقسيم ، ثم مازال بهم، حتى اقتنعوا ، وانتصر رأيه أخيراً.. وحُبست أراضي العراق ، ثم الشام، ثم مصر ، وأصبحت قاعدة عامة ، عم خيرها الجميع !

كذلك عمر دائمًا ... ميزه الله بحاسة خارقة ، حاسة العدل والحق ...

وهذا التطور الدائم من عمر ، هو طبيعة هذا الدين ، دين الحياة...

إن التطور ناموس إلهي فطر الله عليه الأحياء ... فينبغي على المسلمين دائمًا أن يتطوروا، نحو الأرقى ، نحو الأفضل...

قال تعالى ﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [ البقرة ١٤٨ ] ... كونوا سباقين إلى الخير ، إلى الأحسن..

وقال ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [ الحديد ٢١ ] ... سيروا سراعا إلى مغفرة الله... إلى الحياة التي يرضى الله فيها عنكم ... إلى الحياة الأفضل والأرقى ...

وكان عمر أسرع الناس إلى ذلك ..، وأسبقهم إلى الخير ..، وهذا هو التطور في الإسلام.

الإسلام يأمر دائمًا بالتطور ... ولكن نحو الخير ... أما التطور نحو الأدنى ، نحو الأحط ، نحو الشر ، فالإسلام يمنعه ويحرمه على الناس.

مثال ذلك ... هذه الحياة الحديثة التي نحن فيها ... تتطور في كل لحظة ، وتتجدد في كل يوم... فما هو رأي الإسلام في هذا التطور ، هل نتطور معها، ولا نبالي أإلى شر أم إلى خير ؟

لا... نتطور نحو الخير ، ولا نتطور نحو الشر.

؛ لأن الله يحب من الإنسان أن يترقى إلى أعلى ، ولا يحب منه أن ينزل إلى أسفل سافلين.

فكل أمر يؤدي إلى التخفيف عن الناس ، أو تيسير الحياة لهم ، أو تبسيط العيش في مجتمعهم ، ينبغي أن نسارع إليه؛ لأن هذا تطور يحبه الله ، تطور نحو الخير.

وإليك ما هو أعجب من ذلك ما كان من عمر!!!

## إسقاط الضرائب عن المدينين!

غير المسلمين ، في نظر الاسلام ، طبقات : الذميون (المواطنون غير المسلمين) ولهم ما لنا وعليهم ما علينا . ثم المعاهدون ، أي: الذين بين حكومتهم وبين المسلمين معاهدات صداقة ، ثم المستأمنون ، أي: الأفراد الذين يدخلون بلادنا بإذن الحاكم. ثم الحربيون أي: الذين بيننا وبين

حكوماتهم حالة حرب .

وكان عمر يعفي من العشر والجزية الذمي ، وهو المواطن غير المسلم الذي يجب عليه العشر، إذا أثبت أن عليه دينا يستغرق ماله كله !!

وذلك عين الرحمة من الحكومة نحو مواطنيها ... إنها تشعر بشعورهم ، وتتألم بآلامهم ، وتتنازل عن حقها طرف المواطن إذا ما أثبت عجزه عن دفع تلك الضرائب .

وذلك هو التفاعل والتراحم ، الذي ينبغي أن يكون بين الحكومة والشعب .

## أفضل الأعمال .. إطعام الشعب الجائع!

ندخل الآن إلى عمر في عام الرمادة ، عام المجاعة ، في سنة ١٨ هجرية ، حين حدث قحط عظيم في الحجاز ، استمر تسعة أشهر ، فسمي عام الرمادة ؛ لأن الريح كانت تهيء ترابا كالرماد؛ ولأن الأرض صارت سوداء مثل الرماد .

ندخل إلى عمر ، وهو يعاني أقسى تجربة ، تجربة حاكم يعيش مع شعبه المأساة ... مأساة المجاعة...

ولا ندخل في تفصيلها ... فقد مضت في فصول الكتاب الأولى ..، وإنما نقتطف منها زهرة، نضمها إلى زهور الباقة العمرية ...

استغاث عمر بولاته على البلاد المفتوحة ، أن يمدوه بتموين عاجل فبعث عمرو بن العاص آلاف من الإبل من مصر ، تحمل الطعام والكساء...

ودعا عُمر الزبير بن العوام وقال له : اخرج في أول هذه المير فاستقبل بها نجدا ، فاحمل إلى أهل كل بيت ما قدرت أن تحملهم إلى ، ومن لم تستطع حمله ، فمر لكل أهل بيت ببعير بما عليه، ومرهم فليلبسوا كسائين ولينحروا البعير ، فليجملوا شحمه، وليقددوا لحمه، و ليحتزوا جلده، ثم ليأخذوا كمية من قديد ، وكبة من شحم ، وحفنة من دقيق ، فليطبخوا، ويأكلوا حتى يأتيهم الله برزق .

ثم يقول عمر : فو الله لعلك ألا تكون أصبت بعد صحبتك رسول الله — ﷺ — شيئا أفضل منه.

فأبى الزبير أن يخرج واعتل .

قال عمر : أما والله لا تجد مثلها حتى تخرج من الدنيا .

والذي نريد اقتطافه من القضية هو تقرير عمر الأخير ... لم تصب بعد صحبتك شيئا أفضل منه .. أي لا يوجد عمل تعمله يا زبير أفضل من خروجك بتلك الآلاف من الجمال لتطعم الشعب

الجائع .

ثم يؤكد تقريره بتقرير آخر فيقول له : والله لا تجد مثلها حتى تخرج من الدنيا ... والله لا تجد عملا تعمله مثل إطعامك الشعب الجائع ، حتى تخرج من الدنيا ، حتى تموت ، لن تجد عملا يساوي عند الله إطعام الجماهير الجائعة .

هذا ما يعنينا من القصة ... لا؛ لأن باقي القصة تافه ، ولكن؛ لأن هذا المعنى أشد نورا ولألاء من سائر أنوارها ، وإنها لنور كلها .

هنا فلسفة عالية ... هنا يقرر عمر ... يقرر الإسلام ... أن أفضل عمل يعمله الحاكم هو إطعام الشعب الجائع .... هو توفير الغذاء والكساء، والإيواء للجماهير .

ما معنى هذا ؟...هل معناه أن الإسلام يعتبر لقمة العيش هي كل شيء ؟.

كلا ... وإنما الإسلام يريد أن يوفر لك غذاءك، وكساءك، ومسكنك، وحاجاتك كلها ، لتفرغ من مشاكلك المادية ، فتتفرغ لحق الله عليك ، لعبادة الله ، وشكره على ما أنعم عليك .

وهنا نرى الإسلام والاشتراكية يفترقان ، ولا يتلاقيان...

الإسلام يهتم أشد الاهتمام بالمشكلة المادية لا؛ لأنها هي الحياة، وهي الهدف، ولكن؛ لأنها عائق عن الله ، ومعقل للقوى البشرية أن ترتفع وتسمو نحو ربها ، فهو يحل المشكلة المادية ؛ ليحرر الإنسان منها ، فلا يكون عبدًا لها ، وإنما يكون بعد ذلك عبدًا لخالقه .

الإسلام ينظر إلى الماديات على أنها حجر في الطريق ، طريق الإنسان إلى ربه ... فيجب رفع الحجارة ؛ ليتقدم الإنسان إلى خالقه وهو آمن من العثار .

أما الاشتراكية فترى أن المال هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن، وهو على كل شيء قدير.

وما دام الأمر كذلك فهي ترى أن يكون المال للجميع ، للدولة، والدولة تضمن للجميع أن يأكلوا ، وأن يشربوا ، وأن يلبسوا، وأن يسكنوا ..، وماذا بعد هذا؟

عليهم أن يسبّحوا بعد هذا بحمد الدولة ، التي كفلت لهم كل هذه النعم ... أن يكونوا قطعة غيار في جسم الآلة الأكبر جسم الدولة.

وهنا يتحجر الإنسان حتى يتحول إلى قطعة من حديد ، أو قطعة من حجارة مرصوصة في بناء عظيم !

هناك اختلاف كبير جدا بين النظرتين ، نظرة الإسلام إلى المال ونظرة الحضارة المادية عموما إليه .

الإسلام يرى أن المال عصب الحياة فعلا ، وأنه لذلك يجب أن يحل الناس مشكلته فيما بينهم بالعدل ، حتى يتفرغوا بعد ذلك لربهم ، لرسالتهم التي خلقوا من أجلها ، وهي معرفة الله،

وشكر الله ، وتعظم الله .

أما الحضارة المادية فترى المال كل شيء ، وينبغي أن يكون كل شيء في خدمته ، حتى الإنسان ، يجب أن يستعبد لحساب الإنتاج ، لحساب المال ، لحساب الآلة الكبرى ، آلة الإنتاج العام .

وننظر الآن إلى عمر ..، ونلتمس فلسفته ، فلسفة الإسلام في الأمر ... فنجد أنه يعتبر أفضل عمل يعمله الحاكم هو إطعام الشعب الجائع ، فندرك من هنا أن الحكومة التي لا تكفل ما استطاعت للشعب حاجياته ، حكومة لا تدرك واجبها نحو شعبها .

؛ لأن الإسلام هو الذي علَّم عمر أن يدخل المأساة بكل طاقاته .. فحرم على نفسه الدهن حتى يأكل كل الشعب الدهن ، وحرم على نفسه أن يأكل وحده ، وإنما في جمع من الجائعين يأكل .. حتى لا يظن مواطن أنه يؤثر نفسه بطعام دون الناس، وما زال الرجل مهمومًا بأمر الشعب حتى نحل جسمه ، وأسود وجهه ، وانفجر يبكي بين يدي ربه ، ألا يجعل هلاك الأمة على يده !.

الإسلام هو الذي علم عمر كل هذا .. وما زال هذا الإسلام صالحًا اليوم وكل يوم ، أن يجعل الحاكم دائما هكذا ، يجعله رجلا يعيش آلام الجماهير ، ويكتوى بنارها ، ولا يرتفع عنهم في شيء ، لا في ملبس ، ولا في مسكن ، ولا في مأكل ، ولا في مظهر.

وشيء آخر نستنبطه من فلسفة عمر ... ومن تقريره أن أفضل عمل هو إطعام الجماهير الجائعة .

ذلك الشيء هو أن الحكومة ينبغي أن تتصرف بكل طاقاتها إلى رفع مستوى الشعب ، إلى إيصال الخدمات الاجتماعية إلى كل القطاعات ، إلى كل الأفراد، إلى كل المستويات .

وأن الحكومة كلما حققت نصيبًا أكبر في ذلك المضمار كلما كانت أقرب إلى هدى الإسلام، وروح الإسلام .

وكلما كانت ميزانية الدولة أميل إلى الخدمات كلما كانت أقرب إلى توجيه الإسلام .

وعمر أدرك هذا ، وما هو أعلى من هذا ، بفطرته ، فطرة الحق، وبإيمانه إيمان العمالقة ، وباتباعه لخير أسلوب في الحياة أسلوب محمد – ﷺ –.

أدرك الرجل أن أعظم مهمة تقوم بها الدولة ، هي أن تكون في خدمة شعبها ، أن ترفع مستوى شعبها ، أن تكفل له طعامه، وملبسه ، ومسكنه ، وحاجياته كلها ، وأن هذا أفضل من الصيام والقيام بالليل والناس نيام .

؛ لأن الجائعين لا يستطيعون التفكير في الله حتى يأكلوا ، والعراة لا يستطيعون التوجه إلى

الله حتى يستروا عوراتهم .

والذين يلتحفون السماء، ويفترشون الغبراء لا يستطيعون مد أيديهم إلى الله حتى يكون لهم مأوى يأويهم وبيتا يسكنون فيه.

ومن هنا يقول الإسلام : كادت الفاقة أن تكون كفرًا .

نعم فإن الفاقة – انحدار المستوى المعيشي للشعوب – يدفعها إلى الكفر.

وأكثر الناس يؤمنون بالله من أمعائهم ، فمتى امتلأوا ، وشبعوا ، ورووا ظمأهم ... استطاعوا أن يستقيموا بعد ذلك ، ووجدوا أنفسهم تواقين إلى شكر من أعطاهم هذا كله إلى شكر الله .

وكما أن البلاء قد يكون طريقا إلى الله ... فإن النعمة هي طريق العباد الأكبر إلى ربهم.

فإذا استمتع العبد بشيء من حقه في الحياة ، بشيء من نعم الله. ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ﴾ [ النحل ٥٣ ] ، أحس أن لله عليه حقا ، أن يشكره على نعمائه .

أما إذا عاش الإنسان صفرا لا يجد في الحياة إلا الحرمان ... فإنه لا يشعر لله عليه حقًا ما... بل على العكس يميل إلى الاعتقاد، أن المقادير تنكل به وتعذبه ، وأنها ظلمته إذ وضعته ذلك الموضع الشائك من الحياة .

من أجل ذلك كان الإسلام واقعيا ، وماديا أكثر من الماديين أنفسهم ، في نظرته إلى المال.

فهو يقول : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾ [ النساء ٥ ] .

أي أنه يرى أن الأموال قوام هذه الحياة ، وهي أساس الحياة الدنيا.

ومن أجل هذا انطلق عمر ، وجند نفسه وجند كل طاقات الدولة ليرفع المجاعة عن الشعب الجائع .

ولم يتحول عن سياسته هذه ، حتي أمطرت ، واخضرت الأرض، وارتفع الوباء .

شيء واحد يختلف فيه عمر ... عن المدنية المادية القائمة أن الإسلام يكفل الحياة السعيدة للإنسان ، ليشكر ذلك الإنسان ربه بعد ذلك ، أما المدنيات المادية فتكفل الحياة السعيدة للإنسان و تنتهي بالإنسان عند هذا الحد الرخيص !

## عمر يعين عبدًا أميرًا على مكة!

لقى نافع بن عبد الحارث عمر بن الخطاب بعسفان حين قدم الحج، وكان قد استعمله على مكة فقال : من استعملت على أهل الوادي ؟.

قال : عبد الرحمن بن أبزى ؟.

قال : ومن عبد الرحمن بن أبزى ؟.

فقال : مولى من موالينا.

فقال : استعملت عليهم مولى ؟!

فقال : إنه قارئ لكتاب الله ، عالم بالفرائض .

فهان ما بعمر ، وقال : أما إن نبيكم قال : إن الله يرفع بهذا الكتاب قوما ، ويضع به آخرين .

وهذه قصة أخرى نرفعها في وجه العالم الحر !

فبينما الولايات المتحدة تنكر كثيرًا من حقوق أولى الوجوه السوداء ، إذا بالإسلام الكريم ، يرفعهم إلى أرقى درجات السيادة والقيادة ، إمارة مكة !!

وما أدراك ما مكة في عهد عمر ... العاصمة الروحية للدولة الإسلامية الكبرى ، ذات الجلال و الجمال ... بيت الله الحرام ... فيها سادات قريش ، وأئمة الدولة ... فهي تعدل في المجتمع الحديث نيويورك وزيادة ..، ومع هذا يقر عمر إمارة أبزى عليها ، ويقول : إن الله يرفع بهذا الكتاب قومًا، ويضع به آخرين .

لقد كان المجتمع البشري عند نزول الإسلام نوعين ، سادة أحرار، وعبيد أرقاء .

وكان هذا النظام سائدًا ، محترما ، نافذا ، دوليًا ، ومحليًا .

فجاء الإسلام يسوى بين الجميع في الحقوق والواجبات ، بندائه الخالد : « كلكم لآدم وآدم من تراب » .

وكان هذا أخطر انقلاب في مفاهيم الناس !!!

## نموذج للحاكم في عهد عمر!

قال خالد بن معدان : استعمل علينا عمر ، بحمص ، سعيد بن عامر.

فلما قدم عُمر حمص قال : يا أهل حمص ، كيف وجدتم عاملكم ؟

فشكوه إليه ، وكان يقال لأهل حمص الكويفة الصغرى لشكايتهم العمال.

قالوا : نشكو أربعًا ، لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار .

قال : أعظم بها ! . وماذا ؟

قالوا : لا يجيب أحدًا بليل .

قال : وعظيمة !. وماذا ؟

قالوا : وله يوم في الشهر لا يخرج فيه إلينا.

قال : عظيمة ! . وماذا ؟.

قالوا : يغنط الغنطة بين الأيام (يغمى عليه ويغيب عن حسه) فجمع عمر بينهم وبينه وقال: اللهم لا تخيب رأيي فيه اليوم . وافتتح المحاكمة ، فقال لهم أمامه : ما تشكون منه ؟.

قالوا : لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار .

قال : ما تقول ؟.

قال : والله إن كنت لأكره ذكره ، ليس لأهلي خادم ، فأعجن عجيني، ثم أجلس حتى يختمر ، ثم أخبز خبزي ، ثم أتوضأ ، ثم أخرج إليهم .

فقال عمر : ما تشكون منه؟.

قالوا : لا يجيب أحدًا بليل . قال : ما تقول؟.

قال : إن كنت لأكره ذكره ، إني جعلت النهار لهم ، وجعلت الليل لله – ﷻ –.

قال : وما تشكون ؟.

قالوا : إن له يومًا في الشهر لا يخرج إلينا فيه .

قال : ما تقول ؟.

قال : ليس لي خادم يغسل ثيابي ، ولا لي ثياب أبدلها ، فأجلس حتى تجف ثم أدلكها ، ثم أخرج إليهم من آخر النهار .

قال : ما تشكون منه ؟.

قالوا : يغنط الغنطة بين الأيام .

قال : ما تقول ؟.

قال : شهدت مصرع خبيب الأنصاري بمكة ، وقد بضعت قريش لحمه، ثم حملوه على جذعة ، فقالوا : أتحب أن محمدا مكانك؟ . فقال : والله ما أحب أني في أهلي وولدي ، وأن محمدًا ﷺ شيك بشوكة ؟. ثم نادى ، يا محمد!. فما ذكرت ذلك اليوم ، وتركي نصرته في تلك الحال وانا مشرك لا أومن بالله العظيم ، إلا ظننت أن الله ﷻ لا يغفر لي بذلك الذنب أبدًا فتصيبني تلك الغنطة (الإغماءة).

فقال عمر : الحمد لله الذي لم يخيب فراستي .

فبعث إليه بألف دينار وقال: استعن بها على أمرك، ففرقها !!

ماذا أقول؟ ... لو أن كتابًا ضخمًا أفرد لاستخراج المفاهيم الإنسانية من تلك الأقصوصة وحدها، لضاق الكتاب عن استيعابها !.

إنها تراث إنساني عام ، ينبغي أن يتفهمه الناس جميعا ، أياما كانت ثقافاتهم ، وأوطانهم، وأديانهم .

فمن ذا الذي يستطيع أن يملك عينيه عن البكاء، وهو يقرأ ذلك التحقيق ، ويشهد تلك المحاكمة ؟.

تا الله لو كان جبلا من جرانيت يصغي إلى تلك القصة ، لرأيته خاشعًا متصدعًا ، من عظمة المعاني العليا ، الكامنة فيها.

فكيف بالقلب الإنساني ، وماله لا يذوب أمام عظمة ذلك الإنسان ؟ .

عمر ... في جولته التفتيشية على بلاد الشام ، يسأل أهل حمص ... يسأل الشعب : كيف وجدتم عاملكم ؟

ونقف هنا طويلا لنتأمل تعبير « عاملكم » ... لم يقل عمر حاكمكم أو أميركم أو أخيكم... وإنما قال عاملكم .

وهو مفهوم له دلالته ... يدل على نظرة عمر ، نظرة الإسلام إلى الحاكم ، أنه عامل ..، عامل لحساب الشعب ، يستعمله الشعب في إدارة شئونه ، وليس له بعد ذلك أي امتياز على أي مواطن .

ولذلك نرى عمر دائما ، والشعب دائما ، يعبر عن الحاكم بالعامل ، ويعبر بالاستعمال بدلا من التعيين وهكذا .

وتلك هي نظرة الإسلام إلى الحاكم ... أنه عامل ليس إلا.

ونعود إلى قصتنا فنقول : فكان جواب أهل حمص أن شكوا أربعة أمور من عاملهم .

وكانت المحاكمة، وكانت المواجهة ، بين الحاكم والشعب .

وشكل رئيس الجمهورية الإسلامية العظمى أكبر محكمة عليا ورأسها بنفسه...، وجيء بالحاكم، وجيء بالشعب الشاكي .

وشهدت الأرض نوعًا من المحاكمات التي لا عهد لها به في تاريخها الطويل .

شهدت رئيس الدولة الأعظم على وجهها يواجه الشعب بالحاكم، ويواجه الحاكم بالشعب.

قال رئيس الدولة ، رئيس الجلسة : ما تشكون منه ؟.

قالوا : لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار .

قال : ما تقول ؟.

قال الحاكم : والله إن كنت لأكره ذكره : ليس لأهلي خادم فأعجن عجيني ، ثم أجلس حتى يختمر ، ثم أخبز خبزي ، ثم أتوضأ، ثم أخرج إليهم.

أي عظمة تدنو ولو قليلا من عظمة ذلك الرجل ؟ .. حاكم حمص ، الذي إن شاء لاستعمل الأرقاء والأحرار في خدمته ، يعجن عجينه بيده ، ثم ينتظر حتى يختمر ، ثم يخبز خبزه، حتى إذا ما انتهى من ذلك كله ، ذكر حق الله عليه ، فتوضأ ، ثم خرج إلى الشعب، ليكون في خدمته طول النهار !!.

وأنا أتعمد أن أعرض على العالم الحديث ذلك الأنموذج للحاكم في عهد عمر، عهد الإسلام؛ ليعلم كل إنسان أن ما عليه الحكّام اليوم ليس من الإسلام في قريب أو بعيد.

وإنما هو ظلمات وعفونات، وأوحال يندى لها جبين الإنسانية...

؛ وليعلم أولئك أنهم وصمة عار في جبين دينهم ، دين الإسلام ؛ لأنهم أسوأ دعاية لهذا الدين العظيم .

وأن العالم الحديث ينظر إلى ما هم عليه على أنه من الإسلام، فيزداد احتقارًا لدين هذا شأن شعوبه .

إن الإسلام بريء مما يفعلون ... إن الحاكم المسلم هو هذا، هو ما نعرض عليك صورته الآن!

هو هذا الرجل الذي يخدم نفسه ، ويخدم بيته ، ويعجن عجينه بيده، و يخبز خبزه بيده .

لا خدم ، لا حشم ، لا مستوى معين ، لا نهب لأموال الشعب ، لا جواري ، لا قصور، لا جواهر ، لا ولا ، حتى لقمة العيش لن يجدها حتى يصنعها بيده أو يخبزها بيده .

هذا هو التمثيل الصحيح للحاكم في الاسلام ... وأنا اتحدى مرة أخرى الشرق والغرب، أن يأتيني بحاكم على مثل هذا الأسلوب من حياته الخاصة والعامة.

لو أن عبادة الأشخاص في الإسلام جائزة ، وصناعة التماثيل مباحة، لقلت : اصنعوا لسعيد بن عامر ، تمثالا من ذهب ، وهو يعجن عجينه بيده ، ويخبز بيده ، وارفعوه على أعلى منارة في الأرض ؛ لتشهده الجماهير كلها في كل مكان من الأرض ، فتعلم أن ليس كالإسلام نظام بين الحاكمين والشعوب .

وأين هذا الحاكم من طبقة القادة في أنحاء العالم وما يزعمونه لأنفسهم من امتيازات فوق حقوق الجماهير الكادحة ؟

ولكن الاسلام أخرج إلى الناس طرازا رفيعًا من الحاكمين ، قومًا لا يرون لأنفسهم حقًا على أحد ، وينزلون عن رضا واختيار عن كل حقوقهم في الحياة .

وتلك هي عظمة أولئك الرجال الذين صنعهم محمد – ﷺ – ، وأهداهم إلى البشرية ، ليسوسوها سياسة ربانية المفاهيم .

ثم ماذا من تلك الأقصوصة ؟.. وكم لعمر من أقاصيص !.

ثم يسأل رئيس الدولة ، ما تشكون منه ؟

قالوا : لا يجيب أحدًا بليل.

قال عمر : ما تقول ؟

قال الانسان العظيم : إن كنت لأكره ذكره، إني جعلت النهار لهم ، وجعلت الليل لله – عز وجل – !!

لو أن قطرة ، من بحار هذه الفقرة ؛ ذاقها أهل القرن العشرين ، قرن الصواريخ والذرة ، لملأت قلوبهم نورا إلى الأبد !.

حقا إن من الرجال من هو خير من أمة ، بل من أمم !.

كلما تأملت كلمات ذلك الرجل أحسست أنه يغترف من بحار الحقيقة بكلتا يديه .. وأنه صادق إلى آخر مدى في الصدق .

وماذا تظن برجل اختاره عمر ، إلا أن يكون هكذا وزيادة ؟

انظر إلى كلماته : إن كنت لأكره ذكره... منطق المخلصين ، هكذا دائمًا ... يأتون بالخيرات، ويفعلون الحسنات ، ولا يحبون أن يعرف ذلك أحد من الناس !.

لماذا ؟ لأنهم يريدون وجه ربهم ، وجه الله ، فاطر السماوات !!.

إنهم يكرهون أشد الكراهية أن يعلم أحد عنهم ذلك ؛ لذلك يقومون في خفاء ، في ظلمات الليل ؛ ليقفوا بين يدي ربهم .

هنالك يحدث اللقاء .. بين الحبيب والمحب .. طول الليل .. في خفاء ، في الظلام ، في السكون .

ومع هذا كله .. يكره الرجل أن يعرف عنه شيء من هذا !

إنه الإخلاص .. وإنه لأرفع إحساس يقوم بقلب إنسان على الإطلاق.

ولقد كان بقلب ذلك الرجل .. فما أسعده !.

ثم ماذا؟.. ثم قال عمر : وما تشكون ؟

قال الشعب : إن له يوما في الشهر ، لا يخرج إلينا فيه .

قال رئيس الدولة : ما تقول ؟.

قال حاكم حمص : ليس لي خادم ، يغسل ثيابي ، ولا لي ثياب أبدلها، فأجلس حتى تجف، ثم أدلكها ، ثم أخرج إليهم من آخر النهار .

هذا هو المانع الذي منع الرجل أن يخرج إليهم يوما كل شهر أنه يحتجب ليغسل ثيابه ، إنه لا يملك ثوبا آخر يلبسه بدلا من الثوب المغسول.

إنه يجلس عاريًا في منزله حتى يجف الثوب الوحيد ، ثم يدلكه ويلبسه، ويخرج إليهم آخر النهار!!.

أي: صنف من الرجال كان هؤلاء الناس ؟

أفبعد هذا يقف اشتراكي أو رأسمالي ليقول نحن الناس ؟.

كلا ... بل هؤلاء كانوا هم الناس .

ثم ماذا من تلك العظائم ، وإن أمره كله لعظيم ؟.

ثم يقول الشعب : إنه يغمي عليه إغماء متواصلا بين الأيام.

فيقول الحاكم : فما ذكرت ذلك اليوم ... إلا ظننت أن الله – ﷻ – لا يغفر لي بذلك الذنب أبدا ، فتصيبني تلك الإغماءة !

لماذا يغمى على الرجل بين آن و آخر؟.. هل بالرجل مرض، هل به رئي من الجن ؟.

كلا... إنما الذكرى ، إنه يذكر يوما كان فيه مشركا بمكة ، ورأى بعينيه خبابا يعذب ويقتل بأيدي أهلها ، ولم يتحرك لنصرته ، إنه يذكر ذلك فيحس إحساسًا عارمًا أن الله لا يغفر له قعوده عن نصرة الحق !.

أرأيت ؟... حساسية عالية ، لا تكون إلا من نفوس رفيعة جدًا...

إن الله لا يكلفه وقد كان في جاهليته شيئًا من هذا كله ، ولكنه يحس بعد أن دخل هذا الدين ، وشملته رحمة الله أنه كان مجرمًا كبيرًا ، حين رأى رجلا يُعذب ويُقتل في الله ، ولم يتحرك لنصرته.

تلك هي المحاكمة الكبرى ... وتلك بعض رياحها ... رياح الجنة... تهب علينا ، فتملأ صدورنا رحمة وبهجة وسرورا .

إن الإنسان ليفرح أن يرى من الجنس البشري قوما بلغوا ذلك المستوى الرفيع من الحساسية والأخلاق العليا .

مستوى تتقطع أعناق الرجال ، ولا يستطيعون به لحاقًا !.

ولو شاء الرجل لعاش غنيا ، ولو شاء لعاش في قصر ، ولاتخذ الخدم والحشم ... وما عابه أحد ، فذلك بعض حقه في الدولة ... أليست هذه هي مقاييس الناس ؟...

ولكنه حاكم مسلم ... رجل يعرف حقيقة الإسلام ، وأنه يفرض عليه أن يكون على أحسن صورة من الكمال الإنساني .

صورة لحاكم مسلم في عهد عمر ... ليست بخير صورة ..، ولكنها إحدى الصور العديدة... نعرضها على ملوك المسلمين ، لعلهم يصلحون من أنفسهم ، أو يذوبون خجلا من شعوبهم ، أو يزولون عن قيادة الجماهير المعذبة بهم ، ويفتحون الطريق للشعوب لتتقدم إلى الأمام، إلى حقيقة الإسلام .

ولئن كانت تلك الصورة قد بهرت العالم كله من فرط ما فيها من جمال وكمال ، فإنا نعرض عليك ما هو أبهى وأكبر .

## شر أيامي أيام عمر!

ولما بعثه عمر واليًا على حمص ، اشتدت فاقته ، حتى تحدث الناس بفقره .

فبلغ ذلك عمر ، فأرسل إليه بأربعمائة دينار ، وكتب إليه يعزم عليه ، لينفقها على نفسه وأهله .

فلما قرأ الكتاب اهتم همًا شديدًا ، حتى تبين ذلك عليه .

فقالت له امرأته : نفسي فداك ، مالي أراك مهتما ، أبلغك موت أمير المؤمنين ؟.

قال : أعظم من ذلك !

قالت : أبلغك عن ثغور المسلمين شيء؟

قال : أعظم من ذلك !

قالت : وما هو ؟.

قال : ابتليت بالدنيا ، وقد كنت صحبت رسول الله — ﷺ — فلم ابتل بها ، وصحبت أبا بكر فلم ابتل بها، وابتليت بها في صحبة عمر ، ألا فشر أيامي أيام عمر .

قالت : وما ذاك بأبي أنت وأمي ؟

قال : إني أخافك !.

قالت : إياي تعني ؟.

قال : نعم .

قالت : فأنت آمن من هذا .

قال : فإن أمير المؤمنين أرسل إليَّ بأربعمائة دينار ، وعزم عليَّ أن أنفقها عليَّ وعليك ، وإن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفًا ، ووالله ما أحب أن لي حمر النعم، وأني أحبس عن الفوج الأول .

قالت : فدونكها ، فاصنع بها ما شئت .

فقال : هل من خِرَق ؟.

فأعطته قميصًا لها خلقًا ، فمزقه خرقًا ، ثم صَرَّ فيه ما بين أربعة إلى عشرة ، ثم طرحها في مخلاة.

ثم خرج إلى باب الرستن من حمص ، فجعل يعطي صرة ، صرة، حتى بقيت صرة في المخلاة ، فدفعها والمخلاة إلى رجل .

ثم رجع ، فذهب عنه ، و استراح !

هذا ما هو أبهى وأكبر ، من شخصية الرجل العظيم ، سعيد بن عامر ، حاكم حمص !

وأنا أتركها كما رواها الرواة ، ولا أزيد عليها ، ولا أنقص ؛ لتتحدث القصة عن نفسها، فإنها بلغت من الروعة حدا لا يحسن معه أن نضيف إليها تعليقا أو تذييلا .

إنها قطعة من نور ... تتوهج في الظلام أكثر مما توهج في النهار .

فقط أريد أن أقول للذين لا يبصرون : هل عندكم حاكم في روسيا أو أمريكا أو أوروبا يبلغ مقامًا يسمح له أن يقف إلى جوار هذا الرجل ؟.

وقبل أن أغادر هذا الرجل أقول لأهل العصر الحديث:

احذروا أن تظنوا أن سعيد بن عامر ، فلتة ، أو نموذج لا يتكرر ... فإن جميع ولاة عمر كانوا هكذا ، وأكثر ، وإليكم نموذجا آخر ، أعلى وأعلى!!

## ما وراء المعقول!

بعث عمر ، عمير بن سعد ، عاملا على حمص .

فمكث حولا لا يأتيه خبره.

فقال عمر لكاتبه : اكتب إلى عمير ، هو والله ما أراه إلا قد خاننا، فكتب إليه : إذا جاءك كتابي هذا فأقبل ، أقبل بما جبيت من فيء المسلمين ، حين تنظر في كتابي هذا. .

فأخذ عمير جرابه ، فجعل فيه زاده ، وقصعته ، وعلق إداوته، وأخذ عصاه ، ثم أقبل يمشي من حمص ؛ حتى دخل المدينة !

فقدم وقد شحب لونه ، واغبر وجهه ، وطال شعره ، فدخل على عمر وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، ورحمة الله و بركاته.

فقال عمر : ما شأنك ؟.

فقال عمير : ما ترى من شأني ؟. ألست تراني صحيح البدن، طاهر الدم ، معي الدنيا أجرها بقرنها ؟!

قال : وما معك ؟. وظن عمر أنه قد جاء بمال .

فقال : معي جرابي أجعل فيه زادي ، وقصعتي آكل فيها ، وأغسل فيها رأسي وثيابي ، وإداوتي أحمل فيها وضوئي و شرابي، و عصاي أتوكأ عليها ، وأجاهد بها عدوًا إن عرض ؛ فوالله ما الدنيا إلا تبع لمتاعي .

قال عمر : فجئت تمشي ؟

قال : نعم.

قال : أما كان لك أحد يتبرع لك بدابة تركبها ؟

قال : ما فعلوا، وما سألتهم ذلك.

فقال عمر : بئس المسلمون خرجت من عندهم ، فأين بعثتك ؛ وأي شيء صنعت ؟

قال : وما سؤالك يا أمير المؤمنين ؟

قال عمر : سبحان الله !.

فقال عمير : أما لولا أني أخشى أن أغمك ما أخبرتك : بعثتني حتى أتيت البلد ، فجمعت صلحاء أهلها فوليتهم جباية فيئهم ، حتى إذا جمعوه وضعته مواضعه ، ولو بقى منه شيء لأتيتك به.

قال : فما جئتنا بشيء ؟!.

قال : لا

قال عمر : جددوا لعمير عهدًا !!!

قال : إن ذلك لشيء مضى ، لا عملت لك، ولا لأحد من بعدك، واستأذنه فأذن له ، فرجع منزله ، وبينه وبين المدينة أميال !.

حتى هنا والقصة تمضي في أعاجيب ، حاكم كبير ، يأتي ماشيًا من الشام إلى المدينة ، ومعه كل ما يملك من الدنيا ، جراب وقصعة وزمزمية و عصا !.

وهذا كل شيء يملكه الحاكم من دنياه ، الجراب يضع فيه لقيماته ، والقصعة يغسل فيها ثيابه ، والزمزمية يضع فيها الماء اللازم لوضوئه، وشرابه، وعصائه يتوكأ عليها في سفره، و يخيف بها عدوه.!!

بساطة عجيبة ..، وأسلوب من الحياة غريب !

حتى عمر .... شيخ الزاهدين ، يعجب من أمره ، فيقول : أما كان لك أحد يتبرع لك بدابة تركبها ؟!.

ثم يبلغ العجب من عمر مبلغه ، حين ينظر ما جاءه به من مال ؛ ليضمه إلى الخزانة العامة، فلا يجد شيئا مع الرجل !.

أعاجيب يأخذ بعضها برقاب بعض ... إلا أن عمر الحاكم الأريب اللبيب، لم يأخذ بهذا كله ، فقال لعلها ألاعيب يراوغني بها الرجل .

فقال عمر حين انصرف عمير : ما أراه إلا قد خاننا ، فبعث رجلا يقال له الحارث وأعطاه مائة دينار ، وقال له : انطلق إلى عمير حتى تنزل به كأنك ضيف ، فإن رأيت أثر شيء فأقبل ، وإن رأيت حالة شديدة فادفع إليه هذه المائة دينار .

فانطلق الحارث ، فإذا هو بعمير إلى جانب الحائط ، فسلم عليه الرجل.

فقال له عمير : انزل رحمك الله ، فنزل .

ثم سأله : من أين جئت؟

قال : من المدينة .

قال : فكيف تركت المسلمين ؟

قال : صالحين .

قال : فكيف تركت أمير المؤمنين ؟

قال : صالحًا .

فقال عمير : اللهم أعن عمر ، فإني لا أعلمه إلا شديدًا ، حبه لك .

فنزل به ثلاثة أيام ، وليس لهم إلا قرصة من شعير ، كانوا يخصونه بها ، ويطوون ، حتى أتاه الجهد !.

فقال له عمير : إنك قد أجعتنا ، فإن رأيت أن تتحول عنا فافعل .

فأخرج الضيف الدنانير فدفعها إليه ، فقال : بعث بها إليك أمير المؤمنين ، فاستعن بها .

فصاح وقال : لا حاجة لي فيها ، ردها .

فقالت له امرأته : إن احتجت إليها وإلا فضعها مواضعها .

فقال عمير : والله مالي شيء أجعلها فيها !

فشقت امرأته أسفل درعها ، فأعطته خرقة ، جعلها فيها . ثم خرج فقسمها بين أبناء الشهداء والفقراء .

ثم رجع — والرسول يظن أنه يعطيه منها شيئا — فقال له عمير أقرئ منى أمير المؤمنين السلام .

فرجع الحارث إلى عمر .

فقال عمر : ما رأيت ؟

قال : رأيت يا أمير المؤمنين حالا شديدا .

قال : فما صنع بالدنانير ؟.

قال : لا أدري.

فكتب إليه عمر : إذا جاءك كتابي هذا فلا تضعه من يدك حتى تقبل .

فأقبل إلى عمر ، فدخل عليه .

فقال له عمر : ما صنعت بالدنانير ؟.

قال : صنعت ما صنعت ، وما سؤالك عنها؟

قال : أنشد عليك لتخبرني ما صنعت بها .

قال : قدمتها لنفسي

قال عمر : رحمك الله .

فأمر له بوسق من طعام و ثوبين .

فقال عمير : أما الطعام فلا حاجة إلى فيه ، قد تركت في المنزل صاعين من شعير إلى أن آكل ذلك يكون قد جاء الله تعالى بالرزق .

ولم يأخذ الطعام ... وأما الثوبان ، فقال : إن أم فلان عارية (زوجته) فأخذهما ، ورجع إلى منزله !!.

ماذا أقول، وقد أعياني المقال ؟.

إن هؤلاء قوم عظمت فعالهم، حتى علت على الخلود نفسه!

رئيس الدولة لا يصدق أن حاكم حمص لم يحصل شيئا من الجمهور يضاف إلى الخزانة العامة ... فيبعث جاسوسًا من مخابراته؛ ليأتيه بحقيقة أمره.

ثم يذهب الجاسوس فماذا اكتشف ؟ .. اكتشف أعجب حياة خاصة لحاكم من الحكام..

رأى رجلا يعيش هو وأهل بيته على قرصة من شعير ... يقدموها إليه ليأكلها ، ثم يبيتون هم على الطوى والجوع !!.

وهذا هو كل شيء في حياته الخاصة !!.

تالله لو أن الأرض أذن لها أن تتكلم لقالت : رباه ... هؤلاء قوم صدقوك ، وصدقوا رسولك.

ثم ماذا ؟.. ثم يبرز له الضيف الدنانير التي بعثها إليه عمر ، فيغضب عمير ، ويرفضها ويصيح : لا حاجة لي فيها !.

ثم ماذا ؟... ثم تشير عليه زوجه أن يأخذها ، فإما أحتاج إليها، وإما وضعها مواضعها من الصدقة .

فلا يجد الرجل شيئا يضع فيه الدنانير ... فتشق زوجته قطعة من ثوبها وتقدمها إليه ...

ولكن عمير يرتجف كأنما هذه الدنانير قطع من نار تكوى بها جبهته وجنبه وظهره ... فيخرج توا ، ويتصدق بها كلها بين أبناء الشهداء والفقراء!!.

أستاذ ... والله أستاذ حتى في فلسفة الصدقة ... يوزعها على اليتامى، على خير يتامى ، أبناء الشهداء ، وأبناء الفقراء !!.

إن الرجل صاحب مذهب ... مذهب رباني رفيع .... إنه يتعامل مع الله.. بينه و بين الله ميعاد ... إنه يريد وجهه ، لا يريد شيئا سواه.

ثم ماذا ؟... ثم يستدعيه عمر ، ويقسم عليه ، أنشد عليك ، ما صنعت بالدنانير ؟.

فما كان قوله إلا أن قال : قدمتها لنفسي ... لا يريد أن يبوح بما صنع ... إنه يتعامل مع الله ... فما شان عمر بما صنع ؟ .

أيريد عمر أن يفسد عليه صدقته ؟.

ماذا يفعل رئيس الدولة في هذا الصنف من رجالات الحكم والقيادة؟

بينما يحار رؤساء الدول في سرقات كبراء الدول ، ويضعون التشريعات والرقابات لمنع السرقات ... إذا بعمر يحار في زهد رجاله، وكيف يضطرهم إلى قبول درهماته !!

وهذا هو الفرق بين دولة الإسلام والدول الحديثة كلها.. مهما ارتقت و مهما سمت...

و أمر أمير المؤمنين له بوسق من طعام وثوبين ... كمية قليلة من الطعام يقتات منها .... وثوبين اثنين يواري بهما سوأته .

فهل قبل عمير ما قدم له عمر رغم تفاهته ، وأنه دون الدون مما ينبغي للحاكمين ؟.

كلا ... بل رفضها ، وقال كلمته الخالدة ، التي استمعت إليها السماء قبل الأرض : أما الطعام فلا حاجة لي فيه ، قد تركت في المنزل صاعين ( حفنتين ) من شعير ، إلى أن آكل ذلك يكون قد جاء الله تعالى بالرزق ... ولم يأخذ الطعام !!

وأما الثوبان فقال : إن أم فلان عارية ، فأخذهما ، ورجع إلى منزله!!.

ولولا أن زوجته عارية ، وأن عري المرأة شيء حرمه الله ، لما قبل الرجل أن يأخذهما .

وهذا نموذج آخر قدمناه إلى الإنسانية الحديثة ، المفتونة بمدنيتها ، المغرورة بنظمها ، المعجبة بزينتها ؛ لتستيقن ، أننا إذا قلنا إن الفرق بين النظام الإسلامي ونظم العالم القائمة ، كالفرق بين السماء والأرض ، فإنما نقول حقًا لا زخرفا من القول وزورا . .

ذلك أن عبقرية أصحاب محمد — ﷺ — ، لم تكن في عظمة المبدأ الذي يتجمعون حوله ، وإنما كانت أكثر وأكبر ، في أخذهم أنفسهم بذلك المبدأ، وتطبيقه في صدق وإخلاص على حياتهم الخاصة .

كان الرجل منهم إسلاما في رجل ، ورجلا في إسلام .

حياته العامة على أسلوب إسلامي ، وحياته الخاصة على أسلوب رباني .

فلا عجب أن تكون هذه هي حياتهم إذا حكموا ، وحياتهم إذا خلوا إلى أنفسهم !!!

## أو فقير هو!

وأخرى ... أعجب وأعجب من الرجل ... كتب عمر إلى أهل حمص : اكتبوا لى فقراءكم.

فكتبوا إليه أسماء الفقراء ، وذكروا فيهم عُمير بن سعد — وكان واليا عليهم — فلما قرأ اسمه قال : مَن عُمير بن سعد ؟.

قالوا : أميرنا.

قال : أو فقير هو؟

قالوا : ليس أهل بيت أفقر منه !.

قال : فأين عطاؤه ؟

قالوا : يخرجه كله لا يمسك منه شيئا .

فبعث إليه عمر بمائة دينار ، فأخرجها عمير كلها ، وتصدق بها، فقالت له زوجته : لو كنت حبست لنا منها دينارا واحدا؟.

فقال : لو ذكرتني فعلت !!

* * *

ربانية ... عظمة ... رفعة ... قل ما شئت ... فإنك لن تبلغ منها شيئا.

الله وحده هو الذي يعلم قدر هؤلاء الرجال ... لسنا نحن الذين نقدرهم حق قدرهم؛ لأننا نعيش في حجاب ، و هؤلاء قد رفع الله عن أعينهم الغطاء ، وأراهم الحقيقة ، فتلاشت من قلوبهم الدنيا بما فيها ومن فيها ، ولم يبق في قلوبهم إلا الله .

رئيس الدولة يطلب كشفا من حمص ، بأسماء الفقراء المحتاجين ، الذين يستحقون الصدقة، فيأتيه الكشف ، ويجد فيه اسم عُمير بن سعد ، فلا يصدق عمر أن يكون هو الوالى على حمص، فيسأل : من عمير بن سعد؟.

فيكون الجواب : أميرنا !!.

فيكرر رئيس الدولة سؤاله : أو فقير هو ؟!.

فيكون الجواب : ليس أهل بيت أفقر منه !!.

إقرار من الشعب ، شعب حمص كله ، أنه لا يوجد بحمص أسرة أفقر من أسرة حاكم حمص !!.

وتشتد حيرة عمر – وهو الألمعي العبقرى –: فأين عطاؤه ؟... أين مرتبه الذي يصرف له من الخزانة العامة ؟.

فيقول الشعب : يخرجه كله ، لايمسك منه شيئا !!.

يتصدق بمرتبه كله ، ولا يمسك منه شيئا لزوجه ، وعياله !!.

فيري رئيس الدولة أن يغيثه من جوع ، فيبعث إليه بمائة دينار

فيتعالى عمير على نفسه ، ويتصدق بها كلها .

وهذه الزوجة الكريمة ، العظيمة ، الطيبة ، الصادقة ، التي تقف جنبا إلى جنب مع زوجها، في شموخه على الهوى ، وعلوه على النفس ، تحس آلام الجوع ، وحاجة الأسرة الشديدة ، فتقول له : لو كنت حبست لنا منها دينارا واحدا ؟!.

دينارا واحدا ... دينارا واحدا .. لا أريد أكثر منه ... تستعين به على استمرار الحياة ... لقيمات قليلة ، حتى لا نهلك جوعا !!.

ولكن الرجل العظيم ... الذي تلاشي عن ذاته ، وفني في الله، لم يذكر أن نفسه تريد أن

تأكل ، وأن زوجته من حقها أن تأكل ، فيعتذر ويقول : لو ذكرتني فعلت !.

لو نبهتني إلى هذا قبل أن أتصدق بها كلها ، لاحتجزت لك دينارا واحدا!!.

أي عين تستطيع أن تجمد ، ولا تنفجر بالبكاء حين ترى من عظمة عمير وزوجته ؟.

وأين حكام العرب ، أو حكام الإسلام ، أو حكام العصر الحديث من سيرة عمير بن سعد حاكم حمص ؟.

هذا العالم الحديث، البعيد الأطراف ، هل فيه حاكم واحد مثل عمير؟.

لن تجد ... ولكن دولة عمر ، التي كانت أوسع دولة في العالم، كان كل حكامها مثل عمير ، إن لم يكونوا خيرًا منه !!!

## مساواة رجل الشارع برئيس الدولة في الملابس!

جاءت عمر برود من اليمن ، ففرقها على الناس بردا بردا.

ثم صعد المنبر يخطب وعليه حلة منها ( أي بردان اثنان لا برد واحد كسائر الناس ) فقال : اسمعوا رحمكم الله .

فقام إليه سلمان ، فقال : والله لا نسمع ، ولا نطيع .

فقال : ولم يا أبا عبد الله ؟.

فقال : يا عمر تفضلت علينا بالدنيا ؟ فرقت علينا بردًا بردًا، وخرجت تخطب في حلة منها؟!

فقال : أين عبد الله بن عمر ؟.

فقال : ها أنذا يا أمير المؤمنين

قال عمر : لمن أحد هذين البردين ، اللذين عليَّ ؟

قال : لي .

فقال لسلمان : عجلت عليَّ يا أبا عبد الله ، إني كنت غسلت ثوبي الخلق، فاستعرت ثوب عبد الله .

قال : أما الآن فقل نسمع ونطع .

هذه أقصوصة عظيمة الدلالة في عدالة عمر ، وعدالة شعب عمر . . لقد كان المفهوم الشعبي للعدالة في عهد عمر واضحًا ساطعًا .

لا ترى الجماهير أن لرئيس الدولة حقًا في شيء أكثر مما هو لأي مواطن .

ومن هنا ثار الشعب ، وخلع عمر ، وأعلنه بالخلع من منصبه علانية ، كما وافق على خلافته من قبل علانية.

شعب واعٍ ، يقظ ، يعلم ما له وما عليه ، لا يستطيع حاكم أن يخدعه، ولا يسمح لحاكم أن يعتدي على حقوقه ومقدساته .

كان الشعب في عهد عمر يرى أن ليس لعمر الحق في ملابس أكثر مما للفرد العادي.

فلما رأى سلمان عمر يخطب وعليه ثوبان من ثياب اليمن، بينما نصيب كل مواطن كان ثوبًا واحدًا ... ثارت ثائرة سلمان ، وأعلنها شعواء على عمر: والله لا نسمع ولا نطيع .

فيعجب عمر رئيس الدولة الأعظم : ولم يا أبا عبد الله ؟

فيصيح سلمان علانية : يا عمر ... تفضلت علينا بالدنيا ؟!! سمحت لنفسك أن تكون أفضل منا ، أن تأخذ أكثر مما أخذنا من المال ، من الثياب؟... فرقت علينا بردا بردا ، وخرجت أنت تخطب فينا و عليك حلة ، عليك ثوبان اثنان ؟!.

عظيمة من العظائم ... كبيرة من الكبائر هذه يا عمر ... كيف استبحت لنفسك أن تأخذ شيئا لم نأخذه نحن !!

وهذا الأصل العظيم من أصول عدالة عمر ، يفرض علينا أن نتأمله طويلا ؛ لنعلم أن الجماهير في عهد عمر كانت تفهم الإسلام ذلك الفهم ...

أن ليس لرئيس الدولة – أو لأى صاحب منصب – في المال حق أكثر مما هو لأي مواطن.

وأن انبعاث سلمان ، وثورته ، وإسقاطه لعمر من منصبه ، ثم إعلانه العصيان المدني لعمر... كل هذا كان تعبيرًا طبيعيًا عن مفاهيم الشعب آنذاك .

وهذا هو الإسلام في حقيقته ... في صفائه الأول ، ونقائه الفطري ، قبل أن يلوث بعفونات المسلمين ، وأدناس الظالمين .

والإسلام في هذا يتفوق على كل مذهب حديث ؛ فإن مفاهيم اليوم لا ترى أن تسوى بين العامل البسيط في المصنع ، وبين رئيس الدولة في الملابس ، بل تفترض أصلا أن المناصب القيادية لها من الحقوق ما هو أكثر من حقوق الفرد من القاعدة الجماهيرية ... فكيف إذا كان ذلك الفرد هو صاحب المنصب الأعلى في الدولة ... رئيس الدولة ؟... من البديهيات أن تسمح له بملابس أفخر ، ومسكن أجمل ، وحقوق أكثر .

هذا شيء طبيعي ، ويعتبر العالم الحديث ذلك النهج ، تقدمية كبيرة من الإنسان ، حيث ضيق شيئًا ما على الملوك ورؤساء الدول، وأنزلهم كثيرا من عليائهم وكبريائهم...

إذا قورن بتلك المفاهيم الجماهيرية في عهد عمر ، عهد الإسلام يبدو إسرافًا وتبذيرًا !!!

إن الشعب لم يسمح لعمر أن يلبس ثوبين اثنين ، بينما كل الشعب يلبس ثوبا واحدا، واعتبر ذلك خيانة عظمى ، وجريمة كبرى، تستوجب إسقاط عمر ، وعزله عن رئاسة الدولة!!.

أقول هذا، وأقرره لتعلم الشعوب الإسلامية ، أن في أصولها التاريخية وأصولها السماوية ، ما هو أرقى وأعلى من النظم الوضعية كلها .

فلا نستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ... ولكن نمتلئ ثقة ويقينا بما عندنا ، وأنه خير، ثم خير مما عندهم !!!

## رجال الطليعة أولا!

لكل فكرة جديدة رجالها ، الذين آمنوا بها قبل غيرهم ، وسبقوا الناس إلى العمل من أجلها ، والتضحية بأموالهم وأنفسهم في سبيل نصرتها و إقرارها في الحياة .

وهو ما نسميه الآن بالطليعة الثورية أو رواد التقدمية الأوائل.

وكل ثورة قامت أو تقوم ، تعتمد في جهازها الأعلى على رجالها الأوائل .

هذا نظام طبيعي بديهي ..؛ لأن اعتماد الثورة على رجالها هو الضمان الوحيد لسلامة الثورة نفسها فلا يعقل أن يسير بالركب رجال لا يؤمنون بمبادئ تلك الثورة .

والإسلام العظيم الذي هو دين الفطرة ... يقر هذا الاتجاه، بل يصر عليه

يصر على أن تكون القيادة العليا للجماهير المؤمنة بالله ورسوله في أيدي المهاجرين والأنصار الذين سبقوا إلى دخول الإسلام ، وآمنوا به قبل غيرهم .

أي: أن الاسلام يضع القيادة العليا في يد الطليعة المؤمنة بالله ورسوله . والإسلام في هذا يمضي مع الفطرة، ومع سياسة الأمر الواقع.

وحيثما وجدت الفطرة السليمة ، وجدت الإسلام يمضي معها على تخطيط واحد .

وكان عمر يفقه أعمق الفقه هذا التخطيط ، ويقدم دائما ، في المناصب ، في القيادات ، في المجالس التي تعقد بين يديه ، حتى في مقابلاته، يقدم رجال الطليعة المؤمنة دائما .

حضر ببابه جماعة ، منهم سهيل بن عمرو ، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس .

فخرج الآذن فقال : أين صهيب ؟ أين عمار ؟ أين سلمان ؟

أرأيت ؟... يبحث عن مجموعة كانت من العبيد والموالي ، ويترك غيرهم من المهاجرين والأنصار ... لماذا ؟...

؛ لأنهم أهل السبق إلى دين الله ؛ لأنهم رجال الطليعة .

فتمعرت وجوه القوم ، فقال واحد منهم : لم تتمعر وجوهكم؟ دُعوا ودُعينا ، وأسرعوا وأبطأنا

، ولئن حسدتموهم على باب عمر ، فما أعد الله لهم في الجنة أكثر .

أرأيت ؟... هذا منطق الجماهير في عهد عمر ... إذا تساوى الناس في الإيمان ، فالأسبق إليه ثم الأسبق !.

جاء الحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو إلى عمر ، فجلسا عنده ، وهو بينهما .

جعل المهاجرون الأولون يأتون عمر، فيقول : هاهنا ياسهيل، هاهنا ياحارث ، فينحيهما عنه .

فجعل الأنصار يأتون عمر فينحيهما عنه ، حتى صارا في آخر الناس.

فلما خرج من عنده ، قال الحارث بن هشام لسهيل بن عمرو : ألم تر ما صنع بنا ؟.

فقال له سهيل : أيها الرجل ! لا لوم عليه ، ينبغي أن نرجع باللوم على أنفسنا ، دعى القوم فأسرعوا، ودعينا فأبطأنا.

ثم أتيا عمر فقالا له : قد رأينا مافعلت اليوم ، وعلمنا أنا أتينا من قبل أنفسنا ، فهل من شيء نستدرك به ؟.

فقال لهما : لا أعلمه إلا هذا الوجه – وأشار لهما إلى غزو الروم – فخرجا إلى الشام فماتا بها.

هذا هو بروتوكول عمر ، بروتوكول الإسلام ....

يأذن في مقابلة رئيس الدولة للأسبق إلى الإيمان فالأسبق .

وإذا كان اجتماع، أو مجلس مع رئيس الدولة فيكون الأقرب إليه مجلسا الأسبق إلى الإسلام من غيره .

وهكذا الإسلام ... نظام عجيب محكم غاية الإحكام ... نظم كل شيء ، ووضع الرجال مواضعهم الصحيحة في الدولة.

ونظرية الإسلام أن تكريم رجال الطليعة المؤمنة ، تكريم للفكرة نفسها .

وتعظيم لله نفسه . فإن هؤلاء استجابوا لربهم ، واحتملوا الأذى في سبيله ، وأوذوا في أرزاقهم، وفي أوضاعهم ، وفي أنفسهم ، انتصارا لله ، فمن حق المجتمع الإسلامي أن يكرمهم وأن يقدمهم لأنهم أعرف الناس بالله و بدعوته وما يصلح لها !!!

## أبعد آماد التقدمية!

إذا أطلقناها عريضة : أن عمر ، أن الإسلام تقدمي ، أكثر من أي تقدمية عرفها أو سيعرفها الإنسان ... فإنما نطلقها وفي أيدينا البراهين العظمى المثبتة لنظريتنا الخطيرة .

إلى أي مدى يريد التقدميون أن يصلوا بالانسان ؟ إلى مساواة النساء بالرجال؟ إلى منح المستويات الشعبية كلها حق التمثيل النيابي ؟

رأى هؤلاء إذا علموا أن عمر ، سبقهم جميعًا إلى ما وراء التقدمية التي يزعمون ، ويظنون أنها من مبتكرات الإنسان الحديث؟.

قال يوسف بن الماجشون : قال لي ابن شهاب ، ولأخ لى، وابن عم لى ، ونحن صبيان : لا تستحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم فإن عمر بن الخطاب كان إذا أعياه الأمر المعضل دعا الأحداث، فاستشارهم ، لحدة عقولهم : وكان يشاور حتى المرأة .

خبر عجيب ... لا يدرى أكثر المسلمين أن هذا كله في دينهم، دين الإسلام!!

مَن مِن المسلمين يعلم أن عمر قرر هذه المبادىء الخطيرة جدا . أن رئيس الدولة يستشير في الأمور الهامة الصبيان والأحداث؟.

من منهم يدرى أن عمر قرر حق المرأة في الاستشارة والرجوع إليها في عظائم الأمور؟

لا أحد .. حتى الذين يعلمون هذا، يدركونه إدراكا عليه كثير من الظلال القائمة التي تحجب الرؤيا الصحيحة للأمور .

هناك ظلمات متراكمة ، فوق المفاهيم الإسلامية الصحيحة ... ظلمات اشترك في إلقائها على الإسلام العلماء الجامدون على مر العصور الإسلامية، والجماهير الغافلة عن حقيقة دينها ، والملوك الظالمون الذين يودون من أعماقهم أن تظل الجماهير في جهلها؛ ليستطيعوا أن ينعموا ويعبثوا كيف شاءوا ، بلا رقيب ولا حسيب .

وتناهى إلينا الإسلام في نهاية الأمر ... مفاهيم مظلمة .... لا يُرى من خلالها أثر للنور الإلهي الأصيل ، نور الوحي والرسالة .

ولا بد لنا لكي نبصر وجه الإسلام الصحيح أن نعود إلى أبي بكر، إلى عمر ، إلى عثمان، إلى علي ... إلى أولئك الخلفاء الراشدين ننظر مفاهيمهم في دين الله وكيف كانوا يطبقون هذا الاسلام ، وننظر مفاهيم الجماهير على عهدهم ، وكيف كانوا يفهمون دين الله.

وبعدها نستطيع أن نقول إننا عرفنا الاسلام ، ورأينا وجه الإسلام الصبوح الجميل .

هذا هو عمر ... أكبر صورة تطبيقية للإسلام على وجه الأرض هذا هو إذا أعياه الأمر المعضل ، إذا حار في سياسة الدولة العليا..

دعا الأحداث فاستشارهم .

لماذا ؟... لحدة عقولهم !.

مبادئ، خالدة يقررها عمر ... يقررها الإسلام ... أن الأحداث، أولئك الفتيان وأولئك الفتيات، الصغيرات الأسنان المتفتحة قلوبهم للحياة البهيجة .

هؤلاء من حقهم أن يستشاروا في سياسة الدولة ، في أعظم المعضلات السياسية شأنا و أخطرها.

ما هي فلسفة عمر ... فلسفة الاسلام ... في ذلك ؟

لحدة عقولهم ؟ ... إن عقولهم حادة ، يقظة ، منطلقون إلى الحق بالفطرة ، لا التواء في طبائعهم ...، ولا انحراف في تفكيرهم.

ليسوا كالرجال الذين تلوثوا بالدنيا ، ولا كالشيوخ الذين يئسوا منها، فنظروا إليها نظرة الوداع.

وإنما هم الورود الوقادة النفاذة الأخاذة التي ترى الحياة جمالا وبهجة ونورا .

هؤلاء يلتمس عمر ، يلتمس الإسلام عندهم الرأي في معضلات السياسة .

بم يشيرون ؟ .. يشيرون بالرأي السديد من العقل الحديدمن الفطرة السليمة .

عبقرية والله ياعمر ... أين أصحاب العقول العفنة ، والقلوب الميتة ، ليفقهوا عنك ذلك الفقه العظيم ؟

ثم ماذا من أمر عمر ... أمر الإسلام ؟ ... وكان يشاور حتى المرأة.

مبدا آخر خطير ... المرأة ، النساء ، نصف الأمة ، نصف المجتمع الجميل ، الناعم...

لابد أن يكون لهن رأي في سياسة الدولة ، وها هو عمر ، يشاورهن في معضلات السياسة، وملمات الأمور.

لماذا يذهب الإسلام ذلك المذهب ؟ ...؛ لأن النساء نصف الأمة ، فكيف يهمل الإسلام نصف الأمة ، ولا يأخذ برأيهن في سياسة البلاد ؟.

فأي تقدمية أبعد من تقدمية عمر ، تقدمية الإسلام ؟.

إن الإسلام يرى أن يمثل الأحداث ، الطلبة ، الطالبات ، في المجالس النيابية ، والمجالس الجماهيرية ، وأن ترجع الدولة إلى آرائهم .

والاسلام يرى أن تمثل النساء في تلك المجالس ، وأن يشتركن في سياسة الدولة ومناقشتها.

فلا تلوموا الإسلام ، ولكن لوموا أنفسكم أن جهلتموه !!!

## العلاج مجانا للجميع!

قال هشام بن عمار : إن عمر بن الخطاب عند مقدمه الجابية من أرض دمشق ، مر بقوم مجذمين من النصارى ، فأمر أن يجرى عليهم القوت .

وهكذا قرر عمر مبدأ خطيرا هو تأميم الطب ، الذي تعتبره الدول الحديثة مفخرة تقدمية في

مجتمعاتها .

إن رئيس الدولة وهو في جولته التفتيشية على أراضي الشام مر بقوم مرضى بمرض الجذام.

فأمر على التو أن يجرى عليهم القوت ، أن تتولى الدولة الإنفاق عليهم، حتى القوت !

رغم أنهم من النصارى.. فإن عمر لم يلتفت إلى خلاف العقائد، رغم ما كان للعقائد من أثر على تفكير الشعوب وقتئذ ... ومع هذا قرر أن ترعاهم الدولة ، وأن تتكفلهم ، وأن تقوم بالاتفاق عليهم !!.

ومن هنا نستنبط مبدأ هامًا .... أن الدولة في الإسلام ملتزمة بمعالجة المواطنين والمواطنات، وتيسير ذلك لهم ، وتوصيله إليهم.

؛ لأن العلاج ضرورة كالمسكن والغذاء والملبس ، والدولة في الإسلام مسئولة عن كل هذا ومسئولياتها عامة تامة...

ونحن لا ندخل في تفاصيل ... وإنا نومئ إلى مبادئ خالدة، عامة ؛ ليتعلم الجميع أن الإسلام سباق إلى كل خير ، متطور نحو كل رقي ، يسبق كل نظام قبل أن يكون هناك نظام .

## تحرير الأفراد والشعوب!

قال عمر : لأن استنقذ رجلا من المسلمين ، من أيدي الكفار أحبّ إلى من جزيرة العرب.

وقال : كل أسير كان في أيدي المشركين من المسلمين، ففكاكه من بيت مال المسلمين.

وهنا نقف طويلا... ننظر في إعجاب إلى تلك الكلمات الخالدات

عمر يعلن إلى العالم كله ، أن استنقاذه لرجل واحد من المسلمين من أيدى الكفار أحب إليه من جزيرة العرب كلها !

لماذا ؟..؛ لأن عمر يعلم قيمة الحرية ، وأن الحياة هي الحرية، والحرية هي الحياة .

والعربي بطبعه عاشق حرية ، و جاءه الإسلام يركز فيه ذلك الحب للحرية إلى أبعد مدى.

وعمر هو الذي ثار ثورته الكبرى على عمرو بن العاص ، وصاح صيحته التاريخية المشهورة: متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا .

وعمر يعلم أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يحرر الإنسان من عبوديته لأي شيء في الوجود .

الإسلام يحرر الإنسان من نفسه ، فلا يجعل لهواه عليه سبيلا. ويحرر الإنسان من شهواته، فيسمو به فوق الشهوات .

ويحرر الإنسان من التقليد، تقليد الآباء والمجتمعات ، فيطالبه بالنظر والتفكير ليهتدى بتفكيره إلى الحقيقة الخالصة .

ويحرر الإنسان أن يتسلط عليه إنسان أو دولة ، فيجعلهم جميعا أخوة متعاونين .

يعلم هذا عمر ، و يعلم مما وراء هذا ما لا نعلمه نحن مجتمعين

فهو يعلم ما هي الحرية ..، و يعلم واجبه نحو كل فرد من الشعب، وقع أسيرا ، أو مستعبدا في أيدي العدو .

فهو يحول كل ما يستطيع من طاقات الدولة لاستنقاذ ذلك الأسير، و تحريره من أيدي العدو .

هو على استعداد أن يخوض حربا شاملة ؛ ليحرر أسيرا واحدا وقع في أيدي الأعداء .

فإن قبلوا الفدية ، فالخزانة العامة تدفع تلك الفدية فورا ، وإن أبوا، أعلنها حربًا شعواء لاستنقاذ الأسارى من أيديهم ، وتحرير العبيد من استرقاقهم .

لذلك يقول : كل أسير كان في أيدي المشركين ، ففكاكه من بيت مال المسلمين !

ما هذا؟... هذه قواعد عظمى ، تتشقق من كلامك يا عمر !

إن الدولة عليها أن ترصد كل طاقاتها لتحرير المستعبدين من أيدي أعدائهم ، تحريرهم أفرادًا، وتحريرهم جماعات ، وشعوبًا ودولا .

فإذا اقتضت الظروف أن نخوض حروبًا لتحرير الأفراد والشعوب ، فلنخض تلك الحروب، مهما كانت الضحايا ، ومهما كانت الخسائر .

وإذا اقتضت فداء ، فلتدفع من الخزانة العامة ، ولنحرر الأفراد والشعوب .

ثم ماذا ؟ .. إنها دولة مبدأ ، مبدأ لا إله إلا الله .

وحيثما وجد رجل أو امرأة يقول لا إله إلا الله ، فهذه الدولة مسئولة عن ضمان حريته.

فلم يعد الإسلام اليوم دينًا ناشئا ، يُضطهد من القوى العالمية، فهو يخوض معاركه لتثبيت مبادئه ... وإنما هو دين تم انتشاره ، وقامت دولته ، وعلت كلمته ، وتوحدت دولته ، وسادت الدنيا قرونا متواصلة .

ثم غفلت تلك الدولة العظمى عن حقيقتها ، فدخلها الاستعمار من كل مكان ، فاستعبدها، وقسمها إلى دويلات، ونهب ثرواتها ، وأذل شعوبها، وطمس حضارتها ، وبدد دينها، وأفسد كل شئ فيها.

هذا هو الواقع التاريخي الذي نعيشه اليوم ، دويلات كانت دولة واحدة..

وكل معركة نخوضها لتحرير أي وطن عربي ، أو إسلامي أو غير إسلامي ، من الاستعمار، فهو معركة في سبيل الله .

فينبغي أن نخرج عقولنا من القمقم الذي حبسها الاستعمار فيه ... ونطلقها تحت شمس الحرية !!!

## أمر عام إلى نواب الرئيس!

كتب عمر إلى عماله ( نوابه ) : إن أهم أمركم عندي الصلاة، فمن حفظها وحافظ عليها ، حفظ دينه ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع .

قد يبدو عجيبًا غريبًا أن يصدر رئيس الدولة أمرا مثل هذا إلى ولاته على أقطار الدولة المترامية الأطراف !.

ولكنه يبدو أمرا طبيعيًا إذا علم أن دولة عمر .. دولة مبدأ وفكرة ، وأنها تؤسس ملكها على أساس من فكرتها .

وأن أهم شئ عند عمر الصلاة ، أن يؤدى حكام الدولة الصلوات الخمس لوقتها ، ويؤموا الناس فيها ، فتتفاعل الجماهير مع الدولة ، وتطيب القلوب ، وتصلح النفوس .

ثم انظر إلى فلسفة عمر! ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع!. يرى عمر أن من ضيع الصلاة، ضيع سائر دينه، وسائر أخلاقه؛ لأن من خان الله، وفرط في حقه ، فهو لخيانة الناس ، والتفريط في حقوقهم أقرب .

ومن يوم أن انفصلت الدولة عن الصلاة ، وتفكك الحاكمون من أدائها، والارتباط مع الشعب عليها ، تفككوا من شريعة الله ، و بالتالي من كل شئ يفرضه الله عليهم.

؛ لأن الفضيلة كلٌّ لا يتجزأ ، فمن ترك بعضها ترك سائرها .

ولعلنا نفيد في أيامنا هذه من ذلك التوجيه... فنراجع أنفسنا في تلك الفريضة ، ونصدر أوامرنا إلى سائر المناصب القيادية ، في شتى المستويات في الدولة ، أن يقيموا الصلاة لوقتها ، ويحافظوا عليها ، ويؤموا الجماهير فيها..، ولا تستبعد ذلك ... فإن الله لا يكلفنا ما هو فوق الطاقة.

ما أجمل أن يؤذن للصلاة خمس مرات كل يوم! ، وما أجمل أن يهرع القادة لأدائها مع الجماهير ! وما أروع أن يتلاقي الجميع خمس مرات في بيت الله ثم يعودوا إلى أعمالهم !!!

## إلغاء الطبقات!

خطب رجل من العبيد ، إلى رجل من قريش ، أخته ، و أعطاها مالا جزيلا .

فأبي القرشي من تزويجها .

فقال له عمر : ما منعك أن تزوجه ، فإن له صلاحا ، وقد أحسن عطية أختك ؟

فقال القرشي : يا أمير المؤمنين ! إن لنا حسبًا ، وإنه ليس لها بكفء .

فقال عمر : لقد جاءك بحسب الدنيا والآخرة . أما حسب الدنيا فالمال، وأما حسب الآخرة فالتقوى . زوج الرجل إن كانت المرأة راضية .

فراجعها أخوها ، فرضيت ، فزوجها منه .

وتلك قصة أخرى نرفعها في وجوه الذين يريدون أن يتعفنوا في طبقية المجتمع .

عبد .. يخطب فتاة قرشية ، أي: فتاة من الأسرة المالكة بتعبير زماننا.

وما أدراك ما قريش ؟ ... سادة العرب قديما، وفي أيام عمر. فيهم النبوة ، وفيهم الخلافة، فيهم القيادات العليا ، وما يتتبع ذلك من علو في الأرض .

ومع هذه الأوضاع كلها ... ومع هذا الفارق البعيد ، بين طبقة الرقيق، وما فيها من ذلة واستضعاف وآلام موروثة ، وعقد نفسية مترسبة...

وبين طبقة قريش ، وما فيها من كبرياء ، وملك ، وخلافة ، و نبوة و مفاهيم السيادة كلها.

خلاف بعيد ... وتفاوت شديد ... ومع هذا فإن الرجل العبد ، المملوك، يتقدم إلى خطبة الفتاة القرشية .

ويعطيها مالا وفيرًا، لعلها ترضى !.

ويرفض أخوها القرشي ، ويأبى ، ويأخذ عليه عقله المفاهيم الطبقية، وينسى أن هناك إشعاعا ربانيا تسلط على تلك المفاهيم فأذابها وبددها.

ويقول : يا أمير المؤمنين ،... إن لنا حسبا ، وإنه ليس لها بكفء

فيصيح به عمر : لقد جاءك بحسب الدنيا والآخرة ، أما حسب الدنيا فالمال ، وأما حسب الآخرة فالتقوى زوج الرجل إن كانت المرأة راضية .

لقد كان أخوها يعبر عن مشاعر الطبقة الرفيعة ، طبقة العلو والكبرياء .

وكان عمر يصيح به صيحة الإسلام ؛ لتسمعها الأجيال كلها ، وتعلم أن الإسلام قد ألغى الطبقية إلى الأبد ، وسوّى بين الناس ، بين طبقة الأحرار التي لها كل الحقوق ، وطبقة العبيد الأرقاء

التي ليس لها أي حقوق.

ونادى عمر : زوج الرجل ، إن كانت المرأة راضية .

بالأمر زوج الرجل ... ليس لك يا أخاها من الأمر شيء ...

إن الإسلام يرى أن هذا العبد الذي هو من أقل الطبقات شأنا في المجتمع ، كفئًا لأختك القرشية الحرة الرفيعة الشأن !.

وتداعت الحواجز ، وانهارت السدود ، وتساوى العبد بالقرشية !.

وهذا هو الإسلام ... لا طبقية ، ولا حواجز ، ولا تمييز ... ولكن أخوة، ومساواة ... فما دام الرجل قد جاءها بالمال الذي يرضيها، وما دام الرجل تقيا ... فهو كفء لها !.

وأخرى ... أعظم وأكبر ... إن كانت المرأة راضية ... تحرير للمرأة ... رأيها أولاً ... هل تريد هذا الزوج أو لاتريده هل تحبه أم تكرهه... تحرير للفتاة ، ومنحها حق اختيار زوجها.

مفاهيم جديدة ، ثورة في تفكير المجتمع !

فماذا كان من أخيها ؟... راجعها ، فرضيت ، فزوجها منه !!. طوح الرجل بمفاهيمه كلها، ونزل على رأى عمر ، رأى الإسلام .

وطرحت الفتاة بالتقاليد كلها ، وثارت على المفاهيم الخاطئة القديمة ، وقبلت الزواج .

ماذا نفيد من هذا ؟ ... نفيد أن علينا أن نثور على المفاهيم المتعفنة، التي تركنا عليها آباؤنا، مادامت ليست من دين الله في شيء .

كل عادة اجتماعية أو فردية ، نجدها في مجتمعنا ، يجب علينا أن ننظر هل هي مما أمرنا الله بها ؟.

فإن كانت غير ذلك ، طوحنا بها ولا نبالي ، واستبدلنا بها ما هو أصلح وأجدى وأنفع.

فلا جمود على أوضاع فاسدة ، ولا جمود على مفاهيم عفنة ، وإنما النظر ببصيرة ، فما كان خبيثًا نبذناه ، وما كان طيبا أبقيناه .

وكم في مجتمعنا من سخافات ، وموروثات ، ينبغي أن ننبذها فورا!!

## حقوق الإنسان الثلاثة!

وعظيمة من عظائم عمر ... نضعها بين يدي الناس جميعًا .

قال عمر : ليس الرجل بمأمون على نفسه إن أجعته ، أو أخفته ، أو حبسته ، أن يقرّ على نفسه .

ما معنى هذا ؟.. إن عمر يقرر أن شخصية الإنسان تتخلخل، وتتداعى ، وتتهدم في حالات ثلاث .

إن أجعته .. أو أخفته .. أو حبسته !.

الجوع .. الخوف .. الحبس .. ثالوث مدمر ، يأتي على كيان الإنسان من الأساس .

ومن هنا ينبغي أن نؤمّن الشعوب ضد الجوع ، وضد الخوف ، وضد الحبس .

أي: لا بد من ضمانات تضمن لكل فرد أن يأكل فلا يجوع، وأن يأمن فلا يُخوّف ، وأن يكون حرا فلا يحبس أو يسجن بغير حق .

فإن قيل ما هي حقوق المواطن في دولة عمر ، ودولة الإسلام ؟ قلنا على الفور : طعام لكل جائع ، وأمن لكل خائف ، وحرية لكل مواطن .

ويرى عمر : أن الرجل ليس بمأمون على نفسه أن يقر على نفسه في إحدى تلك الحالات!.

فلا يجوز أن يعذب متهمًا بالجوع ، أو الخوف ، أو الحبس ، لإرغامه على الاعتراف ... فإنه سوف يعترف بغير الحق فرارًا مما هو فيه .

وما يصدق على الأفراد ، يصدق على الشعوب ؛ لأن الشعوب مجموع آحاد .

فكل شعب جائع ، أو خائف ، أو حبيس ، يعتبر شعبًا ضائعًا لأنه فاقد لمقومات الحياة الطبيعية .

وهذا ما يلجأ إليه الاستعمار الخبيث ؛ ليتمكن من ضحاياه من الدول الضعيفة، أو الواقعة تحت نفوذه بطريق مباشر أو غير مباشر.

إنه يعمل على أن تبقى متخلفة ، أي: جائعة ، خائفة ، محبوسة في أغلالها الداخلية والخارجية فتستسلم له استسلاما .

تماما كما يستسلم المتهم عندما يعذب بإحدى الوسائل الثلاث آنفا.

أعبقرية تلك يا عمر؟... أم سياسة أم براعة ، أم ماذا نقول؟!

وعلى هذا فإذا أردنا أن نؤمن الشعوب الإسلامية الحديثة العهد بالفكاك من أغلال الاستعمار ، ضد النكسة ، وضد الوقوع مرة ثانية فريسة للدول الكبرى .

فعلينا أن نؤمنها ضد الجوع ، ونؤمنها ضد الخوف من قوة الدول العظمى ، وأن نؤمنها ضد العودة إلى القمقم الاستعمارى .

وتلك هي الضمانات الأكيدة لتثبيت حريتها وتثبيت استقلالها!

## رجل شعبي ؟!

سأل رجل جارًا لعمر : كيف بالدخول على أمير المؤمنين ؟.

فقال : ليس عليه باب، ولا حجاب ، يصلى الصلاة ، ثم يقعد ، فيكلمه من شاء .

هذا هو بروتوكول عمر ... رئيس أعظم دولة في ذلك الحين على وجه الأرض !

لا شيء !!... ليس عليه باب يغلقه عليه حين يجلس ولا أحد يستر الشعب عن لقائه .

يصلي الصلاة بالناس ... ثم يقعد بالمسجد ، فيكلمه من شاء كلامه !!!

بساطة محيرة ... إنك لتدهش كيف كان ذلك الرجل يحارب العالم كله ، ويفتح امبراطوريات الدنيا مجتمعة في وقت واحد ، ثم هو يدير الأمور بمثل هذه البساطة ؟!

لا حيلولة بين الجماهير وبينه ... يواجه الجماهير وتواجهه مباشرة .

وذلك أعلى أسلوب ديمقراطي يمكن أن يصل إليه حاكم مع شعبه.

إنه ما وراء الديمقراطية ، وما وراء الإنسانية ، إنه إخراج ربانى علمه إياه محمد رسول الله — ﷺ — ، أعجوبة العالمين !!

## أستاذ في فن التجميل!

أتت امرأة إلى عمر ، بزوج لها أشعث أغبر .

فقالت : يا أمير المؤمنين ، لا أنا، ولا هذا ، خلصني منه .

فنظر عمر ، فعرف ماكرهت منه ، فأشار إلى رجل فقال : اذهب به. فحّممه ، وقلم أظفاره، وخذ من شعره ، وائتني به .

فذهب ، ففعل ذلك ، ثم أتاه .

فأومأ له عمر ، أن خذ بيدها ، وهي لا تعرفه !!!

فقالت : يا عبد الله ، سبحان الله ، أبين يدى أمير المؤمنين تفعل هذا؟!.

فلما عرفته ، ذهبت معه .

فقال عمر : هكذا فاصنعوا لهن ، فوالله إنهن ليحببن أن تتزينوا لهن ، كما تحبون أن يتزين لكم .

هذا هو عمر .. الذي ملأ الدنيا ورعا وزهدا وعدلا وتقى .. هذا هو رجل حياة من الطراز الأول .. رجل يدرك من فنون الحياة أحلاها، ومن خبايا النفوس أخفاها !!.

تأتيه امرأة ، زوجة ، بزوجها ، رجلٍ قذرٍ ؟ أشعث الثياب ، أغبر الوجه، قد أهمل نفسه فلم

ينظفها ، وأهمل ثيابه فلم يجملها .

تكره المرأة أن تعيش مع رجل هذا حاله ، قد أهمل الزينة وفنونها، وأهمل النظافة، وأسبابها وتنطع في دينه حتى ظن أن الهدى و التقى أن يكون كذلك !.

خلصني منه يا أمير المؤمنين. أريد الفكاك من هذا الكريه البغيض.

نظرة واحدة ... أدرك الرجل الخبير بالحياة، الخبير بما تحب النساء، ماذا كرهت المرأة منه؟!.

وعلى الفور دفع الأشعث الأغبر إلى رجل ، وأمره أن يغسل بدنه ، وأن يقلم أظفاره ، وأن يحلق شعره ثم يعود به إليه .

وجاء الرجل بصاحبنا ، وقد تغيرت صورته إلى صورة شاب جميل وسيم نظيف تتمناه كل أنثي و ترغب فيه !

فهل وقفت عبقرية عمر عند ذلك الحد العجيب ؟ لا ، بل تلطف إلى غايته ، ورسم لها تكتيكا ، فأسر إلى الشاب الجميل أن يأخذ بيد المرأة الجميلة بغير استئذان .

فلما أحست المرأة دفأ يديه ، وحرارة راحتيه، عجبت من هذا الذي يجرؤ على هذا الفعل، على ملأ ، وأمام أمير المؤمنين الذي يخشاه الجميع!

قالت : يا عبد الله ، سبحان الله ، أبين يدي أمير المؤمنين تفعل هذا؟.

كل ذلك ، وهي تظن أن رجلا غريبا أجنبيًا يغازلها ، ويريد أن يعبث بها!.

وكانت المفاجأة ... عرفت من التأمل في وجهه ، ومن حركاته أنه زوجها !!.

فذهبت معه ...، وانقلب بغضها له حبا !!

ثم أطلقها عمر : هكذا فاصنعوا لهن فو الله إنهن ليحببن أن تتزينوا لهن كما تحبون أن يتزين لكم .

ودوت الكلمات عبر القرون ، أن عمر بن الخطاب الناسك الورع الباكى ليلا ونهارا من خشية الله ، جمع في تصرف واحد بين فنون عديدة.

علم النفس ، علم التربية ، علم الاجتماع ، علم القيادة ، فن التجميل، فن الاصلاح ، فن التوفيق بين الرجل والأنثى ، ثم فنون الحب والغزل كلها!!.

من أين لك هذا يا عمر ؟ .. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظم.

وفي هذا رد على أولئك المتنطعين ، الذين يذهبون المذاهب في إهمال مظهرهم ، وإهمال زينتهم ، زعمًا منهم أن ذلك مما يتقرب به إلى الله .

ولا كذلك تكون القربات إلى الله ... إنما القربي تأتي مما هو بين الصدور ... من القلوب... أما مظاهرنا فقد أمرنا الله أن نجملها ، وننظفها ، ونجعلها في أحسن زينة تناسبها ، في غير ما إسراف ولا مخيلة .

ولست أخوض الآن في تفاصيل تلك الآداب من الإسلام ، فهي معلومة مشهورة ، وإنما نومئ إليها ؛ لتعلم الجماهير الإسلامية ، أن عمر ، وهو أصدق نموذج لهذا الدين ، كان رجلا جميلا في تفكيره ، جميلا في فهمه لدين الله ، جميلا في سياسته العامة للجماهير .

ولم يكن أبدا كهؤلاء الموتى الذين يميتون في أنفسهم ، وفي الناس اندفاعات الحياة ، وانطلاقاتها.

نظر عمر إلى رجل مظهر للنسك متماوت فخفقه بالدرة ، وقال : لا تمت علينا ديننا ، أماتك الله .

وتلك الحادثة تبين لك كيف كان الرجل يكره هؤلاء من أعماق فؤاده.

إما عبر حياة : حياة منطلقة ، نحو الحق ، والخير ، والجمال تدرك أن الكائن الحي خلقه الله جميلا فينبغي أن يكون جميلا . لا يطمس الفطرة التي فطره الله عليها ، بدعوى أن ذلك يقربه إلى الله!!

فإذا كانت هناك مجموعات من الجماهير تفهم أن الإسلام أداة تعطيل المواهب البشرية ، وتجميد لحركة الحياة المتطورة .

فذلك مفهوم خاطئ، لأن عمر كان يتولى التجميل بنفسه، ويباشر فنونه بنفسه ، ويصيح في الدولة كلها : هكذا فاصنعوا لهن. كيف لا والقرآن نفسه ينادى بأعلى صوته أن سر الحياة الدنيا أن تكون زينة : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً﴾ ... وينادي : ﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾؟

وكيف لا ورسول الله — ﷺ — يقول : إن الله يحب الجمال ؟!

## اقتص مني؟!

وتلك أعجوبة أخرى من عمر...

بينما عمر يمر في الطريق ، فإذا هو برجل يكلم امرأة ، فعلاه بالدرة، فقال : يا أمير المؤمنين إنما هي امرأتي !.

فقال له : فلم تقف مع زوجتك في الطريق ، تعرضان المسلمين إلى غيبتكما ؟!

فقال : يا أمير المؤمنين الآن قد دخلنا المدينة ، و نحن نتشاور أين ننزل !.

فدفع إليه الدرة وقال : اقتص مني يا عبد الله .

فقال : هي لك يا أمير المؤمنين .

فقال : خذ ، واقتص مني .

فقال : – بعد ثلاث – هي لله .

قال عمر : الله لك فيها .

ماذا تقول إنسانية اليوم فما كان من عمر في تلك الحادثة؟.

مواطن عادى يكلم امرأة ، فيضربه عمر بالدرة ، ظنا منه أنه يكلم أجنبية في الطريق العام، مما يتنافى مع عرف الجماهير الإسلامية وآدابها .

فلما تبين عمر أنها امرأته، وأنه يشاورها أين ينزلون ؟ رعُبِ ، ودفع إليه الدرة ، وقال له: اقتص مني يا عبد الله !!

عمر في رعب من خطأ وقع فيه اجتهادا لا عمدا ... و يريد فورا أن يصفي حسابه مع الرجل ، يريد أن يضربه الرجل بالدرة كما ضربه ، فلا يكون مدينا للرجل في شيء أمام الله !

صحوة ... ضمير عال جدا جدا ... عمر في فزع أن يحاسبه الله على ما فعل بالرجل ، وقد لا يشفع له اجتهاده !!

والرجل تنازل عن حقه ، وعمر يكرر عليه ثلاث أن يقتص منه.

حتى أعلن الرجل : هي لله ... وهنا فقط هدأت ثائرة عمر... وعلم أن الرجل قد عفا عنه حقًا ، حين تصدق بها لوجه الله !!.

فمن من رؤساء الدول العظمى ، أو الصغرى ، يفعل بنفسه ذلك الفعل ، ويوقف نفسه ذلك الموقف ؟.

لا أحد ... ولكن عمر هو ذلك الأحد !!.

## رئيس الدولة الأعظم يغني!

كان عمر في سفر ، فرفع صوته بالغناء ، وأنشد .

وما حملت من ناقة فوق رحلها    أبر وأوفي ذمّة من محمد

فاجتمع الناس ..

فقرأ القرآن ، فتفرقوا !!!

فعل ذلك ، وفعلوه غير مرة .

فقال : يابني المتكاء ، إذا أخذت في مزامير الشيطان اجتمعتم ، وإذا أخذت في كتاب الله تفرقتم !.

تلك الواقعة من عمر مهمة غاية الأهمية ... إنها تكشف عن جانب خطير من شخصيته.... إن الرجل كان مخلوقا حيًا يتدفق بالحياة ، لم يشغله الحكم والسياسة أن يأخذ حظه من الفن والحياة!.

ثم هي تكشف لنا كذلك عن قاعدة خطيرة ... أن الإنسان هو الإنسان ، وغرائزه هي هي، تتبلور وتتأقلم مع الظروف ، إلا أنها لا تتغير في جوهرها و منابعها .

اشتاق عمر ، رئيس الدولة إلى الغناء فغني، ونسي أنه الرجل الذي يحكم العالم ، ويشيع الرعب في أرجائه ... نسي ذلك وجعل ينشد بيتًا من الشعر!.

ثم ماذا ؟... فتجمع الجمهور حوله يستمعون إلى غنائه ... فلما تجمعوا ، جعل عمر يقرأ القرآن ، فتفرقوا عنه !

ومن يفعل هذا ؟ ... منهم صحابة رسول الله — ﷺ — ، والتابعون بإحسان ! وكرر عمر التجربة مرات ، فكان الناس يتجمعون على غنائه ، ويتفرقون إذا قرأ القرآن !!

فثار الرجل وقال : إذا أخذت في مزامير الشيطان اجتمعتم، وإذا أخذت في كتاب الله تفرقتم؟!

فإذا كان هذا شأن مجتمع فيه كثير من اصحاب رسول الله، وتابعيهم بإحسان ... فكيف يكون الشأن في مجتمع كمجتمعنا اليوم ، طال عليه الأمد ، ونسي أصول إسلامه وآدابه؟

لا تعجب أن ترى الناس اليوم إذا استمعوا إلى برامج الغناء والترفيه في الراديو والتليفزيون يستبشرون ، وينصتون ، ويجتمعون، وإذا أذيع عليهم القرآن ، والجد ، والتوجيه النافع اكتأبوا، وأعرضوا ، وتفرقوا!

إنسان اليوم هو إنسان الأمس سواء بسواء .... فكيف السبيل إلى اجتذاب الناس إلى كتاب الله ، وتوجيهات الخير ؟

السبيل أن نضيق الخناق على الفحشاء ، على التوجيهات الهابطة . فيتعود المجتمع سماع الخير ، وسماع الربانيات .

أما أن نطلق العنان للعبث ، ونطمع أن يتجه الناس إلى الخير ، فذلك أمر مستبعد ، لأنه ليس من طبيعة الإنسان !!!

## عمر ينظم للنساء ملابس الخروج!

رئيت امرأة متزينة ، أذن لها زوجها بالبروز ، فأخبرها عمر، فطلبها، فلم يقدر عليها .

فقام خطيبًا فقال : هذه الخارجة ، وهذا المرسل لها ، لو قدرت عليهما لشترت بهما (نددت بهما وأسمعهما القبيح ) .

ثم قال : تخرج المرأة ، إلى أبيها يكيد بنفسه ، وإلى أخيها يكيد بنفسه فإذا خرجت فلتلبس معاوزها ، ( أي البالى من ثيابها ).

هذه واقعة خطيرة جدًا تحل لنا أعقد مشكلة اجتماعية ، تثور في مجتمعاتنا الشرقية دائمًا... مشكلة ملابس المرأة خارج البيت

تنظر إلى القصة نظرة سريعة ... امرأة متزينة تسير في الطريق العام.

انتقل الخبر إلى رئيس الدولة . فأرسل المباحث ليطلبها ، فلم يجدها.

رئيس الدولة يرى أن هذا يعتبر انتهاكا للشعور العام، وامتهانا للتوجيهات الربانية ، فيخطب في الجماهير ، هذه الخارجة ، وهذا المرسل لها ... تحقير، ووعيد لها، ولزوجها الذي أرسلها، وكان ينبغي عليه أن يمنعها ولا يأذن لها .

فهي مسئولة ، وهو مسئول ، كلاهما شريك في الجريمة .

لو قدرت عليهما لشترت بهما . لو عثرت عليهما افتضحتهما ، ولنددت بهما ولأغلظت لهما في القول .

ثم يضع عمر القانون العام : فإذا خرجت فلتلبس معاوزها... فإذا خرجت المرأة فعليها أن تلبس القديم من ثيابها ، الذي لا يثير فتنة، ولا يشيع فاحشة .

ومن تلك القضية نستنبط كل ما نحتاج إليه في تلك المشكلة... مشكلة ملابس خروج النساء...

شعب يقظ حساس ، إذا اعتُدى على شعوره ، سارع إلى إبلاغ السلطات المسئولة ، وذلك يتمثل في الذين نقلوا خبر المرأة المتزينة إلى عمر .

دولة متفاعلة متجاوبة مع شعبها ، تحس بإحساساته ، وتتفاعل بانفعالاته ، وهذا يتمثل في عمر ، رئيس الدولة ، حين بعث مباحثه ليحضروا المرأة وزوجها.

وهنا قاعدة خطيرة جدا ... أن الشعب مسئول عن الآداب العامة ، والدولة مسئولة عنها كذلك.

كلاهما يتعاونان ، ويتساندان في منع الفساد من الوقوع ، الشعب بثورته عليها ، والدولة باستعمال سلطاتها في ذلك .

وفي هذا رد على أولئك الذين يرون أن الدولة لا تتدخل في الحريات العامة .

بل يرى عمر، ويرى شعب عمر...، وهؤلاء هم جمهور الإسلام، ورأيهم هو رأي الإسلام، غير ذلك ، يرون أن الشعب مسئول ، والدولة كذلك مسئولة .

وهذا هو الحق ، وهو الاتجاه البناء في الحياة الكريمة ، فلو أن المجتمع ترك الأفراد يفعلون ما يشاءون ، لغرقت المجتمعات كلها في الفحشاء .

ولكن المعقول أن تتعقب الشعوب منابع الفساد أولا بأول ، فتمتنع العدوى ، ويختفي الداء.

ثم نستنبط من الواقعة ، أن الدولة لها أن تندد بالمرأة إذا خرجت عن الآداب العامة ، وتندد بزوجها ، ولها أن تسن من التشريعات والقوانين واللوائح ، ماينظم ذلك، و يمنع وقوع المخالفة.

ثم نستنبط القاعدة الكبرى من القضية ... أن المرأة إذا خرجت فعليها أن تلبس ملابس لاتؤدي إلى فتنة أو إلى فساد .

ولقد رأى عمر أن ذلك يتحقق في عصره بلبس القديم من ثيابها ...

ويتحقق هذا في عصرنا، عصر التفنن في الموضات ، والأقمشة والألوان، يتحقق بلبس الملابس المناسبة التي لاتثير فتنة ولا فحشاء.

إذن كان هناك خروج للنساء ، في عهد عمر ، ولم تكن المسألة حجابًا مطلقًا ، ولا حبسًا أبديًا للنساء في المنازل كما يتوهم أكثر الناس .

وكذلك يضع عمر أيدينا على الداء والدواء في وقت واحد .

ويحل لنا أعقد مشكلة في المجتمع الإسلامي الحديث... مشكلة ملابس المرأة في خروجها

ومتى جاء الحل من عمر فهو الحل ، وهو رأي الإسلام التطبيقي .

ولقد اتجهت كثير من دول العالم الراقية اتجاها يكاد يشبه اتجاه عمر ، أو يقاربه ... فهي تواضعت على أن للعمل ملابس ، وللسهرات ملابس.

أما ملابس العمل فاحتشام وأقمشة غلاظ ، وأما السهرات فزينة و فضفاض .

وجدير بنا نحن أصحاب المبادئ السامية ، أن نقتبس من عمر ، ونطبق توجيهه ، إذا خرجت المرأة فلتلبس ما لا يثير فتنة ولا فسادا.

## الفتيات العربيات أولى!

لما كانت القادسية ، ولم يجد الناس نساء مسلمات ، تزوجوا نساء أهل الكتاب ، فلما كثرت المسلمات ، بعث عمر بن الخطاب إلى حُذيفة ، بعد ما ولاه المدائن . بلغني أنك تزوجت امرأة من أهل المدائن ، من أهل الكتاب ، فطلقها .

فكتب إليه : لا أفعل حتى تخبرني أحلال أم حرام ؟ وما أردت بذلك ؟.

فكتب إليه : لا بل حلال ، ولكن في نساء الأعاجم خلابة ، فإن أقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم .

فقال : الآن ... فطلقها.

وهذه عبقرية أخرى لعمر إنه ينظر بعين السياسي البعيد النظر .

صحيح أن الزواج بالكتابيات حلال ... ولكن هناك أمرًا آخر ينبغي أن ننظر إليه ، قبل الحكم في القضية ... ماذا يكون حال فتياتنا العربيات حين ينصرف عنهن شبابنا إلى الأجنبيات؟.

بوار شديد ..، وانتشار مخيف للعوانس ، ويأس قاتل يمضي في نفوسهن .

فمعلوم أن النسبة العددية للنساء توازى تقريبًا نسبة الذكور في الدولة ... فإذا سمحنا لرجالنا بالزواج من الأجنبيات ، فمعنى هذا أن عددا من نسائنا سوف لا يجدن أزواجا .

وهذا عين الخطر ..، وما يؤدى إلى تخلخل المجتمع ، وانتشار الفتنة في طبقاته .

ومن هنا منع عمر الزواج بغير المسلمات مؤقتًا ..، وأمر بزواج العربيات...

ومن هنا نقتبس أن علينا نحن أبناء الدولة الإسلامية أن نمنع الزواج بالأجنبيات ، ما لم تكن هناك ضرورة ، حفظًا للمصلحة العامة ، وضمانا لمستقبل المسلمات !!!

## عظِّموا القرآن!

رأى عمر مصحفًا صغيرا في يد رجل ، فقال : من كتبه ؟.

قال : أنا .

فضربه بالدرة ، وقال : عظموا القرآن .

إن عمر يرى أن يكون المصحف كبيرا...، ويشتق فلسفة من قوله : عظّموا القرآن ... فما معنى هذا ؟.

معناه أن كتاب الله ينبغي أن يكون هو الأعظم...

فلا يبت في أمر من أمور الدولة عظيمًا أو صغيرا إلا بالرجوع إليه...

ولا يوضع دستور للدولة إلا مؤسسة على تعاليمه .

ولا تصاغ قوانين الدولة إلا على أساس من حدوده .

ولا توجه الجماهير إلا على أساس من آدابه .

ولا تتحرك الأمة ولا تسكن إلا على نظام مأخوذ من آياته .

وأن يكون الفرد خلقه القرآن ، والدولة خلقها القرآن .

وهذا هو تعظيم القرآن ... أما أن نجعل القرآن وراء ظهورنا، ونستدبره في أمورنا ، فهذا هو هجر القرآن ، ولو قرأناه صبحا ومساء ، وتعلمناه ليلا ونهارًا .

؛ لأن الله أنزله لنعمل به ، لا ليدرس ، و يقرأ ، ثم يهمل ولا يعمل به.

وعندما تفيق الجماهير الإسلامية من سكرتها وتعود إلى كتابها، هنالك يمكن أن يقال إننا نعظم القرآن !!!

## أين أخي ؟!

قدم عمر الشام ، فتلقاه أمراء الجيوش ، وعظماء أهل الشام ، فقال عمر : أين أخي ؟

قالوا : من ؟.

قال : أبو عبيدة .

قالوا: يأتيك الآن.

فجاء أبو عبيدة على ناقة مخطومة بحبل . فسلم عليه ، وسأله ، ثم قال للناس : انصرفوا عنا .

فسار معه حتى أتي منزله ، فنزل عليه فلم ير في بيته إلا سيفه ، وترسه ، ورحله !

فقال له عمر : لو اتخذت متاعا – أو قال شيئا – ؟

فقال أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين ، إن هذا سيبلغنا المقيل!

منظر رهيب ... يشيب منه التاريخ ويشيب ... أمير المؤمنين يترك العظماء الذين جاءوا لاستقباله ، ويصرفهم ويسأل : أين أخي؟.

وعندما يكون العظيمان على مستوى واحد من العظمة ، يدرك كل منهما قيمة صاحبه، ويضعه الموضع اللائق به من نفسه.

ولقد كان أبو عبيدة يقف ندا مساويًا لعمر في كل شيء ..، ومن هنا فكر عمر في اختياره أميرًا للمؤمنين من بعده ، لولا أن مات أبو عبيدة بالشام في الطاعون .

وأبو عبيدة عملاق من عمالقة الحق والحقيقة ..، ومن هنا كان اشتياق عمر إليه شديدا، فترك كل الناس ، وآوي إلى أخيه!

حنين القلب الكبير إلى القلب الكبير ... حنين من عرف الله إلى من عرف الله .

وذلك أقوى مقامات الحب والإخاء في الله .

أين أخي ؟!

كلمة فيها كل مقومات شخصية عمر ... صادقة إلى أبعد حدود الصدق .

وجاءه أخوه..، وذهب عمر معه إلى منزله ..، فماذا رأى في منزل أبي عبيدة القائد العام للقوات الإسلامية المسلحة ؟

راى عجبًا ... سيفه ، و ترسه ، ورحله !!

هذه هي ثروة أبي عبيدة ... سيفه الذي يحارب به ، وترسه الذي يدافع به عدوه ، و دابته التي يركبها في الحرب !

ووقف عمر ، إمام الزاهدين ، وشيخ الورعين .

وقد أخذ منه التأثر كل مأخذ ، وقال لأخيه : لو اتخذت متاعا؟؟

لماذا لم تتخذ يا أبا عبيدة متاعا ..، ولو بسيطًا ؟ ، لماذا تترك بيتك خاليًا هكذا ؟.

فماذا كان جواب أبي عبيدة ؟ ... يا أمير المؤمنين ، إن هذا سيبلغنا المقيل!

لا أجد ألفاظًا أعبر بها عن روعة المشهد ، وروعة كلام أمين الأمة .

فبينما تجد اللين كله والرقة كلها والعذوبة كلها في قوله « يا أمير المؤمنين » ... تجد إصرارا من الرجل العظيم على مذهبه في الحياة في قوله « إن هذا سيبلغنا المقيل » إن هذه الأدوات المعدودة، ستبلغنا الآخرة .

إن أبا عبيدة يصر أن يعبر دنياه بهذه الأدوات وحدها ، ويصر أن يبلغ آخرته و ليس عنده غيرها .

ولولا أن الله أمره بالقتال ، وأن القتال يستلزم حتما سيفًا ، وترسًا ، وفرسًا ؛ لتخلى عن هذه الثلاثة أيضا ، وعاش بنفسه ليس إلا !

مشهد رهيب ، جليل ، جليل جدا ... نرفعه أمام القادة العسكريين، في العالم ، ونقول لهم: هل فيكم من قائد عسكري يبلغ شيئًا قليلا مما كان عليه القائد العام للقوات الإسلامية المسلحة، أبو عبيدة بن الجراح ؟

هل فيكم من يستطيع أن يعيش حياته كلها لا يملك شيئا إلا أداة حربه ؟.

هل فيكم من يستطيع أن يقود أعظم المعارك الحربية متجردًا من شهواته ، ورغباته ، كما كان أبو عبيدة ؟.

هل فيكم من يستطيع أن ينتصر على نفسه رغم انتصاراته العالمية المدوية ، فيتواضع لله ، وينكسر لله ، مثل تواضع وانكسار أبي عبيدة ؟.

فكان جوابهم : أين لنا مثل ذلك الطراز الرفيع الذي تعجز الدنيا عن أن تخرج مثله الآن؟.

فأقول لهم : ولكن تاريخنا ، وماضينا ، فيه أبو عبيدة ، وآلاف على أخلاق أبي عبيدة...

فلماذا إذا تبغوننا عوجا ، وتريدوننا أن ننحرف عن أولئك العظام إلى ما عندكم من أوهام؟!.

## هذه دنياكم!

مَرّ عمر على مزبلة ، فاحتبس عندها ، فكأن أصحابه تأذوا بها.

فقال : هذه دنياكم التي تحرصون عليها !

هذه نظرية فلسفية عميقة جدا ... يخيل إلى الناس أنها كلمات في الوعظ والزهد...

وهي عندي نظرية كاملة متكاملة في الحياة من مبتداها إلى منتهاها...

وإليك التفصيل في غير تطويل...

معلوم أن مقومات الحياة : نفس ، ومال ، وأن هذين العنصرين أصلهما تراب ، وأن مصيرهما إلى فناء ، إلى تراب .

تماما كما قيل .... كل ما على التراب تراب .

منها خلقناكم وفيها نعيدكم ... من الأرض، من التراب خلقنا، وإلى الأرض ، وإلى التراب نعود ترابًا !.

كذلك المال ، مهما تنوعت وتعددت مظاهره، أصله تراب ، ثم يفنى ، ويصير ترابًا !.

هذا المعنى المتكامل عن الحياة في حقيقتها ، يضيء دائما في قلب عمر...

فهو حين يقف على مزبلة ، ويستبطئه أصحابه فيأتي إليهم ويقول : هذه دنياكم التي تحرصون عليها ... إنما ينطق بمذهبه الذي يعتقده في الحياة .

وعمر حين يقول ذلك فإنما يقول الحق الذي لا التواء فيه ؛ لأن الرجل هكذا دائما .

وقد استبان لنا كيف أن الرجل لم يعد الحقيقة في تعبيره هذا. ونحن لا نريد أن نكثر من ترداد تلك الحقائق العليا أمام الجماهير المسعورة كالكلاب الجائعة حول المزبلة...

فإن مثل الأمم وهي تتصارع الآن على الدنيا ، كمثل كلاب اجتمعت حول جيفة ، كل يريد أن يلتهمها وحده دون سواه .

لا نريد أن نردد تلك المثل العليا على آذان الجماهير اليوم مخافة أن يفتنوا ، ويصيحوا : دعونا من الوعظ والإرشاد ، نريد الخبز، نريد أن نأكل . .

وانما فقط نريد أن نلفت نظر العالم كله إلى أن هذه الدنيا التي يتقاتلون عليها ، أحقر من

أن تكون هدفا يتصارعون عليه.

وإنما ينبغي أن يكون القتال ، ويكون الصراع ، على المبادئ السامية، على الحقائق العليا، التي يريدها الله من هذه الحياة .

وقبل أن أغادر هذا المقام ، أنادي في الناس : إياكم أن تظنوا أن عمر من القائلين بإهمال الدنيا .. كلا ، وإنما هو يضع لدنياكم جميع الحلول اللازمة ، فلا تجزعوا !!

## أخطر مبدأ!

قال القاسم : إن رجلاً سرق من بيت المال ، فكتب فيه سعد إلى عمر ، فكتب عمر؛ ليس عليه قطع .

وروي عن عمر أنه أتي بغلام قد سرق من سيده فلم يقطعه .

قضيتان خطيرتان .... أن عمر لم يقطع يد رجل سرق من بيت المال من الخزانة العامة... وأنه لم يقطع يد الغلام الذي سرق من سيده .

ما معنى هذا؟... معناه أن الدولة لا تعاقب من يسرق من الخزانة العامة ، ولا تعاقب الخادم إذا سرق من مال سيده!

ما معنى هذا؟ .... إن القضية لم تتكشف بعد ... إن عمر يرى أن الرجل سرق من الخزانة العامة لحاجته ، والمحتاج لا يعاقب؛ لأن الدولة مسئولة عنه .، وعن سد حاجته ، فإذا أهملت الدولة واجبها ، فلا لوم عليه أن يسرق خزانتها ليسد حاجته .

ويرى عمر أن الخادم سرق من مال سيده ؛ لأن سيده لم يعطه ما يكفيه ، ولولا هذا ما سرق ، فلا لوم على الخادم ، وإنما اللوم على السيد الذي حرمه حقه في هذا المال.

وعمر بتلك القضيتين يقرر مبدأ خطيرًا جدًا ... أن الدولة مسئولة عن كل الشعب ، عن ضروريات كل فرد فيها ، وتوفيرها لكل مواطن . فإذا جاء الشعب ، ودفعه الجوع إلى سرقة ما في خزانتها ؛ ليسد جوعته ، ويصل إلى ضروريات حياته ، فلا شيء في ذلك على الشعب ، ولا عقوبة عليه ... وكذلك الشعب الذي تحت أيدي الإقطاعيين ، والمستغلين ، الانتهازيين ، إذا ثار لحقه. وسرق من مال أسياده المستبدين ، فلا عقوبة عليه ، ولا لوم عليه.

وتلك الفلسفة العالية من عمر... ترشدنا إلى مفاهيم الإسلام الصحيحة .

فالإسلام حين يأمر بقطع يد السارق ، لا يتعنت في ذلك ، ولا يقسو على الناس .

وإنما يأمرهم أولا بالتآخي ، والكفاية ، وإعطاء كل ذي حق حقه ، فإذا استوفي المجتمع كل ذلك ، كان من الإجرام أن يعتدي فرد على المجتمع ، ويسرق من مال أخيه.

حينئذ يجب التنكيل بذلك السارق، وقطع يده جزاء نكالا بما فعل ؛ لتتوفر الطمأنينة للمجتمع كله .

أما إذا لم يوفر المجتمع لكل فرد ضروريات حياته فلا عقوبة على السارق ولا قطع ليده!!.

والإسلام هذا داعية تطور ، وداعية عدالة اجتماعية ، وداعية تقدمية رشيدة .

وهكذا يقرر عمر أخطر مبدأ في عدالته ، مبدأ حق الشعوب في أموال الدولة !!!

## عمر يضع للأمّة تاريخها!

جمع عمر وجوه الصحابة فقال : إن الأموال قد كثرت ، وما قسمنا منها غير موقت : فكيف التوصل إلى ما يضبط به ذلك ؟

فقال قائل : اكتبوا على تاريخ الروم.

فقيل إنه يطول ، وإنهم يكتبون من عند ذي القرنين .

فقالوا : يجب أن يعرف ذلك من رسوم الفرس .

فعندها استحضر عمر الهرمزان ( قائد فارسى كبير أسلم )، وسأله عن ذلك .

فقال : إن لنا حسابًا نسميه : ماه روز ( حساب الشهور والأيام ) وبينه لهم .

فأراد عمر والناس أن يكتبوا من مبعث رسول الله – ﷺ – .

ثم قالوا : من عند وفاته .

ثم قالوا : من مولده .

وقال على : منذ خرج النبي – ﷺ – من أرض الشرك يعنى يوم هاجر .

فاتفقوا على أن يكون المبدأ من سنة الهجرة .

وكانت الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة في ربيع الأول ، فقال : بأي شهر نبدأ فنصيره أول السنة ؟

فقالوا : رجب فإن أهل الجاهلية كانوا يعظمونه .

وقال آخرون : شهر رمضان .

وقال آخرون : ذو الحجة فيه الحج .

وقال آخرون : الشهر الذي خرج فيه من مكة .

وقال آخرون : الشهر الذي قدم فيه.

فقال عثمان : لدخوله من المحرم أول السنة ، وهو شهر حرام وأول الشهور في العدة ، وهو منصرف الناس عن الحج .

فلما عزموا على تأسيس الهجرة ، رجعوا القهقرى ثمانية وستين يوما ، وجعلوا التاريخ من أول

محرم هذه السنة .

تلك هي أقصوصة التاريخ العربي ، وكيف عقد عمر مؤتمرًا من أجله ، وشاور الجماهير في اختياره حتى كان إجماعها على أن يبدءوا باليوم الذي هاجر فيه رسول الله – ﷺ – إلى المدينة .

وينبغي أن نعلم جميعًا أن عمر وأصحابه رفضوا أن يتخذوا تاريخ الفرس تاريخًا ، وابتكروا لهم تاريخًا خاصًا بهم متميزًا على غيره .

فإذا قمنا نحن اليوم لنحيي أمجاد أمتنا ، فينبغي أن يكون ذلك على أساس التاريخ الهجري!!!

## دعوة إلى العمل!

قال عمر : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقني ، فإن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة ، ولكن الله يرزق الناس بعضهم من بعض .

فقه رائع من عمر ... إنه يصفع المتواكلين صفعة قوية ..، ويصك رءوسهم صكا ، ويقرعهم قرعًا شديدًا .

هناك جماهير كثيرة من المسلمين لها مفاهيم خاطئة...

هناك خرافات مقدسة ، مترسبة في رءوس الكثيرين من المسلمين، من آثار التخلف البعيد والاستعمار الطويل .

هناك أقوام يمدون أيديهم إلى السماء يدعون الله بطلب الرزق وهم لا يعملون ، ولا يأخذون في الأسباب ، ولا يجاهدون ، ولا يعرقون .

ويزعم هؤلاء أن الله يستجيب دعاءهم ، ويرزقهم كما يشاءون . والله لا يستجيب دعاء الغافلين ، القاعدين عن السعي ، المعطلين للأسباب.

؛ لأن الله وضع قواعد عامة للحياة البشرية ، وهذه القواعد لا تتغير ، ولا تتبدل .

قال تعالى : ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴾ [ فاطر ٤٣].

فمن نواميس الحياة التي لا تبدل أن كل شيء مرتبط بأسبابه ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴾ [ الكهف ٨٤، ٨٥ ] .

فالقلم يكتب إذا حركته للكتابة .

والطفل يقرأ إذا علمته القراءة .

وهذه القواعد العامة ، مما ينبغي عليها لكل إنسان ، والفرق بين المؤمن وغير المؤمن أن المؤمن يعلم أن الله هو الذي سخر له هذا القلم، وغير المؤمن لا يلقي بالاً إلى ذلك .

ولقد كان عمر ، وأصحاب رسول الله – ﷺ – ، يفقهون ذلك على أعلى وجه من وجوه الفقه.

يفقهون أن الأخذ بالأسباب قانون عام ينبغي الأخذ به.

؛ لذلك انبعثوا يقاتلون الدنيا كلها ، إعلاء لدين الله...

ولم يقولوا كما يقول المغفلون من مسلمي هذه الأيام ، لو شاء الله لانتصر لدينه .

كلا ... وإنما هم يعلمون أن العالم الإسلامي لو ظل ملقى آلاف السنين ، ولم يتقدم المسلمون لرفعته ، فإنه لن يرتفع أبدًا إلا إذا وجد من يبذل دماءه في سبيله .

فتقدّموا ، وأخذوا ذلك العَلَم ، ورفعوه ، فارتفع .

وهذا هو الفهم الصحيح للإسلام ... وغير هذا ليس بإسلام، و إنما هو أوهام .

ومن هنا نادى عمر نداءه الخالد : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقني. فإن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة ، ولكن الله يرزق الناس بعضهم من بعض !!

ونحن نكرر نداء عمر الآن لتسمعه أجيالنا الصاعدة ، وهي تبني مجدنا الخالد ، مجد الإسلام..

فتنطلق إلى أبعد مدى من العمل، وتفجر طاقات العمل الخلاق.

وليعلموا أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة ، وأن سبيل الوصول إلى الأماني ، هو العمل والعمل وحده !!!

## عمر يخطط للتربية والتعليم!

قال عمر : علموا أولادكم الكتابة ، والسباحة ، والرمي ، والفروسية . ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا ، ورووهم ما سار من المثل ، وحسُن من الشعر .

هذا هو تصور عمر لأسلوب التربية الذي يجب أن نربي عليه أولادنا ، الجيل الناشئ ، الأجيال الصاعدة .

علموا أولادكم الكتابة ؟...أجمل عمر التعليم كله. في فقرة ؟ ولا يعني عمر محو الأمية فحسب... وإنما يعنى كل المعارف ، وكل العلوم ، وكل الفنون ، وكل الآداب ، كل ما ينفع الإنسان .

وهذا دليل على أن الإسلام يرفض أن يكون هناك مسلم واحد أو مسلمة واحدة أميًا .

؛ لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

وهنا نسجل مفخرة لنظم التعليم في مصر ، أن تلاقت مع الإسلام في هذا السبيل ، وقررت مجانية التعليم في جميع مراحل التعليم .

وهذا اتجاه خطير عظيم ، يمضي مع تخطيط عمر ، علموا أولادكم الكتابة .

والسباحة ... عمر ، رجل رشيق ، رجل حياة ، فارس ، مقاتل ، يعلم أين تكون الحياة وأين

لا تكون!

ومن هنا يأمر عمر أن يتعلم المسلمون والمسلمات السباحة . كلهم يتعلمون السباحة إعدادا لأنفسهم للجهاد في سبيل الله.

ثم ماذا ؟... الرمي ؟ ... إطلاق النار ، إصابة الهدف ، ويدخل في ذلك كل أساليب القتال، وما يتفرع عليها ، فكلها تتناهى إلى هدف واحد إلى الإصابة من العدو إلى الرمى.

ثم ماذا أيها العبقري ؟ ... و الفروسية ؟.

علموا أولادكم ، وبناتكم ، الفروسية بشتى صورها ؛ لأن الفروسية عماد القتال في عصورهم السالفة .

ثم ماذا ؟ ..، ومروهم فليثبوا على الخيل وثبًا !! ، وهذا أعظم مستوى يمكن أن يصل إليه الفارس في فروسيته.

ثم ماذا ؟... ورووهم ما سار من المثل ... علموهم الأمثال النافعة، علموهم كل شيء ينفعهم .

وحسن من الشعر ؟..؛ لأن الشعر عماد الثقافة العربية في زمانهم... و لكن اختاروا لهم ما كان حسنا من ذلك الشعر !!

هذا هو عمر ... يخطط للتربية والتعليم... فيأتي بأروع تخطيط ، وأوسعه في أقل كلمات وأقصرها !!

فماذا نفيد من توجيهات عمر ، حين نضع برامجنا التربوية والتعليمية للطلبة والطالبات ؟.

فينبغي أن نتلاقى مع عمر في تخطيطه ... فكيف يكون التلاقي ؟

لقد أقررنا مجانية التعليم فالتقينا مع عمر شيئًا ما ...

فهل نحن نمضى على نفس تخطيط عمر في التربية والتعليم، تخطيط الإسلام؟

لقد خطونا خطوات قليلة نحو ذلك التخطيط ، وبقيت خطوات أخرى ليتم التوافق و التلاقي التام .

بقيت خطوة التربية الربانية للطلبة والطالبات أن نربطهم بالله ، ونركز قلوبهم على الله، فتجمع لهم الخيرين ، خير الدنيا وخير الآخرة .

وبقيت خطوة تنظيم التعليم على أساس من توجيه الإسلام، وأن ننظر إلى برامج التعليم، فما وجدناه ينافي ديننا نبذناه ، وما وجدناه، يمضي مع ديننا أقررناه .

ويومئذ يتم اللقاء بين تخطيط عمر، تخطيط الإسلام ، وبين تخطيط التربية والتعليم في عصرنا الحاضر .

وإنا إن شاء الله لمهتدون !!!

## لكل إنسان حق في مال الله!

قال عمر ، في خطبة له : أيها الناس ... لوددت أن أنجو كفافًا، لا لي ولا علي ، وإني لأرجو إن عمرت فيكم يسيرًا أو كثيرًا أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله .

« وأن لا يبقى أحد من المسلمين ، وإن كان في بيته إلا أتاه حقه ، ونصيبه من مال الله، وإن لم يعمل إليه نفسه ، ولم ينصب إليه بدنه ، وأصلحوا أموالكم التي رزقكم الله ، ولقليل في رفق ، خير من كثير في عنف » .

تلك قطرات من خطبة للرجل، لو أوردناها بتمامها ، ومضينا في شرحها لضاق بها سفر عظيم .

ولكننا نكتفي منها بتلك القطرات، التي تمس المعاني المالية ، التي أرقت جماهير العصر الحديث في مضاجعهم ، وأخذت عليهم كل أفكارهم وطاقاتهم !

« لوددت أن أنجو كفافا ، لا لي ولا علي » .

عمر يتمنى أن ينجو بنفسه من هذه الدنيا ، كفافًا ، أي أن يعيش حياته كلها بما يكفيه ، لا يحتاج ولا يكتنز .

نفس دعاء النبي محمد — ﷺ — .. اللهم اجعل رزق آل محمد كفافًا .. ( والكفاف ما كف عن الحاجة ).

لا لي ولا عليّ ؟. لا مال له ، ولا مال عليه ، وإنما يعيش كفافًا!

وليت الذين يحكمون الجماهير بتأملون طويلا أمنية عمر في الحياة .

ليتهم .. إذا لعاشوا سعداء . ولسعدت بهم الجماهير .

ولكن العكس صحيح .. فإن أكثر الحاكمين يود أحدهم لو ملك ملء الأرض ذهبا !

ثم ماذا ؟. ثم يقول الفاروق بين الحق والباطل : « وإني أرجو لو عمرت فيكم يسيرًا أو كثيرًا أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله ».

أمنية ثانية يرجوها عمر .. لو عاش في الشعب قليلا أو كثيرًا أن يعمل فيهم بحق ، بالعدل، بالميزان المستقيم .

فما هو الحق الذي يتمنى عمر أن يطبقة في مجتمعه الذي كان أكبر مجتمع على الأرض إذ ذاك !

« أن لا يبقى أحد من المسلمين ، وإن كان في بيته إلا أتاه حقه ، ونصبيه ، من مال الله»!

كل أحد كل مواطن ، كل مواطنة ، سأعمل على أن تؤدي له الدولة حقه من المال ، ونصيبه الذي يكون له من قسمة ذلك المال على الجميع .

مبادىء ثلاثة : حق المواطن في المال .. نصيبه في المال .. المال مال الله !

إذا هناك حق لكل إنسان من الشعب في أموال الدولة .. حق ثابت لا ينازعه فيه أحد .

فما هو مقدار ذلك الحق ؟. إنما يتقرر ذلك عند توزيع الأموال على الناس ، وهذا هو نصيب الفرد .

لماذا ثبت حق كل إنسان في هذا المال ، ووجب أداء نصيبه منه إليه؟.

؛ لأن المال أصلا مال الله ، لا مال الدولة ، ولا مال أحد . وتلك نظرية عمر المالية ، نظرية الإسلام !

ثم يتلألأ عمر أكثر وأكثر حين يقول : « وإن لم يعمل إليه نفسه ، ولم ينصب إليه بدنه»!!

من أين لك هذا العلم المحيط يا عمر .. إنك تغترف من بحار الحقيقة كيف شئت ، ومتى شئت ، وأنى شئت ، فسبحان من آتاك ، وأعطاك !!

اسمعوا أيها الاقتصاديون السياسيون .. اسمعوا يا أعداء الحقيقة، ويا أنصارها ، على حد سواء .. اسمعوا إلى أمير البشرية كلها ! في آفاقها كلها ، ومستوياتها كلها .. يقرر أن حق الإنسان في المال ثابت له ، وإن لم يعمل إليه نفسه ، ولم ينصب إليه بدنه !!

اسمعوا اليه و هو يتفوق عليكم جميعا ، وأنى لكم أن تحلقوا إلى آفاقه ؟

أنتم تقولون من لم يعمل لا يأكل ، الأجر على قدر العمل !. ولكن عمر يقول بما هو أعلى، كل إنسان له حق في المال ، وإن لم تتمن نفسه ذلك المال ، وإن لم يتعب بدنه في الحصول عليه!.

أي: أن عمر يقول : الكل يأكل عملوا أم لم يعملوا .

وإنما فاقت نظرية عمر نظرياتكم جميعًا .. بأنها من شريعة الله ، التي قررت أن المال مال الله، فلكل إنسان حق فيه ، سعى أم لم يسع ، أراد أم لم يرد .

إن عمر يقرر للإنسان حقه ، ويثبته ، حتى لا يتعلل قوم بالمعاذير في تجويع الناس .

كلا .. إن الحق ثابت أصلاً ، وبعد هذا يكون العمل واجبًا على الإنسان. لا لأنه مقابل حقه في الحياة .. كلا ، وإنما لأن العمل فريضة على الإنسان ، وفيه صلاح الإنسان .

وفاق عمر بذلك كل إنسان!!!

## مهمة الدولة في المال!

وقال عمر في خطبة له : من أراد أن يسأل عن المال فليأتني. فإن الله جعلني له خازنا وقاسمًا .. إني قد بقيت فيكم بعد صاحبي فابتليت بكم ، وابتليتم بي .

ها هو عمر يحدد مهمة الحاكم مهمة الدولة في الأموال العامة أموال الشعب .

إن الله جعلني له خازنًا وقاسمًا .

مهمة الدولة : خازن ..، وقاسم .

أي : إيرادات .. ومصروفات .

هذا ما يعنيه العبقري . بلغة عصرنا الحديث .. ثم ماذا من أمر الحاكم؟. هل هو مجرد رجل يتسلط على رقاب العباد ، ويفعل بهم ما يشاء ؟

كلا .. فابتليت بكم ، وابتليتم بي ... المسألة مسألة اختبار . الحاكم يختبر من الله بالشعب، ماذا فعل في حكمه ، ظلم أم عدل؟ والشعب يختبر من الله بالحاكم ، كيف كان موقفه من ذلك الحاكم أأخذه على الطريق أخذًا ، أم تركه يغلو فيه بغير الحق ؟

السياسة العامة للدولة في كلمات جامعات ، الميزانية العامة للدولة ، إيراداتها تجمع من حلال، ومصروفاتها تنفق في حلال .

لا يُعصى الله في الجمع ، ولا يُعصي في الإنفاق .

ثم حدود سلطات الحكومة، وسلطات الشعب ، للحكومة أن تحكم بالحق والعدل، وللشعب أن يقومها اذا اعوجت ، وعليه السمع والطاعة إذا استقامت .

وماذا بقي بعد هذا من أصول الحكم الصالح ؟

## الحق ثقيل .. والباطل خفيف!

ويقول العبقري في خطبة أخرى له : إن هذا الحق ثقيل مريء، وإن الباطل خفيف وبيء، وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة، ورب نظرة زرعت شهوة، وشهوة ساعة أورثت حزنا طويلا.

كلمات خير من الدنيا وما فيها!

ويعنينا في هذا المقام منها قوله : إن هذا الحق ثقيل ... وإن الباطل خفيف !

يقرر عمر قاموسًا عامًا ، لا يخطئ أبدًا .. الحق ثقيل ، والباطل خفيف ؟

لماذا ؟؛ لأن الحق هو المصلحة العامة، والباطل هو المصلحة الخاصة . الباطل هوى النفس ومشتهاها ، وهو خفيف ، لذيذ .والحق يصادم هوى النفس ويحطم شهواتها ، وهو لذلك ثقيل

مكروه للنفس .

وعمر يقرر قاموسه العام ، من الحق الخالد الذي نزل به القرآن حين قال : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [ المزمل ٥ ] .

أي: سنضع على كاهلك أثقل شيء في الوجود ( الحق ) سننزل عليك الحق .

ويأخذ قاموسه من قوله – ﷺ – : « حُفَّت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات » [أخرجه مسلم ، والترمذي ، وأحمد واللفظ لهم جميعا]. كل ما يؤدي إلى الجنة مكروه للنفس ؛ لأنه حق، ثقيل عليها، وكل ما يؤدي إلى النار شهوة لذيذة، محببة إلى النفس .

ومن تلك المنابع المقدسة شرب عمر ، وأطلق قاموسه الخالد : إن الحق ثقيل ، وإن الباطل خفيف .

ومن هنا عظمت أجور أهل الحق عند الله ؛ لأنهم حملوا ما لم يحمله أحد ، وصبروا على ما لم يصبر عليه أحد .

ومن هنا كذلك عظم عذاب أهل الباطل عند الله ؛ لأنهم اتبعوا الشهوات في حياتهم الدنيا، واستلذوا الباطل ، وأعرضوا عن حمل أثقال الحق والتكاليف !!!

## أمة قاهرة!

ثم نسوق إلى العالم الحديث فقرات من خطبة عظيمة للرجل، تصور تصويرًا صادقًا حالة الدولة الإسلامية في عهده ، وما كان عليه ذلك المجتمع من سعادة وعزة ورفاهية:

قال : « أنتم مستخلفون في الأرض ، قاهرون لأهلها، قد نصر الله دينكم ، فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أمتان .

أمة مستعبدة للإسلام وأهله .

وأمة تنتظر وقائع الله ، وسطواته ، في كل يوم وليلة ، قد ملأ الله قلوبهم رعبًا ، فليس لهم معقل يلجئون إليه ، ولا مهرب يتقون به، قد دهمتهم جنود الله – ﷻ – ونزلت بساحتهم ، مع رفاهة العيش ، واستفاضة المال .

وتتابع البعوث ، وسد الثغور باذن الله .

وفي العافية الجليلة العامة ، التي لم تكن هذه الأمة على أحسن منها مذ كان الإسلام.

والله المحمود، مع الفتوح العظام في كل بلد، فما عسى أن يبلغ مع هذا شكر الشاكرين؟!».

هذا بعض تصوير عمر للدولة الإسلامية في أيامه .

وهو أصدق تصوير ، وأصدق تاريخ يستند إليه ، لمن أراد أن يرسم صورة صادقة لذلك المجتمع .

أنتم مستخلفون في الأرض ؟. عمر يقرر أن الشعب الإسلامي قد تم استخلافه في الأرض، فمكن الله له من زمام قيادة الدنيا بأسرها.

قاهرون لأهلها ؟. انطلق المسلمون ، ففتحوا مشرقها ومغربها ، فأي قهر لأهل الأرض أكبر من قهرهم ؟.

قد نصر الله دينكم ؟. رفرفت راية الاسلام عالية ، و ارتفعت لا إله إلا الله فوق كل مبدأ وكل فكرة ، وكل دين .

فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أمتان، العالم كله أحد اثنين:

أمة مستعدة للإسلام وأهله الذين تألبوا على دين الله ، وحاربوه ، فقهرهم الإسلام ، وفتح بلادهم .

وأمة تنتظر وقائع الله وسطواته ، في كل يوم وليلة .. وأمة تنتظر معارك المسلمين الحربية، الكاسحة ، الماسحة ، التي سوف تنزل بهم في كل يوم وليلة .

قد ملأ الله قلوبهم رعبًا فهم في أشد حالات الخوف والرعب، من توقع هجوم المسلمين عليهم بين لحظة وأخرى .

مع رفاهة العيش ، واستفاضة المال.. كل هذا النصر ، كل هذه العزة الدولية ، كل هذه العظمة الحربية ، مع رفاهية العيش ، وكثرة المال حتى أصبح أقل المواطنين المسلمين شأنًا يملك كميات الذهب والفضة ولا يدري أين ينفقها !

في العافية الجليلة العامة ؟. الصحة العامة على أحسن حال ، الثروة العامة على أقوى منوال، الخير العميم يعم البلاد ظاهرًا وباطنًا ، عافية جليلة القدر ، عامة طامة .

التي لم تكن هذه الأمة على أحسن منها مذ كان الاسلام لقد بلغت الدولة ، حكومة وشعبا، ذروة التقدم العسكري ، والمالي، والخلقي ، والديني ، والصحي ، والاجتماعي ، والرياضي والتعليمي، في كل القطاعات بلغ التقدم أقصى غايته .

فما عسى أن يبلغ مع هذا شكر الشاكرين ؟

إن شكر الشاكرين لا يبلغ شيئًا مما هو واجب على الشعب نحو الله على نعمه التي لا تحصى على تلك الأمة .

، ولذلك يوجه عمر إلى الشعب كلماته الخالدة ، في نهاية تلك الخطبة الخطيرة فيقول :

فأذكركم الله ، الحائل بينكم وبين قلوبكم، إلا ما عرفتم حق الله فعملتم له ، وقسرتم أنفسكم على طاعته ، وجمعتم مع السرور بالنعم ، خوفًا لزوالها ولانتقالها ، ووجلا من تحويلها ، فإنه لا شيء أسلب للنعمة من كفرانها ، وإن الشكر أمن للغير ، ونماء للنعمة ، واستجلاب للزيادة .

عمر يحس إحساس العباقرة الذين أوتوا بصيرة من ربهم... أن تلك الأمة قد بلغت ذروة مجدها ، وضربت الرقم القياسي في ارتفاع الأمم ، فلم توجد على وجه الأرض أمة بلغت ما بلغته الدولة الإسلامية في عهده من مجد وسؤدد ورفاهية وعظمة...

لذلك يوجه الجماهير إلى ما فيه الحفاظ على تلك النعم الكبرى، التي آتاهم الله من دون الناس جميعا ...

فما هو هذا الشيء الذي يوجههم إليه ؟!

## الشكر ... يزيد الإنتاج!

السادة الاقتصاديون مولعون بأبحاثهم وإحصائياتهم ، وقوانينهم ، التي يؤسسون عليها نظريات الإنتاج ، وكيفية زيادته ..

ولكن عمر يرى رأيًا فوق آرائهم جميعًا ... يرى أن الشكر هو أسرع وسيلة لزيادة إنتاج الدولة !.

وهذا ما لا يهضمه السادة المذكورون ، ولا يعقلون !

أما عمر فيقول : إنه لا شيء أسلب للنعمة من كفرانها ، أي: أن إنكار الإنسان لنعمة الله عليه ، وعدم اعترافه لله بأنه هو سبحانه الذي تفضل عليه بها ، يؤدي حتما إلى العقوبة ، إلى سلب تلك النعمة من صاحبها.

فإن أبسط قواعد اللياقة ، أن تسحب الشيء ممن لا يحسن الاستفادة منه .

والله أعطاك نعمة من نعمه فيجب عليك أن تحسن الاستفادة منها، وإلا كان طبيعيًا أن تُسحب منك هذه النعمة ، وتنقل إلى من يعرف فائدتها.

« وإن الشكر أمن للغير » ... إن شكر الله على نعمته ، يؤمن الإنسان ، ويؤمن الأمة ضد التغيير ، ضد سحب النعمة منهم، وتحويلها إلى غيرهم .

« ونماء للنعمة » ... وزيادة للنعمة ذاتها...

« واستجلاب الزيادة » ... وأكبر دافع إلى زيادة الثروة وزيادة دخل الفرد ودخل الأمة.

ودائما عمر يعلو فوق الماديين ، ويحلق فوق آفاقهم ..، وهذا التوجيه هو أقوى دافع إلى زيادة إنتاج البلاد والعباد...

ولكن أكثر الناس لا يعلمون!

## صلاح الحكم في ثلاث!

ومن خطبته في الجابية : « ألا وإني ما وجدت صلاح ما ولاني الله إلا بثلاث : أداء الأمانة ، والأخذ بالقوة ، والحكم بما أنزل الله » .

ها نحن ندخل إلى الحرم الأقدس من فلسفة عمر ... حيث يكشف لنا الرجل عن خلاصة تجربته في الحكم...

وحين يحدثنا عمر عن تجربة الحكم ، فإنما هو يدلي إلينا أخطر حديث سياسي سمعته البشرية وتسمعه على الإطلاق ، باستثناء الأنبياء .

ذلك أن عمر كان آنئذ أعظم وأقوى شخصية في العالم ، فهو رئيس أعظم دول العالم سلطانا ومجدًا ...

وهو في الوقت نفسه أفضل رجل في تلك الدولة ...

فهو يجمع بين عظمة الإنسان وعظمة السياسي في آن...

فماذا قال عن تجربته في الحكم ؟... قال : أداء الأمانة ... القاعدة الأولى من قواعد الحكم الصالح ، أداء الأمانة ؟...

الحكم أمانة كبرى ، فيجب أن يؤدي الحاكم الأمانة إلى أهلها..

إن الشعب أمانة الله في عنق الحاكم فيجب ألا يفرط في أدائها، أما القاعدة الثانية في الحكم الصالح فهي : الأخذ بالقوة إذا كانت القاعدة الأولى هي أداء الأمانة ، هي أداء الحقوق إلى أهلها. فإن الحفاظ على الحق يستلزم حتما الأخذ بالقوة .

ينبغي أن يكون الحاكم حازمًا. يأخذ بالبطش إذا لزم البطش، إقرارًا للحق . وحفاظًا عليه. وإلزامًا للمنحرفين أن يستقيموا .

ثم ما هي القاعدة الثالثة من قواعد الحكم الصالح ؟ : الحكم بما أنزل الله .

أن تساس الدولة بما أنزل الله في كتابه من أحكام

؛ لأن خالق الناس هو أعلم بهم وبما يصلحهم ويقيم العدالة في حياتهم .

أرأيت ؟ ... هذه هي أعمدة الحكم الصالح . خلاصة تجربة عمر السياسية ... أداء الأمانة. والأخذ بالقوة. والحكم بما أنزل الله !

ويالها من تجربة!..، وإنها هي التجربة . الحقيقة أن تتبع من كل سياسي عربي ، أو غير عربي.

هذه خلاصة تجارب عمر في سياسة الدولة الإسلامية الأعظم يضعها بين أيدينا ، سهلة،

منشورة ، محكمة ، مستقيمة ، منيرة ، تتلألأ كما تتلألأ النجوم في السماء الصافية .

لماذا لا نكلف أنفسنا التطلع إلى سمائها والمتعة بالنظر إليها.

لماذا وهذه خلاصة تجارب الرجل الأولي في دولتنا ، دولة الإسلام ؟

إنها شعارات كانت وليدة التجربة الطويلة ، تجربة حكم الدنيا نحوا من عشر سنين ، بما فيها من مشكلات .

لماذا لا نجعلها إمامنا الذي نأتم به ، و أمامنا دائما لا وراءنا ؛

أداء الأمانة ؟... الحق

الأخذ بالقوة ؟ ... القوة

الحكم بما أنزل الله ؟ ... شريعة الله . فهل شهدت الدنيا سياسيا بلغ شيئا مما بلغه عمر؟

اللهم لا..

## صلاح المال في ثلاث!

ثم يقول الرجل في نفس الخطبة : ألا وإني ما وجدت صلاح هذا المال إلا بثلاث : « أن يؤخذ من حق ، ويعطى في حق ، ويمنع من باطل».

بحر من النور يسبح بنا فيه عمر بن الخطاب .

حار الناس وداروا في تعريف السياسة المالية ، ونظمهم الاقتصادية وعمر وحده لا يحار ولا يدور ؛ لأنه يسبح في بحر من النور .

أين اقتصادك يا عمر ؟ ... أين مذهبك يا عمر ؟..

ها هو يبينها في أعجب وأغرب خطاب ، كلمات معدودات ، جامعات لكل شيء !

ألا وإني ما وجدت صلاح هذا المال إلا بثلاث ؟ ... عمر يروي خلاصة تجاربه في هذا المال ... طوال سنين عشر من ممارسة حكم العالم بأكمله، بشعوبه الغالبة والمغلوبة ؛ بحضارته المتباينة وأفكاره المختلفة ... هذه هي خلاصة تجربة الرجل .

أن يؤخذ من حق ، أن يجمع المال من حق ، من حلال . من شيء أحله الله ولم يحرمه .

فعلى الدولة أن تحصل أموالها من حق ، وعلى الأفراد أن يجمعوا أموالهم من حق، ليس للدولة أن تحصل مالا حرامًا ، وليس لفرد أن يجمع مالا حرامًا .

هذه أول قاعدة في صلاح المال .

فما هي القاعدة الثانية ؟ ...، ويُعطى في حق ...، ينفق في حق ، ينفق في حلال ، على الدولة أن تنفق أموالها في الحق ، وعلى الأفراد أن ينفقوا أموالهم في الحق .

فما هي القاعدة الثالثة في صلاح المال ؟ ويمنع من باطل ... فلا يجوز أن تنفق الدولة أموالها في باطل ، في شيء حرمه الله ؛ ولا يجوز أن ينفق الفرد أمواله في باطل في شيء حرمه الله كذلك.

هذه خلاصة تجربة عملاق الحق ، عملاق السياسة ، عملاق الاقتصاد. إنه يضعها بين يدي الجماهير ، وبين يدي الأجيال إلى يوم القيامة .

مذهب اقتصادي كامل متكامل ، يعلو على كل مذهب موضوع، كان أو يكون .

المال ؟... ذلك الصنم المعبود من دون الله ، كيف ننظم تلك المشكلة الخالدة ؟

أن يؤخذ من حق ، ويعطى في حق ، ويمنع من باطل .

جوامع الكلم .. محيطات في قطرات ، أو قطرات من محيطات

و لم يدع الرجل لأحد مقالاً ... فليس من حق الاشتراكيين ، ولا الرأسماليين ، ولا من هم بين ذلك ، أن يزعموا أنهم بلغوا شيئًا مما بلغه عمر ، وبلغته تجربة عمر

ذلك أن عمر ينتظم على تخطيط وضعه رب السماوات والأرض ، ورسمه رسول رب السماوات والأرض .

ثم هو عاني التجربة بنفسه ، عاناها مدى عشر سنين ، على أوسع قطاع عالمي تطبيقي ، على ثلاثة أرباع عالمه يومئذ..

فاجتمع للرجل عظمة التخطيط ، تخطيط السماء ، وعظمة التطبيق ، التطبيق العالمي ، على أوسع رقعة من العالم .

ومن هنا جاءت تجربته قاطعة ، حاسمة ، خالدة ، كخلود نواميس الحق والسماء .

فهو لا يتكلم خيالا ، كشأن الواعظين ، والشعراء ، والمتفلسفين، الذين لم يعانوا التجربة، ولم يدخلوها .

ولا يتكلم ظلامًا و جمادًا ، كشأن الماديين ، الذين ليسوا على هدى من ربهم .

وإنما الرجل قد اجتمع له أسباب الوصول إلى الحقيقة كلها.. هدى السماء وأنوارها .. وتجربة الأرض وتطبيقها ...

فجاء مذهبه حقا يتكلم ، أو كلاما يتحقق .

وأنا أنادي ، وأنادي ، ساستنا ، وجماهيرنا ، أن نحفظ تلك الكلمات الخالدات ، و نرددها دائمًا ، ونجيب من يسألنا أين مذهبكم الاقتصادي ؛ فنقول على الفور : أن يؤخذ من حق ،

ويعطى في حق ، و يمنع من باطل .

## إنما أنا كوالي اليتيم!

ثم يقول عمر من نفس الخطبة : « ألا وإنما أنا في مالكم هذا كوالي اليتيم ، إن استغنيت استعففت ، وان افتقرت أكلت بالمعروف » .

وهكذا حدد عمر موقف الحاكم في الأموال العامة.

إنما أنا في مالكم هذا كوالي اليتيم ، ليس للحاكم أن يأخذ أجرة على عمله ، إلا إذا احتاج، وإلا فليعمل تطوعًا .

إن استغنيت استعففت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف !

عمر يحاسب نفسه ، علنا أمام الجماهير ... ليس لي من الأموال العامة إلا أن آخذ منها ما يكفيني في حالة الفقر، أما إذا استغنيت بمالي الخاص عن الأموال العامة ، فليس لي أن أمد يدي إلى أموال الدولة !.

ماذا نستنبط من ذلك القرار الجمهوري ؟ .. نأخذ منه أن الموظف العام ، رئيس الدولة فمن دونه ، تصرف له ماهية مناسبة ، وهذا معنى « بالمعروف » أي ما تعارف عليه المجتمع أنه مناسب، ولا يصرف إليه شيء إذا كان إيراده من أملاكه الخاصة يكفيه !.

ورب قائل : فهل يعمل الموظف تطوعًا ؟... والجواب إن شاء ما دام غنيًا ، وإن شاء فليترك الوظيفة للمحتاج إلى ماهيتها .

وهنا ينفتح لنا باب عظيم في قوانين التوظف والعمل في الدولة .

باب يفتح آفاق عمل للمتعطلين ... ذلك أن الدولة إذا حرمت الماهية على من يثبت أن إيراده الخارجي يكفيه ، فمعنى هذا إحدى اثنتين : إما أن يعمل الموظفون الأغنياء مجانًا تطوعًا للخدمة العامة، وإما أن يتركوا الوظائف ، فتعين الدولة فيها آلاف المتعطلين والخريجين .

لو أخذت الدولة بهذا المبدأ ، المأخوذ من سياسة عمر ، لقطعت دابر أسباب ضيق مجالات العمل في الدولة ، ولحققت شيئًا من العدالة الاجتماعية. وتكافؤ الفرص بين الجميع .

فليس من العدالة أن يملك رجل عمارات تدر عليه الآلاف سنويًا ، ثم يأتي هذا المالك ويزاحم المحتاجين ، ويعمل موظفًا ، فيسد الفرصة أمام الذين لا يملكون إلا جهدهم وظائفهم!!!

## مفتاح العدل!

عندما انطلق الجيش الإسلامي بقيادة القائد العظيم سعد بن أبي وقاص من المدينة إلى فارس ، ليفتح الامبراطورية الفارسية ... خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يودعه ، ثم قام في الناس خطيباً ، فخرجت من بين ثناياه الكريمة خطبة تعتبر منهاجا تربويًا كاملا ، ودستورًا سياسيًا متكاملاً

، وقاموسًا عامًا خالدًا ، لكل أمة ، وكل دولة ، وكل فرد ، في كل زمان، وفي كل مكان.

وأنا لا أقول ذلك حماسة و شعرًا ..، وإنما ها هي بين يديك، وسوف تصفق لها أكثر مما صفقت ، وتعجب لعجائبها أكثر مما عجبت وإن شئت أن تدعو البشرية كلها لتقرأ معك ما قال ذلك العبقري ، فادعها ، فإنّ عمر شخصية عالمية ، يتنازعها الغرب قبل الشرق ، هو درة في جبين الإنسانية جمعاء ...

قال : « إن الله تعالى إنما ضرب لكم الأمثال ، وصرف لكم الأقوال؛ ليحيي بها القلوب، فإن القلوب ميتة في صدورها حتى يحييها الله . من علم شيئا فلينتفع به .

وإن للعدل أمارات وتباشير، فأما الأمارات : فالحياء والسخاء والهين واللين ، وأما التباشير: فالرحمة .

وقد جعل الله لكل أمر باباً، ويسر لكل باب مفتاحًا. « فباب العدل الاعتبار. ومفتاحه الزهد.

الاعتبار ذكر الموت بتذكر الأموات ، والاستعداد له بتقديم الأعمال .

والزهد أخذ الحق من كل أحد قبله حق ، و تأدية الحق إلى كل أحد له حق . ولا تصانع في ذلك أحدًا .

واكتف بما يكفيه من الكفاف، فإن من لم يكفه الكفاف لم يغنه شيء .

إني بينكم وبين الله ، وليس بيني وبينه أحد .

وإن الله قد ألزمني دفع الدعاء عنه ، فانهوا شكاتكم إلينا، فمن لم يستطع فإلى من يبلغناها، نأخذ له الحق غير متعتع »(١).

والآن... أرى البشرية كلها تصفق للرجل باعتباره أعجوبة من عجائب الجنس البشري!.

لقد أتى الرجل على تبيان كل شيء في بلاغة لا يستطيعها أحد سواه.

وإني آخذ منها فقرة واحدة ، تلزمني في هذا الكتاب ... الزهد: أخذ الحق من كل أحد قبله حق ، وتأدية الحق إلى كل أحد له حق .

هذا هو الزهد الذي جعله عمر مفتاحًا للعدل ..، وإنها لهي القضية الكبرى في التاريخ والمجتمعات .

العدل: ... تلك الأنشودة المقدسة التي تنشدها الأجيال من لدن آدم ، لعلها تلتقي بها

---

(١) من غير أن يصيبه أذى يقلقه أو يزعجه .

يوما من الأيام .

ما السبيل إلى ذلك العدل ؟...

أخذ الحق من كل أحد قبله حق ، و تأدية الحق إلى كل أحد له حق!.

تعريف دقيق عميق رشيق ... إذا أرادت الدولة أن تقيم العدل فعليها بنزع الحق من كل أحد قبله حق مغتصب ، وعليها بتأدية الحقوق إلى كل مواطن له حق مسلوب منه .

ثم ماذا يا عبقري العباقرة ؟... ولا تصانع في ذلك أحدًا؛ على الدولة إذا أرادت إقامة العدل في المجتمع ألا تصانع في التطبيق أحدًا ؛ لأن الأهواء للحق أعداء .

ثم ماذا يا من حيرت العقول ؟ ... واكتف بما يكفيك من الكفاف، فإن من لم يكفه الكفاف لم يغنه شيء ...، اكتف أيها الحاكم ، أيتها الدولة ، اكتفوا بإعطاء المواطن ما يكفيه من الكفاف، ما يكفه عن الحاجة ، لماذا ؟ ... فإن من لم يكفه الكفاف لم يغنه شيء !.

وهذا حق ... فإن الرجل الذي لا يقنع بالكفاف لن يقنع ولو أعطيته كنوز الأرض .

ما معنى هذا ؟... معناه أن عمر يرى أن العدل يقوم في الدولة ، إذا انتزعت الدولة الحقوق المغتصبة من غاصبيها ، وأدتها إلى المغصوبة منهم .

وإن الدولة يجب كي تقيم العدالة بين أبنائها ، أن تكتفي بمنح المواطن ما يكفيه في حياته، فلا فائض يكنزه ، ولا حاجة تدفعه إلى الذل والسؤال .

فكأن عمر بذلك يعرّف العدالة الاجتماعية تعريفًا جامعًا مانعًا في آن حين يقررها في انتزاع الحقوق من المعتدين وردها إلى المعتدى عليهم .

ثم هو يحدد حق كل مواطن عند الدولة بالكفاف ، بما يكفيه، فإذا كان حق المواطن هو الكفاف ، هو الكفاية ، فإن عمر قد حصر بذلك سياسته في كلمتين اثنتين : العدل .. الكفاية

ومن هنا يقرر عمر أن الدولة ملزمة بأخذ ما زاد عن كفاية الأغنياء ، ورده فيمن لا يجدون الكفاية من الفقراء .

وبلغة عمر وألفاظه : أخذ الحق من كل أحد قبله حق ، وتأديته إلى كل أحد له حق .

ومن هنا كذلك يقرر عمر أن الدولة ملزمة بتطبيق العدالة الاجتماعية قهرًا ، وأنها ملزمة بإجبار الأغنياء على النزول عن بعض أموالهم الزائدة عن كفايتهم ؛ لتستطيع تأديتها إلى الذين لا يجدون شيئا ، فضلا عن كفايتهم .

وبلغة عمر وألفاظه : ولا تصانع في ذلك أحدًا .

ومن هنا كذلك يقرر عمر أن الدولة ملزمة بتطويق المواطنين، حتى لا تدع مواطنًا يتجاوز

حقه ، وهو الكفاية ليس إلا .

؛ لأن كل تمدد من مواطن خارج دائرة الكفاية ، هو اعتداء على مواطن آخر ، وهو نزع لحق الآخرين .

وبلغة عمر : واكتف بما يكفيك من الكفاف !...

هذه نظرة من أنوار تلك الخطبة الخطيرة ...، وسعت العدالة كلها بمناهجها المختلفة ، وألقت بها إلى البشرية مؤسسة على أصول سماوية سامية رفيعة ، فربطت بين حق الله وحق الناس في براعة وإعجاز فلو جاءنا أعداء الإسلام أجمعون صفًا وقالوا أين اقتصاد عمر ، اقتصاد الإسلام؟ قلنا على الفور : أخذ الحق من كل أحد قبله حق ، وتأدية الحق إلى كل أحد له حق ، ولا تصانع في ذلك أحدا ، واكتف بما يكفيك من الكفاف .

والآن ننتقل إلى ما هو أعجب وأعجب ... إلى عمر ينظم اقتصاده تنظيمًا لا نظير له في العالم ! .

## كيف الكفاية عند عمر؟

قال عمر من خطبة له في فتح القادسية : إني حريص على أن لا أدع حاجة إلا سددتها ، ما اتسع بعضنا لبعض ، فإذا عجز ذلك عنا تآسينا في عيشنا ، حتى نستوي في الكفاف ...

يبين لنا عمر الأسلوب الذي نصل به إلى تحقيق الكفاية فيما بيننا، ويحدد لنا تلك الكفاية تحديدًا دقيقًا جدًا .

إني حريص على أن لا أدع حاجة إلا سددتها ... الدولة حريصة أشد الحرص أن تسد حاجة كل مواطن .

ما اتسع بعضنا لبعض، ما سمحت بذلك إمكانيات الدولة وإيراداتها وخزانتها العامة فاذا عجز ذلك عنا ؟ ... فإذا عجزت إيرادات الدولة عن سد حاجة كل مواطن في الدولة .

تآسينا في عيشنا ، تساوينا في حياتنا المعيشية ، سوينا بين المواطنين في مستوى معيشتهم، في ضروراتهم ، في كل شيء نسوي بينهم ... لماذا ؟.

حتى نستوي في الكفاف... حتى نصل إلى الحد الذي يستوي فيه الناس في الكفاية .

وهذا هو تحديد الكفاية ، منطوق عمر ، منطوق الإسلام .

وهذا كنز ثمين جدًا ، نعلن إلى المشارق والمغارب، اكتشافه من اقتصاد عمر ، اقتصاد الإسلام.

سوف يصفق الأعداء طويلا حين يرون عجائب ذلك الكنز . ويقولون : لم نك نعلم أن في الإسلام هذا العجب العجاب !!.

وسوف يفتح العالم الرأسمالي أفواهه دهشة مما في الكنز من غرائب . ويقولون : تالله لو أن البشرية كلها حاولت أن تضع نظامًا اقتصاديًا يضارع نظام الإسلام ما استطاعت، ولو كان بعضها لبعض نصيرًا .

فمالنا نحن العرب — نحن المسلمين — لا نستخرج ما في كنوزنا من عجائب ؟!.

إني أعلن إلى العالم كله ، أن الإسلام يقدم للاشتراكيين والرأسماليين ما يصححون به مذاهبهم الاقتصادية ، ويقومون به أفكارهم الاشتراكية والرأسمالية .

وحين يقول عمر : لا أدع حاجة إلا سددتها ما اتسع بعضنا لبعض، فإذا عجز ذلك عنا تأسينا في عيشنا ، حتى نستوي في الكفاف !!.

ماذا بقي للاشتراكيين ، بعد أن صفعهم عمر تلك الصفعة الخالدة ؟.

وماذا يقول الرأسماليون ، وقد أعلنها عمر حربا شعواء على الرأسمالية ، حين أطلق سهام الكفاية في الآفاق ؟.

فورب السماء والأرض ، إن عندنا كل مؤهلات القيادة والإمامة ، سياسيًا ، وفكريًا ، و اقتصاديًا ، وأدبيًا ، و اجتماعيًا...

فلا ينبغي أبدا أن نفرط في مركزنا الدولي الذي رشحتنا له المقادير...

نحن الأمة الوسط ... لا إلى الشرق ، ولا إلى الغرب ... .

عندنا الميزان ... ميزان السماء ...

عندنا العدالة ... عدالة رب السماء...

فلا نميل إلى شرق ، ولا نحيد إلى غرب ؟ ولكن بالحق ، وعلى الحق، ومن أجل الحق ، نعيش.

فاحذروا يا أبناء الدول الإسلامية .. احذروا أن تغفلوا عن مقومات عظمتكم ، واعلموا أن سياسة عمر ، إذا وضعت بجوارها الاشتراكية أو الرأسمالية ، كانتا كطفل يلعب بجوار عملاق!!!

## رئيس الدولة يوجه قادتها

عقد رئيس الدولة الإسلامية الأعظم ، عمر بن الخطاب ، مؤتمرًا عامًا، على مستوى رؤساء الأقطار...

واجتمع به الولاة ، وقادة الدولة ، وألقى خطابًا خطيرًا ، جاء فيه:

« ألا وإني لم أبعثكم أمراء ، ولا جبارين ، ولكن بعثتكم أئمة الهدى يهتدى بكم ، فأدروا على المسلمين حقوقهم ، ولا تضربوهم فتذلوهم ، ولا تحمدوهم فتفتنوهم ، ولا تغلقوا الأبواب دونهم ، فيأكل قويهم ضعيفهم » ...

ثم وجه الكلام إلى الشعب كله فقال : « أيها الناس ، إني أشهدكم على أمراء الأمصار، أني لم أبعثهم إلا ليفقهوا الناس في دينهم ، ويقسموا عليهم فيئهم ، و يحكموا بينهم ، فإن أشكل عليهم شيء رفعوه إليّ » .

هذه فقرات من خطبة الرجل في نوابه ... آخذ منها تلك الفقرة:

ولا تغلقوا الأبواب دونهم ، فيأكل قويهم ضعيفهم...

ذلك أننا أحوج ما نكون إلى تلك الفقرة الخطيرة ، في مجتمعنا الحديث .

هناك أقوياء يأكلون الضعفاء في مجتمعنا ... هناك ضعفاء ضائعون لا يجدون انصافًا ، ولا يعرفون إلى من ينصفهم سبيلا.

الباعة المتجولون ... أولئك الضعفاء الضائعون ... كيف يعيشون وكيف ينامون ، وكيف يربون أولادهم ؟.

إن الاستبدادية قد وضعت بينهم وبين المجتمع سدودًا ، فلا يصل أنينهم إلى حاكم ، ولا يصل صراخهم إلى صاحب سلطة .

هناك قطاعات ضاعت بأكملها في مجتمعنا ... أضاعها الإقطاعيون ، والظالمون ... ومضى الإقطاع وترك آثاره السوداء .

قد آن الأوان أن يصل الإصلاح إلى هؤلاء ...

هناك محاولات .. هناك خدمات بدأت الدولة في اتجاهها الحديث تؤديها إلى هؤلاء .

ولكن مصيبتهم أعمق من أن يجبرها القليل ... إنهم في حاجة إلى الكثير ... الكثير جدًا.

إنهم في حاجة إلى من يرفع بينهم وبين أهل السلطة الحواجز ؛ لأن الأقوياء أكلوهم من زمان بعيد !!.

## المهمة الأولى للدولة!

ومن خطبة له قال : « إن أحق ما تعهد الراعي ، من رعيته، تعهدهم بالذي لله عليهم في

وظائف دينهم الذي هداهم الله له.

وإنما علينا أن نأمركم بما أمركم الله به من طاعته، وأن ننهاكم عما نهاكم الله عنه من معصيته ، وأن نقيم أمر الله في قريب الناس وبعيدهم ، ولا نبالي على من كان الحق » .

هذه خطوط عريضة في سياسة الدولة يضعها عمر ، ويعلنها إلى الشعب ؛ لتسمعها القرون من بعده ، و تهتدي بنورها إلى الأبد.

إن عمر يرى أن أول عمل ينبغي أن يقوم به رئيس الدولة ، وتقوم به الدولة كلها ، بأجهزتها، وطاقاتها ، هو توجيه الناس نحو الله ، وأخذهم طوعًا وكرهًا إلى تنفيذ شريعة الله في أنفسهم وفي معاملاتهم .

وعمر بهذا يخالف كل النظم المدنية القائمة في العالم الحديث اليوم.. التي ترى أن الدين لا شأن له بالحياة المدنية ، وأن ما لله لله وما لقيصر لقيصر .

يخالفها ؛ لأن له نظرية مستقلة ، قائمة بذاتها ، هي نظرية الإسلام ، الذي يرى أن الدين نظام كامل للحياة ، وكل لا يتجزأ.

ومن هنا يقرر عمر أن أول مسئولية تقع على رئيس الدولة ، وعلى الدولة كلها ، هي مسئولية أخذ الناس بوظائف دينهم .

وفي هذا رد على أولئك الجاهلين الذين يرون أن الدين خُلُق فردي ، ولا دخل للدولة في ذلك .

ولكن عمر يرد على هؤلاء : إنما علينا أن نأمركم بما أمركم الله به من طاعته ، وأن ننهاكم عما نهاكم الله عنه من معصيته .

تحديد دقيق جدًا الأمر والنهي في الدولة ، فالحاكم ليس حرًا يفعل ما يشاء ، ويأمر بما شاء... كلا ، وإنما يأمر بما أمر الله به عباده، وينهى عما نهى الله عنه عباده .

ويرد عليهم عمر رده الحاسم القاصم : وأن نقيم أمر الله في قريب الناس وبعيدهم ، ولا نبالي على من كان الحق .

وقطع عمر قول كل خطيب ... وقالها عالية شامخة لا نبالي على من كان الحق

قوة خارقة في التطبيق .. قوة لا تبالي أن تهشم رءوس الجبارين ، وتحطم جباه الطغاة ، إحقاقًا للحق .

وبذلك تتكامل خطوط الصورة العمرية لنظام الحكم في الإسلام . إن الدولة مسئولة عن تنفيذ أمر الله ، شريعة الله في المجتمع الذي تحكمه.

غضب ذلك المجتمع أم لم يغضب ، رضي أم كره .

؛ لأن أمر الله واجب التنفيذ ، ولو أغضب الناس أجمعين.

وهذا معنى قول عمر : " لا نبالي على من كان الحق" .

ومن عجب أن أي دولة ، ترى نفسها مسئولة عن تطبيق القانون ، رضي ذلك الشعب أم لم يرض ، ويخجل المسلمون أن يقال لهم أنتم مسئولون عن تطبيق شريعة الله في مجتمعاتكم !!

إن أمريكا ترى نفسها مسئولة عالميًا عن تدريس فلسفتها لكل إنسان ، بينما الدول الإسلامية لم تشعر بعد أنها مسئولة عن تدريس فلسفتها الإيمانية لكل الناس !!!

## إياكم والبطنة!

وقال من خطبة اخرى : « بئس الجار الغني ، يأخذك بما لا يعطيك من نفسه ، فإن أبيت لم يعذرك .

إياكم والبطنة ، فإنها مكسلة عن الصلاة ، ومفسدة للجسم، ومؤدية إلى السقم.

وعليكم بالقصد في قوتكم ، فهو أبعد عن السرف ، وأصح للبدن، وأقوى على العبادة».

وهذا تخطيط آخر من عمر ... في سياسة الدولة ، وسياسة الشعب .

" بئس الجار الغني " ... لماذا ؟ ..، لماذا يكون جاري الغني شرًا لي ؟ يأخذك بما لا يعطيك من نفسه ..؛ لأنه يؤاخذك على أمور لا يرى أن تؤاخذه أنت عليها .

بدافع الكبر . فهو يرى أن له عليك حقوق الاحترام والتبجيل، ولا يرى أن لك أنت عليه نفس الحقوق .

وذلك كبرياء الأغنياء الذين حجبتهم أموالهم عن الحقائق المجردة .

حجبتهم عن إخوة الإنسان العامة التي تسوي بين الفقراء والأغنياء.

" فإن أبيت لم يعذرك " .. فإن أبيت أن تعطيه الدنية من نفسك . أو أن تتصاغر له لم يطق منك ذلك أبدًا .

جار هذا شأنه لا شك أنه بئس الجار ؛ لأنه يؤذيك بجواره ، يؤذي شعورك .

ثم ماذا ؟ ... ثم يدخل عمر بالشعب كله إلى توجيه عظيم.

إياكم والبطنة ؟ ... احذروا أن تأكلوا حتى تمتلئ بطونكم وتتخموا .

لماذا ؟ ؛ فإنها مكسلة عن الصلاة...

فمن أكل كثيرًا شرب كثيرًا ، و من شرب كثيرًا نام كثيرًا ، ومن نام كثيرًا جحد .

ولماذا أيضا؟ ... " ومفسدة للجسم "... علم لدني من عمر يطابق أرقى ما وصلت إليه

علوم الطب الحديث .

ثم يوجه رئيس الدولة شعبه فيقول : " وعليكم بالقصد في قوتكم "

على الشعب أن يقصد في طعامه ، عليه أن يبتعد عن الإسراف.

فهو أبعد عن السرف ، وأصح للبدن ، وأقوى للعبادة ؟.. ومتى قلل الإنسان طعامه ،صح جسمه وكان أقوى على عبادة الله !.

وماذا بقي للناس؟ ليقولوه بعد مقال عمر ؟... ماذا بقي للأطباء؟ وماذا بقي لعلماء التربية؟ وماذا بقي لأجهزة الأعلام كلها ؟.

إن الرجل يأتي في القليل بالأمور العظام ، ويسوقها في بساطة ليس كمثلها بيان ! ..

إن الرجل يخطط تخطيطًا هادفًا صاعدًا ، يؤدي إلى زيادة ضخمة في الدخل القومي ، وفي القوى الإنتاجية .

كيف هذا؟... إنه حين يوجه الشعب كله إلى الاقتصاد في طعامه إنما يوفر بذلك مليارات الجنيهات التي تستهلك في شراء الطعام الزائد .

وهذه زيادة في الدخل القومي ، وتحويل للمليارات من الاستهلاكيات إلى الإنتاجيات .

وحين يقلل الشعب من طعامه ، تصح أبدانه ، فيرتفع المستوى الصحي للأفراد ، فتزيد القوى البشرية العاملة ، فتزيد الطاقة الإنتاجية للأمة ، فتزيد قدرة العاملين على العمل، وهذه زيادة في الدخل القومي .

هذه لمحات من سياسة عمر ... لمحات مضيئة تنير الطريق أمام الكادحين والحاكمين .

لعل الشعب الإسلامي ، يفيق من تخمته، فإن كثيرًا منا يعيشون ؛ ليأكلوا ، ولا يأكلون ليعيشوا!!!

## كيف ننتصر ؟!

كتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص ، قائد عام القوات الإسلامية المسلحة ، في الجبهة الشرقيه. جبهة فارس ، وما وراءها كتابًا عجيبًا ، ليس كمثله كتاب ... كتبه إلى سعد ، وإلى من معه من الجنود .. فهو أشبه بأمر عسكري عام إلى القوات المسلحة كلها .. فماذا قال ؟..

« أما بعد . فاني آمرك ، ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة في الحرب.

وآمرك ، ومن معك أن تكونوا أشد احتراسًا من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب

الجيش أخوف عليهم من عدوهم .

وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة.

؛ لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فان استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة .

وإلا ننتصر عليهم بفضلنا ، لم نغلبهم بقوتنا.

واعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله ؛ يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصي الله ، وأنتم في سبيل الله .

ولا تقولوا إن عدونا شر منا . فلن يسلط علينا وإن أسأنا فرب قوم مسلط عليهم شر منهم، كما سلط على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله ، كفرة المجوس ﴿ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ﴾ [ الإسراء ٥ ]

واسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوكم ، أسأل الله ذلك لنا ولكم» .

هذا هو الأمر العسكري العام الذي أصدره أمير المؤمنين إلى قائده وجنوده ؛ ليذاع فيهم جميعًا .

وقرئ الأمر ، واستمع الجيش ، وبكت العيون ، وتفتحت القلوب في الصدور وانطلق الجنود ينفذون ما فيه كلمة كلمة على أنفسهم !

ولكن ماذا ينفذون ؟.. ليس الأمر معركة عسكرية تخاض ، ولا ملحمة يستبسل فيها .. إنه توجيه رباني . فما علاقة الربانيات بالعسكريات؟.

وهنا العبقرية من عمر . العبقرية من الإسلام . حين يطلق طاقات جنوده إلى أبعد آماد الإطلاق ثم يقيدها بقيود الإيمان ، وينظمها بتنظيم الإنسان .

وإنها لأوامر ينبغي أن نربي عليها قواتنا المسلحة بكافة مستوياتها، وكافة تشكيلاتها ، ونربي عليها شبابنا ، وفتياننا في جميع مراحل التعليم .

وكما هو الشأن دائما مع كلمات عمر الخالدات نأخذ قطرات من بحارها .

" آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال " قانون عام وأمر هام .. على كل جندي أن يتقي الله ... أن يبتعد عن المعاصي..

لماذا ؟. فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة في الحرب .. تكتيك عسكري بارع..

فالجيش المكون من أفراد لا يعصون الله ، لا يزنون ، لا يسرقون ، لا يكذبون ، لا يشربون

الخمور ، لا يجبنون عند اللقاء .. هؤلاء دائما ينتصرون على من ليسوا كذلك على الذين يعصون الله؛ لأن للقوة أسبابها ، ومن أسبابها: الأخلاق الرفيعة وطريق الأخلاق الرفيعة هو تقوى الله .

"وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسًا من المعاصي منكم من عدوكم "

أمر عام لجميع القوات المسلحة ، احترسوا من المعاصي أكثر من احتراسكم من الأعداء!!

وهذا أعجب أمر يوجه إلى جيش من الجيوش ، ولكنه حقيقة، فالمعاصي تؤدي إلى هزيمة الجيش أكثر من هجوم أعدائه عليه .

ذلك أن المعصية انهيار نفساني داخل نفوس الجنود ، وهذه لا تقاوم ، أما هجوم الأعداء فهو هجوم مادي يمكن مدافعته ورده.

فالعسكري الذي تقوم في نفسه معصية الخيانة ، يستسلم بدون مقاومة .

أما العسكري الذي لا يفكر في الخيانة فإنه سوف يقاتل عدوه حتى ينتصر عليه أو يقتل.

وهكذا .. تؤدي المعاصي إلى ما لا تؤدي إليه هجمات الأعداء!

وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، فإن استوينا في المعصية ، كان لهم الفضل علينا في القوة .

مسألة حسابية دقيقة ، فمعلوم أن أعداء الإسلام أكثر عددًا ، وأكبر عتادًا ، فأين عدد العرب ، من أعداد الفرس والرومان؟!

وإنما تنتصر القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة بطاعة هؤلاء ، ومعصية أولئك .. فإن استوى الفريقان في المعصية ، كان التفوق للأعداء فورًا .

نظرة عميقة جدًا من الرجل..جديرة بكل تفكير ، وكل تدبير.

وهذا ما نريد أن ندرسه دراسة عميقة واسعة في أيامنا هذه ...

نريد أن نضع من الاتجاهات التربوية ، والتشريعات القانونية ما يجعل طاعة الله أساسًا عامًا، يشاد عليه بناء الدولة .

نريد أن نغوص في بحار تلك الأوامر العمرية الخالدة ، ونحولها إلى منهج تربوي عملي عام، تربي عليه المدارس والجامعات والمعسكرات وسائر القطاعات .

نريد أن ننظر إلى الأمر نظرة جد ، لا نظرة هزل ، فإن الأمر يتعلق بمستقبل الأجيال الصاعدة كلها ، مستقبل هذه الأوطان الإسلامية إلى قرون وقرون .

## عمر يبتكر نظام العطلة الأسبوعية!

ثم قال الرجل في نفس الأمر العسكري ...أقم بمن معك ، في كل جمعة ، يومًا وليلة ، حتى

تكون لهم راحة ، يجمون ، (يريحون) فيها أنفسهم، ويرمون (يصلحون) أسلحتهم وأمتعتهم.

وتلك عبقرية أخرى للرجل العظيم .. أنه يقرر منذ أربعة عشر قرنا. أن يكون لكل الجيش ٢٤ ساعة راحة تامة ، يومًا وليلة .

لماذا ؟... يريحون فيها أنفسهم ، ويصلحون فيها أسلحتهم ، والآن تفاخر الحضارة الحديثة أنها قررت نظام ساعات العمل .

وساعات الراحة كل أسبوع ، وتحسب انها قفزت بالإنسان، نحو المجد والرفاهية .

ولكن عمر قررها منذ مئات السنين... في كل جمعة يوما وليلة حتى تكون لهم راحة !!.

## عمر يرفض توزيع مصادر الإنتاج!

سأل سعد بن أبي وقاص عمر عما يفعل بالأموال التي غنمتها جيوش المسلمين ؟..

فكتب إليه : « بلغني كتابك ، تذكر فيه أن الناس سألوك أن تقسم لهم مغانمهم ، وما أفاء الله عليهم .

فإذا أتاك كتابي هذا ، فانظر ما أجلب الناس عليك به إلى المعسكر من كراع ( خيل ) ومال، فاقسمه بين من حضر من المسلمين .

واترك الأرضين والأنهار لعمالها؛ ليكون ذلك في أعطيات المسلمين فإنك إن قسمتها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم شيء » .

مبدأ اقتصادي خطير من عمر ... إنه يوافق على توزيع الخيل والسلاح وما أشبه ذلك من الأموال المنقولة على المحاربين ولكنه لا يوافق على توزيع الأراضي والأنهار .. لماذا ؟ ؛ لأن هذه هي مصادر الإنتاج في الدولة .

وكانت فلسفته التي أسس عليها مذهبه هي:

فإنك إن قسمتها بين من حضر ، لم يكن من بعدهم شيء ...

ماذا يبقي للأجيال القادمة ؟ ماذا يبقي للشعب كله ، إذا اقتسم المقاتلون المنتصرون الأراضي الزراعية وأنهارها ، وهي عماد الثروة في البلاد؟

لا شيء ... من أجل ذلك قرر عمر عدم توزيعها .. أن تبقى بأيدي عمالها ، ويدفعون عنها ضريبة بسيطة إلى الدولة ، وهي بدورها تدفع من تلك الضرائب أعطيات الجنود !

تطور رائع من رجل رائع.!

## افتح بابك!

وإلى سعد بن أبي وقاص ، كتب أمير المؤمنين .. « أقم الحدود ، ولو ساعة من نهار ، وإذا عرض لك أمران : أحدهما لله، والآخر للدنيا فآثر نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا ، فان الدنيا تنفد ، والآخرة تبقى ... وعد مرضى المسلمين ، واشهد جنائزهم ، وافتح بابك ، وباشر أمرهم بنفسك فإنما أنت رجل منهم ، غير أن الله جعلك أثقلهم حملا .

وقد بلغني أنه فشا لك ولأهل بيتك هيئة ، في لباسك ، ومطعمك ، ومركبك ، ليس للمسلمين مثلها ، فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة التي مرت بواد خصيب ، فلم يكن لها هم إلا السمن . وإنما حتفها في السمن » .

وهكذا يدخل بنا عمر المداخل السياسية من أعلى أبوابها وأوسعها.

الباب الأول : إيثار المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ... إذا عرض لك أمران ، أحدهما لله ، والآخر للدنيا ، فآثر نصيبك من الآخرة.

ودائما وأبدًا المصلحة العامة تكون حيث يوجد الاتجاه إلى الله.. فاذا وجه عمر قائده أن يؤثر نصيبه من الآخرة، فانما يقول له : آثر مصلحة الشعب على مصلحتك ، ضح منفعتك لمنفعة المجتمع.

وهذا أصل عريض في سياسة عمر .. أن تقدم مصلحة الشعب على مصلحة الفرد ، مصلحة الجميع على مصلحة الواحد .

ويزيد عمر هذا الأصل نورًا على نور ، أن يجعل ذلك لوجه الله. ابتغاء الآخرة .

الباب الثاني : افتح بابك .. ارفعوا الحواجز بين الطبقة الحاكمة ، والطبقة الكادحة ، بين القادة والجنود ، بين القمة والقاعدة .

وهو أصل أخطر وأخطر ، فكم من شعوب بأكملها ضاعت يوم تربع حكامها على عروش من ذهب ، وأقاموا بينهم وبين شعوبهم حواجز عالية رهيبة ، لا يستطيع الشعب أن يقتحمها إليهم.

الباب الثالث : وباشر أمرهم بنفسك .. انزل إلى الشعب ، ابحث مشاكله على الطبيعة، لا تترفع على الجماهير .

فكم من مشكلات جماهيرية استعصى على الدولة حلها ؛ لأن القادة يجلسون على مكاتبهم، ولا ينزلون إلى الجماهير .

ينبغي أن يباشر القادة والمسئولون حل مشاكل مجتمعاتهم بالاشتراك مع الجماهير مع الشعوب .

الباب الرابع : فإنما أنت رجل منهم .. إنما القائد فرد — كأي فرد من الشعب — لا مزية له على أحد من الناس .

ديمقراطية كاملة... مساواة تامة بين القمة والقاعدة .

الباب الخامس : غير أن الله جعلك أثقلهم حملا .. هذا هو الفارق الوحيد بين القائد وجنوده ، بين الحاكم والشعب.. أنه أثقلهم حملا ، أكثرهم مسئولية ، سوف يسأل أمام الله عن رعيته حفظ أم ضيع .

ياله من ثقل ! ويالها من أثقال تنوء بها الجبال!

الباب السادس : وقد بلغني أنه فشا لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك، ومطعمك ؛ ومركبك ليس للمسلمين مثلها .

عمر لا يرى أن يتميز الحاكم على الشعب في شيء ! ولا القائد عن جنوده في أي أمر من أموره...

لقد نقلت إليه مباحثه و مخابراته أن قائده قد صار مظهره، ومظهر أسرته غير مظاهر المسلمين، غير مظاهر الشعب كله .

" في لباسك " بلغني أن ملابسك وملابس زوجتك، وملابس أولادك ، على هيئة ليس للمسلمين مثلها، لا يلبس الشعب كله مثلها .

" ومطعمك " بلغني أن طعامك وطعام أسرتك ، على هيئة لا يجد كل إنسان في الشعب مثلها .

" ومركبك " وأن مركبك و مركب أسرتك على هيئة لا يجدها كل الشعب .

لقد ضبط عمر أمرًا خطيرًا جدًا ... لقد ضبط سعدًا متلبسًا بجريمة !.

ما هي تلك الجريمة ؟... أنه يمتاز على الشعب في ملابسه ، وطعامه ومركبه ... جريمة كبرى هذه عند عمر...

وثار عملاق الحق ، وانتفضت حساسيته البالغة ، وأطلقها في الآفاق: فإياك يا عبد الله ، أن تكون بمنزلة البهيمة ، التي مرت بواد خصب ، فلم يكن لها هم إلا السمن، وإنما حتفها في السمن. واعلم أن للعامل مردًا إلى الله، فإذا زاغ زاغت رعيته ، وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته !!.

إياك أن تكون كالبهيمة . لا تكن حيوانًا .. لا تكن كالجاموسة التي مرت بزرع خصيب فأعجبها ، ولم يكن لها هم إلا أن تأكل وتسمن ، وجهلت أن سمنها سيؤدي إلى الإسراع بذبحها؟ لأن صاحبها سيرشحها للذبح لما يرى من سمنها...

شدة بالغة ، وألفاظ كالجبال يلقيها عمر في وجه قائده...

إنه يرى أن الحاكم الذي يتميز على شعبه في ملابسه أو طعامه أو مركبه ، بهيمة ، حيوان!.

فما معنى هذا ؟... معناه أن عمر يرى حتمية التساوي بين القادة والجماهير ، بين القمة والشعوب .

فلا يوافق عمر أن يتميز القائد العام للقوات المسلحة على أصغر جندي ، في ملبس ، أو مطعم ، أو مركب .

ويثور أعظم الثورة على قائده ، ويصفه بأقبح الصفات ، لمجرد أنه سمع أنه تميز وأسرته شيئا على سائر الجماهير .

والإسلام بهذا يبلغ آفاق لم تبلغها النظم الحديثة ولن تبلغها.. آفاقا بعيدة جدا ... إنه يرى ألا يتميز أحد على أحد في هذا المال...

في الملابس ، في المآكل ، في المراكب ، في كل شيء ، يريد أن يسوي بين الناس ...

وهذا مقام عظم ... لا أحسب أن المدنية تستطيع أن تزعم أنها تبلغه يومًا من الأيام.

فلماذا إذا نتحول عن كنوزنا إلى ما عندهم ... وما عندهم دون ما عندنا بكثير ؟!

هل تستطيع المدنية أن تسوي بين قادة جيشها الكبار وبين جنودها الصغار ؟!.

كلا ... ولكن الإسلام يرى التسوية بينهما ، حتى في الملبس والمأكل والمركب...

هل تسوي المدنية بين رئيس الدولة وبين العامل الصغير ؟... كلا، ولكن الإسلام يرى التسوية بينهما، وإن تفاوت أقدارهما لا يستوجب تفاوت أرزاقهما ، وإنما رئيس الدولة رجل كأي رجل ، فرد كأي فرد، ولكن الله جعله أثقلهم حملا. ليس إلا .

فأنى للمدنية الحديثة أن تبلغ ذلك الرقي.

إن المدنية تزعم أن لطبقة القادة امتيازًا خاصًا ، تضمن لهم مستوى أعلى من مستويات العمال والجماهير...

ولكن الإسلام يرى أن ليس لطبقة القادة أي امتياز معيشي... بل يوجب عليهم أن يكونوا قدوة ، أن ينزلوا عن القليل الذي يمكن الإنسان أن يعيش عليه ...

وهذا هو الباب السادس — أوسع أبواب سياسية عمر — أنه يرى أن القائد الذي يمتاز على شعبه في مستواه المعيشي حيوان... بينما ترى المدنية أن القائد من حقه أن يمتاز على الجماهير لأنه يمتاز في العمل والتفكير !!.

ومن هنا يتجلى لنا أن الإسلام لا يخدع جماهيره ، وإنما يقول لكل فرد فيه اعلم أن القائد رجل مثلك ، وليس له أن يمتاز عليك في ملبس أو مأكل أو مركب !

وهذا هو الفارق بين الصدق والكذب .. بين وحي السماء الذي لا يكذب وبين نظام وضعه إنسان من طبيعته الكذب والخداع !!

## فإذا جلست فكن كسائر الناس!

كتب عمرو بن العاص ، رئيس جمهوريات مصر وليبيا وتونس والجزائر والنوبة ، إلى عمر يشكو إليه ، ما يلقى من أهل مصر .

فأشر عمر على خطاب نائبه ، ذلك التأشير الخالد ، المتلألئ «كن لرعيتك كما تحب أن يكون لك أميرك . ووقع إليّ عنك أنك تتكئ في مجلسك ، فإذا جلست فكن كسائر الناس، ولا تتكيء.

فكتب إليه عمرو : أفعل إن شاء الله !!

مبدأ خالد آخر من مبادئ عمر ، مبادئ الإسلام .

يشكو إليه عمرو مما يلقى من المصريين ، ومتاعبهم ، فيؤشر أمير المؤمنين على شكواه «كن لرعيتك كما تحب أن يكون لك أميرك» ... كن للشعب كما تحب أنت يا عمرو ، لو كنت فردًا من الشعب ، أن يكون لك أميرك.

إذا كنت تحب أن يكون لك أميرك متواضعًا .. متساويًا معك ، في كل شئون الحياة ، فكن أنت كذلك للشعب يا عمرو !.

ثم يبلغ أمير المؤمنين شأوًا بعيدًا ، من العبقرية التربوية ، حين يقول له : وقع إلي أنك تتكئ في مجلسك ... نقلت إلي المخابرات أنك تجلس أحيانًا متكئًا في مجلس حُكمك بين الناس وهذه جلسة فيها شيء من التعاظم على الشعب ، والتكبر على الضعفاء .

ثم يصدر عمر إليه أمره الحازم الحاسم : فإذا جلست فكن كسائر الناس ، ولا تتكئ !!.

وكان هذا أعجب أمر يصدره رئيس الدولة الأعظم إلى نائبه حاكم مصر وشمال أفريقيا والنوبة!! ..

إن عمر يأبى عليه حتى الاتكاء في المجلس ، ويريد أن يسوي بينه وبين سائر الناس ، بينه وبين الشعب ، حتى في نوع الجلسة التي يجلسها.

ولا أحسب أن نظامًا شرقيًا أو غربيًا سيبلغ أن يسوي بين الحاكم والشعب حتى في الجلسة!.

ولكن الإسلام منذ أربعة عشر قرنا سَوَّى !!!

# ماهية رئيس الدولة الأعظم!

وكتب أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص يقول : أما بعد . فاني فرضت لمن قبلي في الديوان ( أي حددت لهم عطاءهم في السجلات ) ومن ورد علينا في المدينة من أهل المدينة ، وغيرهم ، ممن توجه إليك وإلى البلدان.

فانظر من فرضت له ونزل بك فاردد عليه العطاء ، وعلى ذريته، وممن نزل بك ممن لم أفرض له على نحو ما رأيتني فرضت لأشباهه.

وخذ لنفسك مائتي دينار ، فهذه فرائض أهل بدر من المهاجرين والأنصار ، ولم أبلغ بهذا أحدًا من نظرائك غيرك ؛ لأنك من عمال المسلمين، فألحقتك بأرفع ذلك .

وهذه عجيبة أخرى نضعها بين يدي أبناء القرن العشرين..

أمير المؤمنين يحدد مرتب رئيس جمهوريات مصر وليبيا ، وتونس ، والجزائر ، والنوبة ، بمائتي دينار سنويًا !!

ماذا يفعل بها عمرو بن العاص ، في دولة كلها نعيم وترف كمصر ؟.

إن المستوى المعيشي لكثير من أهلها يفوق كثيرًا هذا المستوى الذي فرضه عمر لرئيسها، فلماذا لا يفرض عُمر ما يناسب جلال الملك وعظمة الصولجان ؟!

كيف يستطيع عمرو أن يحكم المصريين ، وقد كانوا يألفون من حكامهم مظهرة وسطوة و كبرًا ؟.

ولكن عُمر يطبق الإسلام أصدق تطبيق...

وأنا أسأل أهل الأرض شرقًا وغربًا ، هل تعلمون رئيسًا لجمهورية ولو أصغر جمهورية ، يتقاضي مرتبًا ضئيلا كهذا ؟

سيقولون : لا ، فنقول لهم : ولكن الإسلام أبي أن يتميز رؤساء الدول وقادتها على سائر الشعب في شيء .

وقرر لهم مرتبًا بسيطًا ليجعلهم دائمًا في مستوى الجماهير الكادحة فيضمن بذلك عدم انحرافهم عن الخط المستقيم .

ودائمًا وأبدًا العدل والترف لا يجتمعان في حاكم...

فمن هنا أبي عمر ، أبي الاسلام ، أن يترف الحاكم ، ضمانًا للعدل أن يكون منه ، وللشعوب ألا تظلم !!!

## لقد ابتليت بولاية الأمّة!

وقال في نفس الخطاب : « والله يا عمرو لقد ابتليت بولاية الأمة، وآنست من نفسي ضعفًا ، وانتشرت رعيتي ، ورق عظمي ، فأسأل الله أن يقبضني إليه غير مفرط ، والله إني لأخشى لو مات جمل بأقصى عملك ضياعًا أن أسأل عنه » .

وهذة عظيمة أخرى ، من عظائم الرجل ، إنه يقرر أنه ابتلى بولاية الأمة ، إنه يختبر بحكم هذه الأمة الواسعة التي تشمل المشارق والمغارب.

وقد آنس من نفسه ضعفًا ؟ ... وما به من ضعف ، ولكنه التسامى ، والتحليق ، إنه يرى أنه لم يقم بما يجب عليه بعد...

ثم يتوجه أعدل إنسان على وجهها إلى الله يقول : أسأل الله أن يقبضني إليه غير مفرط !!

أي تفريط يا عمر ؟، وأي تضييع للأمانة ؟..

ولكنها الحساسية ... حساسية المسئولية تلك التي تدفعه في نهاية الخطاب أن يقول: والله إني لأخشي لو مات جمل بأقصى عملك ضياعًا أن أسأل عنه !.

عمر يخشى لو مات جمل بأبعد مكان من البلاد التي يحكمها عمرو، وكان موت هذا الجمل بسبب التقصير في حقه ، يخشى عمر أن يسأله الله: لماذا مات الجمل ؟ لماذا لم توفر له الطعام والشراب والإيواء ، لماذا أهملت أمره حتى مات عن تقصير؟! لقد سما الشعور بالمسئولية بالرجل ، حتى بلغ منه ذلك المبلغ !

إنه يوقن أن الله سائله عن رعيته ، عن الشعب كله ، نساء ورجالا ، صغارًا وكبارًا ...

وسائله عن الحيوانات والطيور وكل ذي كبد رطبة تعيش في ملكه... هل وفر لها الغذاء والشراب والإيواء وما يحفظ عليها حياتها.. ؟

ثم هو يسمو ويسمو فيرى أن إنابته للأمراء ؛ ليحكموا البلاد نيابة عنه، لاتعفيه من المسئولية اذا وقع ظلم أو تقصير في أبعد مكان منها...

ذلك أنه مسئول عن نوابه كذلك وما يقع منهم ، ومن هنا كان إحساسه بالمسئولية أمام الله، عن الجمل الذي يموت في أقصى مكان من البلاد التي يحكمها عمر...

وهذا الإحساس بالمسئولية من عمر، هو التمثيل الصحيح لإحساس الحاكم بالمسئولية في الإسلام .

فإذا رأى العالم غير هذا في الذين يحكمون ، فليعلموا فورًا أن ما هم عليه ليس من الإسلام في شيء !!!

## عُمر يصادر أموال رئيس جمهورية مصر!

وإلى العالم الحديث، المعجب بنفسه ونظمه، نسوق تلك الأقصوصة.. كتب عمر إلى عمرو بن العاص نائبه في مصر:

بلغني أنه فشت لك فاشية من خيل ، وإبل ، وبقر ، وعبيد ، وعهدي بك — قبل ذلك — لا مال لك ، فاكتب إلي من أين أصل هذا المال ؟..

ينبغي على الدولة أن تحاسب قادتها ، وموظفيها كبارًا أو صغارًا ... من أين أصل هذا المال؟

لأن عمر سأل رئيس جمهورية مصر وشمال أفريقا والنوبة هذا السؤال ؛ لأن ذلك أصل عام في الإسلام .

كل مال ينبغي أن يعلم أصله ، فان كان حلالا جاز لصاحبه أن يتملكه، وان كان حرامًا وجب على الدولة أن تنتزعه من صاحبه ، وترده إلى الخزانة العامة ، إلى الشعب .

وسوف نرى عمر يطبق ذلك المبدأ ، ويتمدد فيه إلى أبعد الحدود ويأخذ كبار المسئولين في الدولة وصغارهم .

فماذا كان دفاع عمرو عن نفسه ؟.. فأجابه بقوله :

« أتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه فاشية مال فشا لي، وأنه يعرفني قبل ذلك ولا مال لي!

وأني أعلم أمير المؤمنين أني ببلد السعر فيه رخيص .

وأني أعالج من الزراعة ما يعالجه الناس .

وفي رزق أمير المؤمنين سعة.

والله لو رأيت خيانتك حلالا ما خنتك ، فأقصر أيها الرجل ، فإن لنا أحسابًا هي خير من العمل لك ، إن رجعنا إليها عشنا بها ... » .

هذا دفاع رئيس جمهورية مصر عن نفسه ... فهل اقتنع أمير المؤمنين بما يقول ؟.

لا .. وإنما ثار ثورة كبرى ، وكتب إليه بأمر عجيب ، كتب إليه أنه قرر مصادرة أمواله!

وهذا هو القرار الجمهوري ... قرار رئيس الدولة الأعظم بالمصادرة :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فإني والله ما أنا من أساطيرك التي تسطر ، ونسقك الكلام في غير مرجع ، لا يغني عنك أن تزكي نفسك.

وقد بعثت إليك ، محمد بن مسلمة ، فشاطره مالك ، فإنكم أيها الرهط الأمراء ، جلستم على عيان المال لم يعوزكم عذر ، تجمعون لأبنائكم، وتمهدون لأنفسكم ، أما أنكم تجمعون العار،

وتورثون النار ، والسلام » .

هذا هو قرار أمير المؤمنين بمصادرة أموال عمرو !!.

وإنه لوثيقة شرف ، يسجلها التاريخ لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

لم يعتمد عمر دفاع عمرو عن نفسه ، واعتبره أساطير ، أكاذيب بلفقها عمرو ؛ ليستر مسلكه الذي سلكه .

وأرسل إليه مدير عام التفتيش الإداري ، محمد بن مسلمة ؛ ليشاطره ماله ؛ ليصادر نصف ماله ويضمه إلى الخزانة العامة ، ويترك له النصف الآخر.

ليس هذا فقط ، وإنما يصيح عمر على عمرو صيحة العار ، فيقول له: إنكم أيها الأمراء، تجمعون لأبنائكم ، وتمهدون لأنفسكم ، أما إنكم تجمعون العار ، وتورثون النار !!

وإلى العرب خاصة ، والمسلمين عامة ، ألفت النظر إلى تلك القضية بالذات ، لما لها من أخطر الدلالات .

إن عمر يقرر أن كل مال أصله غير مشروع فهو مال لا حرمة له ، يجب مصادرته فورًا ورده إلى الخزانة العامة .

وعمر يقرر أن كل زيادة غير معقولة في أموال الحاكم ، عما كان عليه وقت دخوله الحكم ، يجب مصادرتها فورًا .

وعمر يسجل على الحكام ، والمسئولين عمومًا ، أنهم اذا جمعوا لأبنائهم المال ، ومهدوا لأنفسهم ، فإنما يجمعون العار ، ويورثون النار .. فما معنى هذا ؟

معناه أن الحاكم ، والمسئول ، ينبغي عليه أن لا يجمع المال لأولاده ؛ ولا يجمعه تمهيدًا لنفسه؛ لأن ذلك عار ، حرام ثم حرام ، وأنه يورث أولاده النار ، المال الحرام الذي يدخلهم النار.. !

وهذا هو ما ينبغي أن تتنبه إليه أفكار الشعوب العربية ، والإسلامية في كل مكان وفي كل زمان .

كل مسئول في دولة من الدول ، يملك أموالاً أكثر مما كان يملكه آباؤه حين دخلوا إلى الحكم، يجب فورًا نزعها منه ، وردها إلى بيت المال إلى الخزانة العامة .

و لهم أن يهتدوا في ذلك بعمر بن الخطاب ، عملاق الحق ، عملاق الإسلام..

هذا هو منطق الإسلام ... منطق عمر حين صاح ... إنما تجمعون العار ، وتورثون النار.

يجب فورًا مصادرة أموال كل ظالم ، وردها إلى الخزانة العامة إلى أموال الشعب .

وهكذا ... قاعدة عامة ..، وهذا هو الإسلام ، وهذا هو رأى عمر الذي طبقه دائمًا. وأخذ به ولاته ، وعماله ، ونوابه ، وقواده!!!

## أمير المؤمنين يضع منهج التربية!

الذين في حلوقهم غصّة ، من هذا الإسلام ومناهج التربية التي جاء بها ، يقولون أحياناً : أين المنهج التربوي للإسلام ؟!

وإني أضع الآن خطابا قصيرًا جدًا من فقرات قليلة كتبه عمر إلى ابنه عبد الله بن عمر، وسوف يجد فيه الباحثون عن المناهج أعجب أساليب التربية .

« اتق الله ، فإن من اتقى الله وقاه، ومن توكل عليه كفاه ، ومن شكر له زاده ، ومن أقرضه جزاه .

فاجعل التقوى عمارة قلبك . وجلاء بصرك ؛ فإنه لا عمل لمن لا نية له ولا أجر لمن لا خشية له ، ولا جديد لمن لاخلق له » .

" اتق الله فإن من اتقى الله وقاه " أصل الأصول التربوية تقوى الله ... لماذا ؟ ؛ لأن من اتقى الله وقاه من عذاب الدنيا ، ومن عذاب الآخرة من آلام الدنيا ، ومن آلام الآخرة . من شقاء الدنيا ومن شقاء الآخرة .

ما من خير يتصور إلا تدلك عليه تقوى الله وما من شر يجتنب إلا تنهاك عنه التقوى .

خلاصة التقوى أن تأتي أوامر الله و تنتهى عن نواهيه .

فإذا علم أن الله لا يأمر إلا بخير ، ولا ينهى إلا عن شر . علم أن التقوى هي أصل الأصول التربوية .

" ومن توكل عليه كفاه " أرقى وأعلى منهج تربوي ... التوحيد. التوحيد الصافي الجميل، الاعتماد على الله وحده . لا على أسباب ولا على بشر ، ولا على القوة الشخصية . ولكن اعتمد على الله الذي خلقني ، والذي يرزقني ، والذي يحميني ، والذي يميتني ، والذي يبعثني والذي يحاسبني إما جنة أبدًا ، وإما نار أبدًا .

ولا يوجد في الوجود ، ولن يوجد ، ولا يتصور أن يوجد أعلى من هذا التوجيه للعقل البشري وللقلب الإنساني .

الاعتماد على الله ... الاعتماد على أكبر قوة مؤثرة فعالة خلاقة قادرة مدركة عالمة بصيرة سميعة .

وهذا هو الأصل الثاني في منهج عمر التربوي! المنهج الذي يربي عليه ابنه عبد الله بن عمر!

وحسب هذا المنهج قوله : " من توكل عليه كفاه ".

وكيف لا يكفي الله من اعتمد عليه ؟.

وهو الذي خلق ذلك المخلوق من لا شيء ، وصوره فأحسن صورته ، ورزقه من الطيبات، وآتاه عقلا يفرق به بين الحق والباطل ، وجعل له زوجا من نفسه ، وأولادًا من صلبه ثم يميته ثم يحييه..

ذلكم الله .. رب الإنسان ، فكيف يتركه الإنسان ويذهب إلى أوهام ، إلى أصنام ، إلى بشر لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ؟.

أما الله فهو حقًا الذي يستطيع أن يكفي من يعتمد عليه .

ومرة أخرى أقول . لا ولن يوجد توجيه أعلى ، ولا أسمى من ذلك التوجيه للعقل والقلب البشري معًا .

ثم ماذا عن منهجك التربوي يا عمر ؟، ومن شكر له زاده ؟.

الله أنعم على الإنسان نعمة ظاهرة وباطنة ، وأخطر أزمة يتعرض لها كيان الإنسان ، هو نقصان تلك النعم ، أو تحولها عنه ، فكيف يثبت الإنسان تلك النعم ؛ و كيف يضمن عدم تحولها عنه ؟.

بالشكر .. الشكر هو التأمين ضد زوال النعمة .. شكر المنعم الذي تفضل بالنعمة ، هذا هو الضمان .

وهذا أسلوب رفيع من أساليب التربية ... شتان بينه وبين توصية الشيوعية لاتباعها ، نحو نكران وجود إله أصلا ، ثم الكفر بكل ما يتعلق بذلك الإله !.

شتان بين قلب وقلب ، قلب كافر و قلب شاكر ...

تماما كالفرق بين الموت والحياة !.

ثم ماذا أيها العبقري عمر ؟... ومن أقرضه جزاه ؟... توجيه آخر نحو الله ، توجيه نحو الخير، من أقرض الله قرضًا حسنًا ، عملا صالحًا ، خيرًا لوجهه، زاده الله قدرة على عمل الحسنات والصالحات والخيرات ، وزاده يوم القيامة أجرًا عظيما .

وأي دافع يدفع إلى الخير أكبر من ذلك ؟.

من أجل ذلك يقول عمر لابنه : " فاجعل التقوى عمارة قلبك " .

الأصل العام في تربية النفس ... التقوى ... الأصل الذي يتفرع عنه سائر فروع التربية ، وسائر فروع التوجيه .

فمن كان تقيًا ، أمكن أن يكون بعد ذلك كما شئت من الخير، ومن لم يكن تقيًا، فلا يمكن أن يكون شيئًا يؤدي إلى خير .

" وجلاء بصرك " اجعل التقوى يا بني جلاء بصرك .. اجعل التقوى النور الذي ينور بصيرتك، الذي يكشف لك الحق من الباطل.

" فإنه لا عمل لمن لا نية له " لا عمل مقبولاً عند الله ، لمن لا ينوي بعمله هذا وجه الله .

توجيهان تربويان جميلان ... إذا أردت أن تعرف الحق من الباطل فكن تقيًا ، يجعل الله لك فرقانًا تفرق به بين الخير والشر .

وإذا أردت أن يقبل عملك من الله ... فابتغ به وجهه.

ولا أجر لمن لا خشية له ... لا ثبوت لأجر الإنسان عند الله إلا إذا كان مؤسسًا على خشية الله على الخوف من الله على تقوى الله .

ثم يختتم العبقري برنامجه التربوي بقوله : " ولا جديد لمن لا خلق له " ولا جديد لمن لا قدم له..، ولا مستقبل لمن لا ماضي له.

ولا مستقبل في الآخرة لمن لا ماضي له في الدنيا ، لمن لا حسنات له في الدنيا !.

ربط عجيب بين الدنيا والآخرة ، وبين العمل وإرادة العمل ، وبين القلب والإنسان.

وهذا التخطيط التربوي العالي ، لا تجده إلا عند عمر ، ومن كان على شاكلة عمر !!!

## السياسة العليا!

طالت بنا تفصيلات عمر في كل شأن من شئونه الكبرى إلا أن الناس يشتاقون إلى تلخيص تلك السياسة تلخيصًا ييسر لهم الإلمام بفكرة سريعة عن سياسة عمر العامة في كل شأن من شئون الدولة الواسعة المترامية .

ونحن الآن نقدم إلى الناس جميعًا ، قادة وشعوبًا ، سياسة عمر العليا بقلم عمر نفسه...

وإذا تحدث عمر عن سياسته ، وكشف عن أسرارها ، وجب أن تسمع الأجيال كلها ؟ لأنها أعجب سياسة وأغربها .

قال عمر يوصي الخليفة الذي سيكون من بعده ، ويوجهه التوجيه الخالد ، ويكشف له أسرار الحكم ، وأسرار الدولة .

وكم أود لو أن كل رئيس دولة ، يجعل تلك الوصية أساس سياسته العامة والخاصة .. قال :

« أوصيك بتقوى الله ، لا شريك له . وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيرًا أن تعرف لهم سابقتهم، وأوصيك بالأنصار خيرًا ، فاقبل من محسنهم ، وتجاوز عن مسيئهم .

وأوصيك بأهل الأمصار خيرًا ، فإنهم ردء الإسلام ، وغيظ العدو ، وجباة الفيء ، لا تحمل فيئهم إلا عن فضل منهم ، وأوصيك بأهل البادية خيرًا ، فإنهم أصل العرب ، وقادة الإسلام.

أن تأخذ من حواشي أموال أغنيائهم ، فترد على فقرائهم ، وأوصيك بأهل الذمة خيرًا . أن تقاتل من ورائهم ، ولا تكلفهم فوق طاقتهم ، إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعا ، أو عن يد وهم صاغرون.

وأوصيك بتقوى الله ، وشدة الحذر منه ، ومخافة مقته ، أن يطلع منك على ريبة .

وأوصيك أن تخشى الله في الناس ، ولا تخشى الناس في الله ، وأوصيك بالعدل في الرعية، والتفرغ لحوائجهم وثغورهم، ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم .

فإن ذلك بإذن الله سلامة لقلبك ، وحط لوزرك ، وخير في عاقبة أمرك ؛ حتى تفضي من ذلك إلى من يعرف سريرتك ؛ ويحول بينك وبين قلبك .

وآمرك أن تشتد في أمر الله ، وفي حدوده ، و معاصيه ، على قريب الناس وبعيدهم .

ثم لا تأخذك في أحد رأفة ، حتى تنتهك مثل ما انتهك من حرمة الله .

واجعل الناس عندك سواء ، لا تبالي على من وجب الحق ثم لا تأخذك في الله لومة لائم.

وإياك والأثرة ، والمحاباة ، فيما ولاك الله ، مما أفاء الله على المؤمنين فتجور وتظلم ، وتحرم نفسك من ذلك ، ما قد وسعه الله عليك.

وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة ، فإن اقترفت لدنياك عدلا وعفة ، وعما بسط الله لك ، اقترفت به ايمانًا ورضوانًا، وإن غلبك الهوى اقترفت به سخط الله .

وأوصيك ألا ترخص لنفسك ، ولا لغيرك في ظلم أهل الذمة.

وقد أوصيتك ، وخصصتك ، ونصحتك فابتغ بذلك وجه الله، والدار الآخرة .

واخترت من دلالتك ما كنت دالا عليه نفسي وولدي ، فان عملت بالذي وعظتك ، وانتهيت إلى الذي أمرتك ، أخذت به نصيبًا وافرًا، وحظًا وافيًا ، وإن لم تقبل ذلك ولم يهمك، ولم تنزل معاظم الأمور عند الذي يرضي الله به عنك ، يكن ذلك بك انتقاصًا، ورأيك فيه مدخولا؛ لأن الأهواء مشتركة .

ورأس كل خطيئة إبليس ، وهو داع إلى كل هلكة ، وقد أضل القرون السالفة قبلك فأوردهم النار ، ولبئس الثمن أن يكون حظ امرئ موالاة عدو الله ، الداعي إلى معاصيه .

ثم اركب الحق ، وخض إليه الغمرات ، وكن واعظًا لنفسك

أنشدك الله لما ترحمت على جماعة المسلمين ، فأجللت كبيرهم ورحمت صغيرهم ، ووقرت عالمهم .

ولا تضربهم فيذلوا ، ولا تستأثر عليهم بالفيء فتغضبهم ، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها فتعقرهم ، ولا تجمرهم في البعوث فتقطع نسلهم .

ولا تجعل المال دولة بين الأغنياء منهم ، ولا تغلق بابك ، وأشهد الله عليك ، والسلام ».

هذه أيها الناس وصية عمر إلى الخليفة الذي سيكون بعده ، وهو لا يدري من يكون ذلك الخليفة ..، وأن عليه أن يوصي أن يصب تجاربه في الحكم والسياسة في وصية يتركها لمن يحمل المسئولية من بعده .

وهذه الوصية التي تركها عمر للخليفة الآتي بعده ، هي كذلك لكل حاكم حكم المسلمين إلى يوم القيامة .

؛ لأن عمر ، هو الإسلام ، هو التطبيق الصادق ، الحق الأصيل للإسلام .

فإذا أوصى الحاكم من بعده ، فهو يوصي كل حاكم يحكم شعبًا مسلمًا إلى يوم القيامة.

وإذا أوصى الذي من بعده ، فهو يوصي كذلك كل حاكم على وجه الأرض إلى يوم القيامة.

لماذا تبلغ وصية عمر تلك الخطورة كلها ؟ ؛ لأن عمر هو الرجل الذي بلغ التطبيق الإسلامي في عهده أعلى مداه العملي .

فإذا أردنا حكم الإسلام في صغيرة أو كبيرة من شئون الحياة العامة أو الخاصة ، فلننظر توًا ماذا كان حكم عمر فيها؟ وما فعله عمر هو الفعل الذي يرتضيه الإسلام .

من هنا تنبثق الخطورة من تلك الوصية الخالدة .

وحين يوصي عمر الخليفة من بعده ، فإنما يقدم أعظم رجل في أعظم دولة — سياسته العامة— بأسرارها وتفاصيلها. إلى أعظم رجل ، في أعظم دولة بعده .

من أجل ذلك أنادي وأقول : يا رؤساء كل دولة كبرى أو صغرى دينية أو لا دينية قفوا صفا خشعا ، واستمعوا إلى أستاذ السياسة العالمية، يخطط لكم ، ولمن بعدكم أصول السياسة والحكم ... تخطيط من دخل التجربة ، وعانى الحكم، لا تخطيط الفلاسفة والشعراء .

اسمعوا إليه ، فإن عنده أعلى قمة سياسية ، وأعلى تخطيط دولي لكل شيء .

لماذا لا يكتب كل رئيس دولة تلك الوصية بماء الذهب ، ويضعها في أرفع مكان من مكتبه؛ ليهتدي بإشعاعاتها كلما هم بأمر من كبريات الأمور؟.

لماذا ؟... وكل حرف فيها فيه ما فيه من كبريات القضايا، وعظائم التوجيهات ؟.

لماذا وقد صب فيها عمر خلاصة عبقرياته ، وصفوة تجاربه في حكم العالم أكثر من عشر سنين؟.

لست أدري ... لماذا غفلنا عن تلك الكنوز الغالية جدًا ، واستبدلناها بتفاهات مستوردات؟!!

أنا على استعداد أن أخرج من تلك الوصية قاموسًا ضخمًا وموسوعة كبرى في السياسة الدولية ، و الخارجية ، و الداخلية ، وفي كل علم وصل أو يصل إليه علماء السياسة والاجتماع .

استيقظوا أيها العرب... قوموا من نومكم أيها المسلمون ... هذا عمر يجلجل ويتلألأ...

ولا أستطيع أن أفصل كل ما في الوصية تفصيلا ؛ وإنما آخذ منها قطرات غاليات ...

" أن تأخذ من حواشي أموال أغنيائهم ، فترد على فقرائهم " تقرير لمبدأ عدالة خطير .. عمر يأمر الحاكم أن يأخذ من الزيادة التي في أموال الأغنياء ؟ ويرد ذلك على الفقراء !

كيف ذلك ؟. يترك أسلوب التنفيذ إلى الدولة ؛ حسبما تراه مناسبًا .

" وأوصيك بالعدل في الرعية " أصل عام آخر .

المهم عند عمر هو العدل في الشعب ... العدل المطلق هو أساس الحكم عند الرجل .

" ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم " قاعدة أخرى لا تفضل أيها الحاكم الأغنياء على الفقراء، الطبقة الرأسمالية على الجماهير الكادحة .

فما معنى هذا التوجيه ؟... معناه أن تكون الدولة في خدمة الجماهير الكادحة ، لا في خدمة الطبقة الرأسمالية .

الحكم للشعب ، ومن الشعب !!

ثم نأخذ تلك الفقرة الغالية الثمينة:

ولا تجعل المال دولة بين الأغنياء منهم ... عمر يأمر الحاكم بأمر الدولة أن لا تجعل المال متداولا بين أفراد الطبقة الرأسمالية .

عمر يأمر الإسلام يأمر على الدولة أن تعمل بكل الوسائل على منع احتكار الأغنياء للأموال، وتداولها فيما بينهم دون سواهم .

وهذا المبدأ الخطير ، يفتح لنا آفاقًا واسعة في سياسة الدولة الإسلامية ...

فالدولة أن تصدر القوانين والقرارات والتشريعات التي تحقق هذا الاتجاه .

كلما رأت رءوس الأموال تتكوم بأيدي أفراد أو طبقة معينة ، فلها أن تعيد توزيع تلك الأموال .

؛ لأن الأمر أمر جماهير جائعة ، وهؤلاء لصوص نهبوا لقيمات الشعوب، واحتجزوها إرضاء لسعار البهيمية المشتعلة في نفوسهم .

تالله لو أن الناس جلسوا صفوفًا متراصة ليبحثوا عجائب تلك الوصية ما فرغوا منها إلى يوم القيامة !.

ولكن السادة المسلمين ... لا يشعرون أيان يبعثون ؟!!

## التوجيه العام!

كان عمر إذا استعمل عاملا شيعه وقال له : « إني لم أسلطك على دماء المسلمين ، ولا على أبشارهم ، ولكني استعملتك لتقيم فيهم الصلاة ، وتقسم فيئهم فيهم.

وتحكم بينهم بالعدل ، وتقضي بينهم بالحق .

ولا تجلد العرب فتذلها ، ولا تجهلها فتفتنها .

وجدد القرآن ، وأقل الرواية عن رسول الله – ﷺ – واتق الله ، وأنا شريكك ، فانطلق ».

هذه هي الوصية العامة التي كان يوجهها عمر إلى نوابه حين يوجههم إلى مقار أعمالهم.

وأول ما نلاحظ فيها تعبير السابقين عن الحكام بقولهم «عمال» .

وهذا المفهوم يدل أوضح دلالة على أن ذلك المجتمع كان يفهم أن الحاكم مهما كانت سلطاته فهو عامل ، ولذلك يعبرون عنهم بالعمال .

ونلاحظ أيضًا أن عمر يأمر هؤلاء الحكام بما فيه صلاحهم وصلاح الجماهير .

وحسبنا أن نأخذ من تلك الوصية قوله « تحكم بينهم بالعدل، وتقضي فيهم بالحق ... لندرك أن عمر جمع في هذه الفقرة كل ضمانات الحكم الصالح ، والمجتمع السعيد .

تحكم بينهم بالعدل ... حققوا العدل في مجتمعاتكم في كل شئ ، ولا تلقوا بالا إلى المسميات، إنما المهم هو العدل الحقيقي .

وتقضي فيهم بالحق ... نفذوا فيهم الأحكام تنفيذًا بالحق بعيدًا عن الظلم والجور والاعتداء.

ثم يختم أمير المؤمنين وصيته بقوله : وأنا شريكك ... أي شريكك في المسئولية ، مسئول عن كل شيء أنت مسئول عنه.

وهذا مفهوم خطير لعمر ... أنه يرى أن رئيس الدولة لا تسقط عنه المسئولية ؛ إذا وكل من ينوب عنه في أداء عمل من الأعمال بل يبقى هو المسئول الأول عن كل شيء في الدولة ولو أناب عنه غيره في إدارتها !..

## كيف نربي الشباب؟!

أوصى عمر عبد الله ابنه عند الموت فقال : يا بني ، عليك بخصال الإيمان .

قال : وما هن يا أبت ؟.

قال : الصوم في شدة أيام الصيف ، وقتل الأعداء بالسيف ، والصبر على المصيبة ، وإسباغ الوضوء في اليوم الشاتي ، وتعجيل الصلاة في يوم الغيم ؛ و ترك ردغة الخبال .

فقال : وما ردغة الخبال ؟ .

قال : شرب الخمر

هذا هو التوجيه الذي وجه ابنه إليه..

الصوم في شدة أيام الصيف .. قتل الأعداء بالسيف ، الصبر على المصيبة ، إسباغ الوضوء في اليوم الشديد البرد ، تعجيل الصلاة، ترك شرب الخمر .

وهذه هي أعمدة التربية للشباب..

أما الصوم ، فهو خير ضمان لانكسار الشهوة في بنيان الشباب ... خاصة في شدة الحر، حيث يكون الشوق إلى الماء والشراب شديدًا .

وأما قتل الأعداء بالسيف ، فهو يوجه الشباب إلى الرغبة في الصراع والجهاد والعلو والانتصار..، وهذا خير توجيه لطبيعة الشباب الثائرة المتعالية.

وأما الصبر على المصيبة ، فهو خير توجيه للشباب ، يحول بينه وبين اليأس الذي يسرع إلى نفوس الشباب إذا صدمته تجارب الحياة .

وكم من شاب فكر في فراق الحياة بسبب صدمة أصابته .

فإذا وجهنا الشباب إلى الصبر على المصيبة ، عاود الحياة مرة ومرات وغالب فشله حتى ينتصر في النهاية .

وأما إسباغ الوضوء في اليوم الشاتي أي إتمام الوضوء في اليوم الشديد البرد .. فإنه يوجه الشباب نحو احتمال مكاره الحياة ، ويقوي إرادته وينميها فلا يضعف أمام تكاليف الحياة الثقيلة .

وأما تعجيل الصلاة في يوم الغيم .. أي: الإسراع إلى أداء الصلاة في جماعة في المسجد في اليوم الشديد الغيم ، أي: في الأحوال الجوية السيئة ففيه ما فيه من إعلاء الإرادة ، وتعويد الشباب احتمال الواجب وتكاليفه ، وعدم الفرار من الواجبات إذا ثقلت عليهم.

وأما ترك شرب الخمر فيه توجيه للشباب نحو الابتعاد عن المسكرات ؛ لأن المسكرات تستتبع السهرات ، والنساء ، وما شئت من فساد .

وهكذا يضع عمر أصول تربية الشباب ، ويحل للبشرية أعقد مشاكلها مشكلة المراهقين والشباب .

يحله حلاً عمليًا ، لا خيال فيه .. حلا يتعالى، ويتسامى بالشباب، عن الانهيار والإسفاف، والضياع .

لم يقل عمر كما تقول الحضارة الحديثة ، بإشباع رغبات الشباب ...

وإنما هو يتسامى بتلك الطاقات التي تريد أن تنفجر وتدمر ، ويكبتها كبتا لطيفًا رقيقًا ، ويضع لها صمامات الأمان التي تكفل عدم حدوث انفجارات مفاجئة .

هناك شهوة جنسية تريد أن تنطلق في الشباب ... فليصم الشباب ما استطاع ، فإن ذلك يضعف تلك الشهوة .

ولكن طاقات الشباب دائمًا قوية إلى درجة قد لا يؤثر في إضعافها الصيام..

لابد إذن من مخرج لتلك الطاقات الهائلة... فيوجه الشباب إذا إلى المتنفس الطبيعي لتلك القوى...

إلى العسكرية ... إلى القتال ... إلى القوة ..، وهذا ما يعنيه عمر بقتل الأعداء بالسيف..

أي أن العسكرية خير متنفس لطاقات الشباب الثائرة .

ولكن الحياة ليست قتالا كلها ، فالقتال شيء من الحياة ، هناك مجالات أخرى في الحياة، سيدخلها الشباب ، فما هي الأسلحة التي يتسلح بها في غمارها ؟

هنا يأتي الصبر على المصيبة ... الصبر على احتمال كل ما يصيب الشباب، وهو يخوض معركة الحياة..

ولكن هذا الصبر ليس كلاما يصب في آذان الشباب ، لابد من أسلوب عملي يعود الشباب على ذلك الصبر ، فما هو هذا الأسلوب؟ نعود الشباب أن يحرص على إتمام الوضوء في الأيام الشديدة البرودة ، ونعوده على الحرص على الصلاة ولو في الظروف الجوية القاسية .

وهذان الخلقان كفيلان بتركيز صفة الصبر على المكاره في الشباب.

فمن داوم الوضوء ولو في شدة البرد ، و من داوم على صلاة الجماعة ، ولو في شدة البرد رغم ما فيها من مشاق ، يعتاد الصبر على ما سوى ذلك ، على احتمال أي مصيبة تصيبه في الحياة.

ولكن هذا كله لا يؤدي إلى شيء ما لم تمنع انطلاقات الشباب المدمرة التي تستنزف القوى الهائلة التي احتبسناها في باطنه..

وهنا يأتي دور الامتناع عن شرب الخمر .. عدم الانطلاق المدمر مع النساء والخمر والسهر، ومتى تم ذلك ؟ تم حبس القوة في الشباب ، لاستعمالها وقت اللزوم، في بناء الدولة والمجتمع ومجاهدة الأعداء .

هذا ما أشار به عمر على ابنه ، وهو ما يشير به على كل شاب ، وكل ابن .

وإنه لأسلوب عال رفيع رفيع ، وإنه لحل سهل بسيط ، يقدمه الإسلام هدية إلى البشرية الحائرة التي لا تدري اليوم كيف تحل مشكلة المراهقة والشباب ؟

والآن ..، ونحن بسبيل إنشاء جيل صاعد خلاق ، يحمي المكاسب التي كسبناها .. قد آن الأوان أن نركز جموع الشباب والفتيات ، على هذا الأساس الكريم .

## الاقتصاد حتى في الموت!

لما حضرت عمر الوفاة كان مما قال لابنه : .. فاذا قبضت فأغمضني، واقصدوا في كفني.. واقصدوا في حفرتي

وهذا مفهوم عظيم لأمير المؤمنين .. إنه يأمر ابنه أن يقتصدوا في حفرته في قبره .

ما معنى هذا ؟ معناه أن عمر ينهي عن الإسراف في الكفن، وعن الإسراف في تشييد القبور .

لم يقل لهم كفنوني أغلى الثياب ، وأرقى الحرائر ، وإنما اقصدوا في كفني ؛ لأن من العبث أن نضع للدود والتراب فاخر القماش والثياب .

واقصدوا في حفرتي ألقوني في حفرتي في بساطة ، لا أريد قبة فخمة ، ولا قبرًا عاليًا ، ولا حجارة ، ولا رخامًا .

وهذه هي الروح الإسلامية الصحيحة .. أما هذا الذي نراه من قبور عاليات ، وقباب شامخات ، ومباني فاخرات ، ومن إجراءات معقدة ، وأكفان فاخرة .. حتى حولنا قضية الموت إلى طلاسم ، وتخريب الأموال وإسراف وتعقيد .. كل هذا فليس من الإسلام في شيء .. إنما هو من مخترعات المرتزقة .

فمتى نعود إلى ما كان عليه عمر ، إلى ما كان عليه الإسلام، من بساطة في الأكفان ، وبساطة في الدفن ، وبساطة في القبور فنوفر أموالا طائلة تضيع هباء في هذا الاتجاه الفاسد ؟!!

## عمر يخطط للثقافة والإرشاد والإعلام!

قال عمر : ارووا من الشعر أعفه ، ومن الحديث أحسنه ، ومحاسن الشعر تدل على مكارم الأخلاق، وتنهى عن مساويها "

هذا هو تخطيط عمر في الثقافة والإرشاد ، ويا له من تخطيط عجيب!

كلمات معدودات ، فيها قواعد رائعات..

لقد فصل عمر في أخطر قضية تشغل الرأي العام ، قضية الفنون والآداب ... ماذا يحل منها ؟ وماذا يحرم ؟.

فكانت فتوى عمر للجماهير إلى يوم القيامة :

**" ارووا من الشعر أعفه ، ومن الحديث أحسنه "**

وهذا هو الفيصل العام في تلك القضية .. ليس كل الشعر جديرًا بالرواية ، وإنما ما كان يدعو إلى مكارم الأخلاق .

وليس كل الكلام جديرًا بالإذاعة ، وإنما أحسنه هو الجدير بالإذاعة .

ومن هنا نقول : إن الفنون والآداب ، مهما تنوعت واختلفت وسائلها ما كان منها يؤدي إلى الخير فهو حلال .

وما كان منها يؤدي إلى الشر فهو حرام .

ما كان يؤدي إلى البناء والقوة فهو شيء حسن يحل انتشاره ونشره ، وما كان يؤدي إلى الهدم والضعف فهو شيء سيء لا يجوز نشره وانتشاره .

وننظر في أيامنا هذه إلى وسائل الأعلام في الدولة ... الكتب ... الإذاعة ... الصحف.... التليفزيون ... كل وسيلة من وسائل الإعلام ينبغي أن نخطط لها على أساس من تخطيط عمر .

فما كان حسنا أجزناه ، وما كان سيئًا منعناه ، فنضمن بذلك أن يكون التوجيه دائما نحو الخير نحو الأرقى والأفضل !!!

## رجل بألف رجل!

كتب عمر إلى سعد : إني قد أمددتك بألفي رجل : عمرو بن معد يكرب ، وطليحة بن خويلد ، فشاورهما في الحرب ، ولا تولهما شيئا .

إن عمر يقوم هذين الرجلين تقويمًا خاصًا ... إن الرجل منهم بألف رجل !

فهل غالي عمر في قوله ؟... كلا فإن عمر ليس من الذين يقولون كذبًا ، وإنما للرجل مقاييس فوق مقاييس الناس .

إنه ينظر بنور الله ، ببصيرته التي تكشف له من معادن الناس ما لا سبيل إلى اكتشافه بالمقاييس المألوفة بين الناس.

يرى عمر أن عمرو بن معد يكرب ... ألف رجل !

ويرى أن طليحة بن خويلد ... ألف رجل !

والحق ما قال عمر .. فليس لنا أن نبحث في حقيقة الحُكم، ولكن علينا أن نبحث لماذا عدّ الرجل منهما ألفًا ؟.

إنها الشخصية الممتازة ، فمن الرجال من يعدل ألفًا ، ومنهم من يعدل أمة بأكملها .

فهناك رجل يحول مجرى التاريخ ، وهناك رجل وضيع ، ولا وزن له في قليل أو كثير .

هذه حقيقة ... ولكن كيف نصنع تلك الشخصيات الممتازة ؟ !!

كيف نصنع أولئك الرجال ؟

إنه الإيمان ، إذا دخل قلبًا حوله من الموت إلى الحياة ، ومن الخسائس إلى المكارم ، ومن التدلى إلى التسامي .

الإيمان هو صانع الرجال ، وهو الذي صنع ابن يكرب ، وابن خويلد ... فرفعهما من رجلين اثنين ، إلى ألفين !

## القوة في العمل!

قال عمر : « القوة في العمل : أن لا تؤخر عمل اليوم لغد، والأمانة أن لا يخالف سريرة علانية ، فاتقوا الله فإنما التقوى بالتوقى، ومن يتق الله يقيه » .

هذا أساس عام في إدارة الأعمال يضعه عمر بين يدي الناس جميعًا .

" القوة في العمل " ... زيادة الإنتاج ، زيادة الدفع لعجلة الإنتاج .

أن لا تؤخر عمل اليوم لغد .. على العاملين ، أيا ما كان مستواهم قياديًا ، أو جماهيريًا، عليهم إنجاز أعمالهم ، أولا بأول... لا تسويف لا تأخير إلى الغد ، أو بعد الغد .

والأمانة أن لا يخالف سريرة علانية أخلاق أهل الحق .. عمر يكشف عن الأمانة ... إنها عنده أن يتطابق الظاهر مع الباطن في الشخصية ، أما أن يضمر الإنسان أمرًا ، ويبدي أمرا فهذا هو النفاق.

فاتقوا الله فإنما التقوى بالتوقى ... ليست التقوى أن تزعم أنك تقيًا، وإنما التقوى لها سبيل واحدة ... هو التوقي ... هو الابتعاد عن المعاصي، هو مداومة توقي المعصية والخطأ والانحراف.

" ومن يتق الله يقيه "، ومن يرد ثقوى الله ، صادقا في إرادته، يقيه الوقوع في المعاصي ، ويعينه على ذلك .

وهذا تخطيط شامل من الرجل لإدارة الأعمال ، هو يرى أن الإنتاج يزيد بإنجاز العمل أولا

بأول ثم هو يرى أن الأمانة تتوفر في العاملين إذا وافقت سريرتهم علانيتهم ثم هو يرى أن التقوى أساس كل هذا ، فمن دون تقوى لا يمكن قيام الأمانة ، ولا زيادة الإنتاج .

وهذا منهج كامل لإدارة الأعمال ، وتنظيم العاملين !!!

## مَن هو المتوكل؟!

قال عمر : المتوكل الذي يلقي حبة في الأرض ، ويتوكل على الله .

هذا تعريف عمر المتوكل ، وهو تعريف ساطع يشع إشعاعاته العالية التي تنير الطريق أمام الغافلين ؛ والشاطحين الذين يزعمون أن التوكل هو ترك الأسباب ، والالتجاء المطلق إلى الله .

ثم ينامون بعد هذا ، وينصرفون إلى التسبيح ، والتمائم ... يرد عمر على هؤلاء ، ويصيح بهم: المتوكل الذي يلقي حبة في الأرض ، و يتوكل على الله .

إلقاء الحبة أولا ... الأخذ بالأسباب أولا ... ثم بعد هذا توكل على الله...

وهذا هو العقل السليم ، والمفهوم الصحيح للمتوكل ... فلو أن الإنسان لم يضع حبة القمح مثلا في الأرض ، واكتفى بأن يتوكل على الله ، ما نبتت شجرة قمح أبدًا ، ولو سبح آناء الليل وأطراف النهار .

لن تنبت شجرة قمح أبدًا ما لم توضع حبة قمح في الأرض ؛ لأن ذلك هو القانون العام الذي وضعه الله للنبات.

وهذا الفهم المستقيم ، والمنطق البسيط ، كان يدركه أصحاب رسول الله بالفطرة...

ولكن قوما جاءوا من بعدهم، شطحوا بالجماهير شطحهم، فزعموا أن التوكل هو ترك الأسباب بالكلية . والالتجاء إلى الله بالكلية والله بعد هذا يتولى العبد ، ولو لم يأخذ بالأسباب .

وهم يقصون على الناس أقاصيص لذيذة طريفة في هذا المضمار ، تستهوي أنفسهم الكسولة!

ولقد كان من آثار هذا المفهوم الخاطئ للتوكل ، وشيوعه في جماهير المسلمين أن قعد أكثر المسلمين عن الأخذ بالأسباب ، واكتفوا بالالتجاء إلى الله ، وهو بعد ذلك كافيهم ما أهمهم!!!

وما زالت ملايين من المسلمين على هذا المفهوم الخاطئ للتوكل ، وهي مصيبة المصائب في هؤلاء الناس.

فماذا كان أثر هذا المفهوم الخبيث الذي أشاعه في المسلمين جمهرة الذين لا يعقلون ؟

أثر خطير جدًا ، قعد المسلمون يسبحون ، ويتمتمون ، ويقرءون الأوراد ... بينما جيوش المستعمرين تحتل دول الإسلام!

ولو لم يترسب هذا المفهوم الخبيث ... أن التوكل هو ترك الأسباب والالتجاء بكليتك إلى الله ، والله بعد ذلك كافيك.. لو لم يترسب هذا الانحراف في قلوب الجماهير المسلمة لما استطاع المستعمر أن يدخل إلى الدول الإسلامية .. كيف ؟.

لو كانت جماهير المسلمين على الفهم الصحيح للتوكل ، فهم عمر للتوكل أن المتوكل من ألقى الحبة ثم توكل ، لو كانوا على هذا الفهم الصحيح ؛ لعلموا أن دينهم يأمرهم أن يأخذوا بأسباب العزة وأن يهبوا لمقاتلة المستعمر إذا نزل بأوطانهم .

أن يهبوا رجالا ونساء وأطفالا وشيوخًا عن آخرهم يقاتلون ، ويستشهدون جميعًا لو اقتضى الأمر حتى لا يدخل المستعمر أبدًا إلى أرضهم وأوطانهم .

ولو فعلوا هكذا لارتد الاستعمار خاسئا ، وهو ذليل ، ولاحتفظت الدول الإسلامية العظمى بعزتها الدولية الكبرى حتى الآن .

ولكن الذي حدث هو عكس هذا ، هو شيوع المفهوم الفاسد في أفكار الجماهير .. فلما هب الاستعمار يغزو بلاد الإسلام، تركته هذه الجماهير وشأنه ، وانصرفت إلى الله ، تسبحه ، وتصلي له، وتنتظر أن يخرج الله جيوش الاستعمار من بلادهم !!.

فماذا حدث ؟ هل خرجت جيوش الاستعمار ؟.. كلا .. لم تخرج حتى الآن .. رغم أن السادة الحالمين ما زالوا حتى الآن يهزون رءوسهم بالتسابيح والالتجاء إلى الله !!

ما زالت جيوش الاستعمار في الدول الإسلامية بعد أن قسمتها إلى دويلات ؛ ليسهل عليها ازدرادها وابتلاعها !!.

وما زال المسبحون يسبحون ، ولا شيء بعد هذا !!

إن الإسلام أصيب في مقاتله يوم شاع ذلك المفهوم الخاطئ الخبيث في المسلمين .

ولن يتحرر العالم الإسلامي كله ، ولن يخرج منه الاستعمار نهائيا إلا إذا اختفى ذلك المفهوم الخبيث من رءوس المسلمين جميعا ، وحل محله مفهوم عمر بن الخطاب المفهوم الحق للتوكل أن نأخذ بالأسباب ثم نتوكل على الله.

فكما يستحيل أن تنبت شجرة قمح إلا إذا ألقيت حبة قمح في الأرض ، فكذلك يستحيل أن يخرج الإستعمار من كل دولة إسلامية إلا اذا قاتل المسلمون ذلك الاستعمار .

إلا إذا أخذوا بالأسباب إلا إذا قاتلوا الاستعمار حربا ، وصناعة ، وعلما ، وعملا ، وحضارة ، ومدنية .

إلا إذا قاتلوه في كل شيء حتى ينتزعوا منه أوطانهم التي سرقها، وخيراتهم التي انتهبها ، ومقدراتهم التي داسها، وعزتهم التي أذلها .

هذا هو المفهوم الإسلامي الصحيح ، مفهوم عمر ، مفهوم الحق قبل أن يتلوث بخبائث فريق

من الخاطئين الحالمين .

وهذا ما نريد أن نركزه في عقول الجيل الصاعد الذي نريد أن نحمله مسئولية الحفاظ على مكاسبنا الجديدة .

نريد أن نعلّم الجيل الصاعد ، وكل الأجيال ، أن التوكل هو أن نأخذ بالأسباب ثم نتوكل على الله .

وأن كل مفهوم للتوكل غير هذا ، هو مفهوم خاطئ .

فلو أن هذه البلاد – مصر – ظلت على المفهوم الرجعي القديم، أن التوكل هو ترك الأسباب مع الالتجاء إلى الله .

لو ظلت هذه الجمهورية كما كانت ، تسبح في أوهامها ، وتسبّح الله، وتتلو الأوراد ، ولا شيء غير هذا ؛ لبقي الاستعمار بكل أنواعه في بلادنا مئات السنين .

ولكن يوم ألقينا بعيدًا هذا المفهوم الخبيث ، وفهمنا فهمًا جديدًا ، أنه لابد لكي يخرج الاستعمار أن نقاتل الاستعمار .

يوم كان هذا المفهوم ، وانتفض الشعب كله يقاتل بريطانيا.

كان ذلك اليوم يوم التحول من المفهوم الخاطئ الخبيث إلى المفهوم المستقيم الصحيح .

فماذا حدث ؟ .. خرجت بريطانيا خاسئة ، ذليلة !!!

لماذا ؟؛ لأن المفهوم تبدل ؛ لأن العقول عادت إلى مفهوم عمر : التوكل أن تلقي الحبة ثم تتوكل .

ولست أدري من أين هذا المفهوم الخبيث ، وكيف غاب عنهم قوله تعالى ﴿ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [ التوبة ١٤]

وكيف غاب عنهم أن رسول الله – ﷺ – ، وهو في أعلى مقامات التوكل، أخذ بالأسباب كلها ، وخاض الغمرات ، وقاد المعارك وقاتل بيده مع أصحابه جيوش الباطل ؟!!

أو كيف غاب عنهم أن أبا بكر ، قاتل الدنيا كلها ؟!!

أو كيف غاب عنهم أن عمر من بعده ، واصل فتوحاته حتى خضعت له المشارق والمغارب؟!!

غاب هذا كله عن السادة الحالمين، واكتفوا بالانصراف إلى التسبيح، وحمل المسابح...

وما انصرفوا إلى الله ، وإنما انصرفوا إلى الشيطان الذي سوّل لهم القعود عن الجهاد ، بتلك المفاهيم الذليلة الكئيبة !.

فلنطوح بعيدًا ... بعيدًا ... بذلك المفهوم الخبيث ..، ولنركز في عقولنا جميعًا ... أن التوكل

هو الأخذ بالأسباب ثم بعد ذلك نعتمد على الله ؛ ليهبنا قوة ثابتة على جهادنا وأعمالنا.

ويوم يتمركز هذا المفهوم في عقولنا ، وخاصة جيلنا الصاعد نندفع جميعًا إلى العمل بكل طاقتنا ، وإلى آخر مدى من إمكانياتنا ؛ لأننا نوقن أن الأخذ بأسباب القوة ، والأخذ بقتال الأعداء، حتمية مفروضة ، لابد منها كي نكون أقوياء وأحرارًا .

وفي ذلك نكرر قول عمر الخالد : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقني؛ وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة ، وأن الله تعالى يرزق الناس بعضهم من بعض .

## عمر يحطم التقاليد الفاسدة!

أشد الأمور فسادًا للأمم والأفراد أن يكونوا أسارى تقاليد معينة لا يستطيعون منها فكاكاً.

وها هو عمر يحطم الأغلال ، ويضع عنا تلك التقاليد الفاسدة حين يقول : احفوا وانتعلوا فإنكم لا تدرون متى تكون الجفلة !.

أمر من رئيس الجمهورية الإسلامية الأعظم : احفوا وانتعلوا. لا تعتادوا دائما لبس الأحذية، ولا دائماً الحفاء ، ولكن هذه وهذه..

فانكم لا تدرون متى تكون الحاجة إلى التغيير ، وهو بهذا يربي الأمة تربية نفسانية عالية.

إنه يخلع الفرد من التقاليد ، يحرره من أسارها وسلطانها، ويجعله صالحًا لكل الظروف ، صالحًا على أي حال .

إنها التربية العسكرية الصحيحة ، كي يكون الجميع قوة ضاربة عند اللزوم.

أمة لا يهمها أحفيت أم انتعلت ، أعريت أم اكتست ، أجاعت أم شبعت...

كل الأحوال عندها سواء ، ومتى كانت الأمة كذلك ، فهي أقوى الأمم احتمالاً ، وأصبرها على المكاره ، وأقربها إلى النصر المبين !!!

## عمر يدعو إلى الاحتراف والتخصص!

وذكر له إتلاف شباب من قريش أموالهم .

فقال : لحرفة أحدهم أشد علي من عيلته .

وقال : حرفة يعاش بها خير من مسألة الناس .

و عمر في هذا يمضي تبعًا لرسول الله — ﷺ — .

إنه يدعو إلى الاحتراف ، أن يكون للمرء عمل يتقنه ، ويواظب عليه ، ويقول إن ذلك خير

من مسألة الناس ، خير من السؤال والتكفف .

نفس توجيه رسول الله – ﷺ – للأمة ، حين وجهها إلى العمل ، ونهاها عن المسألة .

وحين ذكروا له إتلاف شباب من قريش أموالهم ، وأنهم لا يحسنون إدارتها، ولا تنميتها. ولا استغلالها ، وإنما يبددونها تبديدًا.

غضب وقال لحرفة أحدهم أشد علي من عيلته ... أي: تعليم أحدهم حرفة يحسنها ، ويتعيش منها ، أشد صعوبة على عمر ، من فقر الشاب من شباب قريش .

ذلك أن فقرهم قد يكون فيه صلاحهم ، ولكن تركهم يتصعلكون بدون حرفة ولا عمل. ويتعودون بذلك ترف الأمراء والنبلاء الذين يرتفعون عن العمل ، هذه مشكلة أشد على عمر من كل مشكلة .

إنه يريد أن يعودهم الحرفة ، وأن يجعلهم يحسنون تلك الحرف ، فيحفظوا بذلك أموالهم من الإتلاف والضياع .

وذلك المفهوم من عمر هو الذي ينبغي أن يستقر في رءوسنا جميعا ، ونحن نتطلع إلى حياة أفضل وأرقى .

ينبغي أن نعلم أن العمل شرف ، وأن الحرفة لازمة ، وأن إحسان كل إنسان لحرفته هو طريقه الأوحد نحو حياة أرقى وأفضل .

وأنه ينبغي أن يقضي على التصعلك والتسكع الاجتماعي .. أن يقضي على أولئك الذين يريدون علوا في الارض بغير الحق بغير العمل والكدح ، وإنما بانتهاب الفرص ، وظلم الغير!!!

## عمر يأمر بالتعريب!

دائمًا وأبدًا تتبع اللغة قوة الدولة التي تتكلمها ، هذه هي الإنجليزية تنتشر في كثير من الدول ، وهذه هي الفرنسية كذلك ، لماذا ؟ ؛ لأن الامبراطورية الإنجليزية والامبراطورية الفرنسية كانتا يومًا من الأيام قوة دولية يحسب لها حسابًا .

ولقد كانت الدولة الإسلامية في عهد عمر أعظم دول العالم في كل شيء ..

أعظمها رسالة ، وهل هناك أعلى من رسالة الإسلام ؟! وأعظمها شعوبا ، وهل هناك أعظم من شعب رباه رسول الله – ﷺ – ؟!

وأعظمها ثروة ، وهل بقي من ثروات العالم شيء لم يدخل إلى خزانتها ؟!.

وأعظمها عدلاً، وهل حملت الأرض أعدل من عمر ، و نواب عمر ؟!

وأعظمها قوة ، وهل هناك أقوى من جيوش عمر ؟!

وحين اكتملت لها تلك الاسباب المؤدية إلى العظمة ، تابعتها لغتها اللغة العربية ، لغة القرآن،

وانتشرت بانتشارها .

هذا من الناحية الدولية ، أما من ناحية الذاتية فإن اللغة العربية ، هي لغة القرآن ، والحديث، والفقه ، والأحكام الشرعية

والفرد المسلم ، والدولة الإسلامية ، مؤسسة على التقوى ، على القرآن ، فلابد من العربية للوصول إلى معاني القرآن ، والى إحسان عبادة الله

ومن هنا وجه عمر توجيهاً معيناً في هذه الناحية ...

فقال: تعلموا العربية ، فإنها تثبت العقل ، وتزيد في المروءة .

وقال: تعلموا النحو كما تتعلمون السنن والفرائض

وقال: تعلموا إعراب القرآن كما تعلمون حفظه

وقال: الشعر جذل ( أصل ) كلام العرب .

إلى آخر هذه التوجيهات التي خطط بها عمر للأمة العربية والإسلامية سياستها اللغوية

ذلك أن القرآن عربي ، وان رسول الله عربي ، وأن لغتها عربية فينبغي أن نتعلم تلك اللغة ، لنتمكن من معرفة آثارها .

كيف أفهم القرآن .. إن لم أدرك معانيه ، وكيف أدرك معانيه ان لم أدرك اللغة العربية ، أو كيف أدرك اللغة العربية إن لم أدرك معانيها ونحوها واعرابها وشتى فنون لغتها ؟

ومن هنا كان تعلم اللغة العربية ضرورة لهذه الأمة للحفاظ على مقدساتها ومقوماتها ..

ومن ناحية أخرى فان توحيد لغة التخاطب يقرب الأمم المتخاطبة في أذواقها وعاداتها وثقافتها .

وييسر المعاملات ، وييسر تذويب الفوارق بين الأقطار .

فحين يخطط عمر للأمة هذا التخطيط ، ويدعوها إلى تعلم العربية ، فهو يذلك ينظر نظر السياسي الحصيف الذي يعلم من أين يكون طريق الوحدة بين الشعوب ؟

ولقد ظلت الأمة الإسلامية تتخاطب بالعربية ، وتتعلم العربية ، حتى غفلت عن رسالتها ، وضعفت قوتها ، فدخلها المستعمرون من أقطارها ، وكان أول شيء دمروه هو لغتهم ، اللغة العربية ..

وكما هو الشأن دائماً حين يقلد الضعفاء الأقوياء في كل شيء ، فإننا قلدنا المستعمرين في لغاتهم ، وتبرأ البعض منا من العربية !!

وحسبك دليلا على إدراك المستعمر لأثر اللغة العربية في الشعوب الإسلامية أن الاستعمار الفرنسي حين دخل الجزائر العربية الإسلامية عمل على فرنستها ، وعلى محو اللغة العربية من الجزائر!!!

وإنه لمن دلائل اليقظة في مصر ، وبعض الدول العربية ، أنها أعلت قدر اللغة العربية في مراحل التعليم ، وجعلتها اللغة الأولى في المدارس.

وهذا يمضي مع تخطيط عمر حين أمر بتعليم العربية ، ونحوها ، ومعانيها .

ونحن نريد مزيدا من إعلاء مقام اللغة العربية ، ونحن قادمون على مرحلة النهضة...

إن أول مقومات الدولة العربية — هي لغتها — هي اللغة العربية، فينبغي أن تكون هناك خطة مدروسة لتعليم تلك اللغة ، فإنها خير وسيلة لتوحيد الشعوب العربية.

وفي بلدنا هذه بالذات في مصر ، ينبغي أن نطارد كل أثر من آثار الاستعمار في لغتنا.

هناك محلات تجارية تكتب لافتاتها بعناوين أجنبية بارزة ، وهذه رجعية نحو الاستعمار .. ينبغي أن تزول هذه الآثار نهائيا ، ونحن في ظلال دولة حرة.

هناك من المصريين أعداد ما زالت تتخاطب باللغات الأجنبية ، وهذه كلها رواسب استعمارية ينبغي أن تختفي إلى الأبد.

وهناك مدارس أجنبية تنشئ المصريين على احترام لغاتهم قبل اللغة العربية ، وهذه عفونات يجب الخلاص من آثارها.

وهناك كثير غير هذا .. يمكن للدولة تتبعه ، فإنه من آثار الاستعمار و عفوناته.

## من أصلح الناس للسياسة ؟

جاء إلى عمر رجل فقال له : يا أمير المؤمنين لا أبالي في الله لومة لائم ، خير لي ، أم أقبل على نفسي ؟

فقال : أما من ولي من أمر المؤمنين شيئا فلا يخف في الله لومة لائم ، ومن كان خلوًا .. من ذلك فليقبل على نفسه ، ولينصح لولي أمره.

إن هذا الأمر لا يصلح له إلا الليّن في غير ضعف، والقوى في غير عنف

إن قريشًا تريد أن تكون مغويات ( مصائد ) لمال الله تعإلى دون عباد الله ، وأنا حيّ ، فلا والله.

ألا وإني آخذ بحلاقم قريش عند باب الحرة ، أمنعهم من الوقوع في النار.

لقد ألنا و إيل علينا (ولينا وولي علينا ).

من استعمل رجلا لمودة ، أو قرابة ، لا يحمله على استعماله إلا ذلك، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين .

« ومن استعمل رجلاً فاجرًا ، وهو يعلم أنه فاجر، فهو مثله »

هذه خطوط عريضة في مفاهيم عمر السياسية ..

إنه يرى أن الحاكم يجب ألا يخف في الله لومة لائم ..، ويجب عليه أن يقيم حدود الله في قوة، لا يبالي على من كان الحق.

ويرى أنه لا يصلح للحكم إلا الليّن في غير ضعف، والقوى في غير عنف

ما معنى هذا ؟ .. معناه أن السياسي الماهر ، هو الذي يبدو لينا ولكن في غير ضعف ، في غير عجز عن الشدة إذا لزم الأمر .

أي أنه ليس ضعيفا في نفسه ، أو عاجزًا عن العنف ، وإنما هو يسوس الأمور في لين للمصلحة العامة.

" والقوى في غير عنف " أي : أن يكون الحاكم قويا . عنده كل أسباب القوة ، ويقدر على استعمالها أو تسليطها على من يشاء ، ولكنه في غير عنف ، أي: لا يستعمل تلك القوة إلا لضرورة، إلا إذا لزم الأمر استعمال القوة.

وخلاصة رأي عمر ، أن السياسي الناجح ، هو الذي يكون عنده أسباب القوة ، إلا أنه لا يستعملها إلا إذا حتمت الظروف عليه استعمالها.

وهذا هو رأي الإسلام دائما .. أنه يطلب أن تكون الدولة الإسلامية في أعلى مستويات القوة إلا أنه يكره الاعتداء « ولا تعتدوا » ، ويحتم على الدولة الإسلامية ألا تستعمل قواها إلا لضرورة إلا لدفع عدوان محتمل أو واقع.

ويرى عمر أن قريشًا ، — وهي أسرة الخلافة في الناس — تريد أن تكون مصائد لمال الله تعالى دون عباد الله ، وهو حي!

ويعجب عمر من ذلك .. كيف يريد قوم من قريش أن يكون لهم امتياز ، ولو شيئا قليلا على الناس ، في الأموال العامة ؟!!

ثم كيف تحدث هؤلاء أنفسهم بذلك ، وهو حيّ ، وهو بينهم يقيم الحق فيهم ؟!

فلا والله ؟! . لن يكون هذا أبدًا، وأنا حيّ، لن يكون فيهم إلا الحق ، لن يسمح لهم من الأموال العامة إلا بحقهم إلا أن يكونوا كسائر الجماهير ، فلا امتياز لهم لأنهم من الأسرة الحاكمة ، ولا امتياز لهم في مال الله تعالى من دون الناس .

أبدًا لن يكون ...، وهذا الرأي من عمر ، هو كذلك رأي الإسلام، وهل عمر إلا تطبيق الإسلام ؟.

إن الإسلام لا يسمح أبدا لأسرة من الأسر ، أن تتميز على الناس في الأموال العامة.

فليس في الإسلام أسرة لها حقوق مالية فوق حقوق الجماهير.

وليس في الإسلام أسرة تجري أيديها إلى الأموال العامة كيف تشاء ، وتحرم على الجماهير ما لم تحرمه على نفسها ، وأعضائها.

إنها عفونات فرضت على العالم الإسلامي فرضا .. فرضها الاستعمار ، أو الانتهازيون علينا.

ولكن الإسلام عدالة مطلقة ، و مساواة مطلقة ، ينظر إلى الناس جميعًا على أنهم من تراب، وأبناء لآدم ، ولا فرق بين إنسان وإنسان.

فإذا اقتضت طبائع الأمور أن يكون هناك حاكم ، فليس معنى هذا أن هذا الفرد ، له امتيازات مالية على سائر الجماهير.

كلا ، وإنما هو واحد منهم ، ليس له إلا ما للفرد العادي المتوسط منهم ، وإنما هو على حد تعبير عمر ، أثقلهم حملا ، أمام الله.

فإن قالوا : كيف ؟.. قلنا على الفور : هاكم عمر أصدق صورة تطبيقية للإسلام ، ينادي بأعلى صوته : والله ، لن يكون هذا، لن أسمح لقريش أن تمتاز على الناس في شيء من المال !.

ونحن نسجل هذا ، ونعلنه إلى العالم كله ؛ ليبرأ الإسلام مما ينسب اليه زورًا وكذبا !!!

## تحريم تعيين الأقارب والأصدقاء بغير حق!

ثم يطلق عملاق الحق أخطر مبدأ في العدالة العامة حين يقول : من استعمل رجلا لمودة، أو قرابة ، لا يحمله على استعماله إلا ذلك ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ، ومن استعمل رجلا فاجرًا ، وهو يعلم أنه فاجر فهو مثله!! .

من هو الخائن ؟ .. هو الذي يعين في وظيفة ، أحدًا ، لقرابة، أو مودة!!.

وعمر بهذا يجتث شجرة المحسوبية من جذورها ، ويستأصلها استئصالاً.

وعمر بهذا يسمو على كل نظام ، ويرتفع فوق كل مذهب ، اشتراكي أو رأسمالي ، أو غير ذلك.

وعمر بهذا يعتبر أستاذ الأجيال ، وعملاق السياسة...

عمر يتهم بالخيانة العظمى ، من يستعمل في وظيفة إنسانًا لقرابة أو مودة أو صداقة !.

خائن لله ، خائن لرسول الله ، خائن للمؤمنين .. من هذا ؟! .

لماذا كل هذا؟.. لماذا يقيم الدنيا ويقعدها عمر من أجل هذا ؟!.

؛ لأن عمر آنس من جانب القضية تهديدا للحق، وتهديدا لكيان الأمة كلها.

فمتي امتدت المحسوبية إلى بنيان أمة من الأمم، فقد أصبح البناء كله آيلا للسقوط.

ولقد صدقت حاسة عمر هذه حين وقع في زمن الخليفة من بعده في عهد عثمان ، شيء من تولية الأقارب ، فكانت الكارثة الكبرى كارثة الفتنة الكبرى.

يااللإلهام يا عمر ! إنك تحس بعبقريتك ، وحاستك العالية أن المحسوبية أخطر داء يصيب نظام الحكم في دولة من الدول.

من هنا اعتبرها عمر أغلظ وأفحش خيانة ، فصاح صيحته الكبرى من استعمل رجلا لمودة أو قرابة لا يحمله على استعماله إلا ذلك ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين.

اعتبرها خيانة لله ؛ لأنه خان الأمانة الكبرى التي حملها ، أمانة الحكم أمانة العدل، الذي أمره الله أن يقيمه في الناس.

واعتبرها خيانة لرسول الله ؛ لأن رسول الله أمر بالعدل ، وهذا قد ارتكب أفحش أنواع الظلم.

واعتبرها خيانة للمؤمنين ، وللجماهير كلها ؛ لأنه ظلم الشعب حين وكل أموره إلى غير أهلها.

وجلجل بها عملاق الحق عالية في الآفاق . . فصارت قاعدة من قواعد الحكم في الإسلام.

لا يجوز أن يعين إنسان ؛ لأنه صديق لذي سلطة ، أو قريب.

فهل استطاع نظام في العالم أن يرتفع بنزاهة الحكم إلى مثل ارتفاع عمر ؟!

لم يستطع نظام أن يرتفع ذلك الارتفاع ، وما زالت أكثر نظم العالم، تضعف أمام تلك الغرائز، غريزة الصداقة ، وغريزة القرابة.

والآن ونحن نبني مستقبلنا ، ونطرح عفونات الماضي ، عفونات المحسوبيات ، و تعيين الأقارب والأصهار والأصدقاء.

ماذا ينبغي علينا في تلك المرحلة ؟ ... ينبغي علينا أن نستيقظ على صيحة عمر ، وأن يستقر في عقولنا ذلك المفهوم الخالد الذي أطلقه الرجل.

فلا نعيّن في وظيفة عامة أحدًا لقرابة أو لصداقة ، ولكن للكفاءة وحدها ، ولصلاحية المنصب ليس إلا.

وبذلك نؤمن بناء الدولة كله من أخطر داء ، داء المحسوبية.

ويجب أن يستيقظ حكامنا ، وأهل السلطة منا ، على صوت عمر ، صوت الحق ، صوت الإسلام ، حين يحذرهم فيقول: ومن استعمل رجلا فاجرًا ، وهو يعلم أنه فاجر فهو مثله.

فهو فاجر مثله ؛ لأن الذي يستعين بفاجر فاجر ، وشبيه الشيء منجذب إليه.

وينبغي أن يراجع كل عربي ، وكل مسلم نفسه ، ويصحح تفكيره على أساس من تصحيح عمر.

إن هناك مفهوما خاطئا مترسبًا في عقولنا.

إننا نفهم أن للرجل إذا كان صاحب سلطة أن يعين أقاربه ، وأصدقاءه في الوظائف الخالية قبل غيرهم.

وهذا فهم متعفن ، ينبغي أن يزول، وأن يتبدد ، وأن يحل محله مفهوم عمر الخالد : مَن استعمل رجلاً لمودة أو قرابة ، لا يحمله على إستعماله إلا ذلك ، فقد خان الله ، ورسوله ، والمؤمنين.

ونغادر تلك القاعدة العظمى من عمر ، لندخل إلى قاعدة أخطر وأخطر.

## إنما يأسف على الحب النساء!

قال عمر ، لابي مريم السلولي – قاتل زيد بن الخطاب شقيق عمر بن الخطاب :

والله لا أحبك ، حتى تحب الأرض الدم المسفوح .

قال أبو مريم : فتمنعني لذلك حقا ؟

قال : لا .

قال : فلا ضير ، إنما يأسف على الحب النساء .

هذا تصريح خطير جدا . . رئيس الجمهورية الإسلامية الأعظم، يلتقي بالرجل الذي قتل أخاه زيدًا بن الخطاب ، الذي كان يحبه عمر حبًا شديدًا ، وبكي بكاء شديدًا حين بلغه خبر استشهاده..

ثم أسلم القاتل بعد ذلك ، وأصبح من رعية عمر...

والتقى به عمر يومًا فصارحه بحقيقة شعوره نحوه : والله لا أحبك..

كيف يستطيع عمر أن يحب رجلا قتل أخاه ؟.

شيء لا تستطيعه النفس البشرية ... والله لا يؤاخذ الإنسان بما لا يملك ، وما فوق طاقته.

فقال القاتل : فتمنعني لذلك حقا ؟.

يستفسر الرجل ، هل كُره عمر له ، يدفع عمر إلى ظلمه ، وإلى منعه حقه بما له من سلطات مطلقة ؟.

فماذا قال عمر ؟. قال : لا.

فخلدت إلى ما وراء الخلود .. خلدت عند الله ، و أصبحت كلمة باقية عنده ، باقية عند

الناس ، يتناقلونها فيما بينهم من عظمة ما فيها من النور.

لا أمنعك حقك — لأني أكرهك — بل أعطيك حقك ، وأعدل فيك كما أعدل في غيرك.

وهنا اطمأن الرجل ؛ واستقرت نفسه ، وقال: إنما يأسف على الحب النساء !.

لماذا بلغت تلك القاعدة ذلك المبلغ من الخطورة ؟!

؛ لأنها أصل عام من أصول الحكم في الإسلام .

عمر حرم على نفسه أن يظلم الرجل — رغم أنه لا يحب الرجل — رغم أن الرجل هو قاتل أحب إخوته إليه !!!

فمَن من رؤساء الدول الآن أو قبل الآن يستطيع أن يعدل في إنسان قتل أخاه ؟.

لا أحد ، ولكن عمر هو ذلك الأحد ، ويأمر بذلك كل أحد ؛ لأن الإسلام دين كل أحد.

وأنا أعرض هذا الفعل من عمر على السادة رؤساء دول العالم الحديث ! وأقول لهم : من منكم يستطيع هذا ؟.

فإن قالوا : ليس منا من يستطيع أن يعدل في رجل قتل أخاه...

قلنا : إذا لماذا تظنون بشعوبنا الظنون ..، وتستبيحون لأنفسكم أن تحولوا الجماهير العربية والإسلامية إلى ما عندكم من نظم اشتراكية أو رأسمالية ، وتلك الجماهير تملك ما هو أعلى وأعظم؟!

تملك عمر الذي استطاع أن يقرر تلك القاعدة الخالدة..

وتملك ما وراء عمر ، الإسلام الكامل المتكامل ، الذي علم عمر أن يكون كذلك ، وعلم ألوفًا غيره ، وسيظل صالحًا أبدًا ؛ لأن يعلم البشرية كلها كيف يكون العدل في الناس ؟

نحن عندنا بحار النور ذاتها .. تسع الجميع أن يسبحوا فوق

أمواجها ..، وهي باقية بعد ذلك تتموج ، وتتموج إلى شاطئ الحقيقة.

ولكنكم أنتم ليس عندكم شيء ..، واللهِ ليس عندكم شيء..، سراب تحسبونه شيئا ، وما هو بشيء.

قد أخبرنا الله بذلك، وإن خبره لهو الحق اليقين : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [النور ٣٩]

أنتم يا من تريدون أن نتحول عن كنوزها، إلى ما عندكم، مساكين، تعيشون في ظلام.. ونحن لا نريد أن نتحول من النور إلى الظلام!

ما عندكم وهم ، سراب ، وما عندنا حق ثابت ، واقع ماله من دافع ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴾ [فاطر ١٩، ٢٠]

فإن قلتم : إنما كان ذلك عبقرية فريدة من عمر وحده لا تتكرر من بعده.

قلنا : ما كان عمر إلا تنفيذا لقول الله تبارك وتعإلى ، في كتابنا الخالد العظيم المسمى بالقرآن ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾ [المائدة ٨]

أي : لا يدفعنكم بغض قوم على ألا تعدلوا فيهم ، اعدلوا عموما، بلا تمييز بين من تكرهون، ومن تحبون.

هذا مفروض على عمر ، وعلى غير عمر ، وهذا ما يميز نظامنا نظام السماء . عن نظمكم المظلمة ، نظم الأرض.

؛ لأن كل تصور منكم للعدالة قاصر ، محدود بحكم محدودية تفكيركم البشري.

ولكن علم الله ، أعلى وأشمل ؛ لأنه يعلم ما لا تعلمون ، فكان نظامه أكمل وأشمل.

هل يدري الناس؟ لماذا تخطفت المذاهب الاقتصادية الحديثة أبصار شبابنا وفتياتنا ؟.

؛ لأنهم لم يجدوا فكرة أعلى من تلك الأفكار ، ولا مذهبا اقتصاديا أرفع من مذاهبهم.

ولو أنهم وجدوا فكرة أعلى من فكرة ، ومذهبًا أرقى من مذهب لأعرضوا عن الرأسمالية وغير الرأسمالية ، ولولوا إلى الأعلى والأعلى ، وهم يتنادون : دعونا نغترف من الحقائق والأنوار.

ولكنهم وجدوا عرضا ذليلا كئيبا .. وجدوا مفاهيم منسوبة إلى الإسلام تدعو إلى الكآبة والتدهور.

فأعطوها ظهورهم، وهرعوا إلى المذاهب الحديثة المعاصرة يلتمسون عندها التطور والحياة.

ولو أنا عرضنا عليهم الإسلام عرضا يناسب عصرنا الصاروخي.. عصر الفضاء.

ولو أنا كشفنا لهم عن كنوزه المطموسة تحت ظلمات القرون الطويلة..

ولو أنا استنبطنا لهم منه المفاهيم المتطورة الهادفة ، وقدمناها إليهم في رفق وجمال وتنسيق، يثير إعجاب الإنسان الحديث.

لو أنا فعلنا شيئا من هذا لما تحول شبابنا أبدًا عن إسلامه العظيم..

ولكن الذي حدث كان غير هذا .. قدمنا إليهم الدين في مواعظ وتسابيح ، وصلوات، وابتهالات .. ووقفنا عند هذا .. حتى هذه لم نحسنها ، ولم نقدمها كما أنزلها الله على رسوله وإنما أضفنا إليها سخافاتنا ، و ظلماتنا، وأهوائنا . فجاءت مسخا ، وبلبلة لا تؤدي غرضا ، ولا تصل

قلبا بربه.

فحق لشبابنا أن يتحول ، وأن يبحث عن أي فكرة يعتنقها غير هذا !.

إنما تستأصل المادية بالفكرة ، ولا تستأصل بالقوة.

وانما الإسلام أعلى فكرة ، وأقوى فكرة ، ولكنها حتى الآن مطموسة ، غير ملموسة ولا محسوسة.

ولو جلوناها .. وآتيناها الناس .: لآووا إليها ، ووجدوا فيها الراحة ، والجمال ، والعدالة والمساواة..

ويومئذ يتفرقون .. عن غيرها !!!

## فلسفة عمر ... بقلم عمر!

قال عمر : « ليس خيركم من عمل للآخرة وترك الدنيا ، أو عمل للدنيا وترك الآخرة.

ولكن خيركم من أخذ من هذه ومن هذه.

وإنما الحرج في الرغبة فيما تجاوز قدر الحاجة ، وزاد على حد الكفاية.

فإنها فضول لا تجدي ، وزوائد لا تغني.

وتحمل المرء في اشتغاله لها ، والنظر فيها على التقصير عما فيه الفائدة والتأخير عما فيه العائدة.

والعقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب ؟ وترك فضول الدنيا من العقل ، و ترك الذنوب من الفرض » .

هذه هي فلسفة عمر كلها ، بقلم عمر نفسه.

فلو سُئلت : ما هي فلسفة عمر في كلمات ؟.. فقل على الفور: هذه هي..

ليس خيركم من عمل للآخرة وترك الدنيا ؛ لأن الاسلام يبغض التخلخل في الشخصية.. يبغض أن يتفرغ الإنسان للآخرة ويترك الدنيا .. لماذا ؟

؛ لأن فكرة الاسلام في الحياة أن يباشر الإنسان تجربة الحياة ، أما أن ينسلخ منها ، ويفر إلى طقوس الآخرة وحدها ، فذلك شيء يبغضه الله..

؛ لأن الله لم يخلق الإنسان ؛ ليكون مما يأكل ، ويشرب وينكح ويبول ، ولا شيء بعد هذا!

لم يخلق الله الإنسان ؛ ليزيد البهائم أعدادًا أخرى ، وإنما خلقه ليكون إنسانًا .. فكيف يحقق

الإنسان إنسانيته ؟.

هل يعيش راهبًا متفرغًا لشئون الآخرة ، أم يعيش حيوانًا منطلقًا إلى لذاته ، متفرغا لشئون الدنيا ؟

ها هو عمر يجيب على السؤال، ويرشدنا كيف يعيش الإنسان إنسانا ؟

ولكن خيركم من أخذ من هذه ومن هذه . هذا هو خير الناس ، هذا هو الإنسان الذي يريده الله من خلق الجنس البشري كله .

الإنسان بخيره وشره ، بخطئه وصوابه ، بملائكيته وشيطانيته..

هذا هو الإنسان الذي يريده الله من الحياة كلها..

الإنسان الذي يدخل الحياة ، ويصطلى بنارها ، آنا يسعد ، وآنا يشقى، آنا يخطئ ، و آنا يصيب ، آنا يسمو ، وآنا يهبط ، وآنا يحارب ، وآنا يسالم ، آنا يضحك وآنا يبكي ، آنا يحب وآنا يبغض ، وآنا يثرى وآنا يفتقر ..

هذه هي الحياة التي يريدها الله .. وهذا هو الإنسان الذي يحبه الله.

أما أولئك الذين انسلخوا من حياتهم ليفرغوا للآخرة فإنهم موتى لم يشاركوا في الحياة ؛ ليكونوا أحياء .

وأما الذين انطلقوا يمرحون في دنياهم ، وتركوا آخرتهم فإنهم بهائم ، وليسوا ناسًا ..

أما الإنسان فهو هذا الذي حدده عمر..

ونظرة عمر هذه إلى الإنسان ، هي نظرة الإسلام للإنسان. وهل كان عمر إلا الإسلام؟.

وفيها رد على السادة الذين يشطحون في عالم المثال شطحًا بعيدًا..

ويريدون الناس أن يتابعوهم على شطحهم ، وأن ينسلخوا من دنياهم إيثارا للآخرة..

وهذه رجعية في هذا الدين ، رجعية إلى الوراء .. إلى رهبانية المسيحية التي جاء الإسلام ؛ ليحرر الإنسان من قيودها .. وسجنها الرهيب.

ومن أحق بالاتباع . عمر أم الشاطحين ؟!

أم من هو أهدى سبيلاً .. عمر أم هؤلاء ؟!

أم من هو أفقه الإسلام وطبيعته .. هم أم هو ؟!

وأنا لا أستطيع أن أسلم قيادي إلى هؤلاء ..

مهما أوتوا من حكمة و آداب ، ولكني أستطيع أن أسلم إلى عمر قيادي ، وأنا شديد الثقة أنه لن يسلمني إلا إلى خير.

فإذا قال عمر : ولكن خيركم من أخذ من هذه ومن هذه .

وجب فورا أن أومن أن قول عمر هو أهدى سبيلا ..

وإذا قال عمر : ليس خيركم من عمل للآخرة وترك الدنيا.

وجب فورًا أُومن من أن قول عمر هو القول ، وأن ما يخالفه ليس حقًا.

ولقد قرر عمر ميزان الشخصية التي يحبها الإسلام ، وصفات الإنسان الذي يعتبر خير إنسان..

وهذا المفهوم من عمر هو ما نريد أن نركزه في قلوب شبابنا وجيلنا الصاعد..

نريد أن نركزهم على توجيه عمر ، توجيه الإسلام ؛ لتتوازن شخصية الشاب ، وتتوازن شخصية الفتاة ، من بداية الحياة.

ولكن خيركم من أخذ من هذه و من هذه .

خير شاب من أخذ من الآخرة ، ومن الدنيا..

يؤدي حق الله عليه ، يعبده ، ويوحده ، ويتجه إليه..

ويؤدي حق نفسه عليه ، يعلها ويربيها، ويحترف في حياته الحرفة التي يعيش منها ويشارك في المجتمع بها.

وخير فتاة هي تلك التي تؤدي حق الله عليها ، توحده ، وتعبده، و تتجه إليه..

وتؤدي حق نفسها عليها ، تتعلم ، و تتربي، وتحسن صناعتها في الحياة ، صناعة الأنثى والزوجة ، والأم وربة البيت ، و تعمل في المجتمع بعد ذلك جنبا إلى جنب مع العاملين.

شخصية متوازنة .. لا رهبانية منقطعة عن ركب الحياة ، ولا بهيمية منطلقة تعب من الشهوات، ولكن بين بين !!!

## الحرج فيما تجاوز قدر الحاجة!

ثم يوجه عبقري العباقرة المجتمع كله إلى الوجهة التي يحقق فيها كل فرد ، شخصيته المتوازنة، ويحقق فيها المجتمع بعد ذلك، شخصية المجتمع المتوازنة..

فيقول : وإنما الحرج في الرغبة فيما تجاوز قدر الحاجة ، وزاد على حد الكفاية .

ما هذا ؟ .. هذه فلسفة عمر يا سادة ..

" إنما الحرج " .. إنما الخطأ ، إنما الانحراف .. في الرغبة في تجاوز قدر الحاجة .. أن يرغب الإنسان في المال الذي يزيد عن مقدار حاجته ، أن يعمل لجمع ما يزيد عن حاجياته ..

هذا هو الانحراف عن سواء السبيل ..

ثم يحدد عمر هذا التجاوز تحديدًا دقيقًا جدًا ، يقول : وزاد على حد الكفاية.

الخطأ أن تتجاوز قدر حاجتك في الحياة ، ولكن ما هي حدود هذا التجاوز .. هو أن تزيد على حد الكفاية.

خذ من الحياة المال الذي يكفيك ، ودع ما بعد ذلك لغيرك.

أرأيت ؟.. ينبع من نفس توجيه رسول الله – ﷺ – لا تلام على كفاف. وما كان لعمر أن يخرج عن توجيه رسول الله – ﷺ –.

إلا أن عمر لا يطلق القضية عنواناً بلا فصول ، وإنما يدخل إلى التفصيل، والحيثيات ، والأسباب ، ويتولى التدليل على مذهبه الذي ذهب إليه.. فيقول:

فإنها فضول لا تجدي ، وزوائد لا تنفع ولا تغني ؟.. فإن المال إذا زاد عن حد الكفاية ، عن الحد الذي يكفي الإنسان ، فإنه فضول لا تجدي ، أي زوائد لا تنفع صاحبها ، ولا تغني جامعها.

إنه سيدخل بها إلى منطقة الإثم والظلم ؛ لأنه أخذ أموالا ليس هو في حاجة اليها ، فحرم بذلك منها من هو في حاجة إليها ، وأي ظلم بعد هذا؟!

تحديد دقيق جدا من عمر ، زوائد لا تنفع جامعيها ، وماذا يفيد الإنسان من مال ليس هو في حاجة إليه ؟.

لا شيء .. انها لن تغنيه عند الله ، وإنما ستوبقه ، وتهلكه ، وتؤدي إلى عذابه الشديد.

ثم يزيد عمر المسألة شرحا وتفصيلا فيقول : تحمل المرء في اشتغاله لها ، والنظر فيها على التقصير عما فيه الفائدة ، والتأخر عما فيه العائدة..

إن المال الزائد عن الحاجة ، الزائد عن الكفاية ، يستغرق طاقة الإنسان ، فهو يشتغل بهذا المال ، وينهمك في النظر في تثميره وحفظه.

فيؤدي ذلك بالمرء إلى التقصير عما فيه الفائدة والتقصير في الاشتغال للآخرة ، فيهمل الإنسان آخرته لدنياه ، والتأخر عما فيه العائدة. فيتأخر المرء عن الأعمال التي تعود عليه بالثواب العميم عند الله..

فأي خسارة أعظم من تلك الخسارة ؟.

فالعاقل إذًا من أعرض عن جمع المال إذا زاد عن حاجاته . وحد كفايته..

وها هو عمر يقرر ذلك فيقول : « والعقلاء تركوا فضول الدنيا ، فكيف بالذنوب ؟ . وترك فضول الدنيا من العقل ، وترك الذنوب من الفرض » .

وهذه هي حدود فلسفة عمر ، بقلم عمر ، ترك فضول الدنيا من العقل ، ترك زوائد المال، الأعراض عن جمع ما زاد عن حد الكفاية من العقل.

العقلاء تركوا فضول الدنيا .. العقلاء هم الذين أعرضوا عن جمع المال الذي يزيد عن حاجاتهم، عن كفايتهم ، وإذا جاءتهم أموال تزيد عن حاجاتهم تركوها ، تصدقوا بها على الذين هم في حاجة إليها ، الذين ليس عندهم ما يكفيهم !.

عجائب .. والله عجائب يكشف عنها عمر ، ولست أدري ، أين غابت هذه الغرائب عنا حتى اليوم ؟.

مرة أخرى أقول : الإسلام الصحيح مطموس ، مطموس تحت أكداس من العفونات العقلية ، والشهوات العلمية .

وإنها لجريمة ، وعظيمة العظائم ، أن تطمس هذه الحقائق العليا من الإسلام ، و تغيب عنا حتى اليوم !!!

لقد وضع عمر أصول سياسته العامة في ألفاظ معدودة : العقلاء تركوا فضول الدنيا ... وترك فضول الدنيا من العقل.

فالعقل عند عمر ، المجتمع العاقل عند عمر ، المجتمع الراقي أن يترك كل مواطن فيه ما زاد عن كفايته وحاجته ، لمن لم يجد حاجته وكفايته.

فأنار الرجل الطريق أمام البشرية كلها بكلماته المعدودات وحفظ بعد ذلك للبشرية أعز معانيها ، حفظ عليها معرفتها بالله ، خالقها ورازقها..

فلم يشطح شطح الرهبان حين قالوا : دع دنياك لآخرتك.

ولم يتدهور تدهور الماديين حين قالوا : إن هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، وما نحن بمبعوثين.

وإنما وقف أمرا وسطا بين بين ضائعين ، ونادى خيركم من أخذ من هذه ، ومن هذه..

ثم دخل إلى القضية من أوسع أبوابها فلم يترك الأمر للأهواء به تتلاعب ، وإنما حدّد وسدّد، ونادى بأعلى صوته : الحرج في الرغبة فيما تجاوز قدر الحاجة وزاد على حد الكفاية ... وترك فضول الدنيا من العقل.

فاستقامت القضية ، قضية المال ، أمام الجماهير ، وأصبحت شمسًا تشرق في سماء الحياة.

وكان لبابها خيركم من أخذ من هذه ومن هذه .

والحرج فيا زاد على حد الكفاية .

ووضع عمر في تاريخ الإنسان إلى الأبد ، حقيقة الآدمي التي يريدها الله منه ، ويجب أن

يكون عليها.

أن يأخذ من هذه وهذه ، وأن يأخذ من المال كفايته ويترك ما زاد لغيره

وهذه هي الدائرة التي رسمها عمر ، عملاق الإسلام ؛ ليدور فيها الإنسان دائما.

وهذا هو الهدى ، وهو الطريق الذي يحبه الله ، ويرضاه لعباده.

ويمكن لكل إنسان أن يعرف هل هو على الحق أو منحرف عن الحق، إذا قاس نفسه بذلك المقياس.

ولو لم يكن من عمر غير تلك الكلمات الباقيات الصالحات الخالدات لكانت كافية ؛ لأن تنير الطريق للناس كافة إلى الحق والخير والعدل.

ولو لم يكن من عمر إلا تلك الكلمات ؛ لكانت حسبنا أن نرفعها عاليا...

لقد أنار لنا عمر طريقنا ، وأرشدنا كيف نكون خير الناس ، وكيف نكون خير العالمين.

عمر حفظ علينا إيماننا بربنا ، فكرم إنسانيتنا.

وحفظ علينا بعد ذلك دنيانا التي فيها معاشنا ، فكرم مجتمعنا!!!

## الإنسان ورزقه!

قال عمر : ليس من عبد إلا بينه وبين رزقه حجاب ، فإن اقتصد أتاه رزقه ، وإن اقتحم هتك الحجاب ، ولم يزد في رزقه .

هذا هو عمر ، فيلسوف الفكرة الإسلامية ، يكشف ، لنا أسرارًا أخرى من الحياة...

ليس من عبد إلا بينه وبين رزقه حجاب .

نفس المنطق القرآني ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾ [لقمان ٣٤]

وهذا هو الحجاب الذي يعنيه عمر ، وليس من إنسان إلا بينه وبين رزقه ستار يحجب عنه ما سيكون من هذا الرزق.

لا يدري أحد ماذا يكسب غدًا، أيفتقر أم يثري ؟ أيقل ما له أم يكثر؟.

حجاب عام يحجب الخلائق عن أرزاقها .. وإنه لأمر يزيد الحياة جمالاً، ويحرك الإنسانية كلها نحو السعي إلى أرزاقها.

فلولا الحجاب ما تحرك إنسان إلى تحصيل رزقه ، ولكن الجهل بما سيكون يحرك في الإنسان غريزة جمع المال ، ومحاولة الحصول عليه.

ثم يقول : فإن اقتصد أتاه رزقه .. فان اقتصد في المجهود الذي يبذله ، فلم يتهالك على جمع المال . ولم يهلك نفسه في تحصيل المادة ، لم ينقص ذلك من رزقه ، بل أتاه رزقه الذي قدره الله له، رغم أنه لم يتهالك على جمعه ، وإنما سعى إلى رزقه سعيا خفيفا.

ثم يقول : وإن اقتحم هتك الحجاب ، وإن إقتحم الصعاب ، وتهالك على جمع المال، وبذل المجهودات المضنية رأي الحقيقة .. أن مجهوده لم يوصله إلى شيء ، وإنما هو القدر السابق هو الذي يحدد للإنسان رزقه ، وليس مجهود الإنسان هو السبب الحقيقي.

وهذا هو معنى هتك الحجاب .. إن الستار سيسقط ، إن الحقيقه ستظهر لعيني المتهالك على رزقه .. إنه بذل مجهود الجبابرة ليحقق أرباحا معينة ، أو يظفر بصفقة معينة . فما باله لم يحقق هذه الأرباح ولم يظفر بتلك الصفقة ؟!.

هنا تنكشف الحقيقة .. هنا القدر .. أو هتك الستار.

إن الإنسان أراد أن يربح كذا وكذا ، وقدر للنجاح كل التقديرات ، ولكن تقديراته كلها طاشت ، ولم تحقق شيئًا !!.

فلماذا كان هذا؟؛ لأن هناك إرادة عليا فوق إرادة الإنسان، غالبة على كل الإرادات ، هي التي حالت بين الإنسان وبين أهدافه التي قدرها ، ومنحته المقادير التي تريدها هي ، لا التي يريدها هو.

لقد أدرك الإنسان المتهالك هذه الحقيقة بعد أن فشل في محاولاته لقد هتك الحجاب.

ولذلك يقول عمر ؛ ولم يزد في رزقه ، أي: أن تكالبه لم يحقق له ما يريد !.

ماذا يعني فيلسوف الفكرة الإسلامية بهذا؟. هل يعني أن نقعد عن طلب الرزق . أم يعني أن نتكاسل في أعمالنا ، ولا نجتهد في حياتنا ؟.

كلا ، ما كان عمر داعية تكاسل أو ضعف أو تراخ في عمل وهو المنادي ، لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ، ويقول اللهم ارزقني، فإن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة.

وإنما يعني عمر ، إنه لا ينبغي للإنسان أن يقتحم المعاصي ، ويرتكب الجرائم ، ويتهالك على المال ابتغاء تحصيل الرزق ، لا يبالي أمن حلال يحصله أم من حرام ، لا ينبغي للإنسان أن يفعل ذلك ، ما دام الرزق قدر مقدور من الله ، قبل أن يخلق الإنسان في بطن أمه.

فلماذا تعصي الله لتجمع المال أيها الإنسان ؟ لماذا ورزقك لن يزيد مهما ارتكبت من المعاصي في سبيل تحصيله ؟ .

هذا هو المفهوم الذي يريده عمر ، والذي يمضي مع فلسفة عمر ، والذي يمضي مع توجيه

رسول الله — ﷺ — .

ما أروع تلك الفلسفة ! وما أبعد ما بينها وبين الفلسفات المعاصرة ، الداعية إلى النجاح في الحياة ، مهما كانت الوسائل ، ومهما كانت الطريق !.

إن الاقتصاد الغربي الحر، يدعو إلى النجاح في الأعمال ، وتحقيق أكبر الأرباح ، بأقل النفقات، ولو كانت تلك الأرباح من الخمر والنساء أو الربا أو أي معصية .

ولكن عمر يقول : كلا.. لا تقتحموا معاصي الله ، لتزيدوا أرزاقكم ، ولكن اطلبوا الرزق من حلال.

وشتان ما بين فلسفة و فلسفة !!!

## ما قلّ وكفى

ثم يحدد لنا العبقري معالم نظريته الاقتصادية التي يسوس بها العالم الذي يحكمه فيقول:

اللهم لا تكثر لي من الدنيا فأطغى ، ولا تقلل لي منها فأنسى، فإنه ما قلّ و كفى ، خير مما كثر وألهى.

وتلك نظرية اقتصادية كاملة متكاملة تفوق كل النظريات المعاصرة التي يثرثر بها اقتصاديو العالم الحديث.

ونحن نرفعها خفاقة ، ترفرف على المشارق والمغارب ، وتعلن على العالم أجمع أن عمر ابن الخطاب ، دعا ربه ، بينه وبين نفسه ، دعاء بسيطًا، فإذا به يلفظ كلمات خالدات جامعات لأعلى نظرية اقتصادية في الوجود!.

ما أعجبك يا عمر ! حتى الدعاء ... الدعاء الذي يخرج من بين شفتيك أسرارًا ، تناجي به ربك حتى هذا الدعاء يحتوي على مذهب اقتصادي عجيب!.

ماذا قال العبقري ؟ .. قال : اللهم لا تكثر لي من الدنيا فأطغى. عمر يطلب من الله أن لا يكثر له من المال فتدفعه كثرة المال إلى الطغيان إلى مجاوزة حدود الله ، إلى الوقوع في المعاصي!.

هل هذا صحيح ؟ .. نعم ، وهل يطغى الإنسان إلا بسبب كثرة المال؟.

وكيف لا يكون صحيحا والواقع يحتم ذلك ، والله يسجل ذلك، حين يقول ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق ٦، ٧]

النص السماوي ، والواقع الأرضي يؤيدان ذلك ، فكيف يكون الأمر غير ذلك ؟.

ثم ماذا أيها العبقري ؟ ، ولا تقلل لي منها فأنسى ، عمر يطلب من ربه ألا يقلل له من المال

إلى حد يجعله ينسى حقوق الله عليه ، لانشغاله بأمور معاشه و مشاقه.

هل هذا صحيح ؟ .. نعم ، وانظر إلى الحياة ، لماذا يهمل الناس أداء ما عليهم من واجبات نحو الله ؟.. تدرك أن سبب ذلك انهماكهم في معاشهم . كل طاقاتهم مستهلكة في لقمات العيش، فلا فراغ عندهم يبذل لله !.

إنه الفقر ، وقد يدفع الإنسان إلى الكفر إلى نسيان حقوق الله عليه.

ثم يدخل عمر دائرة الخلود حين يقول: فإنه ما قل وكفى خير مما كثر ، وألهى !! مال قليل يكفي صاحبه ، خير من مال كثير يلهي صاحبه عن الله ..

وكانت هذه الفقرة مذهبا اقتصاديا كاملا من عمر !.

فلو أرادت الدول العربية ، أو الإسلامية أن تبحث لها عن شعار اقتصادي ، ترفعه في وجوه الاشتراكيين والرأسماليين ، فلترفع في وجوههم ما قل وكفى خير مما كثر وألهي.

ولو قيل لنا : أين نظريتكم الاقتصادية المتكاملة . التي تنظم كل شئون الحياة ؟ قلنا على الفور : ما قل وكفى خير مما كثر وألهى.

وإذا نادى مناد من الشرق أو الغرب : أين ما تزعمون من أن إسلامكم فيه كل شيء وزيادة؟.

قلنا : هاؤم اقرءوا الجامعة المانعة لابن الخطاب : ما قل وكفى خير مما كثر وألهى !.

ومن عجائب الرجل أن الفقرة صدرت منه ، وهو في حالة دعاء في حالة توجه إلى الله ، لا في مقام التوجه إلى الجماهير ، أو التأثر بالشعب إن الرجل يعلن إلى ربه ، رأيه في الحياة الاقتصادية، والحل الذي يراه كفيلا بتوجيه الاقتصاد العالمي إلى خير وجهة..

ولم يكن الرجل يريد رياء الجماهير ، أو توجيه الجماهير ، وإنما، هي فلتة لسان ، ترجمت ما وقر في قلبه نحو المشكلة الاقتصادية.

فجاءت مذهبا كاملا تتلاشى المذاهب كلها بالنسبة إليه.

مال قليل لكل مواطن ، قليل إلى حد الكفاية ، لا يقل عن حد الكفاية، خير من مال كثير يلهي الإنسان عن حق الله عليه.

فامتاز عمر على فلاسفة الاقتصاد المعاصرين كلهم .. أنه أتانا باقتصاد كامل ، ولم يضيع عقائدنا الغالية ، وإنما حفظ لنا مقدساتنا. وهذا هو الفارق بين عمر وأولئك.

## الله يحب القصد والتقدير

قال عمر : « الله يحب القصد والتقدير ، ويكره السرف والتبذير » .

تعالوا أيها العرب ، أيها الناس جميعا ، تعالوا نستنبط ماذا يقول عمر من أسرار ؟.

يعلن عمر إعلانا خطيرة ... يعلن أن الله ... فهو إذا يتحدث عن فهم عن الله .. فماذا يعلن ؟ إن الله يحب ، ومتى أحب الله شيئا وجب فورًا أن ينتظم عليه الخلائق ؛ لأن الناس مطالبون بإتيان ما يحبه الله والابتعاد عما يكره الله.

ماذا يحب ربنا لننتظم عليه يا عمر ؟ ... يحب القصد والتقدير.

يجب أن يقتصد الإنسان في الإنفاق ألا يسرف في الانفاق.

ولكن كيف يتأتى عدم الإسراف من الإنسان !.. يكون ذلك بترتيب المقدمات التي تترتب عليها النتائج.

يكون بالتقدير . يقدر الإنسان نفقاته على أساس من إيراداته.

انها بلغة اليوم « الميزانية ». يكون الإنسان ميزانيته الخاصة التي ينظم بها كيفية إنفاق ماهيته الشهرية ، أو أرباحه السنوية ، أو أجره اليومي.

ومتى وازن الإنسان ميزانيته ، وواءم بين إيراده ونفقاته ، كان مقتصدًا ، كان رجلا غير مسرف، ولا يقع في نتائج المسرفين.

وما يطالب به الفرد ، تطالب به الأمم والدول.

فالدول مطالبة بالاقتصاد في النفقات ، ومطالبة بإعداد الميزانيات السنوية ، وموازنة إيراداتها مع مصروفاتها.

لماذا ؟؛ لأن الله يحب ذلك من عباده ..

فماذا يكره ربنا إذا ؟.. ويكره السرف والتبذير.

يكره الإسراف في النفقات أن ينفق الإنسان أكثر من إيراده ، وأن تنفق الدولة أكثر من إيراداتها.

؛ لأن ذلك يؤدي إلى الدين ، والارتباك والفوضى .

ويكره التبذير .. أن ينفق الإنسان حسبما انفق ..

لا يبالي أتكفيه إيراداته المحدودة أم لا تكفيه.

ويكره ذلك من الدول والجماعات أن تزيد مصروفاتها على إيراداتها إنها حالة إفلاس وارتباك، مما يوقعها في الديون والربا ، والذل في نهاية المطاف ، والوقوع فريسة سهلة في أيدي الدول الدائنة.

فأعجبي يا دنيا ، عمر يقول في كلمات قليلة ، معاني كثيرة عزيزة !.

فهؤلاء الذين ينفقون ما يملكون بغير حساب أو ترتيب ، ويزعمون أنهم متوكلون، وأن الله هو الرازق . هؤلاء يكرههم الله ، ويكره ما يفعلون!!!

## يا معشر الفقراء ارفعوا رءوسكم !

قال عمر : «يا معشر الفقراء ارفعوا رءوسكم ؛ فقد وضح الطريق، فاستبقوا الخيرات ، ولا تكونوا عيالا على المسلمين » .

هذا شعار آخر من شعارات عمر .. شعار نرفعه في العالم أجمع ، ونناديي الجماهير الكادحة من خلاله.

يا معشر الفقراء ؟... يا أيتها الجماهير الكادحة ، أيتها الشعوب المظلومة ، أيها الفقراء الذين لا يجدون كفايتهم وحاجاتهم ، أيها الضائعون...

" ارفعوا رءوسكم " لا تطأطئوا رءوسكم أبدا بعد الآن فقد ذهب عهد الإذلال ، وعهد الاستعباد من أجل لقمة العيش.

" فقد وضح الطريق " استبان الحق من الباطل ، وجاءكم الإسلام ، وحدد مالكم وما عليكم وحرر رقابكم من أسر الأغنياء ، وظلم الأغنياء ، و جبروت الأغنياء.

" فاستبقوا الخيرات " قوموا أيها الفقراء ، قومي أيتها الشعوب ، واعملوا ، وتنافسوا في العمل، فالعمل وحده هو طريق الحرية الحقيقية فقد فتحت الدولة فرص العمل المتكافئة ، وأذهبت عنكم تسلط الأغنياء عليكم ، اعملوا في البناء ، والتشييد ، والتعمير، واستبقوا جميعًا فعل أعمال الخير التي تعود عليكم وعلى أوطانكم بالرفاهية.

"ولا تكونوا عيالا على المسلمين " لا تكونوا بعد اليوم عالة على المسلمين ولكن كونوا طاقة ايجابية ، بناءة ، عاملة ، متنافسة، متسابقة إلى الأعمال العظيمة الصالحة.

وهذا شعار من شعارات عمر ، نرفعه عاليا أمام الجماهير العربية ، والجماهير الإسلامية ، والجماهير في كل مكان.

ليهتف الجميع به في مجالات العمل والأمل .

شعار يغني عن شعارات العلمانية ، ويغني عن شعارات الرأسمالية، ويزيد الإنسان بعد ذلك هدى وربانية !!!

## عدو الطغاة رقم ( ١ )

المتأمل في أسلوب عمر في الحكم ، وفلسفته في المجتمع، ونظرته إلى الحياة ، يدرك لأول نظرة

أنه كان عدوًا للطغاة ، يكره أعمالهم ، و يكره أسلوبهم في الحياة.

كان الرجل جماهيري السلوك بنشأته وتصرفاته.

انظر إليه يقول : من دخل على الملوك ، خرج وهو ساخط على الله!.

أو وهو يقول : الدخول على الأغنياء فتنة للفقراء ! ثم تأمل شخصيته من خلال هذه التصريحات، تدرك على الفور أن الرجل كان شعبيا في شعوره ، شعبيا في حياته ، شعبيا في حُكمه.

لماذا يخرج الإنسان ساخطا على الله إذا دخل على الملوك؟.

لأن الإنسان عندما يدخل على الملوك ، يشعر بحقارته وتفاهة حظه من الحياة !.

فعند الملوك يرى الإنسان نعما ومُلْكا كبيرًا ... بينما هو لا يملك شيئا ذا بال بالنسبة لما يملكون.

وهذا الإحساس بالحقارة الذي يستولي على الذين يقابلون الملوك هو الذي يدفعهم إلى السخط على الله.

يقولون في أنفسهم : لماذا ؟ لماذا يستمتع هؤلاء بكل هذا، ونحن لا نستمتع بشيء من هذا؟!.

ثم توسوس إليهم أنفسهم : ما هذه القسمة الظالمة ، يُعطي الملوك كل شيء ، ولا يعطينا شيئا ؟! .

وتقوم بأنفسهم ثورة شديدة ، لماذا ، وكيف ، وما هذا، وبأي حق أعطى الله هؤلاء وحرمنا؟!..

إلى آخر هذه السلسلة الجهنمية التي تفور بأعماقهم وتغلي... هم يسخطون على قدر الله، لعدم إحقاق العدل بين الناس جميعا!!!

وإنها للقضية الكبرى ، والمسألة العظمى ، وها أنذا أدخلها بإذن الله الذي لا إله إلا هو ، وأضع فيها كل طاقاتي ؛ لأنها أخطر قضية في حياة الناس أجمعين.

لقد كان عمر كشافًا نفاذًا ، حين صاح صيحته : من دخل على الملوك خرج وهو ساخط على الله...

لماذا ؟ ؛ لأن الرجل كشف لنا بكلمته الخالدة هذه عن سر الأسرار في سخط الناس على الله.

كشف لنا لماذا سخط الاشتراكيون على الله ، وانقلبوا أعداء لله ، فأنكروا وجوده ، وأنكروا كل ما يتصل به في هذه الحياة ؟!!.

العقدة النفسية التي ترسبت عند الاشتراكيين ، وجعلتهم يكرهون الدين هي هذا...

كان القياصرة، كان الملوك يحكمون روسيا حكما استبداديًا، ينعمون بكل شيء والشعب يشقى بكل شيء.

القياصرة في نعيم ما بعده نعيم ، والشعب الروسي : الفلاحون ، العمال في شقاء وبؤس ما بعده شقاء وبأساء.

ورجال الدين ، رجال الكهنوت، يباركون أفعال القياصرة ، ويقدسون ما يصنعون!! .

لقد كان أكثر القساوسة والبطاركة يباركون القياصرة ، ويحذرون الشعب من الخروج على سلطانهم ؛ لأنهم سلطان الله في أرضه !!!

وازداد أنين الجوعى ، واشتدت آلام الفلاحين والعمال .. ولكن القياصرةِ لا يسمعون وإنما يتعالون أكثر وأكثر ، وكثير من رجال الدين يخدرون الشعب أكثر وأكثر.

فكانت العقدة .. عقدة نفسية خطيرة .. ترسبت في نفس جماهير الشعب الروسي ..

إنَّ الدين مخدر للشعوب ... لماذا ؟ ؛ لأنهم لم يروا من الكنيسة ورجالها إلا ما ينوم الشعب عن حقوقه ، ويطوعه للقياصرة الجبابرة ..

فقالوا إن الدين خرافة ، و أسطورة ، ينبغي نبذها ؛ ليتمكن الإنسان من بناء حياته كيفما يشاء .. لماذا ؟ ؛ لأنهم لم يروا في حياتهم شيئا يدل على وجود إله يدير هذا المجتمع .. القياصرة يظلمون والشعب يجوع ويعرى ويزداد جوعا وعريًا .. فأين هذا الإله ، وماله يشهد تلك المظالم كلها ولا يحرك ساكنًا ؟.

وكانت عقدة ، استقرت في نفوس الجماهير الروسية.

وكان سخطا عاما من الشعب الروسي على رجال الدين!!!

سخطًا سببه أن الشعب الروسي دخل على الملوك ، فخرج ساخطًا على الله .. تماما كما قال عمر!! .

رأى الشعب الروسي ما فيه قياصرته من نعيم وسعادة ، وما فيه كثير من رجال الكنيسة من رفاهية وأموال متزايدة ، وما هو عليه من شقاء متزايد . فلم يزدد على هذا الدين الذي يبارك هذه المظالم إلا سخطًا !.

وكان سخطًا شديدًا ما زال يدوي في أعماق مَن بقي مِن الشيوعيين إلى يومنا هذا..

إنهم يكرهون الدين ، ويسخطون عليه ، ويسخطون على كل ما يتصل به من قريب أو بعيد.

واندفعوا في سخطهم ، فأنشأوا فلسفة و مراكز تعلم الإنسان كيف يكفر بربه ، كيف يتعلم أن الله غير موجود !!.

واستمروا في سخطهم ، فقالوا إن الحياة وليدة التطور ، وأن الزعم بأن هناك إلها خلق الإنسان زعم باطل !!!

وإنما هي الطبيعة ليس إلا ، والإنسان آخر مدى لتطور الأحياء !!!

وذهبوا في سخطهم إلى آخر مدى يتصور ، حتى إن رائدهم إلى الفضاء نزل من رحلته فقال: إنني درت في الفضاء ، والتمست هذا الذي يسمى الله فلم أجد شيئا !!!

وكان كل ذلك السخط لسبب كشف عنه عمر : مَن دخل على الملوك خرج ، وهو ساخط على الله .

؛ لأن الشعب الروسي دخل على القياصرة ، رأى ما فيه القياصرة ، فخرج وهو ساخط على الله .

ثم ماذا؟.. ثم اندلعت الثورة الحمراء في روسيا آنذاك، تحمل في أعماقها هذا السخط على الله، وعلى الدين ، وعلى رجال الدين!!! .

هذه هي العقدة التي ترسبت في أعماق الشيوعيين آنذاك ..، ومن هنا نبدأ مجادلة أئمة الشيوعية وجماهيرها.

فنقول لهم : إما أن تذهبوا إلى إنكار وجود إله ؛ لأنكم ساخطون على هذا الإله ، فذلك فعل جنوني ، لا يصدر إلا عن طفل لا يعقل.

إذا ضربه أبوه . صاح بأبيه ، وأنكر كل معروف منه إليه ، وأنكر أن يكون له حق عليه.

وما شأن الله فتنكروه ؛ لأن ملوككم ظلموكم.

وإما أن تتمادوا في سخطكم ، فتحطموا ملوككم ، ثم تحطموا معهم الحكم ، وكل ما يتعلق به، فهذا هو فعل الأطفال الأشرار.

حين يثورون فيحطموا كل شيء تصل إليه أيديهم.

كذلك فعلتم أنتم ، حطمتم القياصرة، وحكم القياصرة ، ثم حطمتم إلهكم ، و عقائدكم، وكنائسكم ، وكل الأفكار المتصلة بهذه العقائد !.

فهل كان الشيوعيون أصحاب عذر فيما فعلوا حين ثاروا ثورتهم الكبرى؟.

؛ لا عذر لهم ... ولكن عقدتهم أنهم وجدوا ملوكا فاسدين ، و دينا مزيفًا ، ورجال دين فاسدين .

وجدوا قياصرة مجرمين أفاكين سفاكين، وجدوا دينا من وضع بعض القساوسة وأوهامهم.

فكل ما أمامهم كان يجب تحطيمه ، و أن يطوحوا به بعيدًا .

وهذا ما كان .. أنهم هدموا كل شيء قديم .. أنهم حطموا الصخور...

ووقفوا حفاة عراة أمام الحياة وجها لوجه .

ماذا يصنعون ؟ وكيف ينظمون حياتهم ؟.

وهنا تحركت العقدة النفسية الكبيرة المترسبة في أعماقهم وقالت لهم : أما فكرة الله فاستبعدوها، فإنها أساس كل شر ، وأما فكرة الدين فباعدوا بين أنفسكم وبينها في هذا بدين، إنه أوهام القساوسة !!!

وقد كان ، وأسست الشيوعية القبيحة على إنكار الله وتحطيم رأس المال والرأسماليين .

وانساقت الجماهير الضالة كلها مع تلك الموجة الجهنمية الحارقة.

ولو أن الشيوعية حين أتمت تدمير القياصرة والإطاحة بحكمهم ، ووقفت تخطط للحياة من جديد، لو أنها وجدت وهي في هذا الفراغ المؤقت عقيدة ترضي كبرياءها ، وتملأ فراغها الروحي ، فلربما تغير اتجاهها ، وتغير تبعا لذلك وجه التاريخ.

ولكنها لم تر إلا مسيحية من تفسير القساوسة ، أما المسيحية الحقيقية الداعية إلى إحقاق الحق ومنع الظلم ، فقد اختفت .. أخفاها رجال الكهنوت . ليعبوا مع القياصرة من لذاذات الحياة!!!

فقالوا : سحقًا للدين ، وسحقا للقياصرة ، وسحقًا للرأسماليين !!!

وعلى هذا الأساس تكونت الشيوعية .. لماذا ؟. بسبب ظلم الملوك، ونعيم الملوك ، وإجرام الملوك .

فانظر كيف كان ملوك روسيا ، وبعض رجال كنيستها سببًا في سخط الشيوعيين على الله؟!..

سخطًا ما زال يغلي في أعماق مَن بقي مِن الشيوعيين ، ويفور في كيانهم إلى وقتنا هذا.

أي جريمة إذًا يرتكبها الطغاة حين يستأثرون بالنعيم من دون الجماهير ؟.

جريمة الجرائم .. ولكنهم لا يعقلون !!!

## ماذا نفيد من التجربة ؟!

وإنها لأخطر تجربة كانت في القرن العشرين.

ماذا نفيد منها في عالمنا العربي الذي يمر بمرحلة التخلص من الطغاة والتخلص من مظالمهم ومفاسدهم ؟.

ينبغي أن لا ندع السخط على الملوك يدفعنا إلى ما دفع إليه الشيوعيين ، حين سخطوا على الله ، بسبب سخطهم على ملوكهم.

وإنما ينبغي أن نكون عقلاء ، فنجاهد من ظلمنا ثم نقف عند هذا الحد من التدمير والهدم.

فلا نجاوزها إلى هدم عقائدنا ، وهدم مقدساتنا.

ولا نجاوزها إلى السخط على الله ، وعلى دين الله ، وعلى رجال الدين، كما فعلت الشيوعية.

لماذا؟ ؛ لأن الله حق موجود نخسر كل شيء إذا أنكرنا وجوده.

فلو أن الخلائق كلها كفرت بالله لم يضر ذلك الله شيئا ، ولكن الخلائق هي التي يلحقها الضرر والخسران.

إذ ماذا يبقى للإنسان في الحياة بعد أن ينكر ربه الذي خلقه و أحياه ورزقه وما زال يرزقه؟.

ثم لماذا ننكر الله بسبب المظالم و فساد الحكومات ؟.

هل منعنا الله أن نحرر أنفسنا ، ونجاهد من ظلمونا ؟.

كلا .. بل الله يأمرنا بذلك ، ويدفعنا إليه دفعًا.

نريد إذا ألا نجاوز مرحلة هدم الطغاة إلى هدم عقائدنا ... بل نستبقى إيماننا بالله ربنا ، وبرسوله ﷺ ، وبشريعته البيضاء.

وفي هذه المرحلة بالذات ، المرحلة الفريدة التي يمر بها العالم العربي.

في هذه المرحلة ينبغي أن تبني البناء على أساس من الإيمان بالله، والإيمان برسل الله ، وكتب الله.

لماذا ؟ ؛ لأن الإيمان بالله في حياة الأمم ألزم اللوازم في كيانها وبنائها.

ولأننا قوم مطالبون بأن نسلك مسلك رسول الله — ﷺ — وأصحابه حين ثاروا ثورتهم الكبرى، ثورة الإسلام على الظلم والطغيان فننظر ماذا فعلوا ؟ وكيف سلكوا بالجماهير ؟

ماذا فعل عمر بن الخطاب حين ثار ثورته الكبرى ، وثارت الجماهير كلها معه حين حطم ملوك الامبراطورية الفارسية ، وحطم ملوك الامبراطورية الرومانية ، وأزال من الوجود عروشهم، ودك صروحهم ، وحرر فارس والعراق والشام ومصر والجزيرة العربية واليمن وشمال افريقيا من مظالم الملوك

ومفاسد الحكام؟.

هل اندفع في موجة السخط على الملوك إلى موجة السخط على الله ؟.

كلا ... بل ازداد إيمانًا بالله ، ويقينا برسول الله — ﷺ — ، وأخذ من ربه القوة الخارقة .. التي دفعته دفعًا إلى ضرورة تحطيم طغاة الملوك وأصنام الباطل أينما كانوا.

واندفع الشعب العربي العظيم أو الشعوب التي في المنطقة كلها تحت لواء عمر ، عملاق الحق ، إلى أصنام البشرية ، وجباريها فدكوا صروحهم ، وأزالوا دولتهم.

ثم واجه عمر بعد مرحلة الهدم هذه ، أخطر مرحلة .. مرحلة البناء .. فماذا فعل ؟.

أقام نظامه الجديد على الإيمان بالله ، وعلى تنظيم مأخوذ من رسالة السماء ، وعلى عدالة اجتماعية ، أنزلها الله لعباده.

فجاءت الدولة الجديدة إيمانًا منظمًا ، ونظامًا مؤمنًا .

وهذا ما نريده في المرحلة التي نعيشها الآن.

لا نريد أن يدفعنا السخط على الطغاة إلى السخط على دين الله.

ولكن نؤسسه على ما عندنا ، على ما عند عمر ، وعنده الكفاية وزيادة .

وعندئذ تقوم في العالم دولة عظمى تغير وجه التاريخ إلى آماد بعيدة.

دولة كبرى ، حطمت طغاتها ، وحطمت نظامهم الفاسد ، وأقامت بنيانها على أساس من الإيمان بربها ، وتنظيم من مقدساتها.

فنقدم إلى العالم أعظم هدية .. نقدم إليه دولة جديدة لها طابعها الكريم ، ونظامها المؤمن المستقيم.

دولة تهتف شعوبها بشعارها الخالد : يا معشر الفقراء ، ارفعوا رءوسكم ، فقد وضح الطريق.

فإن قالوا : أين نظامكم الاقتصادي ؟.

قلنا : لو أخذنا عشر ما ترك لنا عمر لكفانا نظامًا.

فإن قالوا : ولكن الدنيا تطورت ، فكيف ترجعون إلى ما عند عمر ؟..

قلنا نأخذ منه التخطيط العام ، والأصول العامة ، ونأخذ منكم، أو من أي نظام في العالم، أحدث ما وصل إليه التطور الحديث.

ولكن لنا دين يعصمنا من الشطط والخطأ .. دين يأمرنا أن نستفيد من كل علم و كل تجربة في الحياة.

سنأخذ منكم أيها العلمانيون ما يوافق أصولنا العامة ، أصول ديننا .

وسنأخذ من الرأسماليين ما يوافق أصولنا السماوية.

وسنكون بعد ذلك مسلمين ، لا علمانيين ، ولا رأسماليين ، ولكن مؤمنين .

وإن قالوا : كيف تعترفون بالدين ، وهذه هي الفوضى في العالم تنتشر ؟

فنقول : يا مجانين ، إن الله خلق الإنسان والمال ، وأنزل إلينا نظاما يكفل تنظيم الحياة بين الناس ، فأعرض الناس عن نظامه ، فالله لا يظلم الناس شيئا ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

يا مجانين ، إن الله أمر الناس في كتبه التي أنزلها إليهم أن يضربوا على أيدي الظالمين .

فالله يبارك كل نهضة تهدف إلى إحقاق الحق ، وإبطال الباطل ، وإزالة الظلم .

فلا تلوموا الدين .. ولكن لوموا أنفسكم.

ولا تكفروا بالله .. فالله موجود رغم أنوفكم ، موجود بدليل أنه أوجدكم !!!

## رأي عمر في مشكلة تزايد السكان!

سئل عمر عن جهد البلاء ، فقال : قلة المال ، و كثرة العيال.

هذه هي نظرية عمر في مشكلة الدخل القومي وتزايد السكان.

يسأل عن أشد أنواع البلاء... فيحدده بأنه قلة المال وكثرة العيال.

يرى عمر أن من قل ماله وكثرت أولاده ، فهو يعاني أقسى أنواع البلاء..

فما معنى هذا ؟... معناه أن رئيس الجمهورية الإسلامية الأعظم يعتبر أن الدولة إذا قل مالها، وكثر سكانها ، فهي في أشد حالات الضنك والبلاء.

وأن الاسرة إذا كثر عدد أفرادها وقلت إيراداتها عن حد الكفاية فهي في أشد حالات الشقاء.

وأن المواطن إذا قل ماله عن حد الكفاية ، وكثر أولاده ، فهو يعاني أشد آلام الشقاء.

فما معنى هذا المفهوم ؟.. معناه أن عمر على إدراك تام عام بمشاكل تزايد السكان مما يؤدي إلى ضعف المستوى المعيشي.

وأن مشكلة تحديد النسل التي تشغل بالنا اليوم ، وتثير التساؤل ، والتي كانت وليدة تزايد السكان ، وعجز الدخل القومي عن الوفاء بضرورات الحياة لهذا المزيد من السكان.

هذه المشكلة لم تكن معروفة في عهد عمر ؛ لأن عهده كان عهد رخاء شامل ، وخير عميم.

كان عهد فتوحات متتابعة تستلزم المزيد من الرجال ؛ لتعويض الأعداد التي تستشهد في

الميادين ، ولإمداد الجيوش بما يلزمها من الرجال.

وكان عهد تمدد وسيادة ، مما تتمدد معه مسئوليات الدولة الإسلامية ، مما يستلزم كثيراً من الأفراد؛ ليتولوا مناصبهم في أنحائها الواسعة .

كانت دولة سيادة وقيادة ، والدولة التي هذا شأنها دائما تشجع النسل ، وتطلب المزيد من الجنسين.

أما نحن الآن ، فنئن أنينًا متواصلاً من مشاكل تزايد السكان ، وويلاتها.

لماذا ؟؛ لأننا بلاد محدودة ، وأموال معدودة ، فلا سبيل أمامنا إلا التدخل في تحديد النسل.

وأعتقد أن المستقبل القريب ، يوم نصل إلى مرحلة الدولة القيادية ، وما يستتبع ذلك من تمدد وتعدد المسئوليات .. يومئذ سنطالب جميعًا بتشجيع النسل لا بتحديد النسل.

إنها مسألة ظروف. فالدولة المنكمشة داخل حدودها تحتم عليها ظروفها أن تحدد النسل والدولة المتمددة خارج حدودها تحتم عليها أن تشجع النسل.

فأين الفصل من هذا المشكل ؟ .. الفصل ما قاله عمر . حين اعتبر جهد البلاء ، قلة المال وكثرة العيال..

وكأني بالفاروق يشير من بعيد إلى التعقل في الأمور .. وألا يوقع المرء نفسه في الشقاء بكثرة عياله وقلة ماله ، وألا تجعل الدولة مجتمعها شقيًا لهذه الأسباب ، وإنما عليها أن تسوس أمورها بحكمة.. بما يجعل حياة مواطنيها سعيدة ، فإن رأت أن تحدد النسل فلتحدده، وإن رأت أن تشجعه فلها ذلك ما دامت ظروفها المادية تسمح بذلك !!!

## مال الجميع للجميع!

قال عمر : كنا نعد المقرض بخيلاً ، إنما كانت المواساة .

هذه هي الدعامة التعاونية الكبرى.. يخبرنا عمر أن مجتمعه كان يعتبر المقرض بخيلا ، إن المواطن الذي يعطي قرضًا حسنًا إلى أخيه ، فيفرج به كربته ، ويقضي به حاجته ، إن هذا المواطن كان في نظرهم بخيلاً.

عجبًا.. كيف يكون مثل ذلك المواطن بخيلاً، وقد أقرض من ماله ، وأعطى سلفة لوجه الله ، لا يريد عليها ربا ولا فائدة؟

كذلك كانوا يفهمون.. كانوا يعتبرون مثل هذا بخلاً وإلا لأعطى أخاه مواساة ، أخوة لا يريد منه أن يرد إليه ما أخذ.

" إنما كانت مواساة " إنما كان مجتمع عمر يتبادل الأموال مواساة، ويعطي من معه المال أخاه

الذي يحتاج إلى ذلك المال ، على سبيل المواساة .. على سبيل الأخوة في الله ، لا يقرضه ، ولا ينتظر منه أن يرد إليه ما أخذ ، ولا ينتظر أن يطلب اليه أخاه أن يقرضه، إنما هو يسارع إليه بحاجته من المال دون أن يطلب منه ذلك .

إنها شيء أعلى من مفاهيم عصرنا ، إنها الأخوة في الله !!!

## الاقتصاد الموجه

دخل عمر على ابنه عاصم ، و هو يأكل لحمًا ، فقال : ما هذا؟

قال : قرمنا إليه (أي: اشتهيناه) .

قال : ويحك ، قرمت إلى شيء فأكلته ؟! كفى بالمرء شرها أن يأكل كل ما يشتهي.

وهذا مفهوم آخر يقدمه عمر بين أيدينا .. إنه يرى أن المرء ينبغي عليه ألا يستسلم لنفسه، كلما اشتهت شيئا أكله.

وهذا المفهوم كذلك يعتبر أصلا في سياسة الدولة العليا عند عمر...

فيجب على الدولة أن تسوس الشعب سياسة تبصر ، وحكمة.

فتمنع مثلا استيراد الكماليات ، وكل ما يجر الشعب إلى إشباع شهواته كلها..

وتقلل من إنتاج الاستهلاكيات التي لا خير فيها للدولة .

وبذلك تعتبر الدولة وصية على شعبها في توجيه اقتصادياته.

إنه بلغة اليوم ، الاقتصاد الموجَّه .. توجه الدولة اقتصادها نحو ما تراه خيرًا للشعب.

ورأى عمر ، رأى الاسلام ، أن الشعب لا ينبغي أن يترك له الحبل على الغارب ، كلما اشتهي شيئا التهمه .. كلا ، وإنما تحد الدولة من مشتهياته إلى القدر المعقول.

وهذا هو الميزان الدقيق الذي نزن به اقتصاديات البلاد .

لقد أبى عمر على ابنه أن يشتهي اللحم ، فيأكل اللحم ، وهذا مقام رفيع .. لانريد أن نرقى إليه ، وإنما فقط نريد أن نحد ولو قليلا من مشتهياتنا..

عن جابر بن عبد الله قال : رأى عمر بن الخطاب لحمًا معلقًا في يدي فقال : ما هذا يا جابر ؟ قال : اشتهيت لحمًا فاشتريته.

فقال عمر : أو كلما اشتهيت اشتريت يا جابر ؟! ما تخاف الآية : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الأحقاف ٢٠]

# تحريم المباني الفاخرة!

ومفهوم إنساني آخر ..

نظر عمر في طريق الشام إلى صرح قد بني بجص وآجر ، فكبر وقال : ما كنت أظن أن يكون في هذه الأمة من يبني بنيان هامان لفرعون.

ذلك هو مفهوم عمر في تخطيط سياسة المباني في الدولة.

إنه مر على قصر بني من الجبس والطوب الأحمر ، فدهش أشد الدهشة ، واستنكر ذلك أشد الاستنكار ، وصاح صيحته الخالدة ، مستبعدة أن يكون من المسلمين من يبني قصورًا كما بني هامان قصرًا لفرعون طاغية مصر.

وذلك يدل دلالة واضحة على أن عمر يرى تخطيط المباني الخاصة والعامة على أسلوب عملي بسيط ، يحقق الغاية من إقامة المبنى بأقل التكاليف الممكنة.

وهذا ما ينبغي أن نخطط عليه المباني في بلادنا في عهدها

الحاضر .

ينبغي أن نحد من بناء المباني الفاخرة ، مهما كانت الأسباب.

يجب التقريب بين الطبقات في مساكنها..

ينبغي أن تختفي من بلادنا كلمة «المساكن الشعبية» لما تحمله من معاني التفرقة والذلة للجماهير .

كل المباني مستوى متقارب ، تذوب فيه الطبقية.

إنه يمكن أن تضاعف عدد المباني التي نشيدها كل عام إذا قللنا من نفقات مظهريات البناء..

إن هناك رءوسًا هندسية إقطاعية ما زالت ترى رأيها في تشييد المباني، وتقسيمها إلى مستويات.

وهذا شيء ينبغي أن يزول تدريجيا ؛ لأننا في مرحلة تهدف إلى تذويب الفوارق.

فإن عز هذا فورًا ، فليكن تدريجيًا ، وعلى مراحل ، حتى نصل إلى المستوى الذي تكاد تتقارب فيه كل المباني في البلاد .

ولنذكر دائما في هذا المجال ، صرخة عمر الخالدة : " ما كنت أظن أن يكون في هذه الأمة من يبني بنيان هامان لفرعون".

## طعام رئيس الدولة الأعظم ... خبز وزيت!

بينما عمر قد وضع بين يديه طعامًا ، إذ جاء الغلام فقال : هذا عُتبة.

وقال : وما أقدم عُتبة ؟. ائذن له .

فلما دخل رأي بين يدي عمر طعامه ، وهو خبز و زيت .

قال اقترب يا عُتبة ، فأصب من هذا .

فذهب يأكل ، فإذا بطعام جشب (خشن) لا يستطيع أن يسيغه.

فقال : يا أمير المؤمنين ، هل لك في طعام يقال له الحُوَّاري ( لباب الدقيق ) ؟

قال : ويلك ، ويسع المسلمين كلهم ؟.

قال : لا والله.

قال : ويلك يا عتبة ! فأردت أن آكل طيباتي في حياتي الدنيا، وأستمتع بها ؟! .

يا لها من أقصوصة . يكاد سنا برقها يذهب بالأبصار.

رئيس أكبر وأغنى دولة في العالم ، طعامه الخبز والزيت ، ويرفض أن يأكل طعاما من لباب الدقيق !!!

فمن أراد الإسلام في صفائه ونقائه، كما أنزله الله غضا طريًا، فلينظر ما كان عليه عمر ، يأخذ فكرة واضحة عن الإسلام ، ولا ينظر إلى ما عليه المسلمون اليوم ، فإنهم ليسوا على شيء.

فإن قال قائل : هل كان ذلك شأن عمر دائمًا ؟

قلنا : اسمع إلى ما هو أغرب : قدم عمر الشام ، فصنع له طعام لم ير قبله مثله ، فقال : هذا لنا ، فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا ، وهم لا يشبعون من خبز الشعير ؟!

قال خالد بن الوليد : لهم الجنة.

فاغرورقت عينا عمر ، وقال : لئن كان حظنا في هذا الطعام، وذهبوا بالجنة ، لقد باينونا بونًا بعيدًا !!!

وتلك أقصوصة أروع وأروع .. عمر يرفض أن يأكل طعاما لم تأكله كل الجماهير.

كيف يأكل طعاما لم يستمتع به الموتى من فقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير ؟

حتى الموتى يا عمر .. ترتبط إحساساتك الرفيعة بإحساساتهم!

فلو أنك ارتبطت مع الجماهير المعاصرة لحكمك لقلنا: شعور طبيعي ولكنك ترتبط بالموتى منهم كذلك ، ولا تريد أن تأكل طعاما ما لم يكونوا يأكلونه !.

ولم يمد عمر يده إلى الطعام الذي قدموه له !!!

ورأى خالد حزنه وألمه فأراد أن يهون عليه فقال : لهم الجنة.

إلا أن الكلمة التي ظن خالد أنها ستخفف عن عمر آلامه جاءت بأثر عكسي ، زادته حزنًا و آلامًا.

وبكى عمر ، ثم بكى ، وقالها كلمة باقية : لئن كان حظنا في هذا الطعام وذهبوا بالجنة، لقد باينونا بونا بعيدًا !!!

لقد ارتفعوا فوقنا درجات ودرجات ، حين ظفروا هم بالجنة ، واكتفينا نحن بذلك الطعام.

مقاييس عميقة ، بعيدة .. لا يستطيعها أحد من العالم !!!

ولكن عمر يأبى .. يأبى أن يأكل طعامًا لم تأكله الجماهير التي ماتت.

ويبكي ؛ لأنهم سبقوه إلى الجنة ، وتركوه هو مفتون بتلك الأطعمة الفانية !!!

## صنف واحد فقط !

دخل عمر على بنته حفصة ، فقدمت إليه مرقًا باردًا ، عليه زيت.

فقال : أُدْمان في إناء واحد؟ لا آكله ، حتى ألقي الله عز وجل.

وأتي بلحم سمين ولبن ، فأبى أن يأكلهما وقال : كل واحد منهما أُدْم .

* * *

وقال ابن عمر : دخل أمير المؤمنين عمر ، ونحن على مائدة فأوسعت له عن صدر المجلس فقال : بسم الله...

ثم ضرب بيده في لقمة فلقمها ، ثم ثني بأخرى ، ثم قال : إني لأجد طعم دسم غير دسم اللحم .

فقال عبد الله : يا أمير المؤمنين ، إني خرجت إلى السوق أطلب السمين لأشتريه ، فوجدته غاليًا، فاشتريت بدرهم من المهزول ، وجعلت عليه بدرهم سمنا .

فقال عمر : ما اجتمعنا عند رسول الله — ﷺ — إلا أكل أحدهما ، وتصدق بالآخر !!!

فقال عبد الله : يا أمير المؤمنين ، ولن يجتمعا عندي أبدًا ، إلا فعلت ذلك.

* * *

وعن أبي أمامة قال : بينما نحن عند عمر بن الخطاب ، وهو يجول في سكك المدينة ، فأدرك عمر الإعياء فقعد ، وقعد إلى جنبه الأشعث بن قيس ، وقد أتى عمر بمرجل فيه لحم ، فجعل يأخذ منه العرق فينهشه فينضح على الأشعث بن قيس.

فقال الأشعث: يا أمير المؤمنين لو أمرت بشيء من سمن فصب على هذا اللحم ثم طبخ حتى يبلغ إناه « نضجه » كان ألين له.

فرفع عمر رأسه ، فضرب صدر الأشعث بن قيس ، ثم قال له : أُدْمان في أُدْم ؟ كلا، إني لقيت صاحبيّ وصحبتهما ، فأخاف إن خالفتهما أن يخالف بي عنهما ، ولا أنزل معهما حيث ينزلان !!!

* * *

ذلك شيء من أقاصيص عمر الخالدات ، نقصها على العالم الحديث ؛ ليعلم أن عمر كان يحرم على نفسه أن يأكل دسمين ، أن يأكل مادتين دهنيتين في طعام واحد.

فإن أكل لحمًا أكله بلا سمن مكتفيا بما في اللحم من شحم.

فلما قيل له يخلط قليلا من السمن باللحم أبى وحزن وصاح: أخاف إن خالفتهما أن يخالف بي عنهما .

يخشى الرجل أن يتخلف عن اللحاق برسول الله — ﷺ — ، ومقام أبي بكر؛ لأنه ركن شيئًا قليلا إلى الترف فأكل دسمين في وجبة واحدة.

وعمر بهذا يخطط للعالم كله من بعده أروع تخطيط تتصور البشرية أن تصل إليه.

يخطط تخطيطًا أخذه من رسول الله — ﷺ — ، ومن صاحبه ، ولا يريد أن يخالفهما فيما كانا عليه.

ولو أن أولئك الذين يعالجون مشاكل الجوع في العالم الحديث ، فطنوا إلى تخطيط عمر.

ولو أن كل إنسان في عالمنا الحاضر أخذ بتخطيط الرجل؛ لفاضت أرزاق الكرة الأرضية وزادت عن حاجة أهلها.

؛ ولامتنع الجوع ؛ وامتنعت الأمراض ؛ وقويت الأجسام ؛ وقلت الآثام.

ولكن هذا التخطيط لا يروق زبانية السياسة العالمية ، ومجرمي البشرية .. الذين لهم بطون كأنها القبور، مها تلقى فيها لا تمتلئ .

ارتفعت يا عمر .. حتى بدت الاشتراكية تحت أقدامك ، أوهامًا لا وزن لها.

وبدت الرأسمالية تحت يديك عملا زائفا لا يحقق للإنسان عدلاً ، ولا يأتيه بسعادة.

فإن فتح علماني فمه ، وقال : لقد كان عمر يفعل ذلك عجزًا وفقرًا

قلنا له : استمع إلى عمر يدافع عن نفسه!!

## كان يستطيع إلا أنه أبى!

قال عمر : أيها القوم ، إني والله لقد أرى تعذيركم ، وكراهيتكم طعامي ، وإني والله لو شئت لكنت أطيبكم طعاما ، وأرفغكم «أرفهكم» عيشا.

« أما والله لو شئت لدعوت بصلاء «شواء» ، وصناب « خردل» ، وصلائق « خبز رقاق» ، وكراكر ( زور البعير ) ، وأسمنة ( أعلى البعير ) ، وأفلاذ ( قطع من الكبد ، وكلها من أطايب ما يؤكل من الإبل ).

ولكني سمعت الله جل ثناؤه عير قومًا بأمر فعلوه فقال ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ [الأحقاف ٢٠]

هذا هو دفاع عمر عن نفسه .. إنه يعلن إلى العالم أنه ليس عاجزًا ، أن يكون أنعم الناس طعامًا ، وأرفههم عيشًا.

أن يأمر أن يعدوا له اللحوم المشوية ، والموائد الفاخرة.

وليس لأحد أن يلومه على ذلك ، فالرجل يرأس أعظم وأغنى دولة في الأرض ، والأموال لا أول لها ولا آخر في خزانتها.

لكن الأمر أعمق من هذا كله .. الأمر هو مذهب عمر الذي يأخذ نفسه به في هذه الحياة.

هو الترفع عن الحلال ابتغاء ما عند الله.

إنه السمو الذي يأخذ عمر به نفسه ، السمو الذي اقتبسه من فضائل رسول الله — ﷺ — ، وفضائل صاحبه أبي بكر — رضي الله عنه —.

ولا يريد عمر أن يتخلف عنها عند الله .

وفي هذا يقول عمر : لنحن أعلم بلين الطعام من كثير من آكليه ، ولكنا ندعه ليوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها.

إن الرجل يترك الطيبات ، ويتنزه عنها ؛ لينجو يوم الحساب!!!

## حتى رجل الشارع يرفض طعام عمر!!

كان حفص بن أبي العاص يحضر طعام عمر ، فكان لا يأكل، فقال له عمر : ما يمنعك

من طعامنا ؟

قال : إن طعامك جشب غليظ ، وإني راجع إلى طعام لين ، قد صنع لي ، فأصيب منه.

قال عمر : أتراني أعجز أن آمر بصغار المعزى ، فيلقي عنها شعرها و آمر بلباب البر ثم آمر به فيخبز خبزًا رقاقًا ، وآمر بصاع من زبيب فتقذف في سُحن ( قربة ) حتى إذا صار مثل عين الحجل صب عليه الماء ، فيصبح كأنه دم غزال ، فآكل هذا وأشرب هذا ؟!

فقال : إني لأراك عالما بطيب العيش ؟

فقال عمر : والذي نفسي بيده لولا أن تنتقص حسناتي لشاركتكم في لين عيشكم ، لكنني أستبقي طيباتي ؛ لأني سمعت الله تعالى يقول عن أقوام : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ [الأحقاف ٢٠]

وهذه أقصوصة أخرى، تؤكد أن الرجل كان هكذا دائما.. يتسامى عما أحل الله له ، ليستبقي حسناته عند الله .

وإنه لأسمى أسلوب تربوي يمكن لإنسان أن يتعالى إليه في الحياة.

إن الإسلام لم يحرم على الإنسان أن يستمتع بالحياة ، وأن يأكل ويشرب مما لذ وطاب .. ولكن عمر إنسان فوق الناس ، إنه ينظر إلى آفاق أبعد وأبعد، إنه يريد أن يكون فوق الناس جميعًا يوم القيامة.

يريد عمر أن يكون للناس إمامًا ، فليأخذ نفسه بما تتقطع دونه أعناقهم جميعًا .

؛ ليأكل الناس ويشربوا ، ولكن عمر سوف لا يأكل ، ولا يشرب .. كما يأكلون ويشربون!!!

وليستمتعوا ، وليتزينوا ، وليعيشوا حياتهم طولا وعرضا، ولكن عمر سوف يستبقي لذاته ومتاعه وزينته عند الله ... في آخرته.

وتلك هي الإمامة ، وتلك هي الزعامة ، وليست الإمامة أن تكون جبارًا تتحكم في الملايين بسلطانك وقهروتك ، وإنما أن تتحكم في نفسك أولا فتقهر شهواتها ونزواتها.

وإنما الزعامة أن تخضع شهواتك لمقاييس الإنسانية الرفيعة.

ولقد اجتمع لعمر المجد من أطرافه .. اجتمع له السلطان الذي ليس مثله سلطان في الأرض.. فلم تدفعه أبهة الملك أن يطلق نفسه مع هواها، وإنما ألجمها بلجام التعفف والتنزه ، وحرم عليها أن تستمتع حتى بما يستمتع به رجل الشارع.

وذلك هو المجد في الأرض ، والمجد في السماء.

فأولى لهم ، ثم أولى، ألا يحاولوا أن يحولوا جماهيرنا العربية والإسلامية عن عظمة عمر .. فهو

الحقيق بالإمامة والزعامة ، والجدير بالاتباع بالإجماع .

ولينصرفوا إلى قصورهم وموائدهم ، وليتركوا الجماهير العربية لعمر، فهو وحده الذي يشعر بآلامهم وأحزانهم ، و يأكل كما يأكلون بل دون ما يأكلون :

قال أنس بن مالك : رأيت عمر يلقى إليه الصاع من التمر، فيأكله على حشفه ( الحشف: التمر الرديء ) !!!

## لا أعود لمثلها أبدًا!

قال أسلم لعمر : إن في الظهر ناقة عمياء .

فقال عمر : ادفعها إلى أهل بيت ينتفعون بها .

قلت : إنها عمياء .

قال : يقطرونها بالإبل .

قلت : كيف تأكل من الأرض ؟

قال : أمن نعم الجزية أم نعم الصدقة؟

قلت : بل من نَعَم الجزية.

فقال عمر : أردتم والله أكلها .

فأمر عمر فأتي بها فنحرت.

وكان عنده صحاف تسع ، فلا تكون فاكهة ، وطرفة إلا جعل منها في تلك الصحاف، وبعث بها إلى أزواج النبي – ﷺ – ، ثم أمر بما بقي من اللحم فصنع، فدعا عليه المهاجرين والأنصار.

فقال العباس : يا أمير المؤمنين ، لو صنعت لنا كل يوم مثل هذا ؛ لكان حسنًا.

فقال عمر : رب طاوية كشحًا « أي رب جائعة » ، لا تحتفل «لا تهتم » بها أنت ولا صاحبك.

ثم قال عمر : لا أعود لمثلها أبدًا . إنه مضى لي صاحبان ، عمِلا عمَلاً وسلكا طريقًا ، إني إن عملت بغير عملهما سلك بي غير طريقهما.

أرأيت ؟.. نفس النظرية أن عمر يرى إن عمل غير عمل رسول الله – ﷺ – وصاحبه ، أن يتخلف عن اللحاق بهما، ويسلك به في الآخرة طريق غير طريقهما.

ومن زاوية أخرى يرى الرجل أن الجماهير الكادحة أو المرأة الجائعة التي لا يهتم بأمرها العباس وأصحابه ، أحق بهذا الطعام الذي أعده عمر من المهاجرين والأنصار.

وهذا المفهوم من عمر نستنبط منه مذهبا خطيرة .. أن الطبقات الفقيرة الكادحة بين الشعوب أحق بأموال الدولة من الطبقات المترفه ، وأحق بالخدمات العامة من الأغنياء.

؛ ولذلك أحس عمر ، بمجرد أن سمع إعجاب العباس بالطعام وخزًا أليمًا ، فصاح : لا أعود لمثلها أبدًا .. لن أفعلها مرة أخرى ، لن أقدم الطعام لكم ، وإنما أقدمه للمرأة الجائعة ، والجماهير الكادحة. إن الدولة عليها أن تقدم الخدمات العامة ، وتبذل أموالها للكادحين، والمرهقين في الحياة.

وكان مفهومًا خالدًا .. دوى في الآفاق .. يعلن العدالة الاجتماعية في أعلى تصوراتها !!!

## والله لا يذوق عمر ذلك!

وعظيمة أخرى كانت من عمر..

اشتهي سمكا طريا ، فأخذ يرفأ ( مولاه ) راحلة ( دابة ) فسار ليلتين مقبلاً، وليلتين مدبرًا، واشترى مكتلا ( مقطفا) فجاء به.

وقام يرفأ إلى الراحلة ( الركوبة ) يغسلها من العرق.

فنظرها عمر . فقال : عذبت بهيمة من البهائم في شهوة عمر ؟. والله لا يذوق عمر ذلك.

حادثة صغيرة إلا أنها كبيرة .. ذات دلالات عظام ضخام.

عمر يشتهي أن يأكل سمكا طازجًا طريًا ، فيبعث خادمًا يشتري له سمكا.

فيركب الخادم دابة يسير بها ليلتين ، إلى حيث وجد السمك ثم يشتري مقطفًا من السمك.

ثم يعود ليلتين حيث المدينة ، وتعبت الراحلة من الرحلة ، وسال عرقها.. فقام الخادم بعد وصوله يصب عليها الماء ويغسل عنها العرق.

أمر مألوف ، وشيء طبيعي .. ولكن عمر رأي فيه غير ما يرى الناس.

أربعة أيام من أجل سميكات يأكل منها ، فصاح بخادمه صيحته الخالدة : عذبت بهيمة من البهائم في شهوة عمر ، والله لا يذوق عمر ذلك.

حساسية بالغة جدًا .. إن الرجل يشعر أنه ارتكب جريمة كبرى ، كيف يتعب حيوانًا أربعة أيام من أجل الحصول على أسماك طازجة؟

وعلى الفور ، حاكم عمر نفسه ، وأصدر الحكم عليها ، ونفذ ذلك الحكم فورًا : والله لا يذوق عمر ذلك.

وهذا أنموذج نضعه بين يدي العالم الحديث ؛ ليعلم أي نوع من الرجال كان ذلك الرجل؟

ماذا في هذا المفهوم ؟ .. فيه أن عمر يرى أن الإسلام يرى أنه لا يجوز أن تكون لذات

الطبقات الحاكمة القادرة على حساب الطبقات الكادحة..

بمعنى أنه لا يجوز لعمر باعتباره رئيسًا للدولة أن يستمتع بالسمك الطازج ، ويعذب بسبب ذلك بهيمة من البهائم ؟

فكيف بغني يعيش في نعيم مقيم على حساب الآلاف الجائعة الضائعة؟

إن عمر ماله أن يأكل سمكا تعبت بسببه بهيمته ، فكيف بالذين ينعمون ويتعبون ملايين من البشر ليقدموا لهم ذلك النعيم؟!!

## وفد من العراق!

قدم على عمر ناس من أهل العراق ، فيهم جرير بن عبد الله.

فأتاهم عمر بجفنة قد صنعت بخبز وزيت ، فقال لهم : خذوا.

فأخذوا أخذًا ضعيفًا.

فقال لهم عمر : قد أرى ما تفعلون ، فأي شيء تريدونه ؟ أحلوًا ، وحامضًا ، وحارًا ، وباردًا، ثم قذفًا في البطون ؟.

وفد من قادة العراق يأتي لمقابلة رئيس الدولة الإسلامية الأعظم.

فماذا قدم رئيس الدولة لقادة العراق ؟ ..

قدم لهم خبزاً جافًا ، وزيتًا .

وأمرهم أن يأكلوا ، فأكلوا على مضض ، فلما رأى أيديهم لا تمتد إليه، صاح بهم صيحة ما زالت القرون من بعده في عجب من أمرها : قد أرى ما تفعلون ، فأي شيء تريدونه ؟

أحلوًا وحامضًا ؛ وحارًا وباردًا ؛ ثم قذفًا في البطون؟!

أحلوًا وحامضًا ؟ . تريدون أن تأكلوا أصناف الحلويات وأصناف الطبيخ؟

وحارًا وباردًا ؟ .. والأصناف الحارة من الشوربة إلى المشويات، والأصناف الباردة ، من المثلجات والباردات ؟

ثم قذفًا في البطون ؟.. ثم إلقاء لتلك الأصناف المتباينة إلى بطونكم؟.

ماذا نستنبط من ذلك المفهوم ؟.. نأخذ أن عمر لا يوافق على الاسراف في الأطعمة والأشربة.

وأنه صفع أعضاء الوفد صفعة حق صارمة .. حين فاجأهم وأعلن إليهم أنه لا يوافق أن يمد لهم الموائد التي تحوي المثلجات والحلويات ؛ ليقذفوها إلى بطونهم!!!

ورأي عمر هذا ، هو رأي الاسلام هو المستوى الأعلى من الإسلام.

فماذا نفيد من مفهوم عمر ؟

ينبغي أن نراجع مجتمعنا ، ونقيمه على آداب من آداب عمر.

ينبغي أن تكون موائدنا الرسمية ، الخارجية ، أو الداخلية بسيطة لا تحمل ميزانية الدولة شططًا.

وينبغي أن تكون موائدنا الخاصة بسيطة ، لا تجمع أطعمة متعددة ثم قذفًا إلى البطون.

وينبغي أن يقلع هذا الشعب الأكول عن الإنكباب على الأطعمة المتعددة في وجبة واحدة.

ولتذكر الشعوب العربية ، والإسلامية أن عمر يصيح بهم دائمًا ، أحلوًا وحامضًا ، وحارًا وباردًا ، ثم قذفًا إلى البطون ؟

وينبغي أن تساير مفاهيمنا الحديثة ، مفاهيم عمر السامية الراقية..

لقد كنا من قبل قوما ضائعين ، يشغلنا الاستعمار ببطوننا. والآن نحن في عهد يجب أن نخلع فيه ما كان منا ، ونتحول إلى مفاهيم عمر ، وإنها لأعلى مقام.

إن هناك في المجتمع قوما أولى شراهة وسفالة ... يأكلون ما لا ينفعهم ولكن يضرهم...

الرجل فيهم يقذف إلى بطنه في الوجبة الواحدة ما يكفي أسرة بأكملها !!!

هؤلاء يجب أن ينتهوا ، وأن يُضرب على أيديهم وأفواههم ؛ لأنهم ليسوا من مفهوم الإسلام في شيء !!!

## هذا هو طعام عملاق الحق والحقيقة!

ماذا كان طعام عمر ؟.. هل كان أكولاً ؟.

إليك أقصوصة تصور لك طعام العملاق ..

دخل عمر : وقد أصابه الجوع ، فقال : عندكم شيء ؟.

فقالت امرأته : تحت السرير.

فتناول قناعًا فيه تمر ، فأكل ، ثم شرب من الماء ، ثم مسح بطنه، ثم قال : ويح لمن أدخله بطنه النار.

هذا هو طعام العملاق ... الذي قذف الرعب في قلوب أهل الأرض جميعًا .. الذين معه والذين عليه.

تميرات أكلها في بساطة ، وشرب عليها قطرات ماء .. ثم صاح بالبشرية كلها : ويح لمن أدخله بطنه النار !.

إن الرجل الذي دوخ العالم ، وحول مجرى التاريخ كله من الباطل إلى الحق ، وأذل القياصرة، وبدد الأكاسرة ... ذلك الرجل الذي تسمع له الأرض والسماء ... طعامه تميرات معدودات ، وقطرات ماء !.

فأين من أين ؟... أين السادة الذين تنطبق أمعاؤهم على عفونات من أكداس الأطعمة التي يقذفونها إلى بطونهم ، من عمر، الذي يلتقم تميراته وقطراته ، ثم يلتفت إلى البشرية كلها، يوجهها : ويح لمن أدخله بطنه النار ؟

فكيف يستطيع الشعب العربي والإسلامي بعد ذلك أن يحول أنظاره عن عمر ، ويلتفت إلى ما يقوله الغربيون؟ مستحيل ... مستحيل أن تتحول الجماهير العربية عن عمر وتلتفت إلى أولئك أو هؤلاء.

ذلك أن كل فعل من فعاله . وكل واقعة من وقائعه ، تتلاشى إلى جوارها حسنات النظم العالمية القائمة كلها .. فكيف بعمر إذا جئناه جميعا صفًا واحدًا ، على قلب رجل واحد ، ننظر نظامه كله ، وأفاعيله كلها ، وعجائبه مجتمعة ؟

يومئذ سنشهد من عمر ، ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

سنشهد نظاما كاملا، متكاملا ، ومجتمعا سعيدا متكافلا متفاعلا ، وعدلا عاما شاملا ، وأخلاقا رفيعة عظيمة ، وبطولة شاهقة سامقة ..

مهما عددت وأحصيت .. لن تصل من عمر إلى شئ !!

إنه آفاق تمتد إلى الأبد .. كلما جئتها تباعدت أمامك بعيدًا بعيدًا..

فكيف يستطيع الشعب العربي والإسلامي، بعد أن ذاق عمر، وعرف عمر ، أن يقتنع بنظام مستورد؟.

إن الشعوب العربية عامة ، والإسلامية خاصة ، تحتقر أن تقتنع بنظام اشتراكي، أو رأسمالي، لأن عندها ما هو أعلى وأكمل، وأغلى وأشمل .

ولن تشيع الاشتراكية في قوم عرب أو مسلمين ، إلا في حالة واحدة . أن يجهل أولئك حقيقة أصولهم التاريخية .. أن يجهلوا محمدًا — ﷺ — ، وأبا بكر ، وعمر ، وسائر أئمة التاريخ الإسلامي!!!

أما إذا أدرك العرب . وأدرك المسلمون حقيقة مفاهيم الاسلام ، فلن يستطيع العالم كله أن يحول فردًا واحدًا إلى اشتراكية ، أو رأسمالية .

وهذا هو التفسير الحقيقي حين اختارت الشعوب العربية لنفسها سياسة من صنع ظروفها وإرادتها .

لأن تلك الشعوب لها رسالة ، نزلت إليها من ربها ، لا تستطيع أن تتحول عنها أبدا...

قال النخعي : بعث عمر مصدقين .

( موظفين يجمعون الزكاة ) فأبطأوا عليه ، و بالناس حاجة شديدة، فجاءوا ، بالصدقات.

فقام فيها متزرا بعباءة ، يختلف في أولها وآخرها ، و يقول : هذه لآل فلان ، وهذه لآل فلان. حتى انتصف النهار.

وجاع عمر ، ودخل بيته ، فما أمكن أكله أكله ، ثم قال : من أدخله بطنه النار أبعده الله.

وهناك كثير .. كثير جدًا .. يدل على أن الرجل كان كذلك دائمًا !!!

## أكُل المسلمين يشبعون مِن هذا ؟!

لما قدم عتبة أذربيجان أتى بالخبيص « حلوى من تمر وسمن» ، فلما أكله وجد شيئا حلوًا طيبًا ، فقال : والله لو صنعت لأمير المؤمنين من هذا.

فجعل له سفطين عظيمين ، ثم حملهما على بعير ، مع رجلين، فسرح بهما إلى عمر.

فلما قدما عليه فتحهما قال : أي شيء هذا؟ .

قالوا : خبيص.

فذاقه ، فإذا شيء حلو ، فقال للرسول : أكل المسلمين يشبعون من هذا في رحالهم « بيوتهم» ؟

فقال : لا.

فقال عمر : أمَّا لا ، فارددهما.

ثم كتب : أما بعد فانه ليس من كَدِّك ، ولا كَدِّ أُمِّك ، أشبع المسلمين مما تشبع منه في رحلك « بيتك » !!!

* * *

وذلك مفهوم آخر من مفاهيم عمر .. قائد من قواده الذين يفتحون الإمبراطورية الفارسية، يبعث إليه بشيء من طعام لذيذ ، وجده في بلاد فارس . أذربيجان..

فلما ذاقه عمر سأل الرسول : أكل المسلمين يشبعون من هذا في بيوتهم ؟.

أكل الجماهير تشبع من هذا الطعام الذي أرسلته إلي أمير المؤمنين ؟.

قال الرسول : لا.

فصاح عمر : أما لا ، فارددها .. ورفض عملاق الحق أن يأكل من الطعام شيئا.

فهل وقف عمر عند ذلك الحد ... كلا ، وإنما أصدر أمرا صارما قاسيا غليظا إلى قائده في فارس:

إنه ليس من كدك ، ولا كد أمك ، أشبع المسلمين مما تشبع منه في بيتك!!

صفعة غليظة صفع بها عمر وجه القائد ... دفاعا عن حق الجماهير في كل مكان وزمان .. ليس هذا الطعام اللذيذ من كدحك ، ولا كدح أمك . فلا ينبغي أن تؤثر نفسك به ، وتؤثرني به ، وتترك المسلمين ، تترك الجماهير لا تشبع منه !.

إنه يرى ألا يأكل من شيء لم يشبع منه كل فرد من الجماهير.

ويرى أن قائده ، وسائر قواد الدولة ، ليس لهم أن يأكلوا شيئا لم تشبع منه الجماهير.

أين مفهوم من مفهوم ؟. أين الأنانية تستبيح لنفسها حقوقا و امتيازات من دون الجماهير؟.

من الإيثار والسمو الذي لا يستبيح لنفسه أن ينال حقا لم ينله كل مواطن في الدولة ؟

شتان ... بين خُلُق وخُلُق ... أو بين قوم أدبهم الله فأحسن تأديبهم ، وقوم أدبهم الشيطان، فأساء تأديبهم.

## يرى أن يأكل رئيس الدولة من عمل يديه!

عن عبد الله بن غنم قال : شهدت عمر ينظر في أمور الناس، حتى تعالى النهار . وافترق الناس.

وقام إلى منزله ، واستتبعني ، ولما صار فيه ، قال لجاريته ، ائتينا غذائنا ( فطورنا ).

فقربت زيتًا وخبزًا .

فقال : ويحك ، ألا جعلت مكان الزيت سمنا؟.

قالت : يا أمير المؤمنين ، إنك قد جعلت مال الله في أمانتي ، وأن فرق الزيت ( مكيال معروف وقتذاك بالمدينة ) يقوم بكذا و كذا، وفرق السمن يقوم بكذا و كذا.

فقال : ويحك ، أما علمت أن داود كان يعمل ، فيأكل من عمل يديه؟

وتلك أقصوصة لها دلالتها .. عمر يواصل أعماله الرسمية حتى يرتفع النهار بدون إفطار.. ثم يذهب إلى منزله ويطلب من جاريته أن تحضر له إفطاره.

فتأتيه بخبز وزيت ، فيقول : ألا جعلت مكان الزيت سمنا؟

فتحتج الجارية بأنها تقتصد في استعمال السمن ، وتكثر من استعمال الزيت ، لأن السمن سريع الاستهلاك عن الزيت كما هي عادة النساء في البيوت حين يفضلن استهلاك النباتين على السمن.

فكان جواب عمر : أما علمت أن داود كان يعمل فيأكل من عمل يديه ؟ .. أي لا لوم علينا أن نأكل سمنًا ، فإنه من كسب طيب، من عمل يدي ، وقد كان داود يأكل من عمل يديه.

وهذا المنطق أخذه عمر من رسول الله - ﷺ - ، حين بين أن خير ما أكل المرء من عمل يديه، وأن نبي الله داود كان يأكل من عمل يديه.

لقد اشتاقت نفس عمر إلى السمن .. وأرادت الجارية أن تتنطع ، وتبرر له استعمال الزيت.. فأفهمها أنه لا تثريب عليه أن يأكل سمنا ما دام من عرق جبينه ، وعمل يديه.

هذا هو عمر .. شخصية متوازنة إلا أنها متسامية .. ترى أن الأفضل أن يأكل الحاكم من عمل يديه ، إن استطاع ، فإن لم يستطع فليأكل بالمعروف.

إنه تمام نظريته التي يقول فيها : أنا ككافل اليتيم ، إن استغنى تعفف ، وإن احتاج أكل بالمعروف.

فمن من رؤساء الدول في العالم الحديث يقدر أن يعمل متطوعا ؟!!

## ملابس رئيس الدولة الأعظم!

أقدم الآن إلى العالم الحديث أعجب منظر ، وأروع مظهر، لرئيس أكبر دولة في العالم ... الدولة الأغنى والأعظم..

سوف نرى عجبًا .. عمر .. رئيس الجمهوريات الإسلامية المتحدة . الذي وضعت خزائن الأرض كلها تحت قدميه . لا يملك الا قميصا واحدا ، يلبسه ليل نهار ، في حياته العامة وحياته الخاصة !.

وليت هذا القميص كان في حالة مقبولة بل كان باليًا مرقعًا!!

قال عليّ : رأيت لعمر بن الخطاب إزارًا فيه إحدى وعشرون رقعة ، من أدم ( جلد ) ، ورقعة من ثيابنا!

فهل يستطيع رئيس أصغر دويلة في عالمنا الحاضر أن يلبس ملابس فيها ٢١ رقعة ؟.

لا أحد يستطيع .. حتى صعاليك الناس لا يطيقون ذلك!!

ولكن عمر كان هكذا في حياته كلها .. بينما أموال العالم كله تحت قدميه!!

فمن في الناس قديمًا أو حديثًا مثلك يا عمر ؟!

أبطأ عمر جمعة في الصلاة فخرج ، فلما أن صعد المنبر اعتذر إلى الناس فقال : إنما حبسني قميصي هذا، ولم يكن لي قميص غيره.

فاعجبي يا دنيا .. اعجبي من رجل يملك العالم ، ويتسامى عن كل شيء في الحياة.. إلى درجة أنه يتأخر عن إمامة الجماهير في صلاة الجمعة حتى يجف قميصه بعد غسله !!!

قميص واحد يا عمر! ، بينما أقل صعلوك في دولتك العظمى يملك الكثير! .

إنك لأنت الرجل ، وأنت أنت الزعيم ، الزعيم ولم تتحول انظار الجماهير العربية والإسلامية إليه ..

## يحرم على نفسه أموال الشعب!

مر عمر بأمير إحدى القرى ، فألقى إليه قميصه ، فقال : اغسل هذا...

قال : فعمدت إلى قطريتين ، فقطعت من كل واحدة منها قميصًا ، ثم أتيته فقلت ، البس هذا فإنه أجمل وألين.

قال عمر : أمِن مالك ؟.

قلت : من مالي .

قال : هل خالطه شيء من الذمة ؟.

قلت : لا، إلا خياطه .

قال : اغرب ، هلمّ إلى قميصي .

قال : فلبسه ، وإنه لأخضر من الأشنان!!!

وتلك عجيبة أخرى .. يمر الرجل على رئيس القرية . فيلقي إليه قميصه ليغسله ، فيرى رئيس القرية ما بالثوب من بلي ورقاع ، فيصنع له قميصين ، ويتقدم إليه بهما ويقول : ألبس هذا ، فإنه أجمل وألين.

فيجري عمر مع الرجل تحقيقًا ، ويتأكد له أن القميصين من مال حلال ، إلا أن الإبرة التي استعملت في خياطة الثوب من مال أهل الذمة ، من مال الفرس.

فصاح عمر ؛ اغرب ... هلم إلى قميصي .

ابتعد عني أيها الرجل ... ائتني بقميصي بوسخه ، بدون غسيل.

ولبس عمر قميصه ، و إنه أخضر مما به من وسخ !!!

وأبي عملاق الحق أن يلبس قميصًا استعملت فيه إبرة من إبر أهل الذمة.

فأين عمر في هذا المقام من سائر رؤساء دول العالم الحديث ؟؟

## عمر يضحك من نفسه!

قال ابن عباس : خرجت أريد عمر بن الخطاب ، فلقيته راكبًا حمارًا .. في رجليه نعلان مخصوفتان ، وعليه إزار ، وقميص صغير ، وقد انكشفت منه رجلاه إلى ركبتيه.

« فمشيت إلى جانبه ، وجعلت أجذب الأزار ، و أسويه عليه . كلما سترت جانبًا ، انكشف جانب .

فيضحك ويقول . إنه لا يطيعك.

حتى جئنا العالية فصلينا ثم قدم بعض القوم إلينا طعاما من خبز ولحم .

فإذا عمر صائم ، فجعل يقدم إلى طيب اللحم ويقول : كل لي ولك..

ثم دخلنا حائطا ( حديقة ) فألقى إلى رداءه وقال : اكفنيه.

وألقى قميصه بين يديه ، وجعل يغسله ، و أنا أغسل رداءه. ثم جففناه ، وصلينا العصر، ومشينا » .

هذا هو عمر في مقام آخر .. بساطة محيرة للعقول !.

يصف لنا ابن عباس مظهر رئيس الدولة الأعظم، فيحدثنا عن أعجب مظهر ...

رجل يلبس قميصا لا يغطي ركبتيه ، وعليه رداء بسيط ، وفي رجليه نعل غاية في البساطة!!.

لا نياشين ، لا ملابس فاخرة ، لا تيجان ، لا تقاليد. لا شيء حتى مما اعتاد رجل الشارع أن يلبسه !!!

قميص لا يغطي ركبتيه!!

يختبيء رئيس أكبر دولة في العالم في الحديقة ، يغسل هذا القميص، ويرجو ابن عباس أن يعينه في غسل الرداء !.

كل هذا و الرجل صائم !! .

منظر عجيب .. لم تشهد الأرض مثله .. حتى عمر كان يضحك من نفسه ؛ لأنه أحس أنه انتصر على نفسه رغم ما بيده من أبهة وسلطان!

ماذا نستنبط من هذا ؟ هل نقول لرئيس الدولة : البس كما كان يلبس عمر قميصا واحدا فيه إحدى وعشرون رقعة ؟.

أم نقول لرئيس الدولة : ليس لك إلا قميص واحد ، كلما اتسخ عليك أن تجلس عاريا في منزلك ، حتى يجف من الغسيل؟

أم نقول له : هذا فعل عمر ، فعليك أن تفعل كما فعل عمر؟

كلا .. لا نقول له شيئا من ذلك ، وإنما نقول لرئيس الدولة ، ولكل صاحب منصب قيادي، عليكم بالبساطة في الملابس — ما استطعتم — وعليكم بالبساطة في المظاهر ما استطعتم ، فإن ذلك أطيب لنفوس الجماهير وأهنأ لقلوبهم.

أما أسلوب عمر .. فإن أحدا لا يستطيعه الآن ، ولا قبل الآن..

إنه مقام ارتفع إليه عمر وحده .. أما نحن فعلينا أن نقترب منه ما استطعنا.

فإن قيل : ولماذا شق عمر على نفسه وحرم عليها ما أحل الله لها؟.

قلنا : إن الرجل يريد أن يرتفع عند ربه ، ولا يريد أن يرتفع عند الناس.

إن الرجل ينزل عن حقوقه ؛ ابتغاء ما عند الله.

إن الرجل لا يريد أن يكون مقامه في الجنة دون مقام صاحبيه .. فهو يجتهد أن يقدم في دنياه ما يؤهله لذلك.

## عندما لاحت صلعة عمر للشمس!

قدم عمر الجابية « بالشام » على جمل أورق ، وهو حاسر الرأس ، تلوح صلعته للشمس، ليس عليه قلنسوة ، ولا عمامة ، رجلاه بين شعبتي رحله ، بلا ركاب ، وطاؤه كساء انبجاني «نسبة إلى منبج » ذو صوف.

« هو ركابه إذا ركب ، ووسادته اذا نزل .

عليه قميص من كرابيس « قطن » ، مرسم « مخطط ».

قد تخرق جنبه .

فقال : ادع لي رأس القرية.

فدعوه له فقال : اغسلوا قميصي وخيطوه ، وأعيروني قميصا أو ثوبا.

فأتى بقميص كتان فقال : ما هذا ؟

قالوا : كتان .

قال : وما الكتان ؟ فأخبروه . فنزع قميصه .

فقيل له : أنت ملك العرب، وهذه بلاد لا تصلح بها الإبل.

فأتى ببرذون ، فطرح عليه قطيفته بلا سرج ، ولا رحل ، وركبه ، فقال . احبسوا احبسوا، ما كنت أظن أن الناس يركبون الشياطين قبل هذا !.

فأتى بجمله فركبه.

« وفي رواية » أن الناس لما استقبلوه ، و هو على بعيره ، قالوا: يا أمير المؤمنين ، لو ركبت برذونا يلقاك عظماء الناس ووجوههم

فقال : لا أراكم هاهنا ، إنما الأمر من هاهنا . « وأشار بيده إلى السماء » خلوا سبيل جملي.

ماذا أقول في هذا المقام ؟ عمر يدخل إلى الشام ، ويستقبله قادة جيوشه ، ويشيرون عليه أن يركب شيئا أرقى من الجمل يركب برذونا عليه قطيفة ؛ لأنه ملك العرب ... والرومان قوم مظاهر وأبهة.

فيرفض عمر ويطلقها خالدة . إنما الأمر من هاهنا .

ويشير بيده إلى السماء ؟.

جملة عميقة جدًا .. إنما العزة من هاهنا ، من عند الله ، ليست العزة في الملابس الفاخرة. ولا في المظاهر الباهرة ، إنما هي من عند الله ، وإن الله لا ينظر إلى صوركم ، وإنما ينظر إلى ما في قلوبكم.

وتحدى عمر عواطف أصحابه جميعًا ، وتحدى العُرف السائد في عالمه كله.

ووقف وحده ، عملاقا شاهقا ، يعلن إلى الوجود كله ، أنه يعتز بالله ، ولا يعتز بالأسباب!.

وهذا مقام آخر لا يطيقه إلا عمر .. لا نقول لرؤساء الدول ، وقادتها افعلوا كما فعل عمر.. ولكن نقول لهم : حاولوا أن تقتربوا ولو قليلا من مقام عمر ... اركبوا في حياتكم العامة والخاصة وسائل نقل متوسطة ولا تتعالوا على الجماهير.

واذكروا دائما أن عمر سافر إلى الشام فاتحا على جمل بسيط، تلوح صلعته للشمس، على ظهر قطعة قماش من صوف، هي ركابه إذا ركب، ووسادته إذا نزل ! .

ذهب إلى الشام فاتحًا ، عليه قميص من قطن مخطط ، قد تخرق جنبه.

واذكروا هذا كله ، وطأطئوا من رءوسكم قليلا ، ولا تكلفوا الشعوب؛ بسبب تنقلاتكم شططًا.

أما السادة الاشتراكيون والرأسماليون فنقول لهم : هل يستطيع رئيس دولة أو قائد منكم أن يبلغ بساطة عمر في ملابسه وتنقلاته العامة والخاصة ؟.

فإن قالوا : لا أحد يستطيع ذلك..

قلنا ، ولكن عمر استطاع ذلك طول حياته ، وهو يرأس أكبر وأعظم وأغنى دولة في العالم .

فكيف تطلبون منا أن نترك عمر، ونتابعكم على ما أنتم عليه؟!!

## رئيس الدولة الأعظم يركب حمارًا خلف غلام!

خرج عمر في يوم حار ، واضعا رداءه على رأسه .

فمر به غلام على حمار .

فقال ، يا غلام ، احملني معك .

فوثب الغلام على الحمار وقال ، اركب يا أمير المؤمنين.

قال عمر ، لا ، اركب وأركب أنا خلفك ، تريد أن تحملني على المكان الوطيء ، وتركب أنت على المكان الخشن ؟!

فركب خلف الغلام ، فدخل المدينة ، وهو خلفه ، والناس ينظرون إليه!! .

هذا جانب من عظمة الرجل .. يقف رئيس الدولة الأعظم يحاور طفلا صغيرا ، ويسأله أن يحمله معه!! .

فلما طلب الغلام إلى عمر أن يركب ليركب هو خلفه ، رفض عمر ، وأطلقها صاروخا يدوي في الأرض والسماء ، اركب وأركب أنا خلفك ، تريد أن تحملني على المكان الوطيء وتركب أنت على المكان الخشن ؟!

وكان منظرًا خالدًا ، لم تشهد الدنيا مثله ، أن دخل الغلام المدينة على حماره ، وخلفه رئيس الدولة الأعظم !.

إن حاسة العدل عند عمر بلغت حدًا عاليًا جدًا .. إنه يرفض أن يركب هو على المكان اللين من الحمار ، ويركب الغلام على المكان الخشن!!

وعلى الفور ، انتصر على نفسه ، وركب على المكان الخشن خلف الطفل !!!

وشهد أهل المدينة منظرًا عجيبًا ، وقالوا في أنفسهم ، ليس في الناس مثل عمر!

وهذا شعار نرفعه أمام الجماهير في العالم كله ، ونقول لهم! هل يستطيع رئيس دولة منكم أن

يركب دراجة خلف طفل ، ويدخل إلى عاصمة ملكه وهو هكذا ؟.

فإن قالوا ! لا نجد من بيننا من يفعل ذلك .

قلنا : فكيف تسمحون لأنفسكم أن تلفتونا عن عمر ؟!!

## رجل لا ينام!

قدم معاوية بن حُديج، على عمر من مصر ، وبشره بفتح الأسكندرية

فقال له عمر : ماذا قلت يا معاوية حين أتيت المسجد؟

قال : قلت : أمير المؤمنين قائل « نائم نومة الظهر » .

قال : بئسما ظننت . لئن نمت النهار لأضيعن الرعية ، ولئن نمت الليل لأضيعن نفسي ، فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية ؟.

قالوا : وكان نومه خفقات ، في ساعات متفرقة . من ليل أو نهار.

ماذا يقول علماء النفس في هذا الرجل ؟ رجل لا ينام ليلا أو نهارًا وإنما يخفق خفقات من ليل أو نهار ؟

كيف كان يعمل جهاز عمر العصبي ؟ .. لا أحد يدري.

" لئن نمت النهار لأضيعن الرعية " كيف أنام في النهار ، وأنا مسئول عن دولة تضم أعظم أمم الأرض ؟.. مئات الملايين من الناس ! وأنا عنهم مسئول .. أقضي في كل صغيرة أو كبيرة من أمرهم .. فكيف أنام نهارًا ؟!

ولقد كان عمر يباشر ما جلّ ، وما قلّ من أمور الدولة ، وأمور الناس..

فكيف تكون مسئوليته من العظم والضخامة ، وهو يدير أمور العالم كله ؟ .

ثم هو بعد ذلك على درجة من الحساسية الشديدة ، في العدالة والمسئولية ، والخوف من الله... فكيف كان إحساس ذلك الرجل بمهمته الغليظة ؟.

فلو أن رجلا غيره ، بليد الحس ، بليد القلب ، لقلنا أنه يحكم ، ويتلذذ ، وينام ملء عينيه، ولا يبالي ما يكون من دولته أو في آخرته.

ولكن عمر كان رجلا يخاف الله أشد الخوف ، ويعلم ما هي مسئولية الحكم ، وما هو موقف الحاكم أمام الله.

ثم هو يحكم الشعوب بمقاييس أنزلها الله ، لا بمقاييس تواضع عليها الناس.

ثم يزيد مسئوليته ضخامة أنه كان يباشر كل أمور الدولة بنفسه.

فكيف كان إحساس الرجل برسالته ومهمته في الحياة ؟.

لا نستطيع أن نتصور ذلك ؛ لأنك لم تباشر التجربة التي باشرها عمر..

وإنما نستطيع أن نلمح شيئا قليلا من إحساسه بالمسئولية حين يقول : لئن نمت النهار لأضيعن الرعية.

ولو أن رجلا غير عمر لاحتج بأحمال المسئولية ، وأثقال الحكم ؛ وقال ، حسبي ما أنا فيه من بلاء و أعمال ثقال بالنهار ، دعوني أنام شيئا قليلا بالليل ؛ كما تنامون.

ولو قالها ، لقالت الدنيا نم يا عمر .. فإن نهارك جهاد دائم ، وليلك عمل دائب.

ولكن عمر يأبى على نفسه أن ينام شيئا من الليل ! .

لماذا ؟ ... ولئن نمت الليل لأضيعن نفسي ؟

ويقوم الرجل الليل ، بصلي أمام ربه ، ويبكي بين يديه سبحانه، ويمرغ وجهه في التراب طويلا.

ويجد الرجل أحلى ساعات حياته ، وهو قائم يناجي الله تبارك وتعالى بالليل.

ويمتاز عمر على الناس نهارًا حين يسوسهم جميعا بأمر الله ، ويمتاز عليهم جميعا ليلا حين يقوم أكثر مما يقومون ، و يبكي أطول مما يبكون.

امتياز في النهار ... وامتياز في الليل..

ويعلنها عمر خالدة إلى معاوية : فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية ؟.

ولكن الرجل بشر ، فيه ما في كل بشر من ضعف .. لابد له أن ينام، فمتى ينام ؟.

كان كلما غلبه النعاس ، خفق خفقات عارضات ، ثم يصحو سريعًا ؛ ليباشر مهام أعماله!.

فماذا يقول علماء النفس في العالم في مثل هذه الشخصية؟.

ماذا يقول زعماء الاشتراكية . في رجل ليله ونهاره للجماهير ولرب الجماهير ؟.

وماذا يقول زعماء الرأسمالية في عمر ، حين يواصل العمل نهارًا .. ويواصل القيام ليلا ؟ .

إن البشرية كلها ينبغي أن تفخر بعمر ، وأن تدرس عمر ، لا كشخصية إسلامية ، ولكن كشخصية عالمية ، بلغت حدًا خارقًا ، لم يبلغه أحد من الأقدمين أو المعاصرين .

لا تتعصبوا أيها الاشتراكيون والرأسماليون ، وادرسوا شخصية عمر ... ادرسوها ، وتتلمذوا عليها ، واستفيدوا من عليائها.

وحين تفرغون من دراسته سوف تصفقون معنا طويلا للرجل ، وسوف تقولون : لو أن عندنا

مثل عمر ، ما التفتنا إلى رجل غيره أبدا ، ولا تحولنا عن نظام حمله إلينا أبدا.

ومرة أخرى أقول للشرق والغرب : عندنا عمر.. لو أخذنا بشيء قليل من نظامه لفاق نظمكم كلها مجتمعة !!!

## عمر يضاعف العقوبة لأهل بيته!

كان عمر إذا نهى الناس عن شيء جمع أهله فقال : إني نهيت الناس عن كذا و كذا، وإن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير إلى اللحم، فإن وقعتم وقعوا ، وإن هبتم هابوا..

« وإني والله لا أوتي برجل منكم وقع فيما نهيت الناس عنه إلا ضاعفت له العذاب . لمكانه مني . فمن شاء فليتقدم ، ومن شاء فليتأخر » .

وهذا مفهوم آخر أخطر وأخطر من سياسة عمر ! ..

إنه إذا أصدر أمرا إلى الجماهير ، بتحريم شيء عليهم ، أو أمرهم بفعل معين ، سارع فعقد مؤتمرا عائليا لأسرته ، رجالها ونسائها ، القريبين منه والبعيدين ، وأعلن إليهم أنه نهى الناس عن كذا و كذا.

ثم ينذرهم أنه سيضاعف العقوبة لمن يقع منهم في مخالفة مما نهى الشعب عنها.

لماذا ؟ .. لمكانه مني ، لقرابته لعمر ؛ لأن الناس سيقولون: انظروا أقرباء عمر ، يفعلون ويفعلون ، ويمتازون عن الجماهير.

ثم ينذرهم الإنذار الأخير : فمن شاء فليتقدم ، ومن شاء فليتأخر.

فما معنى هذا ؟ .. معناه أن عمر يعمل على نزاهة الحكم إلى أقصى حدود النزاهة.

وأنه لا يكتفي بالقوانين و الدساتير ، وإنما يلجأ إلى التوجيه المباشر، والمؤتمرات المباشرة ، فيجمع أهله ، وينصحهم ويحذرهم أن يقعوا في شيء مما نهى الناس عنه .

فإن وقع أحدهم في شيء من ذلك ، فسوف يعاقبه عقابا مضاعفا.!

وعمر بفعله هذا يعلن أعظم شعار في الوجود في نزاهة الحكم.

فلا يجوز عند عمر أن يستغل أهل بيته وأقرباؤه منصبه ، منصب الخلافة ، ويفعلون ما يشاءون ، اعتمادا على حمايته لهم من بطش القوانين.

وعمر يقر أن أقرباء رئيس الدولة يجب أن تضاعف عقوبتهم إذا ارتكبوا شيئا يعاقب عليه القانون.

من أين لعمر هذه المبادئ ؟ ... هل هي من ابتكاراته ، أم من وحي السماء ؟.

بل هي من وحي السماء، حين قال الله : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِۚ ... ﴾ [الأحزاب ٣٠]

لماذا تعذب المرأة من أمهات المؤمنين ضعف عذاب مثلها من النساء؟.

؛ لأن نساء رئيس الدولة قد يعتمدن على سلطة زوجهن ، ويرتكبن المخالفات ، اعتمادا على حمايته لهن.

فوجب أن تكون عقوبة إحداهن ضعف عقوبة المرأة العادية من الشعب .

مبدأ خالد يقرره الله في كتابه الكريم ...

ورغم أن نساء النبي — ﷺ — لن يكون منهن مخالفات ...

ولكنه التشريع.. التشريع اللازم للجماهير إلى يوم القيامة.

كأن الله يريد أن يقول للشعوب جميعا ، اعلموا أن أسرة رئيس الدولة ، زوجاته ، أولاده، أقاربه الأقربون أو الأبعدون، كل هؤلاء ممنوعون من الوقوع في شيء ما نهينا الناس عنه ، فإن وقعوا في شيء من ذلك فعلى الدولة أن تعاقبهم عقوبة مضاعفة جزاء وفاقا.

من هذا الينبوع الإلهي الخالد ، رقرق عمر مبدأه الخالد الذي أعلنه إلى أهله حين اجتمع بهم ، أن من أتى منهم المخالفة عاقبه عقوبة مضاعفة.

وعمر بهذا ، يتفوق على سائر النظم الوضعية التي كانت أو تكون !!!

يتفوق عليها حين يقرر مضاعفة العقوبة لأقرباء الحاكم ، بينما أقصى ما تطمح إليه النظم الوضعية أن تعاقب أقرباء الحاكم مثل عقوبة سائر الجماهير.

ذلك أن النظم القائمة في العالم الحديث كلها تمالئ ظاهرًا أو باطنًا، أقرباء أهل السلطة ، ومحاسيب أهل الحكم ، إذا خالفوا قوانين البلاد.

وكم من قوانين أهدرت ، وكم من حرمات استبيحت ، لا بسبب إلا أن المعتدين أقرباء للحاكم ، أو لذي السلطان.

هنالك تطوى التحقيقات ، وتغير الاتهامات ، وتنتهي الأمور إلى براءة أهل الحاكم مما نسب إليهم والتنكيل بالذين تجرءوا على اتهامهم أو التشهير بهم!

إنها جاهلية عمياء ، وظلمة ظلماء ، منتشرة في كل النظم القائمة على وجه الأرض ، على اختلاف في المعايير والنسب.

لكن عمر علا فوق هذا كله ؛ لأنه يقبس من نور السماء من قوانين الله التي فرضها على

عباده.

فلا يكتفي بمعاقبة أهل الحاكم مثل غيرهم ، وإنما ضعف غيرهم.

وأنا اتحدى النظم القائمة في أي دولة من دول العالم اليوم أن تبلغ فيها نزاهة الحاكم ، المبلغ الذي بلغته في عهد عمر ، أو بعض ما بلغته في عهد عمر .

فما من دولة قائمة اليوم ، مهما كان نظامها ، أو رقيها الاجتماعي ، إلا وهناك استغلال لسلطة ، قليل أو كثير ، من أسرة الحاكم ، أو أصحاب السلطة.

قد تتفاوت الدول في ذلك ، ولكنها كلها واقعة في هذا المرض السياسي العام.

ولكن عمر يخطط لاستئصال ذلك المرض من جهاز الحكم في عهده فيجمع أسرته ، وينذرهم، أنه سيبطش بأحدهم ضعف بطشه برجل الشارع ، إذا وقع في مخالفة.

قوة عظيمة من الرجل ، إنه يضحي بعاطفة القربى ، و عاطفة النسب، وعاطفة الجماهير، وينحاز إلى الحق وحده ، لوجه الحق وحده.

ويئس أقرباء عمر من عمر ... وعاشوا ككل الناس ، أو أقل من كل الناس .

ماذا نستنبط من هذا ؟!

نستنبط من هذا أنه ينبغي أن ينص في دساتيرنا، وقوانيننا على أن كل فرد يكون قريبا لرئيس الدولة ، أو لأي فرد صاحب سلطة ، تضاعف له العقوبة مرتين ، إذا وقع في شيء يخالف قوانين البلاد المعمول بها.

وأن على رئيس الدولة ، وعلى كل ذي منصب، أو سلطة أن يجمع أسرته وينذرها أن تبتعد عن الوقوع في أي مخالفة قانونية أو غير قانونية وأنه سيعاقب من خالف منهم ضعف المواطن العادي.

وبذلك نضع أسسًا إنسانية خالدة ، في بناء دولتنا ، فتزداد خيرًا وسلامًا ورحمة.

فهل وقف عمر عند هذا الحد من تأديب أسرته ، حفاظًا على نزاهة الحكم المطلقة ؟.

## تحريم الهدايا على أسرة رئيس الدولة!

أهدى أبو موسى الأشعري ، لامرأة عمر ، عاتكة ، طنفسة ( سجادة صلاة ) أراها تكون ذراعًا وشبرًا.

فدخل عليها عمر ، فرآها ...

فقال : أنى لك هذه ؟!

فقالت : أهداها لي أبو موسى الأشعري.

فأخذها عمر ، فضرب بها رأسها ، ثم قال: عليَّ بأبي موسى الأشعري ، وأتعبوه.

فأتى به وقد أتعب ، وهو يقول ، لا تعجل عليّ يا أمير المؤمنين.

قال عمر : ما يحملك على أن تهدي لنسائي ؟!.

ثم أخذها عمر ، فضرب بها فوق رأسه وقال : خُذْها ، فلا حاجة لنا فيها !!!

* * *

والآن ، أيها العلمانيون ، أيها الرأسماليون ، أيها العرب ، أيها المسلمون ، ماذا انتم قائلون؟.

هو ذا عمر ، رئيس الدولة الأعظم، يدخل على زوجته ، عاتكة، فيلمح عندها سجادة صلاة ، لم تكن عندها من قبل.

فهاج هائجة ، وأقبل عليها كالأسد الغاضب ، أنّى لك هذه؟

فقالت — وهي لا تدري من الأمر شيئا — أهداها لي أبو موسى الأشعري.

ومن هو أبو موسى هذا ؟ .. هو قائد عام القوات المسلحة بالبصرة ، رجل له منصب خطير في الدولة.

فهاج عمر وماج ، وعلا الدم في جبينه ، فبدا كأنه يريد أن يهدم بنيانها من القواعد وأخذ السجادة ، وضرب بها رأسها ، تحقيرًا لشأنها ، وتأديبا لفعلتها! .

ونادي عمر في جنوده ، عليّ بأبي موسى الأشعري .

ولم يكتف بهذا ، بل قال: وأتعبوه .

وأرهقوه ، وعذبوه ، ونكلوا به نكالا !!!

وتحركت الشرطة العسكرية، وجاءوا بأبي موسى ، وقد أتعبوه ونفذوا فيه أوامر أمير المؤمنين.

ووقف أبو موسى خائفا يترقب ، قال : لا تعجل علي يا أمير المؤمنين.

يستعطف الرجل عمر ، ألا يوقع به ، أو ينكل به ، قبل أن يسمع دفاعه.

وقال أبو موسى أقوالا لم يقتنع بها عمر ، و أخذ السجادة، فضرب بها فوق رأسه ، ضربًا أوجعه..

وقال عمر ، خُذها ، فلا حاجة لنا فيها.

ودوت من فمه إلى السماء ، فتناقلتها سماء عن سماء أن الإنسان كان منه رجل هو الحق أو

الحق هو.

وما زالت الفعلة تدوي إلى الآن ، والقولة تتموج إلى أيامنا هذه تعلن إلى الناس كافة ، أن عمر رفض أن يهدي رجل من رجال دولته إلى زوجته سجادة صلاة !!!

واعتبرها عمر كبيرة من زوجته أن تقبلها، وضرب بها رأسها ضربًا وجيعًا .. واعتبرها عظيمة من أبي موسى فضرب بها رأسه ضربًا أليمًا..

وعاقبه على فعلته ، وأمر الشرطة العسكرية أن تتعبه وتعذبه!!!

وألقاها عمر في وجهه ، وقال له ، خُذْها... تحقيرا لفعلته، وتأديبا لجريمته! .

أي عمر ، إن السماء لتفاخر بك الأرض قبل أن تفاخر الأرض بك السماء.

يا مفخرة الأرض كلها ، على اختلاف أديانها وعقائدها...

أين نظامك من نظمهم ؟ أو أين سموك من ضعتهم ، أم أين صعودك من هبوطهم ؟! .

عمر يعتبر إهداء سجادة صلاة إلى زوجته جريمة كبرى ؛ تهتز لها أجهزة الحكم، ويهتز لها جهازه العصبي اهتزازًا عظيمًا !!!

ويثور ، ويفور ، ويضرب بها رأس زوجته ، ورأس أبي موسى، ثم يلقيها في وجهه.

ويأخذها أبو موسى ، ويذهب أسيفا ، حزينا ، مما أوقع به أمير المؤمنين ! .

وذلك هو المفهوم الكريم ، العالي ، الذي نريد أن نركزه في قلوب قادتنا ، وأجيالنا الصاعدة.

إن عمر حرم الهدايا – قليلها أو كثيرها – على نفسه ، أو على أهل بيته ، أو على أسرته.

وإن عمر أمر بتعذيب قائد عظيم من قواد الدولة ؛ لأنه أهدى سجادة صلاة إلى زوجته .

وإن عمر يستطيع أن يقدم لنا أعظم نظام، وأكمل نظام في الحكم والسياسة ، و شتى شئون الحياة ، فلا ينبغي أن ننخدع بما عندهم ، وإنما نفتش عن الجواهر المطمورة من تراثنا ، ونخرجها ، ونطبقها ، ونحن على يقين أنها أعلى وأكمل من سائر ما عندهم.

ويوم يكتشف المسلمون حقيقة عمر ، وحقيقة نظامه، سوف يعرضون عن كل نظام معاصر!!!

## عمر يصادر أموال أولاده!

عن عبد الله بن عمر قال : اشتريت إبلا ، وسقتها إلى الحمى فلما سمنت ، قدمت بها.

فدخل عمر السوق ، فرأى إبلا سمانًا ، فقال ، لمن هذه ؟.

فقيل : لعبد الله بن عمر .

فجعل يقول : يا عبد الله ! بخ بخ .. ابن أمير المؤمنين ؟!.

فجئته أسعى ، فقلت : مالك يا أمير المؤمنين ؟.

قال : ما هذه الإبل ؟.

قلت : إبل أنضاء ( هزيلة ) اشتريتها ، وبعثت بها إلى الحمى ، أبتغي ما يبتغي المسلمون.

فقال عمر : ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين ! اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين ! . يا عبد الله بن عمر! خذ رأس مالك واجعل الربح في بيت مال المسلمين.

هذا هو القرار الخطير الذي اتخذه عمر.. لقد قرر مصادرة أرباح رأس مال ابنه عبد الله ، وضمها إلى الأموال العامة.

لماذا ؟ ، لأن هناك احتمال شبه استغلال نفوذ رئيس الدولة!

ونحن نعرض القضية على رجال القضاء أجمعين ، في سائر الدول الحديثة ؛ ليحكموا فيها حكمهم ، ثم ننظر بعد هذا ، أي الحكمين أعلى وأسمى ، حكمهم أم حكم عمر ؟.

عدد من الجمال الهزيلة اشتراها ، عبد الله بن عمر ، ابن أمير المؤمنين.

وأرسلها إلى أرض الحمى ، وهي أرض خصصتها الدولة للمنافع العامة ... مراعي عامة، يبعث إليها من شاء من الشعب بهائمه للرعي.

ولذلك يقول عبد الله ، أبتغي ما يبتغي المسلمون.

ثم سمنت هذه الإبل، وبعث بها عبد الله بن عمر إلى السوق، ليبيعها.

فهل مال هذه الجمال حلال لصاحبها أم حرام ؟.

سيقول رجال القضاء في العالم ، بل حلال رأسمالها ، وأرباحها ؛ لأن ابن عمر لم يستغل شيئا من نفوذ أبيه في الموضوع.

ولكن عمر حكم حكما أعلى من حكمهم أجمعين...

فقال : ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين ! اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين، يا عبد الله بن عمر ، خذ رأس مالك ، واجعل الربح في بيت مال المسلمين!

إن عمر يقف على قمة عالية فيرى ما لم ير قضاة العالم كلهم.

يرى عمر أن إبل ابنه حين تدخل إلى أرض المراعي سوف يتقدم إليها بعض ضعاف النفوس، فيفسحون لها الطريق ، ويقولون: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين ، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين.

صحيح أن ابن عمر لم يرد هذا ، ولم يسع إليه ، ولكن الناس أنفسهم طبعوا على هذا.

فليس الذنب ذنب ابن عمر ، ولكن بعض الناس هم المذنبون ! .

وقضى عمر قضاءه : يا عبد الله بن عمر خذ رأس مالك ، واجعل الربح في بيت مال المسلمين!! .

وصادر عمر ما زاد عن رأس مال ابنه ، وأدخله إلى الخزانة العامة.

وظلم عمر ابن عمر ... فأنصف بذلك الجماهير الكادحة إلى يوم القيامة.

أنصفهم حين دافع عن احتمال أن يُظلموا ... فصادر أرباح ابنه وردها إلى الجماهير ، ملكا للشعب ، إلى الخزانة العامة.

مهما تبلغ الاشتراكية ، ومهما تزعم أنها أنصفت الجماهير ، ومكنت للشعوب من الرأسماليين .. فإنها لم تستطع أن تنصفهم كما أنصفهم عمر.

ماذا نستنبط من قرار عمر ؟.. نستنبط منه أن للدولة أن تصادر كل مال فيه شبهة استغلال نفوذ، وأن تضمه إلى بيت المال.

وتستطيع الدول الإسلامية أن تستنير في فلسفتها وقوانينها ، بما فعله عمر...

فلها أن تستولي على رءوس الأموال التي جمعت من حرام، أو استغلال النفوذ ، أو الفرص غير المتكافئة ، غير الطبيعية.

أو إن شاءت حرفية قوانين عمر ، فلها أن تصادر فورًا ، ولا تعوض أصحاب رءوس الأموال شيئا عن أموالهم.

وإنما تصادر ، كما صادر عمر أرباح أموال ابنه ، وضمها إلى بيت المال.

أما عمر فيرى المصادرة فورًا ، ولا شيء لأصحاب رءوس الأموال التي جمعت من استغلال النفوذ طرف الدولة.

إن هذا الإجراء هو الذي يرضي نفوس الجماهير ، والكادحين والمظلومين ؛ لأنهم يشعرون بذلك أنهم استردوا أموالهم أموال الشعب المظلوم.

إن عمر قد صادر مال ابنه الذي لا شبهة فيه ، ولا حرمة في جمعه، ولا استغلال نفوذ في استغلاله .. فكيف بأموال قوم جمعت من حرام واستغلت في حرام ، وأعطت أصحابها فرصا غير طبيعية ؛ ليرتفعوا بغير الحق في الأرض ؟.

وماذا نستنبط كذلك من مبدأ عمر الخالد ، مبدأ مصادرة ما زاد عن رأس المال ، إذا كانت هناك شبهة في الزيادة ؟.

إن للدولة أن تقول لكل مستغل ، أو غني بغير حق ، أو صاحب سلطة أو منصب ، أو أجنبي ، أو عربي : خذ رأس مالك ، واجعل الربح في بيت مال المسلمين.

خذ رأس مالك ، ودعنا نصادر ما زاد عن رأس المال !!!

## عمر يقرر مبدأ تكافؤ الفرص!

عن أسلم قال : خرج عبد الله ، وعبيد الله ، ابنا عمر ، في جيش إلى العراق.

فلما قفلا ، مرا على أبي موسى الأشعري ، وهو أمير البصرة فرحب بهما ، وسهل وقال:

لو أقدر لكما على أمر أنفعكما به لفعلت

ثم قال : بلى ، ها هنا مال من مال الله ، أريد أن أبعث به إلى أمير المؤمنين ، وأسلفكماه، فتبتاعان به من متاع العراق، ثم تبيعانه بالمدينة فتؤديان رأس المال إلى أمير المؤمنين ، و يكون لكما الربح.

ففعلا ... وكتب إلى عمر أن يأخذ منهما المال .

فلما قدما على عمر، قال : أكل الجيش أسلف كما أسلفكما؟

فقالا : لا

فقال عمر : أديا المال وربحه.

فأما عبد الله فسكت ، وأما عبيد الله فقال : ما ينبغي لك يا أمير المؤمنين ، لو هلك المال أو نقص لضمناه.

فقال : أديا المال .

فسكت عبد الله ، وراجعه عبيد الله.

فقال رجل من جلساء عمر : يا أمير المؤمنين ، لو جعلته قراضا ( شركة ) ؟.

فقال عمر : قد جعلته قراضا .

فأخذ عمر رأس المال ، ونصف ربحه ، وأخذا نصف ربحه

* * *

قضية أخرى خطيرة .. أبو موسى يعطي ابني عمر مالا عاما ، يتاجران ، فيأخذان ، ويردان رأس المال إلى الخزانة العامة.

وثار عمر حين علم ، واعتبرها كبيرة ، وأمرهما برد رأس المال وربحه كله للخزانة العامة : أديا المال.

وظل التحاور بينه وبين ابنه ، حتى حكم أحد الجلساء بينهما أن يجعلها شركة بين الدولة

وبينهما . مال عام يستغله أفراد من الشعب فأخذت الدولة مالها ونصف الربح ، وأخذ الأفراد نصف الربح الاخر نظير مجهودهم في العمل والاستثمار.

إلا أن عمر لم يكن بالمطمئن إلى هذا الحكم ، رغم أنه شيء جائز شرعا.

إنه يرى فيه زاوية أخرى حين قال لهما : أكل الجيش أسلف كما أسلفكما ؟

إنه يرى أن كل فرد في الجيش ينبغي أن يكون له نفس الفرصة.

فإذا كان جنديان من الجيش؛ هما ابنا عمر ؛ قد أخذا فرصة فينبغي لكل مواطن أن يأخذ نفس الفرصة .

إنها نظرية تكافؤ الفرص في المفاهيم المعاصرة .

يقررها عمر منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام حين يقول : أكل الجيش أسلف كما أسلفكما؟

فلما قالا له : لا ...

قال عمر : أديا المال وربحه!!

لا يجوز لكما أن تنتفعا بفرصة ؛ لم ينتفع بها كل فرد في الشعب .

إيه يا عمر ، ما هذا الذي تبدعه ؛ فتبقى على جبين الزمان عجائبه ؟

## مصادرة أموال زوجة رئيس الدولة الأعظم!

قدم بريد ملك الروم على عمر:

فاستقرضت امرأة عمر ، دينارًا ، فاشترت به عطرًا ، وجعلته في قوارير.

وبعثت به مع البريد إلى امرأة ملك الروم .

فلما أتاها ، فرغتهن ، وملأتهن جواهر .

وقالت : اذهب به إلى امرأة عمر .

فلما أتاها ، فرغتهن على البساط .

فدخل عمر ، فقال : ما هذا ؟

فأخبرته ، فأخذ عمر الجواهر ، فباعها ، ودفع إلى امرأته دينارًا.

وجعل ما بقي من ذلك في بيت مال المسلمين !!!

* * *

وهذه أقوى حجة نسوقها دليلا على ما ذهبنا إليه من ضرورة مصادرة الأموال التي جمعت من استغلال النفوذ فورًا دون إعطاء أصحابها أي تعويض .

هذه هي زوجة رئيس الدولة الأعظم ، تقترض دينارًا واحدًا ، وتشتري به عطرًا ثم تملأ به عددًا من القوارير.

وأرسلت حرم رئيس الدولة تلك القوارير هدية إلى حرم إمبراطور الرومان.

فلما وصلت القوارير إلى حرم الإمبراطور ، ردت على الهدية بأحسن منها ، بما يناسب مركزها الاجتماعي الرفيع .. أفرغت ما في القوارير من عطور ، وملأتها جواهر كريمة ، غالية الثمن .

فلما وصلت القوارير إلى زوجة عمر ، فرغتهن على البساط.

وكانت المفاجأة .. دخل عمر ، فرأى تلك الجواهر ، فصاح : ما هذا ؟

فقصت عليه زوجته القصة من بدايتها إلى نهايتها..

وعلى الفور حكم عمر في القضية ... أخذ الجواهر كلها ، وباعها ، وكان ثمنها كبيرًا .

ودفع إلى امرأته دينارًا واحدًا ... هو ما اشترت به العطور .. أما باقي الثمن فصادره ، ورده إلى الخزانة العامة ، إلى الشعب ، إلى الجماهير!! .

وهذا المفهوم الخطير ، نؤسس عليه مبدأً خطيرًا..

أن عمر صادر مال زوجته باعتبارها حرم رئيس الدولة ، لا باعتبارها حرم مواطن عادي.

وأن عمر اعتبر وضعها الاجتماعي هو السبب الذي دفع حرم الإمبراطور إلى إرسال الجواهر إليها ، فلو أنها كانت امرأة من الجماهير ما أرسلت إليها زوجة الإمبراطور تلك الجواهر، ولا استطاعت هي نفسها أن ترسل تلك العطور إلى زوجة الإمبراطور، ولما كان لتلك العطور قيمة تذكر عند المرسلة إليها

وإنما اكتسبت العطور قيمة معنوية بأنها من حرم رئيس الدولة الإسلامية الأعظم.

هناك إذا احتمال شبهة استغلال نفوذ ... إن زوجة عمر قد أفادت شيئا يسيرًا جدًا من مركز زوجها الاجتماعي..

وهنا يثور عمر ويثور ... ويطلقها خالدة : لك دينار واحد ، وكل المال يرد إلى بيت المال!.

و منطق عمر هذا هو ما ينبغي أن نركزه في رءوس الجماهير الإسلامية الصاعدة ؛ ليعلم الشعب المسلم مدى حقوقه في أموال الدولة!!!

## القناطير المقنطرة من الذهب والفضة تحت قدميه!

قال عبد الله بن الأرقم لعمر : إن عندنا حلية من حلية جلولاء، وآنية ، وفضة ، فانظر ما تأمرنا فيها.

فقال عمر : إذا رأيتني فارغًا فآذني .

فجاء يومًا ، فقال يا أمير المؤمنين ! إني أراك اليوم فارغا ؟

قال : ابسط نطعًا.

فبسطه ، ثم أتى بذلك المال ، فصب عليه ؛ ووقف فقال : اللهم إنك ذكرت هذا المال فقلت : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ﴾ [ آل عمران ١٤]

وقلت : ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [ الحديد ٢٣ ]

اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا .

اللهم إني أسألك أن تضعه في حقه ، وأعوذ بك من شره » فأتى بابن له فقال : يا أبتاه، هب لي خاتمًا .

قال عمر : اذهب إلى أمك تسقيك سويقا .

فما أعطاه شيئا !!!

* * *

وتلك عجيبة أخرى من عجائب الرجل !!!

كميات ضخمة من الذهب والفضة والجواهر واللآلئ ، في الخزانة العامة ، جاءت من غنائم معركة جلولاء، في فارس.

فلما أن فرغ عمر من شئون الدولة شيئا قليلا ، جاءوه بتلك الأكداس من الذهب والفضة، وأفرغوها أمامه..

فماذا كان من عمر ؟ .. انصرف الرجل إلى ربه ، قبل أن ينصرف إلى عمله .. جعل يخاطب ربه : اللهم إنك ذكرت هذا المال فقلت : وما زال في نجواه مع الله ، حتى قال : اللهم إني أسألك أن تضعه في حقه ، وأعوذ بك من شره !!!

يقظة قلبية إلى أبعد الحدود .. لو أن رجلا غير عمر ؛ لسارع إلى تلك الأموال يوزعها ؛ ولاستهلك ذلك العمل طاقاته العقلية والبدنية ؛ ولأثنى عليه الناس أن أحسن عمله ، واستفرغ فيه طاقاته.

ولكن عمر طراز أعظم من الرجال جميعًا .. إنه مع الله دائما، إن المال ولو كثر بين يديه، لن يشغله عن الله لحظة واحدة.

من أجل ذلك اتجه فورًا إلى الله ، وترك كل شيء ، لم يحفل بالأموال ، لم يحفل بالناس من حوله ، وإنما تحول إلى عابد يناجي مولاه، وإلى أستاذ يعلم تلاميذه.

فلما فرغ من النجوى ، سأل الله أن يضع ذلك المال في حقه فلا يأخذه من لا يستحقه.. وأن يعيذه من شره ، فلا يظلم في توزيعه ، ولا يعطيه ، أحدا بغير حق.

وتعلمت البشرية كلها من عمر أن الإنسان ينبغي عليه ألا ينشغل بالدنيا عن الله.

وأن الإنسان يجب عليه أن يستلهم الرشد في أعماله من الله.

وألا يفتتح عملا إلا بعد أن يسأل الله التوفيق في أدائه خاصة الأعمال العامة ، التي تمس حقوق الجماهير.

ثم ماذا ؟ .. جاء طفل صغير يسعى ، فرأى الأموال العظيمة، فصاح: يا أبتاه ، هب لي خاتما .

وتطلعت الدنيا ، ماذا يقول عمر لابنه الطفل ؟.

وقالها عمر ... اذهب إلى أمك ، تسقيك سويقا .

لم تتحرك فيه غريزة الأبوة ؛ ولم تأخذه بابنه رحمة ولا حنان.

و إنما زجره ، وطرده ، وأمره أن يذهب إلى أمه !!.

وذهب الصغير يتلوى من الألم!! .

ولو أعطاه عمر خاتمًا ، ما جاوز الحق في ذلك ، فإن لأمير المؤمنين حقا في هذا المال.

ولكنه عمر ، ينزل عن حقه ؛ ليحفظ للجماهير حقوقها.

نزاهة وراء النزاهة ، وسمو وراء السمو ، ولكنها قطرة من بحار عظمتك يا عمر!!!

## إنما أنت لعبة!

عتب عمر على بعض عماله.

فكلمته امرأته فيه ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، فيم وجدت عليه؟.

قال عمر : يا عدوة الله ! وفيم أنت وهذا ؟ إنما أنت لُعبة يُلعب بكِ ثم تُتركين!

نحن الآن أمام عمر ، وهو يحكم في قضية من أخطر قضايا الحُكم والسياسة..

والقصة أن عمر كان يعتب على أحد قادة الدولة على نائبه في إحدى الولايات . في أمر من أمور منصبه .

فكلمته زوجته في ذلك القائد ، وكان حديثها : يا أمير المؤمنين ، فيم وجدت عليه ؟ ما الذي أغضبك منه يا أمير المؤمنين ؟

ولعلها أثنت عليه خيرا ، وزكته عند عمر..

وهنا ثار عمر ثورة كبرى ، وصاح بها : يا عدوة الله ، وفيم أنت وهذا؟!.

ما شأنك أنت و شئون الدولة والسياسة ؟!

ثم امتدت ثورة عمر امتدادًا خطيرًا ، مس كيانها كله ، وكيان جنسها فقال:

إنما أنت لُعبة ، يُلعب بك ثم تُتركين !! .

كيف تستبيحين لنفسك أن تتدخلي في سياسة الدولة ، وأن تتجاوزي حدودك المرسومة لك ، أن تكوني زوجة ، لا تتجاوزيها إلى دائرة السياسة العامة ؟.

إنما أنت لُعبة الرجل ، يلعب بها . ويستمتع بها ، ثم تُترك.

وتلك هي دائرتك ، أن تكوني زوجة .. أما أن تحاولي أن تستغلي صلتك برئيس الدولة، فتشفعي في رجل من رجالاتها فلا!!!

وكانت صيحة من عمر ، ألزمت زوجته مكانها الطبيعي من حياته أن تكون زوجة فقط، تلاعبه ، ويلاعبها ، ولا شيء وراء ذلك!!!

أما السياسة ، أما شئون الدولة ، فلا يجوز أن تتدخل فيها ، ولو بكلمة واحدة .

وعمر حين يقرر ذلك المفهوم ، إنما يقرره ضمانا لنزاهة الحكم ، وضمانا لسلامة الحاكم من المؤثرات النسائية.

فمن المعلوم أن زوجة الإنسان هي ألصق الناس به في حياته ، ولها من التأثير عليه ما ليس لغيرها من الناس.

فهي تخالطه في نومه ، وفي شأنه كله ، مما يمكنها من الإيحاء إليه بما تشاء.

فلو أبيح لها التدخل في حياته العامة — كرئيس للدولة — لأرضت اليه أمورًا ، ولو أطاعها فيها، لفسد الأمر في الدولة كلها.

من هنا صاح عمر بزوجته ، وردها إلى مكانها الطبيعي من حياته...

وعمر بهذا يعلو على سائر رؤساء الدول في عصرنا الحديث.

فهناك من رؤساء الدول في عالمنا الحاضر من يستسلم لزوجته في شئونه الخاصة والعامة ، مما قد يؤدي إلى اختلال موازين الأمور.

ولكن عمر ليس كذلك ، إنه يضع الأمور مواضعها ، فلزوجته حدودها كزوجة ، ولحياته السياسية العامة حدودها.

وكم في الناس مثل عمر ، يستطيع أن يلتزم الحق في أمره كله ؟!

## حق أقربائي في مالي!

جيء بمال إلى عمر ، فبلغ ذلك بنته حفصة ، أم المؤمنين ، فقالت : يا أمير المؤمنين ! حق أقاربك من هذا المال ، قد أوصى الله عز وجل إليك بالأقربين !.

فقال عمر : يا بنية حق أقربائي في مالي ، وأما هذا ففيء المسلمين، غششتِ أباك ، ونصحت أقرباءك ، قومي.

فقامت ، والله تجر ذيلها !.

* * *

يبدو عمر هنا كالسيف .. تريد حفصة أن تتوسع قليلا في فهم توجيهات كتاب الله ، فأبي عمر ، وقوّم منطقها ، وصاح بها : قومي !.

لماذا ؟ ؛ لأن الحق عند عمر أعلى من كل انسان ، مهما كان ذلك الإنسان .. ولو كانت إحدى أمهات المؤمنين....

أقصوصة رائعة باقية ما بقي الزمان !!!

أموال كثيرة تأتي إلى رئيس الدولة ، أموال عامة ... فجاءته بنته حفصه ، تذكره حق أقاربه في ذلك المال ، مخافة أن يحرمهم ، ويمنعهم حقهم ، تنزيهًا لهم عن الشبهات، ومقالات القائلين.

وكان منطقها : يا أمير المؤمنين ، حق أقاربك في هذا المال؟ قد أوصى الله عز وجل إليك بالأقربين ؟

إنها تأتيه من المدخل الذي يشرح صدره .. من كتاب الله.. ومقام كتاب الله عند عمر فوق كل مقام..

فهل انشرح عمر صدرًا بقولها ؟.. كلا، بل ضاق به نفسًا، واكتأب ، وثار ، وصاح بها يا بنية ، حق أقربائي في مالي ؟..

منطق رفيع من عمر ... إن كنت تعنين حق أقربائي الذي أوصى الله في كتابه ، فاعلمي أن ذلك يكون من مالي الخاص ، لا من الأموال العامة.

وهذا المفهوم من عمر ، ينطلق في آفاق التاريخ مبدأ خالدًا، يقرر أن من أراد أن يمنح أقاربه فليمنحهم من ماله الخاص كيف يشاء...

أما أن يستغل رئيس الدولة أو صاحب السلطة ، منصبه وسلطاته في إفادة أقاربه فهذا ممنوع ومحظور.

ومنطق عمر هنا يعلو فوق منطق العالم الحديث الذي يبيح للحاكمين أن يفيدوا أقاربهم مما بأيديهم من مقادير وسلطات.

ولكن عمر يأبى ، ويقول لابنته : وأما هذا ففيء المسلمين؟ . هذا المال غنائم من حق المسلمين جميعا ، هذا مال عام من حق الجماهير ، ليس من حقي أن أعطي أقاربي منه شيئا ! .

ويضيق صدره لمنطقها، ويضيق ، فيقول غششتِ أباك ، ونصحت أقرباءك .. قومى. .

وأقامها من مجلسه ، ولم يشفع لها عنده أنها أم المؤمنين!!!

و عمر دائما هو عمر ... إشعاع نفاذ ، يشرق على الأمور ، فإذا بها على حقيقتها ، عارية من كل زيف.

وقامت حفصة ، وقد استقر منطق عمر في فؤادها ، وكان درسا تلقته من أبيها، ومفهومًا خالدًا تعلمته من الرجل العظيم!!!

## ما هذه الريح ؟!

كان عمر يدفع إلى امرأته طيبًا ، من طيب المسلمين ، فتبيعه امرأته.

فبايعت مرة ، فجعلت تقوم ، وتزيد، وتنقص ، وتكسره بأسنانها، فيعلق بأصبعيها منه ، فتمسح بأصبعيها على خمارها .

فدخل عمر فقال : ما هذه الريح ؟.

فأخبرته بالذي كان .

قال : طيب المسلمين ، تأخذينه أنت فتتطيبين به ؟!.

فانتزع الخمار من رأسها ، و أخذ جزءًا من ماء ، فجعل يصب الماء على الخمار ، ثم يدلكه في التراب ، ثم يشمه .

فعل ذلك ما شاء الله ، حتى ذهب ريحه.

فجعلت بعد ذلك ! إذا علق بأصابعها شيء مسحت بها التراب!.

* * *

وفاجأها عمر ، وشم الرائحة ، فصاح : ما هذه الريح ؟.

فلما أخبرته بما فعلت ، أرسلها صيحة تموجت إلى عليين : طيب المسلمين تأخذينه أنت فتتطيبين به !!.

روائح ملك الجماهير تأخذينها أنت فتتطيبين بها ؟.

وما أخذت زوجته شيئا ، وما أرادت أن تأخذ، ولكنه حكم العمل الذي تقوم به ، هو الذي أعطى أصابعها تلك الرائحة ، فاضطرت أن تمسح أصابعها في خمارها ، ففاحت الرائحة!!

ليس هناك إرادة أخذ ، ولا إرادة استفادة !.

فهل اكتفى عمر أن قذف في وجهها ذلك الاتهام الغليظ؟.

كلا ، وإنما هاج هائجة ، فانتزع الخمار من رأسها في عنف.

وجعل يصب الماء على الخمار ، ثم يدلكه في التراب ثم يشمه.

مرة ، ومرات ، ومرات ، فعل ذلك عمر ، حتى اطمأن أن الرائحة قد ذهبت !!.

ما الذي قام بنفس عمر تجاه تلك الرائحة ؟.

لقد كان يحس أن رجسا يعلق بخمار زوجته ، وأن غضب الله يوشك أن ينزل عليه وعليها ، وأنه إنما يأتي إحدى الكبر لو لم يزل ذلك المنكر العظيم؟!.

ومن كان على مقام عمر ، يقوم بنفسه مثل ذلك ، وأضعاف ذلك فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين.

فكيف و عمر من أقرب المقربين ؟!.

أما أعجب ما في القصة الثانية ، فأن يرفض عمر أن تقوم زوجته بوزن العنبر الذي أتاه من البحرين!

فلما استفسرت لماذا تمنعها من ذلك ، قال : أخشى أن تأخذيه هكذا فتجعليه هكذا، وتمسحين به عنقك فأصيب فضلا عن المسلمين !!!

إن عمر يخشى أن تقع هذه فيما وقعت فيه أخت لها من قبل أن تعلق رائحة المسك والعنبر بأصبعها فتمسح به عنقها ، فيصيب عمر بذلك ما لا يزيد عما أصاب كل فرد من الشعب!! .

وتلك عجيبة العجائب ، ومنطق الغرائب .. أفإن علقت الرائحة بأصابع امرأته ، فمسحت بتلك الأصابع عنقها ، كان معنى هذا أن عمر أخذ أكثر من غيره ؟.

يقول منطقنا: ليس في ذلك شيء، ولا هو زيادة أخذها عمر..

ويقول منطق عمر : بل فيه ما فيه .. فيه ذرات غير مرئيات ، تناثرت من ذلك العنبر والمسك، إلى أصابع زوجتي ثم إلى عنقها ، وإذا علم أن الله يحاسب الإنسان على ما هو أصغر من الذرة ، فإنه محاسبي على تلك الذرات التي علقت بأصابع امرأتي ، وإذا علم أني لا أطيق عذاب الله، فكيف أفعل شيئا لا أستطيع حمل مسئوليته ؟.

ذلك منطق عمر.. وإنه لعال عال .. فوق منطق الناس جميعا..

فأين من أين ؟.. أين هذا الذي كان من عمر ، مما يبتلعه رؤساء كثير من الدول المعاصرة من أموال شعوبهم زورًا وبهتانًا؟.

ولا يحسون لذلك أدنى تألم ، ولا أقل مبالاة ؟!

## من يعرف هذه منكم ؟!

بينما عمر يمشي في سكة من سكك المدينة ، إذا هو بصبية، تطيش هزالاً.

تقوم مرة ، وتقع أخرى .

قال عمر : يا حوبتها ! يا بؤسها ! من يعرف هذه منكم ؟.

قال عبد الله بن عمر : أما تعرفها يا أمير المؤمنين ؟!

قال : لا.

قال : هذه إحدى بناتك !.

قال : وأي بناتي هذه ؟

قال : هذه فلانة بنت عبد الله بن عمر .

قال : ويحك وما صيرها إلى ما أرى ؟.

قال : منعك ما عندك !.

قال : ومنعي ما عندي منعك أن تطلب لبناتك ما يطلب القوم لبناتهم؟!

إنك والله ما لك عندي غير سهمك في المسلمين ، وسعك أو أعجزك، هذا كتاب الله بيني وبينكم.

* * *

طفلة صغيرة .. يكاد يقتلها الهزال، تقوم مرة ، وتقع أخرى..

رآها عمر .. فرق لها رقة شديدة ، وقال : يا بؤسها .. من يعرف هذه منكم ؟

وظن عمر أنها طفلة من الشعب ، ابنة لأحد المساكين ، فسأل عنها ؛ ليقرر لها حقوقا في الخزانة العامة.

وفزع عمر لما رآها.. يتخبطها الجوع مرة، والهزال أخرى.

واهتز لها اهتزازًا كبيرًا .. إن الله سائله يوم القيامة لماذا أجاعها ، لماذا ضيعها ؟!

فلما أخبره عبد الله ابنه أنها بنت عبد الله.

قال : ويحك وما صيرها إلى ما أرى ؟

قال عبد الله : منعك ما عندك ؟

إنك يا عمر ، لا تعطينا شيئا يقوم بنفقاتنا، إنك تعطى كل الناس إلا أسرتك ، أنك تفرض على كل الناس إلا أهلك ، فمن أين لنا ما نغذى به تلك الصغيرة؟

وهنا تغيرت أحاسيس عمر، وحدث انقلاب بكيانه النفساني.

حين كان يظن أنها إحدى بنات الشعب، كان يريد أن يقرر لها حقوقها في الخزانة العامة، وكان شديد الحزن أن فرط في حقها.

فلما علم أنها ابنة ابنه ، أنها أحد أفراد أسرته ، ذهب عنه الحزن ، وذهب عنه الأسف ، وتصلب ، وتشدد ، وقال لابنه: إنك والله مالك عندي غير سهمك في المسلمين وسعك أو أعجزك.

سواء أكان نصيبك من المال يكفيك أو لا يكفيك ؛ يا عبد الله بن عمر. فإني لا أعطيك زيادة عنه شيئا.

هلكت بنتك أم لم تهلك .. فلأن يهلكها الجوع خير مِن مَن أعطيها !!

وصاح به عمر : هذا كتاب الله بيني وبينكم .

الفيصل بين رئيس الدولة و بين الشعب هو كتاب الله.

هو الميزان ، هو الكشاف ، هو الذي ينبغي أن يقف عند حدوده عمر.

ولقد أحسن عمر الوقوف عند حدود الله وزيادة.

أشقياء ، والله أشقياء .. أفراد أسرتك يا عمر .. لقد أتعبتهم وأرحت الناس ، وأشقيتهم وأسعدت الناس، وحرمتهم وأعطيت الناس!!!

## هذا المال لا يحل لي إلا بحقه!

قال عاصم بن عمر : أرسل إليَّ عمر ، يرفأ ( مولاه ) فأتيته – وهو في مصلاه عند الفجر – فقال : إني لم أكن أرى شيئا من هذا المال يحل لي قبل أن أليه إلا بحقه.

« ثم لم يكن أحرم علي منه حين وليته ، فعاد أمانتي ، وقد كنت أنفقت عليك من مال الله شهرًا ، فلست بزائدك عليه ، ولكني معينك بثمر مالي بالغابة ، فأجدده ( أحصده ) فبعه فخذ ثمنه، ثم ائت رجلا من تجار قومك فكن إلى جانبه ، فإذا ابتاع شيئا فاستشركه ، واستنفق وأنفق.

ما معنى هذه الأقصوصة ؟ .. معناها أن عمر استدعى ولده عاصمًا ، ثم استفتح حديثه

معه بتقرير شعوره نحو الأموال العامة بقوله:

« إني لم أكن أرى شيئا من هذا المال يحل لي قبل أن أليه إلا بحقه، ثم لم يكن أحرم عليَّ منه حين وليته » ..

مبدأ خالد .. المال لا يحل لأحد إلا بالحق، إلا من وجه مشروع . .

فكل مال من وجه غير مشروع فهو حرام ، لا يحل لأحد أن يجمعه أو يمسكه.

سواء في ذلك الأموال العامة أو الخاصة...

ثم يقرر عمر أن هذا المال صار أشد حرمة عليه بعد أن صار رئيسًا للدولة ، له حق التصرف في أموالها .. حينئذ تزداد حرمة ذلك المال ، فلا يجوز لرئيس الدولة أن يمسه إلا بالحق.

وبعد أن استفتح عمر حديثه بتقرير ذلك المبدأ الخالد ، جعل يقص على ولده قصته : وقد كنت أنفقت عليك من مال الله شهرًا.

اعلم يا بني أن الشعب قد قرض لعمر في بيت نفقته ونفقة أهله ، فلذلك أنفقت عليك من ذلك المال شهرًا.

ثم انظر إلى تعبيره « مال الله » ... لم يقل مال الدولة ، أو الأموال العامة ، وإنما أصر على قوله « مال الله » تقريرًا للقاعدة العامة من هذا الإسلام ، أن المال مال الله ، ليس مال أحد، ولا مال الدولة..

وفي ذلك تقرير لإنسانية الإنسان وتكريم ؛ لأن رجل الشارع إذا أحس أن كل المال مال الله، وأن الجميع سواء في حق الاستمتاع به استقر في نفسه إحساس عميق بالمساواة.

ثم يقول : فلست بزائدك عليه .. لن أمنحك يا عاصم أكثر مما منحتك الدولة، ولن أستغل سلطتي ، فأمر لك من بيت المال بمال آخر فلا تطمع في ذلك ، فإني لا أستبيح لنفسي أن آخذ شيئا من أموال الدولة بغير إذن من الشعب.

ثم يمضي عمر ، فيحل لابنه مشكلته المعيشية ، و يأمره أن يذهب فيحصد ثمار المزرعة التي يملكها عمر ، ويبيع منها ، ويستعين بها ، على تكاليف الحياة!

وكذلك نرى عمر في حياته الخاصة ، هو عمر في حياته العامة، ظاهره كباطنه ، وباطنه كظاهره ، وذلك أقصى غايات الصفاء والنقاء.

ماذا نستنبط من ذلك المفهوم ؟.. أن الشعب يقرر ماهية رئيس الدولة حسبما يراه مناسبا، في غير إسراف ، ولا إتلاف. وأن رئيس الدولة ملزم ألا يتجاوز ما قرره الشعب .. عليه أن يعيش في حدود ما يقرره له ؛ كفاه أم لم يكفه .. فهذا هو عمر ، يقول لابنه : أن مقررات رئيس الدولة

لا تكفي أن يعطيه ، وأن عليه أن يستكمل ما نقص من احتياجاته من ماله الخاص !!!

## الفقراء أحق من الأغنياء بتقدير الدولة ؟!

قسم عمر مروطًا (أكسية من صوف) بين نساء أهل المدينة فبقي منها مرط (كساء ) جيد.

فقال له بعض من حضر : يا أمير المؤمنين ! أعط هذا ابنة رسول الله — ﷺ — التي عندك - يريدون أم كلثوم بنت علي -.

فقال عمر : أم سليط أحق به ، فإنها ممن بايع رسول الله — ﷺ — ، وكانت تزفن ( تحمل) للناس القرب يوم أحد.

*　*　*

وعلوت مرة أخري يا عمر ، حين فضلت أم سليط ، الفقيرة ، التي ليست من سلالة النبوة ، ولا من بيت الحكم ، على أم كلثوم بنت علي ، التي هي من سلالة رسول الله — ﷺ — ، ومن البيت الحاكم..

علوت يا عمر عند الله ؛ لأنك نطقت بالحق ، والله يحب الحق.

وعلوت عند المظلومين ، والمقهورين ، والضائعين ، الذين لا يأبه الناس لهم!

وعلوت عند الجماهير ، والشعوب ؛ لأنك قدرت البطولة في شخص بطلة مغمورة ، لا يعرفها أحد ، ولا يشير إليها أحد.

ولكنك أنت يا عمر ، يا شعاعًا إلى الحقيقة يسري .... أدركت ما لم يدركه إلا أهل البصائر النفاذة .

فحين قالوا لك : أعط هذا ابنة رسول الله — ﷺ — التي عندك (يريدون أم كلثوم بنت علي)..

قلت أنت على الفور : أم سليط أحق به ؟.

لماذا يا عمر ؟ ؛ لأنها من بايع رسول الله — ﷺ —، وكانت تحمل للناس القرب يوم أحُد!!

ما أعظم حكمك يا عمر في تلك القضية ! إن الله قد أحب منك ذلك الحكم ، لأنك أقمت به انكسار قلوب المستضعفين، الذين لا يعلم آلامهم إلا علام الغيوب.

وطوحت يا عمر بآرائهم حين أشاروا عليك أن تعطي ذلك الثوب الجميل لزوجتك أم كلثوم بنت علي... بنت رسول الله، وآثرت أم سليط ، امرأة من الشعب ، فقيرة ، مغمورة، لا يلتفت اليها الناس..

ولكنك أنت التفت إليها يا عمر .. من هناك .. يوم رأيتها تبايع رسول الله — ﷺ — ، بينما غيرها يحارب رسول الله .. ويوم رأيتها تحمل القرب يوم أحد ، تسقي المقاتلين في سبيل الله ، وتعرض نفسها للموت.

فحكمت يا عمر أن من سبق إلى الإيمان بالله أحق ممن لم يسبق ، وأن من قاتل في سبيل الله أحق ممن لم يقاتل ، وأن من كان فقيرا أحق ممن كان غنيا ، وأن من كان مغمورًا أحق ممن كان مشهورًا..

وخالفت بحكمك الناس جميعا ، وما تواضعوا عليه جميعًا .

لأنك مقام فوقهم جميعا .. تبصر ما لا يبصرون !.

فلتلتف الجماهير ، في أنحاء العالم كله نحو عمر ، فهو رجلها، وناصرها ، ومكرمها.

وهو الصادق في الانتصار لها ؛ لأنه يألم كما يألمون !!!

## الدرهم الذي هَزَّ عمر!

كان معيقيب على بيت مال عمر ، فكسح بيت المال يومًا ، فوجد فيه درهمًا ، فدفعه إلى ابن لعمر.

قال معيقيب : ثم انصرفت إلى بيتي ، فإذا رسول عمر قد جاء يدعوني، فجئت فإذا الدرهم في يده.

فقال عمر : ويحك يا معيقيب ، أوجدت علي في نفسك سببًا؟! مالي ومالك ؟!.

فقلت : ما ذاك ؟.

قال : أردت أن تخاطبني أمة محمد — ﷺ — في هذا الدرهم يوم القيامة؟!.

* * *

ماذا أستطيع أن أقول ؟، وأين القلم الذي يستطيع أن يصور تلك اللوحة الإنسانية الخالدة؟.

يا أيها الناس ، في كل مكان ، في كل بقاع العالم ، تعالوا واشهدوا..

درهم واحد ... قروش محدودة.. شيء تافه لا وزن له .. وجده أمين الخزانة العامة وهو يجردها .. فدفعه إلى طفل صغير من أبناء عمر .. فذهب الطفل في سذاجة إلى ابيه عمر..

وذهب أمين بيت المال إلى منزله ...

فإذا برسول عمر يفاجئ الأمين ويدعوه إلى عمر...

ودخل الأمين على عمر ، فدهش لما رأى الدرهم في يده ، وهو يئز أزيزًا شديدًا.

صاح به عمر : ويحك ... مالي ومالك ؟

لماذا تفعل بي يا معيقيب ، أبيني و بينك ثأر ، تريد أن تنتقم مني ؟.

قال الرجل : وما ذاك ؟

فزأر عمر زئيره الخالد : أردت أن تخاصمني أمة محمد — ﷺ — في هذا الدرهم يوم القيامة؟!

ماذا أقول أمام الله ... حين يقوم الناس لرب العالمين ؟ ، بماذا أدافع عن نفسي ، حين يسألني الله ؟ لماذا أخذت ذلك الدرهم من أموال الشعب، واختصصت به ابنك من دون الجميع؟

إنها لفضيحة ، وخزي وعار ، يلحقني أمام الناس أجمعين.. فأي جريمة أرتكبها في حق نفسي أعظم من تلك الجريمة ؟!

ذلك هو الينبوع الذي تتدفق منه أنهار الجمال و الجلال في قلب عمر.

إن الرجل يوقن يقينا لا شك فيه أن الآخرة حق ، وأن الله سائله عن كل شيء يوم القيامة، وأنه لا يريد أن يقف موقفا يخزيه الله فيه..

إن عمر يفزع من أجل درهم واحد وقع عفوًا بيد طفل من أبنائه !!!

## عمر يصادر أموال ابنه!

قال عبد الله بن عمر : شهدت جلولاء : ( موقعة حربية كانت بين المسلمين والفرس ) فابتعت من الغنائم بأربعين ألفا، وقدمت على عمر.

فقال عمر : يا عبد الله بن عمر ، لو انطلق بي إلى النار ، كنت لي مفتدى ؟.

قلت : نعم ، بكل شيء أملك.

قال : فإني مخاصَم . و كأني بك تبايع بجلولاء، يقولون : هذا عبد الله بن عمر ، صاحب رسول الله ، وابن أمير المؤمنين ، وأكرم أهله عليه ، وأن يرخصوا عليك كذا وكذا درهما أحب إليهم من أن يغلوا عليك بدرهم.

« وسأعطيك من الربح أفضل ما ربح رجل من قريش.

ثم أتى عمر باب صفية بنت أبي عبيد ( زوجة عبد الله بن عمر ) فأقسم عليها ألا تخرج من بيتها شيئا.

قالت : يا أمير المؤمنين ذلك لك.

ثم تركني سبعة أيام، ثم استدعى التجار ، ثم قال : يا عبدالله ابن عمر ، إني مسئول.

فباع من التجار متاعا بأربعمائة ألف فأعطاني ثمانين ألفا ، وأرسل ثلاثمائة وعشرين ألفا إلى سعد ، فقال : اقسم هذا المال فيمن شهد الوقعة ، فإن كان أحد منهم مات ، فابعث بنصيبه إلى ورثته.

* * *

وتلك قضية أخلد من سابقتها ... تقرر سلوكا من عمر عجيبًا، ما شهدت له الدنيا مثيلا!.

عبد الله بن عمر ، أتقى أبناء عمر ، وصاحب رسول الله ، يشهد معركة جلولاء التي كانت بين المسلمين والإمبراطورية الفارسية.

وبعد النصر ، وبعد أن وزعت الغنائم على المسلمين ، رأى عبد الله أن يتجر كما يتجر غيره من المسلمين.

فعل مشروع ، لا مانع منه ، ولا يصادم شريعة، وليس فيه ظلم لأحد...

فاشترى من الغنائم التي بأيدي أهلها بأربعين ألفا من الدراهم ثم قدم إلى المدينة ، ودخل على أبيه أمير المؤمنين...

ففوجئ بما لم يكن في حسبانه ، فوجئ بأبيه يطرح عليه سؤالا له مغزى بعيد : لو انطلق بي إلى النار كنت لي مفتديا ؟.

قال عبد الله : نعم ، بكل شيء أملك.

فلما رأى عمر أنه قد بلغ من نفس ابنه ما يشاء ، فخلخل حبه للمال في قلبه ، جعل يعرض عليه مفهومه من الصفقة التي عقدها في فارس فإني مخاصم.

إني سيخاصمني الناس يوم القيامة يا عبد الله ، بسبب صفقتك هذه !.

وكأني بك تبايع بجلولاء ، يقولون : هذا عبد الله بن عمر ، صاحب رسول الله ، وابن أمير المؤمنين ، وأكرم أهله عليه ، وأن يرخصوا عليك كذا وكذا درهما ، أحب إليهم من أن يغلوا عليك بدرهم!! .

ومنطق عجيب لا ينفذ إليه إلا عمر ... إنه يرى أن الناس سيحجمون عن منافسة عبد الله إذا أقدم على الشراء ، وسيؤثرونه على أنفسهم ، وسيكون أحب إلى نفوسهم أن يبيعوا له أرخص مما يبيعون إلى غيره.

لماذا ؟ ؛ لأنه ابن عمر ، وصاحب رسول الله ، وابن أمير المؤمنين، وأكرم أهله عليه ... كل هذا كان تأثيره على نفوسهم شديدًا مما يدفعهم إلى إيثاره بالبيع ، وإيثاره بالأسعار الرخيصة.

هناك إذا – في مفهوم عمر – شبهة استغلال نفوذ ، أو احتمال إفادة من منصب أمير المؤمنين! .

وكانت مفاجأة لعبد الله بن عمر ... ولكنه سكت ، وانتظر ماذا يفعل أبوه ؟!.

وجاء عمر إلى بيت ابنه يسعى ، وأقسم على زوجة ابنه ألا تخرج من بيتها شيئًا ..

أي : أنه وقع حجزًا تحفظيًا على جميع الأموال التي ابتاعها عبد الله من جلولاء، وأحضرها معه إلى بيته ، وعين حارسًا عليها.

وأصدر عمر أمره بتجميد تلك الأموال ، فلا يمسها أحد ، ولا يجوز التصرف فيها من أحد...

وتركها كذلك سبعة أيام مجمدة حتى يتصرف فيها...

ثم استدعى عمر تجار المدينة ... فلما حضروا التفت عمر إلى ابنه ، صاحب تلك الأموال المجمدة ، وقال : يا عبد الله بن عمر إني مسئول.!

" إني مسؤول " .. أن الله سيسألني : لماذا تركت تلك الأموال لابنك وأنت تعلم أن فيها احتمال شبهة ؟.

وعجب ابنه ، لماذا يفعل عمر هذا ؟ ... إن أمواله حلال من حلال، إنه لم يدخل فيها درهما واحدا من حرام ، أو من احتمال حرام.

كانت مزايدة ، وعلى مشهد من الشعب كله ...

وباع عمر بضاعة ابنه بأربعمائة ألف .

فأعطى ابنه منها ثمانين ألفا.

وأرسل ثلاثمائة وعشرين ألفا إلى سعد بن أبي وقاص ، قائد عام القوات الإسلامية المسلحة بالجبهة الفارسية ، فقال : أقسم هذا المال فيمن شهد الوقعة ، فإن كان أحد منهم مات ، فابعث بنصيبه إلى ورثته .

ونفذ سعد أوامر عمر ، ووزع المبلغ على من شهد موقعة جلولاء !.

وكانت قضية ... طأطأ لها عبد الله بن عمر رأسه ، وما كان له أن يخرج على أبيه ، وهو سر أبيه!

ورضي ابن عمر أن يأخذ رأسماله وربحا معقولا ... لقد اشترى بأربعين ألفا ، فأعطاه عمر ثمانين ألف ) ... رأس المال وربح معقول ..

أما الباقي ... أما الثلاثمائة وعشرين ألفا .. فمن حق الشعب يوزعها سعد على جميع الذين شهدوا المعركة التي كانت سببًا في تلك الغنائم!.

فماذا في هذا ؟ .. فيه أن عمر حين صاح : إني مسئول ، فإنما يقرر مبدأ باقيًا .. أن رئيس الدولة مسئول أمام الله ، وأمام الشعب عن كل ظلم يقع في الدولة.

وأن عمر حرم على ابنه أن يستفيد من سلطة أبيه ، أو صحبته لرسول الله – ﷺ – .

وأن عمر استخرج من فعل مباح أتاه ابنه منكرًا محرمًا ، يستوجب مصادرة أربعة أخماس المال!

وأن المستوى الذي ارتفع إليه عمر ، يعجز الناس أن يصلوا منه إلى شيء ولو قليل.

وأن عمر قد ترك فينا مقاييس ، ومفاهيم ، و موازين ، لو قسنا ، أو فهمنا ، أو وزنا الأمور بشيء منها ، لتطايرت نظم الدنيا كلها أمامنا هباء !!!

## إني أخاف عليك الزنا!

قال ابن عمر : استأذنت عمر في الجهاد فقال : أي بني ! إني أخاف عليك الزنا !.

فقلت : أو على مثلي تتخوف ذلك ؟.

قال : تلقون العدو ، فيمنحكم الله أكنافهم فتقتلون المقاتلة وتسبون الذرية ، وتجمعون المتاع ، فتقام جارية في المغنم ، فينادي عليها، فتسوم بها ، فينكل الناس عنك ، ويقولون : ابن أمير المؤمنين ، ولله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيها حق ، فتقع عليها، فإذا أنت زان! اجلس.

* * *

مفهوم آخر ، يعلو على أفهامنا ... يريد ابن عمر أن يذهب ليقاتل ، ويستأذن أباه في ذلك فيقول له : اني أخاف عليك الزنا!

وما يزال به ابنه يستفسر منه عما يريد ، حتى يبين له أنه قد يأخذ جارية من الجواري ، بينما هناك من الجماهير من يريدها) ولكنه يحجم عنها لمكانة ابن عمر من أمير المؤمنين..

فمعنى ذلك أن ابن عمر أخذ مالا من أموال الجماهير بدون حق!!!

أي أنه اغتصب هذه الجارية .. فإذا أتاها ، فقد أتى امرأة لا تحل له ، فهو زان!!

ودائمًا وأبدًا هكذا عمر ... رجل يبتعد عما أحل الله ، استبراء لدينه من الشبهات

و هذا مقام لا يطيقه إلا عمر نفسه ... أما ابن عمر – رغم علو مقامه – فإنه لم يستطع أن يحلق تحليق أبيه ، ولا أن يرتفع ارتفاعه؟!!

## إن لك أسوة في عمر!

بعث إلى عمر سعد بن أبي وقاص ، بستة آلاف ألف مثقال، بما أصاب يوم جلولاء (وكان قد أصاب ثلاثين ألف ألف).

فقسمها عمر بين المهاجرين والأنصار ، فبدأ بأهل بدر ثم بأزواج النبي – ﷺ – .

فلما فرغ أعطى عبد الله بن عمر دون نظرائه .

فقال : يا أمير المؤمنين تضرب لي دون نظرائي ؟!

فقال : يا عبد الله ! إن لك أسوة في عمر لا يسألني الله يوم القيامة أني ملت إلى أحد.

* * *

وضغط عمر مرة أخرى على ابنه ، وأعطاه أقل من نظرائه بدون سبب ، فلما عجب عبد الله من ذلك ، قال له عمر : إن لك أسوة في عمر !.

كن كأبيك ... إن عمر يتنازل عن أكثر حقوقه ، تنزها عما بأيدي الناس ، وعلوا على الدنيا ، فكن مثله ، وتأس به فهو خير أسوة.

لماذا يفعل عمر هذا ؟ .. لا يسألني الله يوم القيامة أني ملت إلى أحد.

هذا هو منطق عمر .. إنه لا يريد أن يسأله الله يوم القيامة لماذا مال إلى هذا دون ذاك ؟.

فهو يخفض نصيب ابنه حتى لا يكون هناك أدنى شبهة في ميله إليه! .

يا ويل أهل عمر من عمر ... يا ويلهم !!!

## من هو الملك الخائن!

قدم عليه صهره ، فعرض له أن يعطيه من بيت المال ، فانتهره عمر، وقال : أردت أن ألقى الله ملكا خائنا !!.

فلما كان بعد ذلك، أعطاه من صلب ماله.

لقد اعتبر عمر نفسه ملكًا خائنًا ، إذا أعطى صهره من الخزانة العامة...

وعالج عمر القضية مع صهره ، وأعطاه من ماله الخاص ، لا من مال الدولة.

ماذا نفيد من مفهوم عمر هذا ؟ ...

إن عمر يعتبر نفسه ملكا خائنا ان هو أعطى صهره من الخزانة العامة ، فماذا نسمي أولئك الذين ينهبون الأموال العامة لأنفسهم ، ويبددونها في أهوائهم ؟.

فماذا يسميهم عمر ؟.

يا ويل الملوك من عمر .. يا ويلهم !!!

## لقد أتعبتَ مَن بعدك!

قال علي بن أبي طالب : رأيت عمر على قتب يعدو ، فقلت : يا أمير المؤمنين أين تذهب؟

فقال : بعير ند من إبل الصدقة أطلبه .

فقلت : لقد أتعبت من بعدك!

فقال : فوالذي بعث محمدا — ﷺ — بالنبوة . لو أن عناقًا ( عنزًا ) ذهبت بشاطئ الفرات ، لأخذ بها عمر يوم القيامة! .

ذلك هو عمر .. إحساس فوق إحساس بالمسئولية .

عمر يجري ويجري .. وعلي بن أبي طالب يسأله : أين تذهب؟

فكان جوابه الخالد : بعير ند من إبل الصدقة أطلبه !!

فأجابه علي ، خلودًا بخلود : لقد أتعبت من بعدك!

صدقت يا علي، لقد أتعب عمر من بعده حقا .. فما من خليفة سيأتي بعد عمر الا ويبدو صغيرًا في عين الجماهير ؛ لأنه لم يستطع أن يفعل كل ما كان يفعله عمر .

ورغم أن الذين جاءوا من بعده ، كانوا عمالقة كبارًا .. إلا أنهم كانوا دائمًا دونه في فعاله حتى صاح الخليفة من بعده عثمان بن عفان : لن تجد مثل عمر ، لن تجد مثل عمر ، لن تجد مثل عمر.

فأي إتعاب لمن بعده أكثر من هذا ؟.

لقد علا عمر علوا كبيرا .. أعجز أي خليفة أن يصل إلى ما وصل إليه ؟!

ولقد كان علي يحس ذلك إحساس من عاش التجربة ، تجربة الخلافة ، فقد كان من كبار مستشاريه .. ويحس إحساس من يوشك أن يدخل إلى التجربة ، تجربة الخلافة ، فإنه قد يكون يوما ما خليفة بعد عمر ، فماذا هو فاعل فيها ، وقد ألفت الجماهير من عمر تلك المقاييس.

جمل من جمال الزكاة ابتعد عن مربطه ، أيعني هذا أن يعدو رئيس الدولة ، باحثا عنه؟.

تالله لو أن موظفا ، صغيرًا تعرض لمثل ذلك ما كلف نفسه الجري وراء الجمل .. ولكن عمر يعدو ويعدو.

لماذا ؟ .. لو أن عنزا ذهب بشاطئ الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة؟...

إنه يعدو لاعتقاده لو أن عنزًا ضلت بالعراق ، لسأل الله عمر عن ضلالها يوم القيامة ، رغم بعد المسافة بين المدينة والعراق !!

مفاهيم عالية جدًا ، من صنع عمر ، ومما استنبط عمر من هذا الإسلام.

فكيف لا يتعب جميع من بعده ؟.

وكيف بأولئك الذين يضيعون شعوبا بأكملها ، ولا يألمون؟

ويحرقون مستقبل بلادهم، ولا يحرك ذلك منهم إحساسا؟!!

## عندما بكى عمر ؟!

قال ابن عباس : دعاني عمر بن الخطاب فأتيته .

فإذا بين يديه نطع ، عليه الذهب ، منثور الحثًا.

قال : هلم فاقسم هذا بين قومك ، فالله أعلم حيث زوى هذا عن نبيه — عليه السلام — ، وعن أبي بكر، وأعطيته لخير أو أعطيته لشر؟.

قال ابن عباس : فأكببت عليه ، أقسم وأزيل « أفرق » فسمعت البكاء.

فإذا صوت عمر يبكي ، ويقول في بكائه : والذي نفسي بيده ما حبسه عن نبيه — ﷺ — ، وعن أبي بكر ، إرادة الشر له ، وأعطاه عمر إرادة الخير له! .

* * *

مقام تهتز له النفوس وتعجب ... فالمألوف أن الناس يفرحون بالمال إذا أتاهم ، ويستبشرون.. ولكن عمر لما جاءه الذهب أكوامًا ، ارتفع صوته بالبكاء.

لماذا ؟ ؛ لأنه يعجب لماذا حبس الله ذلك الذهب عن نبيه وأبي بكر وأعطاه إياه ؟.. غير معقول أن يكون عمر أكرم على الله من نبيه وصاحبه .. إذا لم يبق إلا أنه أعطى المال ؛ لأنه دونهم مقامًا عند الله وإلا أن الله يبتليه ماذا هو فاعل فيه ؟..

و فزع عمر من أكوام الذهب التي تقدم إليه كل يوم من شتى أنحاء العالم ، إن جيوشه تفتح كل يوم بلدة جديدة في المشارق والمغارب، وتغنم ملايين من الذهب والفضة ، وكل هذه الأموال تتدفق إلى عمر..

إنها فتنة ... إنه اختبار ، وهذا ما يفزع عمر ، و يبكيه ، ويا طول بكائه! .

فأين إحساس عمر هذا ، من إحساس رؤساء الدول اليوم الذين يفرحون فرحًا شديدًا إذا زادت إيرادات بلادهم قليلا؟.

هناك مسافات بعيدة ، تفصل بين هؤلاء وبين عمر..

فليجلسوا بين يديه ، وليتعلموا من فلسفته ، لعلهم يدركون شيئا مما يذهب إليه.

إن رجال السياسة والاقتصاد في العالم يحكمون أن الدولة بخير ما دامت الخزانة العامة بخير، ولا يهتمون بعد ذلك أمن حلال امتلأت أم من حرام...

ولكن عمر يرى أن الدولة لا تكون بخير إلا إذا كان الشعب يقف من الله موقف الطاعة ، والامتثال ، ولا يهمه بعد ذلك أمر هذا المال! .

خلاف خطير بين وجهتي النظر .. هؤلاء يريدون الدنيا من أي طريق، ومهما كان الأسلوب، وذلك يريد ما يرضي الله أولا ، أدى ذلك إلى ملء الخزانة أم لم يؤد !.

وفي هذا يقول عمر : نظرت في هذا الأمر ، فجعلت إن أردت الدنيا أضر بالآخرة ، و إن أردت الآخرة أضر بالدنيا ، فإذا كان الأمر هكذا فأضر بالفانية !!!

## عمر يفكر في مصادرة الأموال ليعيد توزيعها على الشعب ثم يتراجع

قال شقيق بن سلمة : جلست مع شيبة على الكرسي في الكعبة فقال : لقد جلس هذا المجلس عمر فقال : لقد هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمته بين المسلمين.

فقلت : ما أنت بفاعل .

قال : لم ؟

قلت : لم يعمله صاحباك .

قال : هما المرءان يقتدى بهما.

* * *

مبدأ خطير جدًا ... عمر يعلن من الكعبة ، وهي أقدس مكان عند جماهير المسلمين إعلانًا خطيرًا جدًا..

لقد هممت أن لا أدع فيها صفراء ، ولا بيضاء إلا قسمته بين المسلمين.

ما معنى هذا ؟ .. معناه أن عمر باعتباره رئيسا للدولة ، وأميرًا للمؤمنين ، وخليفة لرسول الله — ﷺ — ، قد بدا له رأى في رأس المال ، في الأموال عموما ...

انه يريد أن لا يدع في الدولة صفراء ولا بيضاء ، أي: ذهبا ولا فضة إلا قسمه بين المسلمين، بين أفراد الشعب جميعا.

ماذا كان يريد عمر بهذا الاتجاه الخطير ؟ .. هل كان يريد أن يلغي التفاوت بين الناس ،

فيسوي بينهم في الأموال ؟.

أم كان يريد أن يصادر جميع الأموال التي بأيدي الناس ، ثم يعيد توزيعها بالتساوي بين الجميع ؟.

أم كان يريد أن يعيد توزيع الثروة في البلاد أحس أن الأموال تتضخم بأيدي طبقة دون طبقة، فأراد انتزاع الأموال من أيديهم جميعا ثم توزيعها عليهم جميعا ؟.

إنه اتجاه خطير ، ويزيده خطورة صدوره عن عمر ... المثال التطبيقي الصحيح للإسلام.

ولولا أن الرجل أخبره أن رسول الله وصاحبه لم يفعلا ذلك، وقد كاد عمر أن يفعل ، و لنفذ إرادته ، ولصادر الذهب والفضة ، ثم أعاد توزيعها على الجميع بالتساوي !!!

إلا أنه تراجع ، حين علم أن صاحبيه لم يفعلا ذلك ...

وكان تراجعه رحمة بالناس في عهده ، ومن بعده.

ولو توبع عمر على رأيه هذا لشق على الناس ، ولكان مبدأ خطيرا أن يبيح للدولة أن تصادر الأموال التي بأيدي الناس متى شاءت ، ثم تعيد توزيعها على الجميع.

ولعل عمر فكر في ذلك ، لأنه رأى أن رءوس الأموال بدأت تتجمع في أيدي طبقة معينة، مما خشي منه أن يعود المجتمع إلى الطبقية المالية البغيضة ، فيخالف بذلك توجيه القرآن ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾ [الحشر ٧]

إلا أن تفكير عمر هذا رغم أنه لم يطبق إلا أنه سيبقى مبدأ مقررًا، إذا شاءت الدولة أن تأخذ به ، فلها ذلك إذا كان فيه مصلحة عامة.

فإذا آنست الدولة تضخما بأيدي طبقة دون أخرى ، فلها أن تعيد توزيعها على الشعب.

ومن يدرى لعل عمر لو طالت به الأيام .. ورأى أن قوما يملكون الآلاف من الذهب والفضة، وقوما لا يملكون ؛ لأقدم على تنفيذ اتجاهه ، ولصادر الثروات ، ولأعاد توزيعها بين الناس، إحقاقا للعدالة بينهم ؟!.

ماذا يكون هذا الاتجاه ؟! ، إنه اتجاه عمري ، ينفرد به عمر ويبتكره، ويرغب في تنفيذه، لولا أن صاحبيه لم يقدما عليه فتراجع عنه!

وأترك الموضوع الآن للبشرية كلها، لتفكر فيه ، وتنظر إلى أي مدى بلغت حرية التفكير عند عمر.

بلغت حدا فكر فيه في مصادرة الأموال ؛ ليوزعها على جميع الناس..

رغبة عميقة جدا في تحقيق العدالة المطلقة بين الجميع !!

يا له من مبدأ ولو علمه الاشتراكيون لصفقوا طويلا ، ولو علمه الرأسماليون لبكوا كثيرًا!!!

## رسول الله يعلم عمر سياسة المال!

عن عبد الله بن عمر قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : قد كان رسول الله — ﷺ — يعطيني العطاء ، فأقول : أعطه من هو أفقر إليه مني.

حتى أعطاني مرة مالا فقلت : أعطه من هو أفقر إليه مني.

فقال رسول الله — ﷺ — : خذه ، وما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك.

* * *

وكان درسا ثمينا ، وتوجيها شريفا منه — ﷺ — لصاحبه .. يريد عمر أن يتعفف عما يمنحه رسول الله من مال..

فعل ذلك أكثر من مرة .. حتى كانت هذه المرة . فلما أراد أن يأبى وجّهه — ﷺ — : أن يأخذه، ولا شيء عليه في ذلك، ما دام هو لم يتطلع إلى تملكه، ولم يسأل أحدًا أن يعطيه ذلك المال ، أما أن يتبعه نفسه ، ويتحرق شوقا إلى جمعه فهذا ما لا داعي إليه ؛ لأنه يعود الإنسان الحرص على المال، وارتكاب ما لا يجوز في سبيل جمعه !!!

## عمر يقر رأس المال المناسب!

قال عمر لابن السعدي : ما مالك ؟.

قال : فرسان ، وعبدان ، وبغلان أغزو بهن، ومزرعة آكل منها.

فأعطاه عمر ألف دينار . فقال : خذ هذه فاستنفقها.

فقال ابن السعدي : إنه لا حاجة لي إليها ، وستجد يا أمير المؤمنين من أحوج إليها مني.

فقال عمر : بلى فخذها ، فإن رسول الله — ﷺ — دعاني إلى مثل ما دعوتك إليه فقلت مثل الذي قلت.

فقال : يا عمر ما جاءك الله به من رزق غير متشرفة إليه نفسك ولا سائلة فاقبله ، فإن استغنيت عنه فتصدق به ، وما لم يأتك فدعه .

هذه واقعة تعطينا إشعاعات عريضة في مشكلة رأس المال.. يسأل عمر : ما مالك ؟.

ما هو رأس المال اللازم لكل إنسان ليضمن له حياة طيبة مقبولة في هذه الحياة ؟.

فحدد الرجل رأس المال اللازم له : فرسان ، وعبدان ، وبغلان ، ومزرعة يأكل منها.

هذه هي الأمور اللازمة لمثله لتضمن له حياة مقبولة . فأعطاه عمر ألف دينار..

قررها عمر للرجل ، واعتبرها مبلغا كافيا ، ورأسمالا يضمن له حياة مقبولة .

فرفضها الرجل : إنه لا حاجة لي إليها ، و ستجد من هو أحوج إليها مني.

فوجهه عمر أن يأخذها ، وتلا عليه مبدأ رسول الله الخالد الذي قال لعمر في مثل ذلك الموقف : يا عمر ! ما جاءك الله به من رزق غير متشرفة إليه نفسك ، ولا سائلة فاقبله ، فإن استغنيت عنه فتصدق به ، و ما لم يأتك فدعه .

قواعد عامة كريمة يضعها رسول الله — ﷺ —

إن للإنسان أن يأخذ المال يرزقه الله إياه على أن لا تتحرق نفسه إليه بغير الحق.

فإن استغني عن المال الذي يملكه فليتصدق به على من هو أحوج اليه منه.

أما إذا لم يأته المال ، فأولى له أن لا يطلبه بغير الحق فإنه يهلكه .

وبذلك قرر رسول الله — ﷺ — رأس المال، قرر تملك الإنسان لرأس المال الذي يكفيه ، وقرر أن الأولى بالإنسان إذا كان في غير حاجة إلى ذلك الرأسمال أن يتصدق به على غيره الذي لا يجد كفايته.

ومن تلك القواعد الغوالي الخالدات ، اشتق عمر قاعدته العامة أن لكل انسان أن يملك رأس المال المعقول الذي يضمن له الكفاية في هذه الحياة.

رأس مال قدره عمر بألف دينار...

ولنا أن نقدر نحن في زماننا هذا بما يناسب ظروف حياتنا.

المهم هو المبدأ : هو إباحة تملك رأس المال المعقول لكل إنسان!

## كيف عالج مشكلة اختلاط الجنسين ؟!

قال أبو سلامة : انتهيت إلى عمر ، وهو يضرب رجالا ونساءً في الحرم على حوض يتوضئون منه حتى فرق بينهم.

ثم قال : يا فلان .

قلت : لبيك.

قال : لا لبيك ولا سعديك ، ألم آمرك أن تتخذ حياضا للرجال ، وحياضًا للنساء ؟!

ثم اندفع فلقيه على فقال : أخاف أن أكون قد هلكت؟.

قال : وما أهلكك؟.

قال : ضربت رجالاً ونساء في حرم الله — ﷻ —.

قال : يا أمير المؤمنين أنت راع من الرعاة ( أي يحق له التأديب بالمعروف ).

وفصل عمر في أخطر قضية ... قضية اختلاط الجنسين ... تلك التي هي شغل المسلمين الشاغل.

أما الأقصوصة ... فخلاصتها أن عمر انتهى إلى الحرم ، فوجد رجالا ونساء يتوضئون جميعًا، من حوض واحد ، ويتزاحمون جميعا عليه ، فثار ثائره ، وانطلق يضرب الرجال والنساء ، و يزأر فيهم، حتى فرق بين الجنسين.

وصاح عمر بأبي سلامة ، المكلف بالأشراف على مياه الوضوء: ألم آمرك أن تتخذ حياضا للرجال ، وحياضا للنساء ؟!

ومن هذه الصيحة الخالدة ، نستنبط الحل الخالد لأعقد مشكلة في حياتنا المعاصرة ، مشكلة الجنسين و كيف ننظمها.

وقبل أن ندخل إلى تلك المسألة الشائكة أحب أن أقرر هنا ما قررته دائمًا ، وكررته — دائما — أن عمر هو أوسع صور التطبيق الصحيح للإسلام ، فما فعله هو ما يفعله الإسلام ، وما قاله هو ما يقوله الاسلام.

كيف حل عمر تلك المشكلة الخالدة ؟ ... حلها بكلمات قليلات: ألم آمرك أن تتخذ حياضا للرجال ، وحياضا للنساء ؟

إن الإسلام الصحيح يرى أن تتساوى المرأة مع الرجل في الحقوق والواجبات في حدود ما شرعه الله.

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ ﴾ [البقرة ٢٢٨] ... قاعدة عامة ... للنساء أن يتعبدن ويتعلمن ويتجرن ويعملن ، كما للرجال سواء بسواء.

ولهن أن يحاربن ويدافعن عن الوطن كالرجال سواء بسواء.

فالنساء إذا سيخرجن إلى المجتمع كما يخرج الرجال، ليباشرن أعمالهن التي تفرضها ضرورات الحياة...

فهناك اختلاط بين الجنسين ، فكيف نظم عمر ذلك الاختلاط؟

جعل للرجال حياضا يتوضئون منها وحدهم ، وللنساء حياضا يتوضأن منها وحدهن..

وبذلك يتحقق لكل من الجنسين مباشرة الحياة العامة دون اختلاط مفسد...

وكما فصل الإسلام بين الرجال والنساء في صفوف الصلاة في الجماعة في المسجد ، فجعل للرجال الصفوف الأمامية ، وجعل للنساء الصفوف الخلفية ، فهو كذلك يفصل بين الجنسين في الوضوء ، للرجال مكان يتوضئون منه ، وللنساء مكان وحدهن.

وهكذا .. طبق تلك القاعدة الخطيرة في كل شأن من شئون الحياة.

في التعليم : للرجال مدارس وكليات ، وللنساء مدارس وكليات.

في المجتمعات العامة : للرجال أماكن ، وللنساء أماكن .

في المواصلات العامة : للرجال أماكن وللنساء أماكن .

في الحرب : للرجال أعمال تناسبهم , وللنساء أعمال تناسبهن.

وهكذا وضع عمر أخلد قاعدة ، في أعقر مشكلة ...

فجمع بين الاختلاط والتنظيم...

يختلط الرجال والنساء في الحياة العامة ولكن في تنظيم يمنع الفساد .. لهؤلاء أماكن ، ولهؤلاء أماكن.

وما علينا في مجتمعنا العربي الحديث إلا أن نقتبس من عمر قاعدته الخالدة ، ونطبقها تطبيقا يناسب ظروف حياتنا ، وتطور عصرنا.

لتنطلق المرأة إلى الحياة العامة ، تعمل وتتعلم ، وتحارب ، وتشارك فيها ... ولكن في تنظيم كما نظم عمر مجتمعه !!!

## لقد صنعت اليوم صنيعا عظيما!!!

لما قدم عمر الشام ، عرضت له مخاضة ، فنزل عن بعيره ، و نزع خفيه فأمسكهما بيده ، وخاض الماء ، ومعه بعيره! .

فقال له أبو عبيدة : لقد صنعت اليوم صنيعا عظيما عند أهل الأرض !

فصك عمر في صدره ، وقال : أوه ، لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة؟!

« إنكم كنتم أذل الناس ، وأقل الناس، فأعزكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العزة بغيره يذلكم الله » .

* * *

وكان منظرًا خالدًا ... رئيس الجمهورية الإسلامية ، وأقوى شخصية في الأرض ، ينزل عن بعيره ، وينزع خفية ، و يمسكهما بيده ، و يخوض الماء ، ومعه بعيره!! .

واهتز أبو عبيدة . قائد عام القوات المسلحة الإسلامية ، وقالها تدوي: لقد صنعت اليوم صنيعا عظيما عند أهل الأرض!.

وأي عمل أعظم من ذلك العمل ؟.

وما هي العظمة إن لم تكن ذلك المنظر ؟.

ماذا فعل عملاق الحق عندما سمع ذلك المديح لشخصه من أمين الأمة ؟.

صك في صدره.. ضرب في صدر أبي عبيدة ، وقال : أوه.. يتوجع عمر مما قال أبو عبيدة..، وكيف لا يتوجع ، وهو الرجل الذي يرفض المدح ؟!

لو غيرك قالها يا أبا عبيدة !. كنت أستبعد أن يصدر ذلك عنك، إن لك عندي مقاما أكبر من ذلك! .

ثم يرتفع عمر فوق العقول .. فيدخل منطقة ما وراء العقل... فيقول إنكم كنتم أذل الناس ، وأحقر الناس ، وأقل الناس..

تحقير إثر تحقير .. فهل يريد عمر أن يهدم كينونة الشعب أم ماذا يريد ؟

ما كان عمر هدامًا ، وما كان حقودًا .. ولكن تربويا ربانيًا .. يريد أن يحطم من النفوس غرورها ، ويكسر كبرياءها أمام ربها ، فلا يأخذها كبر السيادة ولكن يسيطر عليها تواضع العبادة.

إن أبا عبيدة اعتبر صنيع عمر ، حين عبر الماء بلا حذاء يسحب بعيره ، و يحمل خفيه ، اعتبره شيئا عظيما .. ولكن عمر يرى أن ذلك شيء قليل مما ينبغي على المؤمن نحو ربه — ﷻ — ، إذا تفضل عليه بالعزة والنصر.

وأين صنيع عمر هذا ، من صنيع رسول الله — ﷺ — حين دخل مكة فاتحًا، وقد خفض رأسه، حتى إن لحيته لتكاد تمس واسطة الرحل!

هناك تواضع رسول الله لله ؛ فلم يشأ أن يدخل مكة دخول الجبابرة الفرحين البطرين . ولكن دخول رسل الله الخائفين الخاشعين.

فكيف يعظم أبو عبيدة صنيع عمر ، وقد شهد منذ سنين النبي — ﷺ — ؟

أو كيف يكبر في صدر أبي عبيدة صنيع عمر، وهو دون صنيعه — ﷺ — ؟

أو كيف يعظم أبو عبيدة صنيعا لرجل كائنا ما كان ، وقد شهد تواضع رسول الله —ﷺ—؟!

ومن هنا قال عمر : لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة !!

إن عمر يعترف على الملأ أن العرب كانوا أذل الناس وأحقر الناس وأقل الناس ؛ ليرد النفوس إلى حقيقتها ، ويشعرها أن العزة الدولية التي هم عليها ليست من أنفسهم ، وإنما هو فضل الله آتاهم إياه !!!

" فأعزكم الله بالإسلام ".. هذا الإسلام هو الذي أعزكم يا أبا عبيدة، هو الذي جعلكم

ملوكا في الارض تتبوءون منها حيث تشاءون.

لقد كنتم أصفارًا ، فصرتم أرقاما كبارا.. حين شرفكم الله بحمل أمانته ، وتبليغ دينه إلى الناس.

فمهما تطلبوا العزة بغيره يذلكم الله .

كلمة جبارة ، عميقة غاية العمق ، ينبغي على كل مسئول مسلم ، وكل مواطن عربي أن يتفكر فيها ويتدبر...

ونحن نبني دولتنا ، ينبغي أن نجعل تلك الفقرة الخالدة ، دعامة من دعائم البناء.

نحن نتطلع اليوم إلى العزة .. إلى العزة الدولية وأن يكون لنا مكان تحت الشمس وأن نأخذ وضعنا الطبيعي في المجال الدولي .

لقد كانت الأمة الإسلامية أقوى أمة على وجه الأرض ، تقول فيسمع لها ، وتريد فتتراجع الدول أمام إرادتها.

ونحن الآن نريد أن نستعيد أمجاد الآباء ، فينبغي أن نعلم جميعا ، كيف وصل آباؤنا إلى تلك المكانة العظمى ؟!

وصلوا إليها بحمل الأمانة ، بحمل رسالة الله ، بتطبيقها على أنفسهم، ومجتمعهم ، وكل شأنهم.

وهذا ما يعنيه عمر ، وهو يوجه الجماهير من حوله ، ويوجه القرون كلها من بعده...

أيها العرب ، أيها المسلمون ، مهما تطلبوا العزة بغير الإسلام يذلكم الله.

احذروا أن تتصوروا العزة في أسباب القوة وحدها...

إنما الأمر من هاهنا .. من الله ، فاتصلوا به ، وآمنوا بكلامه ثم خذوا بعد ذلك بأسباب القوة...

## عندما يلتقي العظماء ؟!

ولا أعني بالعظماء ما تواضع الناس على تسميتهم بالعظماء، وإنما أعني بهم الذين هم عند الله عظماء.

زار عمر أبا الدرداء ، فقال له أبو الدرداء : أتذكر حديثا حدثناه رسول الله — ﷺ — ؟

قال : أي حديث ؟

قال : ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب .

قال : نعم .

قال : فماذا فعلنا بعده يا عمر ؟

فما زالا يتجاوبان بالبكاء حتى أصبحا ؟!!

* * *

هذان هما العظيمان اللذان يبلغان عنان السماء..

عظيمان عند الله ؛ لأنهما مقربان من الله ؛ لأنهما تواضعا لله ، فرفعهما الله...

التقى الرجلان ، فتذاكرا ما كان من أمر رسول الله - ﷺ - معهما.

وذكره أبو الدرداء بحديث حدثهما رسول الله : ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب [أخرجه ابن ماجه].

ثم سأله أبو الدرداء : فماذا فعلنا بعده يا عمر ؟

وانطلقا يبكيان ، ويتجاوبان بالبكاء حتى كان الصباح ؟!

لماذا البكاء ؟ .. إنهما يألمان إنهما لم يحققا توجيه رسول الله - ﷺ - فلم يكن بلاغ أحدهم من الدنيا كزاد الراكب ؟!

عمر أزهد الخلق ، وأبو الدرداء صاحب رسول الله - ﷺ - يبكيان ؛ لأنهما تجاوزا القدر ، الذي حببه إليهم رسول الله .

فهل هما حقا تجاوزا ذلك القدر ؟.. كلا.. وإنما هو الحب ، الحب للنبي الذي بعثه الله فيهم. وعاهداه على أن يتبعاه ، فخشيا أن يكونا قد فرطا في الاتباع !

فانطلقا يبكيان ؟! لماذا ؟ ؛ لأنهما زادا في حياتهما على زاد الراكب!

فما هو زاد الراكب هذا الذي يوجهه رسول الله - ﷺ - للإنسان؟

هو أن يجمع الإنسان في حياته من المال كما يأخذ المسافر معه من الزاد.

إن المسافر يتخفف ما استطاع ، ولا يحمل معه من المتاع و المأكولات والنقود إلا ما يلزمه، أما ما لا يلزمه في تلك الرحلة فهو لا يكلف نفسه حمله.

كذلك الإنسان في هذه الحياة .. مسافر يقطع رحلة تنتهي بالموت، وينتقل بعدها إلى حياة أخرى.

فلا ينبغي للإنسان أن يحمل معه في هذه الرحلة إلا ما يلزمه خلالها أما أن يحمل ما لا يلزمه، فهو مجهود ضائع.

هذه هي نظرية « زاد الراكب » .. وهي نظرية خالدة ، ينبغي لكل عاقل أن يتخذها دستوره في حياته.

لماذا أجمع ما لا يلزمني في حياتي ؟

لماذا نبني ما لا نسكنه ؟

لماذا نشغل أنفسنا بما لا ينفعنا في رحلة الحياة ؟

نظرية عالية جدًا ، عميقة جدًا .. أوصاهم بها رسول الله – ﷺ –.

تذاكراها ، فانهمرت دموعهما ..!!

وما تجاوزاها .. وإنما هو الحنين يبعث الدموع والأنين !

فانظر كيف يكون حديث العظماء ؟

ثم انظر كيف يصنع رسول الله – ﷺ – مذهبا متكاملا في كلمات معدودات ؟

ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب .

الأمر عام من رسول الله – ﷺ – إلى الناس .. لكل إنسان أن يأخذ من الأموال ما يكفيه في رحلة العمر ، في حياته ، وخير له أن لا يأخذ ما زاد عن ذلك.

خذ ما يكفيك و دع ما وراء ذلك لغيرك حتى يجد هو الآخر ما يكفيه .

وما ظنك برسول الله – ﷺ – اذا تكلم ، أو ما ظنك بأعظم الناس إذا عَلّم!

## ضع رجليك على عنقي!

كان للعباس ميزاب شارع ( بارز) في مسجد رسول الله – ﷺ –، يسيل ماء المطر منه في مسجد رسول الله – ﷺ – .

فقلعه عمر بيده.

فقال له العباس : والذي بعث محمدًا بالحق ، إنه هو الذي وضع هذا الميزاب في هذا المكان ، فنزعته أنت يا عمر ؟!

فقال عمر : فأنا أعزم عليك لما صعدت عليّ حتى تضعه في هذا الموضع!

( أو قال ) ضع رجليك على عنقي لترده إلى ما كان .

ففعل ذلك العباس.

* * *

ولقد رعب عمر رعبًا شديدًا ، أن نزع شيئا وضعه رسول الله بيده.

ورأى أن شيئا لا يكفر عن فعلته إلا أن يصعده العباس ويضع رجليه على عنقه ، ويثبت الميزاب كما كان!

إنه الحب لصاحب الدعوة ... الحب الذي طوع لعمر أن يحني عنقه للعباس ؛ ليضع قدميه عليه ..

وتالله لو أن الدنيا مجتمعة حاولت أن تحني عنق عمر ما استطاعت .. ولكنه يحنيه عن رضا واختيار حبا لرسول الله.

وتلك هي ينابيع الحب الخالد ، التي أدخلت هؤلاء مناطق الخلود.

وماذا علينا الآن لو أملنا أعناقنا إلى رسول الله — ﷺ — ونظرنا ماذا كان يفعل ؟ وبماذا كان يأمر، وطبقنا أوامره عن حب وإخلاص ؟

لو فعلنا لأفلحنا في كل أمرنا .. كما أمالها عمر ، فأفلح أبدا!!!

## حقوق رئيس الدولة في الخزانة العامة!

أضاق عمر ، ودخلت عليه خصاصة ، ولم يكن يكفيه ما يربحه من تجارته ؛ لأنه اشتغل عنها بأمور الرعية.

فأرسل إلى أصحاب رسول الله — ﷺ — فاستشارهم فقال : إني كنت امرءًا تاجرًا ، وقد شغلتموني بأمركم هذا ، فما ترون أنه يصلح لي من هذا المال ؟

فقال عثمان : كل وأطعم .

وقال ذلك سعيد بن زيد .

وأكثر القوم ، وعليّ ساكت .

فقال له : ما تقول أنت في ذلك ؟

قال : غداء وعشاء .

فأخذ عمر بذلك .

( وفي رواية ) أنه قال : ما يصلحك ويصلح عيالك بالمعروف ، ليس لك من هذا الأمر غيره.

فقال عمر : ( أو قال القوم ) : القول ما قال علي بن أبي طالب.

وكان عمر يقول : إني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة ولي اليتيم ، إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، فإذا أيسرت قضيت .

هذا هو المؤتمر العالي الذي حدد مخصصات رئيس الدولة .

وانتهى إلى رأي قاطع : ما يصلحك ويصلح عيالك بالمعروف، ليس لك من هذا الأمر غيره.

فأصبحت قاعدة عامة خالدة أن الدولة تعطي رئيس الدولة ماهية تكفي القيام بحاجته وحاجة عياله بالمعروف ، بما هو متعارف عليه في زمانه أنه يكفيه .

وليس لك من الأموال العامة شيء وراء ذلك !!!

## عمر يحدد مرتبه بنفسه

قال عمر : سأخبركم بما أستحل من هذا المال ؟

استحل منه حلتين : حلة للشتاء ، وحلة للصيف .

وما يسعني لحجي وعمرتي .

وقوت أهل بيتي.

« وسهمي مع المسلمين كسهم رجل ليس بأرفعهم ، ولا بأوضعهم.

ثم أنا بعدُ رجل من المسلمين يصيبني ما أصابهم » .

* * *

هذا هو تحديد عمر لحقوقه في الخزانة العامة .. فإنه يري أن له حلتين كل عام واحدة للصيف وواحدة للشتاء.

ويرى أن الدولة تتحمل بنفقات حجه وعمرته .

و يرى أن الدولة تتحمل قوت أهل بيته ، أولاده وامرأته..

و يرى أن له سهما في غنائم الدولة كسهم رجل ليس بأرفعهم ولا بأوضعهم ، أي : رجل من الطبقة المتوسطة.

ثم يرى أنه بعد ذلك رجل من المسلمين ، رجل عادي يصيبه ما يصيبهم ، لا يرتفع عليهم بمزية أو امتياز.

وهذا إشعاع عام ببعثه عمر في آفاق عالمنا الحديث ؛ ولتتحدد به الأوضاع العليا في البلاد.

إشعاع يكشف إلى أي مدى يرهق الطغاة دولهم وشعوبهم ويكلفونهم شططا.

لقد كان الرجل بسيطا لا يكلف الدولة إلا يسيرًا.

قال عبد الله بن عامر بن ربيعة : صحبت عمر بن الخطاب مِن المدينة إلى مكة في الحج ، ثم رجعنا فما ضرب له فسطاط ، ولا خباء، ولا ثم له بناء يستظل به، إنما يلقى نطعًا أو كساء على شجرة فيستظل تحته !

هذا هو عمر في حجه .. ماذا كلف الدولة ؟ لا شيء ..

لم تقم له الدولة خيمة ، ولا فندقا يأوي إليه ، وإنما إذا أحرقته شمس مكة الحارقة ألقي قطعة من قماش على شجرة ، تحدث ظلا قليلا ، فيستظل تحته!

قال يسار بن نمير : سألني عمر كم أنفقنا في حجتنا هذه ؟

قلت : خمسة عشر دينارًا !

ويروي أنه أنفق ثمانين ومائة درهم

فقال : قد أسرفنا في هذا المال.

١٨٠ درهم أي سبعة جنيهات[1] نفقة شخصين اثنين ، عمر وصاحبه، طول رحلة الحج؟

ومع هذا اعتبرها عمر إسرافًا في المال!!

إن أخطر ما في المبادئ التي قررها عمر بنفسه هو قوله : ثم أنا بعد رجل من المسلمين ، يصيبني ما أصابهم.

ليس لعمر أن يرتفع فوق الجماهير ، أو يمتاز على أحد من الشعب.

ينبغي عليه أن يعيش كأي فرد في الشعب ، ويتألم كما تتألم الطبقات الكادحة ، ويعاني مشاكل العيش كما يعانون.

لماذا يرى عمر ذلك الرأي ؟

لأن رئيس الدولة إذا عاش كما يعيش الكادحون ، وإذا اصطلى بنار الحياة كما يصطلون، استطاع أن يحل مشاكلها ، وأن يضع لها الحلول العملية.

أما أن يرتفع بنفسه على الجماهير ، ويعيش على مستوى أعلى من مستوياتهم ، فإنه سيكون في عزلة عن آلامهم ومشاكلهم ، وبالتالي لا يعمل على حلها وإزالتها.

يريد عمر أن يقول إن رئيس الدولة ، وإن كانت له هذه الحقوق التي حددها إلا أنها لا تثبت له إلا إذا كانت الميزانية العامة تسمح بذلك .. فإن لم تسمح بذلك ، فينبغي أن يعاد النظر في مخصصاته.

فإذا امتنع السكر والزيت من الدولة ، فيمنع السكر والزيت عن رئيس الدولة !

وإذا أصابت الدولة كارثة تفدح ميزانيتها، فيمنع عن رئيس الدولة ما يأخذه أو يخفض .

ولقد رأينا كيف طبق عمر هذا المفهوم، حين حرم على نفسه أن يأكل السمن حتى يأكله كل الشعب عام الرمادة ، عام المجاعة!!!

---

(١) حسب أسعار سنة ١٩٦٠ باعتبار الدرهم ٤ قروش ويراعى ارتفاع الأسعار بعد ذلك.

## وا عمراه!

بينا عمر نائم في المسجد ، وقد وضع رداءه ، مملوءًا حصى تحت رأسه ، إذا بهاتف يهتف: يا عمراه!

فانتبه عمر مذعورًا ، فعدا إلى الصوت، و إذا أعرابي ممسك بخطام بعير ، والناس حوله ، فلما نظر إلى عمر قال الناس : هذا أمير المؤمنين.

فقال عمر : من آذاك ؟

وظن أنه مظلوم ...

فأنشأ الأعرابي يقول أبياتًا يشكو فيها الجدب.

فوضع عمر يده على رأسه ثم صاح : واعمراه ، واعمراه ... تدرون ما يقول ؟ يذكر جدبا وإسنانًا ( ضيق ) ، وإن عمر يشبع ويروى ، والمسلمون في جدب وأزل ( ضيق )!

ثم قال عمر : من يوصل إليهم من الميرة والتمر ما يحتاجون إليه ؟ فوجه رجلين من الأنصار، ومعهما إبل كثيرة عليها الميرة والتمر . فدخلا إليه، فقسما ما كان معهما إلا قليلا بقي على بعير.

هذه قصة صغيرة ... ولكنها كبيرة في مقاييس الأمم والحضارات فيها مبادئ عظيمة تشرق في كل اتجاه، تضيء للناس جوانب الحياة.

وإذا كان عمر حين سمع صيحة الأعرابي ، هب مذعورًا ، وجعل يعدو إلى مصدر الصوت، يستطلع الخبر...

فإن على الدنيا كلها أن تهب هي الأخرى مذعورة ، و تعدو إلى عمر؛ لتسمعه وتراه، وهو يضع يده على رأسه ويصيح : واعمراه ! واعمراه !!!

عمر هو الآخر يستغيث ، من أي شيء يستغيث ؟.. من المسئولية التي يحس بأثقالها وهي تجثم على صدره...

إن الله سوف يحاسبه عن رعيته لماذا تركها جائعة ، وهو يأكل ، ويروى ؟.

وها هو عمر يقول : إن عمر يشبع ويروى ، والمسلمون في جدب و أزل ؟!

ولكن ماذا فعل عمر بعد أن أفاق من هول المسئولية ؟ هل استمر يتباكى و يتخيل ولا شيء وراء ذلك ؟... كلا ... بل شرع في إغاثة المستغيث على الفور ، وأرسل قافلة محملة وزعت الطعام على الجائعين أرسلها للتو إلى اليمن.

ماذا نستنبط من الأقصوصة ؟.

أن عمر جرى مسرعًا إلى رجل الشارع حين ناداه.

وعمر بهذا يقرر أن رئيس الدولة ، ينبغي أن يضع خده على الأرض لكل مواطن ما دام للمواطن حق وما دام مظلوما.

وأن رؤساء الدول الذين يتعالون على مواطنيهم ، قوم يجهلون واجبهم.

وأن رئيس الدولة يجب أن يذعر ، ويرتعش ، ويرتجف إذا رفع إليه محتاج أو مظلوم حاجته.

وأن الدولة مسئولة مسئولية مطلقة عن توصيل الضرورات إلى كل فرد من شعبها.

وأن هناك قاعدة كبرى تستنبط من قول عمر : إن عمر يشبع ، ويروى والمسلمون في جدب وأزل ( ضيق ).

تلك القاعدة أن الإسلام يحرم الإنفاق في الكماليات ما دامت في الدولة قطاعات لم تنعم بعد بالضرورات.

ما معنى هذا ؟، ومن أين لنا هذا؟.

من تأوه عمر ، وتألمه ، أنه يأكل ويروى ، بينما المسلمون في مجاعة وضيق...

إن الرجل يذوب ألما ، عندما علم أن هناك قوما جوعى ، بينما هو ومن معه يأكلون ويروون...

وعمر هنا يمثل إحساس الدولة كلها ، وهو الإحساس الذي ينبغي أن يكون دستورًا لكل دولة تحكم شعبًا من الشعوب.

فلا ينبغي أبدا أن تنفق الدولة الملايين على الكماليات بينما هناك ملايين من شعبها لم يأخذوا حقهم من الضرورات.

لقد ضرب رسول الله — ﷺ — مثلا للمؤمنين بأنهم كالجسد الواحد...

وبالنظر إلى نظام الجسم نجد أن القلب يوزع على سائر أعضاء الجسم بالقسطاس ... كل خلية تأخذ حقها من الغذاء ... لا تطغى واحدة على الأخرى.

والحكومة في الأمة كالقلب في الجسم، فهي ملزمة بتوزيع وسائل الحياة على المواطنين بالعدل.

فلا إنفاق في الكماليات ، ما دام هناك مواطنون لا يجدون قوت يومهم ، أو لا يجدون المسكن الصحي ، أو لا يجدون العلاج الضروري ، أو لا يجدون التغذية الكافية.

كيف ننفق الملايين في استيراد الكماليات، وعندنا ملايين يسكنون أكواخًا من طين ؟!!

إن الإسلام يحرم هذا ... يحرمه ؛ لأنه ينشد العدل بين الجميع... العدل في تكافؤ الفرص؛ لأن إتلاف ملايين من الجنيهات في استيراد الكماليات هو تضييع الفرصة على سكان الأكواخ أن يجدوا المسكن اللائق بالإنسان .

فإن قيل : أتريد أن تشل الحياة الترفيهية في الإنسان ؟.

قلت : شلت عقول قوم لا يعقلون ... ما كنت داعية شلل للحياة ، وإنما أريد أن تزحف الأمة إلى الرقي صفا واحدا ، تجوع كلها أو تشبع كلها ، أو تكون بين الجوع والشبع كلها...

حتى إذا نال كل مواطن حظه من الضرورات ، انتقلت الأمة بأكملها صفا واحدًا إلى ما وراء ذلك ، إلى الكماليات ثم إلى التفاهات إن شاءت.

أما أن تستورد الدولة كماليات بالملايين ... بينما هناك ملايين من الفلاحين يأكلون الرحراح و المش، ويسكنون الطين مع البهائم ، فهذا هو الظلم بعينه ، وهذا ما يكرهه الإسلام.

كيف هذا ؟...، وأين الظلم في هذا؟.. أقول: كان يمكن أن تستورد الدولة بهذه الملايين أخشابًا وحديدًا ، وتبني بها آلاف من البيوت للفلاحين الضائعين .

سنة فأخرى يمكن لنا أن نوفر لغالبية الشعب أهم ضرورات الحياة المسكن الصحي الحديث المناسب...

وأنا أعلم أن هناك قوما سيشمئزون مما أقول ويصيحون : كيف تريد أن تمنع الناس من الاستمتاع ؟.

وأقول لهؤلاء : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .. فينبغي أن تحبوا لأخوتكم سكان الريف ما تحبون لأنفسكم .. فأولا: هؤلاء المساكين ، أولا : نبني لهم المساكن.. أولا نقدم لهم الطعام المناسب .. أولا نمحو الأمية من عقولهم .. ثم بعد هذا نفكر أن ننعم بالكماليات.

تلك هي عدالة الإسلام ، وذلك شيء قليل يستنبط من صيحة عمر: إن عمر يشبع ويروى والمسلمون في جدب وضيق!!

ومن قولة عمر الخالدة : لقد هممت أن أجعل مع كل أهل بيت من المسلمين مثلهم ، فإن الإنسان لا يهلك على نصف شبعة.

إن عمر يريد أن يتقاسم الناس الضرورات ... يأكل هذا نصف بطنه ، ويأكل الجائع النصف الآخر .

فكيف بالكماليات .. حين تضيع فيها المليارات ، وهناك قوم لا يجدون شيئا من الضرورات؟!

# تَقَرْقَرْ .. أيها البطن !

عن أنس قال : تقرقر بطن عمر بن الخطاب عام الرمادة ، وكان يأكل الزيت ، وكان قد حرم على نفسه السمن ، فنقر بطنه بأصبعيه ، وقال تقرقر، إنه ليس لك عندنا غيره، حتى يحيا الناس!

وكان يقول : لتمرنن أيها البطن على الزيت ، ما دام السمن يباع بالأواقي...

إن بطن عمر تقرقر من الجوع وأكل الزيت ، وعمر ينقره بأصبعيه ، ويخبره أن ليس عنده غير الزيت حتى يحيي المطر الناس ، ويزرعون ويأكلون السمن!

فماذا من هذا ؟ ... إنه مبدأ عام إسلامي ... أن ليس للحاكمين أن ينعموا بما لا ينعم به سائر المواطنين .... فلا يجوز للحاكم أن يجلس على عرش ، والشعب لا يجلس على الكراسي.

ولا يجوز للحاكم أن يسكن قصرًا ، و جميع الشعب لا يسكن قصورًا.

ولا يجوز للحاكم أن يأكل الموائد، و كل المواطنين لا يأكلون الموائد.

وهكذا ... مبدأ عام ، وإذا قلنا الحاكم ، فإنما نعني أيضا كل أفراد الحكومة ممن هم دون الحاكم.

وحكمة الإسلام في ذلك أن من لم يحترق بالنار ، لا يدري ما هي آلام الاحتراق.

فهو يريد الذين يحكمون الناس قومًا يحترقون بنار آلامهم.. فيدفعهم التألم إلى حل مشاكل المجتمع حلا عمليا.

أما أن تتكون الحكومة من أفراد على مستوى أعلى من مستويات الشعب ، فإنهم سوف يصابون بالصمم والعمى عن مشاكله ... فتحدث الهوة الرهيبة بين الحاكم والمحكوم ، ويكون الفساد العريض.

فإذا حرم عمر على نفسه السمن حتى يأكله الشعب ... فهو يطبق على تفسه أمرًا إسلاميًا عامًا ، ينبغي أن تحذو الحكومات حذوه دائمًا ...

والآن.. هل نحن على هذا المفهوم العمري ، مفهوم الإسلام ؟.

لقد عجز أصحاب رسول الله – ﷺ – أن يلحقوا بالرجل ، في تحليقه وآفاقه فمن باب أولى نحن الآن أعجز...

فنحن نظلم القادة حين نطالبهم أن يكونوا مثل عمر...

؛ لأنهم لن يستطيعوا ذلك أبدا ، و إنما نحن نعدل في حكمنا عليهم حين نقول لهم : كونوا أقرب إلى عمر منكم إلى حياة أصحاب العروش.

لا تكونوا على مستوى الرعاع فيحتقركم الناس، ولا تكونوا على مستوي الملوك ، فتحتجب عنكم حقيقة شعوبكم

ولكن كونوا على مستوى الطبقة المتوسطة من شعوبكم، وخير الأمور دائمًا الوسط.

وأظن أن هذا هو القول العدل في القضية ، فإن هناك قوما يصابون بالهوس ، ويذهبون إلى مطالبة الحاكمين في أيامنا هذه بما كان عليه عمر ، وينسى هؤلاء في غمرة حماسهم أنهم لن يجدوا مثل عمر ، وأن الظفر كل الظفر أن نقترب من عمر.

ولا يمنع هذا أن يذهب أحد القادة إلى مثل ما كان عليه عمر، فإن أحدًا لا يمنع أحدًا من الترقي نحو الله .. ولكنه إن يفعل نقول له : أحسنت ، وليس لنا أن نرغمه على ذلك ... فإن القربات تطوع وليست فريضة.

وهذا القول ينبغي أن يقرر في هذه المرحلة التاريخية من حياة الأمة العربية ، وهي تسير نحو تحقيق أهدافها العليا ؛ لأن المسلمين دائما يصابون من هنا ...

من اختلافهم في فقههم في مفاهيم في الإسلام ، وكيفية تطبيق الإسلام وما أوتى المسلمون إلا من هنا.

من التطرف والهوس ... حين يطالبون الحكام ان يكونوا مثل عمر! ، وهذا مستحيل ؛ لأن عمر قمة لا تُدرك!!!

ومن اختلافهم في دينهم ، وهو بلاء أصيب به اليهود ، وأصيب به المسيحيون ، وأصيب به المسلمون بعد ذلك.

ذلك أن أمراض النفس الإنسانية واحدة دائما ، فما تجده من اختلاف في اليهودية تجده في المسيحية وتجده في الإسلام!!!

## لماذا يختلف الناس؟

أصل القضية، أن الدين ينزل سمحًا سهلاً بسيطا من عند الله . نورًا صافيًا إلهيًا .. فيصادف معادن الناس ، فيفهمه كل منهم حسب استعداده وصفاته.

فمن كان جلفا فهمه فهم الأجلاف .

ومن كان رقيقا فهمه فهم الرقاق .

ومن كان شجاعا فهمه فهم الفرسان .

ومن كان جبانا فهمه فهم الخنوع.

فالناس يشكلون رسالات السماء حسب معادنهم ، وأمزجتهم ... ومن هنا يأتي اختلافهم،

رغم أنهم أبناء دين واحد، وفكرة واحدة.

حدث هذا في اليهودية ، وذهبت فرق من اليهود إلى تكفير بعضهم البعض!

وحدث هذا في المسيحية ، ووصل الحد بين أبناء المسيح ، إلى مذابح رهيبة ، راح ضحيتها الملايين!

وحدث هذا كذلك في الإسلام ، وما أمر الفتنة الكبرى ببعيد حين تفرق أصحاب رسول الله – ﷺ – ، كل فرقة تضل أختها !

وحدث هذا في كل دين باطل أو منزل من السماء ، وهو يحدث دائما بين الناس، ما داموا مختلفين في معادنهم، وطباعهم، وهذا ناموس عام ، ماض في التاريخ البشري ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قال تعالى: ﴿ تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة ٤، ٥]

انظر : الله – جل وعلا – يبين لنا الداء ، وأسبابه .. أن الذين أوتوا الكتاب، اليهود والنصارى، لم يتفرقوا إلا بعد ما جاءتهم البينة ... ما هذه البينة ؟.. رسول مبعوث من الله ... يتلو عليهم صحفًا مطهرة، بعيدة عن الخلاف والاختلافات ، رحمة مهداة ، ونور صاف..

ولكن لماذا إذا اختلفوا ؟.. إذا كان المنزل إليهم صحفًا مطهرة ، ليس فيها اختلاف ؟

لم يؤمروا إلا بكل ما يوحدهم ، عبادة الله ، الإخلاص لله ، الحنيفية السمحة ، الميل عن كل ما سوى الله ، إقامة الصلاة إيتاء الزكاة . وذلك دين القيمة .. دين الاستقامة الحقة التي لا زيغ فيها ولا ميل عن الحق.

فلماذا إذا اختلفوا ؟.. من هناك ، من اختلاف معادنهم ، من اختلاف مفاهيمهم في وحي السماء .

هل هناك دليل على هذا من أحاديث رسول الله – ﷺ – ؟

نعم . وهاكه .. قال – ﷺ – : لتتبعن سنن الذين من قبلكم [أخرجه مسلم ]، حذو القذة بالقذة ، حتى إذا كان فيهم من أتى أمه علانية فسيكون فيكم من يأتي أمه علانية!

وهذا الحديث عن رسول الله ، يبرهن على أنه – ﷺ – ، ينطق بالحق ، يسجل القوانين الطبيعية، التي لا تتخلف يوما من الأيام.

لأنه – ﷺ – يعلم أن مرض النفس البشرية واحد، في كل جيل .

فما حدث في اليهودية ، يحدث في المسيحية ، يحدث في الإسلام.

ناموس عام لا يتخلف ، وقد كان وسجل التاريخ ذلك ، والتاريخ أصدق برهان.

خذ الحقيقة العظمى — مثلا — ( الله ) ماذا أنزل الله فيها إلى أهل الأديان الثلاث ، إلى اليهود، ثم إلى المسيحيين، ثم إلى المسلمين؟

الجواب نقدمه من عند الله لا من عند أنفسنا : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة ٥]

هذا هو الأمر الصادر من الله إلى أهم الأديان الثلاث ، ورب قائل يقول : ذلك كان للملتين، ولم يكن للمسلمين .

وإلى هذا أقول : نفس الأمر صدر إلينا نحن المسلمين .. وهاكه : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ۝ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾ [الزمر ٢-٤]

أرأيت ؟.. نفس الأمر ، و كلمة الحق واحدة دائمًا ؛ لأنها صادرة من الحق تبارك وتعالى.

فإذا كان الحال حين نزلت هذه الحقيقة البسيطة ، الواضحة المنيرة التي لا يختلف فيها اثنان؟

أبت طبائع الناس إلا أن تتلوى بها، وتحولها إلى ظلمات بعضها فوق بعض.

واختلفوا فيها . أما اليهود فقالت : عزير ابن الله!!

أما النصارى فقالوا : المسيح ابن الله ، و منهم من قال : المسيح هو الله ، ومنهم من قال : ثالث ثلاثة.

وأما المسلمون فلم يصابوا في فهم الذات نفسها، ولم يقولوا بأن لله ولدا ، أو انه وولده واحد، لم يصابوا بشيء من هذا..

وإنما أصيبوا في تصور الله وصفاته وأفعاله ، وقالوا الأقاويل، فمن صوفية يتمشطحون بالناس في أودية الظنون ، ويقولون : هذه أذواق ومعارف باطنية ، لا يفهمها إلا أهلها !

ومن متشرعين نصيين يذهبون إلى أن لله يدًا وعينًا!

إلى آخرين ينكرون مذهب هؤلاء ويقولون : يدٌ لا كأيدينا ، وعينٌ لا كأعيننا!

وترى القوم يؤلفون في هذا . ويقعدون القواعد، وينشئون المذاهب.

ويختلف الأئمة ، فتختلف الجماهير ، ويتعصبون ، ويتحول التعصب إلى قتال ، وتكفير ، وعجائب لا حصر لها !!!

لماذا هذا كله أيها الناس؟ لا تستطيع أن تجد عن ذلك جوابا.. كل حزب بما لديهم فرحون.

وتغيب الحقيقة الأولى ، التي أنزلها الله اليهم ، ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾، وتهدر بالشعوب دوامة الاختلاف ، وتبتلع منهم قرونا، وتقف فاتحة فمها الرهيب لابتلاع قرون أخرى!!

هذا هو مصير الحقيقة العظمى ، حقيقة « الله » .. في أهل الأديان الثلاث.

ضاعت بساطة «لا إله إلا الله» في متاهات الخلافات و حجبتها ظلمات الأفكار..

ضاعت من السابقين ، وضاعت من الأغلبية من المسلمين..

ونسي السابقون ، ونسي المسلمون بساطة ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ ... وذهبوا يحولون معرفة الله إلى طلاسم ، وألغاز ، وبحار عميقة ، لا يستطيع السبح فيها إلا آحاد!!

نفس المرض ، نفس الموقف ، نفس الاختلاف!!

هذه ظاهرة تاريخية لا تتخلف أبدًا .. واذا كانت الحقيقة دائمًا واحدة، فمعنى هذا أن كل هذه الخلافات باطلة من أساسها، إلا رأيًا واحدًا ، هو رأي السماء ، هو ما سبق أن أنزله الله إلى عباده.

ويسجل هذا الصادق المصدوق ، النبي محمد – ﷺ – ، فيقول :

افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترق النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة ، ما عليه أنا وأصحابي.

يا للإشعاع .. يا للنور .. يا للصدق.. يا رسول الله!

كل هذه الخلافات التي كانت من اليهود والنصارى والمسلمين باطلة، في النار ، إلا واحدة.. ما هي هذه الفرقة الناجية، ما أنت عليه وأصحابك ؟!

فما هو هذا الذي هو حق ، وأنت عليه وأصحابك ؟

إن البشرية كلها يلزمها أن تعلم فورا ما أنت عليه وأصحابك، لأنه هو وحده الحق .

ماذا تظنه يكون هذا الذي عليه النبي – ﷺ – وأصحابه ؟.. أتظن أنه سيكون قواميس ، ومصطلحات فنية ، ومعميات ، وأذواق، ومشاهدات ، وهذا الطوفان من رموز الواصلين وإشارات

السابحين، وفتوحات العاشقين؟

لا .. الحقيقة دائما بسيطة وليست مركبة .. ساطعة وليست محجبة تتجاوب مع الفطرة التي خلقها الله مستعدة لقبولها.

إنها قوله تعالى ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ ، وقوله ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ ..

حقيقة بسيطة ..يستوي في إدراكها كل الناس، جميع المستويات.. جميع القلوب.

الشمس ، هذه الحقيقة الساطعة في السماء ، كل الناس تراها ، ولا يهم بعد ذلك أن يختلفوا في معلوماتهم عنها .

الله ... ذلك الحق الأكبر ..، كل الناس تدركه ، ولا يحتاج إلى بيان.

هذه فكرة سريعة عن آفة الاختلاف في الناس ، وإنها لآفة الآفات .. ولقد استطردنا إليها مرغمين ؛ لنكشف من خلالها عن مرض يصيب الأمة الإسلامية دائما ، علماءها وجماهيرها.

ذلك مرض الاختلاف في مفاهيم الإسلام ، والاختلاف في تطبيقه ، وكيف يكون؟

يتعلم المسلمون دينهم ، ويقرءون نصوص كتابهم ، ونصوص سنة نبيهم ، ويتفاوتون في فهمها. حسبما آتاهم الله من حكمة ، وحسبما آتاهم من حب واتباع .

ثم يواجهون الدنيا بمفاهيمهم الإسلامية التي استقرت في قلوبهم ، فتختلف نظرتهم إلى الأمور.

وكل هذا لا بأس به ، فهو مما فطر الله عليه الناس ، من طبيعة الاختلاف في تكوينهم .

ولكن الذي به بأس ... أن يتحول هذا الاختلاف إلى ريبة ، ثم إلى تعصب ، ثم إلى جمود على رأي دون الآخر ، ثم إلى صدام في آخر الأمر ، ثم إلى دماء و حروب.

ولو أن المسلمين احتكموا فيما فيه يختلفون إلى رسولهم ، و نزل أهل الحكم فيهم على رأي رسولهم ، ما حدث بينهم ذلك الصراع الرهيب.

ولكنهم يكفرون بعضهم بعضًا ويرمون بعضهم بعضًا.

مع أن الإسلام ضمن لهم السلامة لو اتبعوه ، الإسلام يناديهم أن يتعاونوا فيما اتفقوا عليه، وأن يعذر بعضهم بعضًا فيما اختلفوا فيه.

الإسلام يقول لهم «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم »

والآن نعود إلى الأصل الذي أثيرت من أجله هذه القضية الكلية قضية المستوى الذي يكون

عليه الحاكمون في هذه الأمة العربية – الإسلامية ، أيكونون على أسلوب عمر ، أم يكون الحاكم على مستوى أقل مواطن في الأمة ، أم على مستوى أوساط الناس ؟.

وقلنا إن الرأي أن يكون على مستوى أوساط الناس ، فلا هم مترفون ، ولا هم محتاجون، ولكن بين بين.

وقلنا إن قوما من المسلمين يصابون بالهوس الديني ، وإن للتغالي في الدين لهوسًا ، فيذهبون إلى ضرورة التطبيق الحرفي ، لما كان عليه رسول الله – ﷺ – وما كان عليه عمر !!!

ونقول إن هؤلاء عليهم أن يذكروا دائما إن أولئك كانوا قممًا عالية ، نحاول الصعود اليها ، وهذا مقامهم ، وأن الناس مطالبون بما في طاقتهم لا بما في طاقة غيرهم.

﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ وقوله – ﷺ – « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم».

وهذا هو الفيصل، والحكم في القضية .. الذي ينبغي أن ينزل عليه جميع الجماهير العربية والإسلامية.

وبذلك تستقيم الأمور ... وترتفع الريبة بين الحاكم والمحكوم ... فلا ينظر الشعب إلى حاكمه إذا رآه على شيء من بحبوحة العيش على أنه لص سرق حق الجماهير ، ولا يهلك الحاكم نفسه إذا رأى فقرًا في بعض قطاعات الشعب ، مخافة أن يمسه عذاب من الله ، إن قصر في حقوقهم ، فيعجز عن أداء مهام منصبه ، ومسئوليات الحكم.

ولكن بين بين ... حاكم على مستوى معقول لا مغالاة فيه ولا تغالي.. شعب متعاون مع حاكمه ، لا بغض فيه ولا ريبة..

ثم تمضي القافلة كلها نحو الله .. متحابين . متعاونين ، غير متحاسدين ولا متضاغنين.

وهذا هو السبيل ... سبيل الاسلام ... سبيل السلام !!!

ولنذكر جميعًا هذا الحديث الجميل: « عن النبي – ﷺ – قال: «إنكم في زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك، ثم يأتي زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا » [أخرجه الترمذي]

## مع الشعب ساعة بساعة!

لا أحد يكلف عمر، ألا يأكل في بيته ، أو يرغمه أن يأكل مع الشعب خارج بيته ، طيلة عام المجاعة.

لا أحد يكلفه هذا.. ولكنه كلف نفسه ؛ ليرفعها مقامًا أعلى عند ربها.

قالوا : وما أكل عمر في بيت أحد من أولاده ، ولا بيت أحد من نسائه ، دواقًا (طعاما)

زمان الرمادة ، إما ما يتعشى مع الناس، حتى أحيا الله الناس أول ما أحيوا.

لماذا يفعل عمر هذا ؟ لماذا يشق على نفسه تلك المشقة؟.

؛ ليقطع دابر المتقولين الذين يظنون به الظنون إذا احتجب عن الناس ساعة طعامه.

فهو معهم دائمًا ، يجوع قبل أن يجوعوا، وإذا أكل كانت يده بيدهم، ومجلسه بين مجالسهم.

وتلك فلسفة عالية جدا من الرجل ، وديمقراطية بالغة من أمير المؤمنين.

ولن يستطيع أحد في المشرقين أن يفعل فعلك الآن يا عمر!.

فهل وقف العبقري عند هذا الحد من نفسه عام المجاعة ؟ إليك ما هو أعجب!!!

## ما قرب عمر امرأة !

وحدثت بعض نساء عمر فقالت : ما قرب عمر امرأة، زمن الرمادة حتى أحيا الناس ، همًّا!

عمر .. الفارس ... الرائع ... القوي... ما به من عجز عن النساء ...

ولكن الأمر تغير في مفاهيمه .. الحالة الآن أنه أمير للمؤمنين ، والأمة في مجاعة ... فما يكون موقفه من نسائه؟! .

إن تحته بعضًا منهن ، جميلات ، له محبات ، ولهن حقوق الزوجة على زوجها من المتعة والأنس.

ولكن عمر ... المهموم بحال الأمة الجائعة ... يطوح بحقوق زوجاته ، وحتى نفسه ، ويعتزل نساءه كلهن مختارًا ، فلا يقرب امرأة منهن، حتي- نزل المطر ، وأحيا الناس ، وارتفعت المجاعة!! .

هل حرم الله عليه النساء في مثل هذا الموقف ؟. كلا ، وإنما هو يأخذ بالأحسن و الأفضل، يأخذ بالأعلى ، فيعتزل نساءه قرابة عام.

لماذا ؟ .. همًّا .. همًّا بحال الأمة ، مهمومًا بحال الناس!

و هو ما هو عليه من قوة بدنه ، ورغبته في النساء ككل إنسان!

فهل فينا من يفعل هذا الآن؟.. نحن لا نطالب قادتنا أن يكونوا كذلك.. ولكن نقول لهم: حاولوا أن تقتربوا من عمر.

وإنما يكون الاقتراب ، ان تنزلوا عن الشهوات وقت الأزمات العامة والمجاعات.

فاذا كانت شعوبنا أغلبها جائع ، فينبغي أن تكبتوا قليلا شهوات بطونكم ، فلا موائد فاخرة وأصناف . وغالب الشعب لا يجد اللقيمات!

وإذا كانت شعوبنا يسكن أغلبها أكواخا من طين فاسكنوا مساكن بسيطة ؛ لتتقاربوا من هؤلاء المساكين.

وهكذا ذوبوا الفوارق شيئا فشيئا بينكم وبين المعذبين في الأرض أولئك الكادحين الذين يموت أحدهم والحاجة في صدره، لا يستطيع لها قضاء..

ولا نقول لكم : اعتزلوا نساءكم كما فعل عمر ؛ لأن الشعوب ما زالت في مجاعة ، وما زال أكثرها في سيطرة من الأجانب.

ولكن نقول لكم : انظروا إلى عمر دائمًا ، وحاولوا أن تكونوا ولو معشار ما كان عليه!!!

## عمر يخطط المدن على أحدث النظم ؟!

قد يظن إنسان اليوم أن هندسة المباني الحديثة ، وتخطيط المدن بحيث تكون ذات شوارع فسيحة ، ومرافق صحية ، شيء من مخترعات المدنية الحديثة.

ولكن كيف يكون الحال إذا علمنا أن عمر في سنة ١٧ من الهجرة كتب إلى سعد بن أبي وقاص ، عند إنشاء الكوفة بأن يدعو صاحب التنزيل ( قائد سلاح المهندسين ) أبو الهياج بن مالك ، فيأمره أن يحدد لهم خطط المدينة ، وأن يجعل فيها شوارع بعرض أربعين ذراعا، وما يليها ثلاثين ، والصغيرة منها عشرين ؟!

وأن يجعل فيها أزقة — الزقاق سبعة أذرع — ليس دون ذلك شيء..

انظر ... عمر يأمرهم أن يجعلوا الشوارع الرئيسية أربعين ذراعًا !

وفي أي عصر هذا — سنة ١٧ هجرية — منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة حين كانت الحمير والبغال والإبل هي وسائل النقل.

لم يكن هناك سيارات ، ولا قطارات، ولا دراجات ، ولا موتوسيكلات ، ولا طائرات..

وهذا يعطينا فكرة عن عقلية هؤلاء الناس... كانوا على أعلى صورة تتصور من الرغبة في الترقي والتطور..

وإذا كان عمر قد اقترح أن يكون الشارع ثلاثين مترا في عصر الخيل والحمير ، فإنه لو عاصر عصر السيارة والأوتوبيس و الجرارات الضخمة كحالنا الآن ، لاقترح ان يكون الشارع مائتي متر أو يزيد.

عقول ثائرة ، مجاهدة ، مقاتلة ، تتفاعل مع الحياة سريعا ، وتتجه إلى أعلى دائما.

لو سار المسلمون على نهج عمر — نهج دينهم الصحيح — ؛ لكانت مدنهم اليوم أعظم مدن العالم ، ومدنيتهم أرقى مدنيات الدنيا.. ولكنهم تخلفوا بسبب الاستعمار والغباء...

وقد آن الأوان لنثبت للعالم كله إن المسلم إذا أراد أن يتقدم، وجد من الإسلام أكبر دافع له نحو الترقي والتطور!!!

## عبقرية اختيار الرجال للمناصب!

كان عبقريا في اختيار القادة الذين يتعاونون معه في الحكم..

لم يكن ينظر إلى صلاح الرجل في ذاته ، وإنما إلى صلاحه للولاية...

فلربما ولى رجلا وأمامه من هو أتقى منه..!

وهنا تتكشف لنا قاعدة هامة من قواعد اختيار الرجال للمناصب الشاغرة ... أن الأولى بالمنصب من كان له أهلا وعليه أقدر، لا من كان أتقى وأعبد .

ذلك أن العبادة ناحية واحدة من الحياة ، وهناك صفات أخرى ينبغي أن تتكامل في رجل المنصب..

هي القدرة والخبرة بأحوال الناس وظروفهم .

قال عمر لأصحابه : دلوني على رجل استعمله على أمر قد أهمني.

قالوا : فلان .

قال : لا حاجة لنا فيه .

قالوا : فمن تريد ؟

قال : أريد رجلا إذا كان في القوم ، وليس أميرهم ، كان كأنه أميرهم وإذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم.

قالوا: ما نعرف هذه الصفة إلا في الربيع بن زياد الحارثي . قال : صدقتم . فولاه !!!

ما هذه العبقرية يا عمر ؟.. ما هذه البصيرة النفاذة في اختيار رجالك ؟

تريد رجلا إذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم ، وإذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم!!

قاعدة ذهبية لو أنصف كل حاكم لاتخذها دستوره الذي يرجع إليه في اختيار رجالات الدولة.

أولا : الاستعداد ...، الشخصية ، وهذا يأتي بتفوق صاحبها على أقرانه دائما إذا كان فيهم ... تلمس امتيازه ، واستعداده للقيادة.

ثانيا : التواضع ، الأخلاق ، إذا كان أميرهم كان رجل منهم!!

قضي الأمر . وأطلقها عمر كلمات قليلات ، فصلت في أخطر قضية سياسية .. قضية اختيار القادة.

وهكذا عمر دائما .. الحق على لسانه وقلبه!

وليكتب الكاتبون ، وليبحث الباحثون بعد عمر في قواعد اختيار القادة والموظفين .. فإنهم لن يأتوا بشيء ذي بال يمكن أن يقاس إلا ما جاءنا به عمر .

ذلك أن الرجل ينظر من فوق أعلى قمة في جبل الحقيقة ، فهو يرى ما لا يبصره جميع المفكرين والباحثين ، ولو ألفوا آلاف الكتب و الأبحاث.

ولو أن أمة غير الأمة العربية آتاها الله رجلا مثل عمر ؛ لقدرته حق قدره.

ولملأت الدنيا بكلماته ، وعبقرياته ، وتصريحاته ، ولكن المؤسف أن عمر كان من حظ هذه الأمة الغافلة عن كنوزها!!

لو وضع عمر في كفة ، ووضع جميع مفكري العالم الحديث في كفة ؛ لرجح عمر..

وأنا أقرر هذا، وعندي عليه آلاف الأدلة .. فما قرأت كلمة لعمر، وما تلوت سطرًا عن حياته إلا وجدت نفسي أمام نور عظيم لا يدرك أوله من آخره .. نور يطمس على أنوار من دونه، وشعاع يحرق شعيعات من سواه.

ذلك أن عمر في مقام أعلى من مفكري الدنيا كلها ، فهو يرى ما لا يستطيعون مجتمعين أن يروه.

متى ندرك عمر ؟ متى ندرس عمر ؟!!

إن الكتلة الاشتراكية كانت مفتونة بأقوال لينين أو كارل ماركس.. تبدي فيها وتعيد ، وما هي إلا أفكار هزيلة إذا وضعتها جنبا إلى جنب مع كلمات عمر ، وتصرفات عمر ، ولمحات عمر.

ولكن المصيبة فينا ، فينا نحن لا فيهم ، نملك عمر، وتراث عمر ، ونظنه كلامًا ككل كلام قديم لا ينبغي الالتفات اليه!

وما كذلك تراث عمر .. ذلك أن الحقيقة لا تتغير أبدًا.

فإذا قلنا أن الشمس حقيقة .. فهذه الشمس ستبقى قديمًا وحديثًا ومستقبلاً هي الشمس.. ولا يصح أن نقول: لا تستعملوا الشمس ؛ لأنها كانت من قبل واستعملها الأقدمون.

ذلك أنها حق ثابت لازم للبشر إلى الأبد .

كذلك عمر .. تراثه هو الحق ، وكلماته حق ، وتصرفاته حق.

فهي لا تبلى ، ولا يصح أن يقال أنها قديمة لا ينبغي الرجوع إليها.

ولو أمكن للعالم الحديث أن يستغني عن الشمس ، أمكن لنا أن نستغني عن عمر.

ومن هنا تأتي الخطورة .. خطورة تسول المذاهب من غيرنا، وعندنا الحق الثابت الذي هو أصل كل جديد.

ما لينين ؟ ما ماركس ؟ ما أي مفكر غربي أو شرقي بالنسبة إلى عمر ؟

لا شيء .. وإنما نظنهم نحن أشياء ، و إن هي إلا أسماء؟

لو أن العالم العربي الحديث فقه قطرة واحدة من بحار الحقيقة العمرية ؛ لأدرك علمًا لا يتناهي في المجال الدولي والمجال الداخلي، علما يغنيه عن استعارة النظم ، و استعارة المسميات.

ولكن قومي لا يعلمون!!!

## إذا لم يرحم أولاده كيف يرحم الشعب!

أمر عمر بكتابة أمر تعيين لرجل قد ولاه.

فبينما الكاتب يكتب ، جاء صبي ، فجلس في حجر عمر ، فلاطفه.

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، لي عشرة أولاد مثله ، ما دنا أحد منهم مني ؟

قال عمر : فما ذنبي إن كان الله – عز وجل – نزع الرحمة من قلبك؟ وإنما يرحم الله من عباده الرحماء.

ثم قال عمر : مزق الكتاب ، فإنه إذا لم يرحم أولاده فكيف يرحم الرعية ؟!

مبدأ آخر .. خطير .. قليل النظير .. لن تجده عند مفكر غربي أو شرقي ، قديم أو حديث..

فغاية قواعد المدنية الحديثة في اختيار المرشحين للوظائف العامة ، أن يضعوا لذلك شروطًا في الاختيار، كثيرا ما تخطئ وقليلا ما تصيب.

ولكن عمر اكتشف شخصية الرجل من فلتة لسان عارضة ، ترتبت على حادثة عارضة.

فما أن استغرب الرجل أن يلاطف عمر الطفل حتى اكتشف عمر حقيقة شخصيته .. وأنه ينأى بنفسه أن يتواضع لصغير ، أو ينزل لضعيف ، ومثل هذا لا ينتظر منه أن يتواضع للشعب.

وعلى الفور أمر بتمزيق الكتاب ، وضاع المنصب من الرجل!

ولكن عمر حفظ للشعب حقوقه ، وحال بين الرجل وبين ظلم الجماهير!!!

## أنت القوي الفاجر .. فاخرج إليهم!

ويبدو عمر عاليًا جدًا .. حين يواجه الناس بحقائقهم في غير مواربة، ويرتب على تلك المواجهة أوامر يصدرها إليهم لينفذوها ، فلا يستطيعون منها فكاكا.

جاء نفر من أهل الكوفة إلى عمر يشكون سعد بن أبي وقاص فقال : من يعذرني من أهل الكوفة ؟ إن وليتهم التقي ضعفوه ، وإن وليتهم القوي فجروه ؟!

فقال المغيرة بن شعبة : يا أمير المؤمنين ، إن التقي الضعيف له تقاه، ولك ضعفه ، وإن القوي الفاجر لك قوته، وعليه فجوره.

قال صدقت ، أنت القوي الفاجر ، فاخرج إليهم!

تأمل هذا الحوار تجد عجبًا .. عمر يشاور اصحابه ، أن يعذروه من أهل الكوفة .. إن ولي عليهم تقيا رحيما ضعفوه ، ولم يملأ عيونهم وإن ولي عليهم قويا فجروه ، اتهموه بالفجور والتسلط!

فماذا يفعل ؟

وهنا يكشف لنا المغيرة قاعدة جميلة .. أن التقي الضعيف له تقاه وعلينا ضعفه ، أما القوي الفاجر فلنا قوته وعليه فجوره!

هذا كلام عميق يكشف عن عقلية سياسية واقعية من الطراز الأول

فماذا تفيد الدولة من رجل ورع تقي ولكنه لا شخصية له إذا حكم ، ولا يثير مهابة في نفوس الجماهير ؟

إن الأمر حتما سيخرج من يده ، وسيعجز عن حزم الأمور، وإقرار النظام ، وإحقاق الحق، و إقامة العدل .

ذلك أن المنصب القيادي لا بد له من الشخصية القوية التي تستطيع أن تفعل ما تريد.

وهذا هو معني أن له تقاه ، وعليك ضعفه .. أي: أنه هو المستفيد من تقواه ، فهذا سلوك شخصي يعود عليه بالأجر في الآخرة ولكن ضعف شخصيته ، سيسبب الفوضى والمتاعب التي تعود على أمير المؤمنين ، المسئول الأول عن الدولة ، بالمتاعب والفتن.

أما الرجل الفاجر، ذو الشخصية القوية ، القادرة على إحقاق الحق و ابطال الباطل ، ولو كره المبطلون ، وغضب الظالمون ، ذلك الرجل الذي يضرب بشدة على أيدي العابثين ، ولا يبالي كرهه الناس أم أحبوه ذلك الذي يراه الناس فاجرًا لا يبالي ، فإنه هو الذي يفيد الدولة. وهذا هو معنى .. فلنا قوته ، وعليه فجوره .. أي: إذا ارتكب أثناء تنفيذه للأوامر شططا لابد منه حين مواجهة الواقع وألاعيبه ، فإنه محاسب على ذلك أمام الله ولكن الدولة على كل حال مستفيدة من مثل ذلك الحاكم.

ونظر عمر .. فأدرك ببصيرته أن الرجل الذي يحدثه ، كأنما يصف نفسه، وأنه يتصور الأمور، حسبما تمليه عليه طبيعته..

فصاح به في صراحته الخالدة : أنت القوي الفاجر . فاخرج إليهم!!

وهنا ندرك أمرًا من عمر يغيب عن كثير من الأتقياء والصالحين من هذه الأمة.

ذلك أن كثيرا من المولعين بالعبادات ، والتسابيح من المسلمين الذين يظنون أن ذلك هو غاية المطاف من هذا الدين الذين لم يباشروا تجربة الحُكم ، ومتاعب الدولة بأنفسهم.

هؤلاء يظنون أن الحاكم يجب أن يكون لينا ورحمة ورأفة ليس إلا...

ولم لا؟.. أليس الدين ينادي بهذا ، ويأمر بالرحمة والرأفة؟

وهذا تصور من أدرك شيئا ونسي أشياء ، نسي هؤلاء أن الدين الذي به يحتجون ، هو نفسه الذي يأمر بأغلظ أنواع الشدة في معاملة المجرمين و المنحرفين إذا لزم الأمر.

والرجل المسئول قد تضطره الحوادث التي أمامه أن يسلك سبيل الشدة ليعالج أمرًا من الأمور فيتصايح غواة الرحمة والتسبيح : هذا فجور ، هذا ظلم ؟

وما هو بظلم ، وما هو بفُجر . إن هو إلا ما يقتضيه الأمر الواقع ، والحزم الدافع.

والحكم بلاء لا يدركه إلا من عاناه واصطلاه ، ولا يستطيع البعيد عنه أن يعلم عنه شيئا.

ومن هنا ندرك أن فلسفة عمر في نظام الحكم فلسفة الواقع، لا فلسفة الخيال ، ونظام التجربة لا نظام التأليف النظري الأكاديمي.

## قواعد العزل السياسي عند عمر!

وأراد عمر أن يستعمل رجلا ، فبدر الرجل بطلب العمل ، فقال له : قد كنا أردناك لذلك، ولكن من طلب هذا العمل لم يعن عليه.

ما معنى هذا؟.. معناه أن عمر يرى أن طالب الولاية لا يولى.

ولكن لماذا ؟ .. لماذا يرفض عمر أن يعين الرجل في المنصب إذا طلب الرجل ذلك المنصب؟

لعل السر في ذلك أن الحريص على المنصب ، يدفعه حرصه عليه إلى ارتكاب ما لا ينبغي؛ ليستمر في وظيفته.

فعمر حين يرفض تعيينه ، فإنما يحول بينه وبين شهوة الحكم والتسلط التي تدفعه إلى الظلم والاجرام.

ودائما وأبدا يكون أولئك الحريصون على مناصبهم سبب ضياع أممهم و شعوبهم.

ولو أنك تأملت التاريخ من أوله إلى آخره ، لرأيت ان الذين خانوا شعوبهم، وخانوا مبادئهم، وخانوا أوطانهم ، كانوا من الحريصين على عروشهم ومناصبهم .

ولو استطلعنا التاريخ الإسلامي الحافل بالأحداث ، لوجدنا أن الدولة الإسلامية أتيت وطعنت دائما من هؤلاء .. الحريصين على عروشهم ومناصبهم!

خذ الفتنة الكبرى ، لماذا كانت ؟.. لحرص رجال من بني أمية على الخلافة و المناصب.

ثم سر مع التاريخ الإسلامي .. وانظر أين الفجوات والالتواءات في ذلك التاريخ ؟ تجد انها من ملوك ، أو خلفاء ، أو سلاطين ، أو حكام أو قضاة، أو رجال ، حريصين على الزعامة، وعلى المناصب ! ظاهرة لن تتخلف أبدًا..

وخذ التاريخ العربي الحديث تلك الدويلات لماذا يضرب بعضها بعضا؟ ؛ لأن منها، حريصون على عروشهم ، على مناصبهم!

ومن هنا نعلم أن القاعدة التي قررها عمر ، قاعدة عليا من قواعد السياسة العامة .. قاعدة بارعة ، جامعة ، مانعة ، تستطيع أن تطبقها على التاريخ البشري كله قديمًا، وحديثا، ومستقبلا.

حتى حياة الأنبياء .. هي الأخرى أقاصيص صراع بينهم وبين الحريصين على مناصبهم وعروشهم ..

لماذا ثار عبدالله بن أبي بن سلول على رسول الله — ﷺ — ، والتوى ، وورم أنفه ، وخادع الرسول — ﷺ — وأصحابه بشتى أنواع الخداع ؟.. لأنه كان يوشك أن يكون زعيما على المدينة ، لو لا مقدم رسول الله — ﷺ — إليها ، فطُمس عليه ، وبُدد حلمه إلى الأبد!

لماذا صارع فرعون، موسي و بني اسرائيل؟. لحرص فرعون على منصبه ، على عرشه ، وقد قالها المذكور صريحة ﴿ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ﴾ و ﴿ وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ، وهكذا .. حرص على المنصب ، على العرش.

وهذه القاعدة التي أسجلها لأول مرة في فلسفة التاريخ ، إنما هداني الله إلى اكتشافها من القاعدة التي قررها عمر وخلاصتها: طالب الولاية لا يولى.

لقد فكرت ، وفكرت، لماذا ، لماذا لا يولى طالب المنصب؟ ومازلت أتعمق الأمر ، حتى أدركت أنها فلسفة عميقة جدًا .. بحر عميق ، فألقيت بنفسي سابحا في أمواجه .. فاذا به مذهب كامل متكامل من الحقيقة.

إنك بالحيلولة بين طالب الولاية وبين الولاية ، إنما تمنع شرًا وبيلا سيقع، وتمنع تسلطا خطيرا يوشك أن ينزل بالشعوب.

فما يتربع صاحبنا الحريص عليها في الكرسي حتى يتحول إلى شيطان ، يوجه طاقات المنصب في سبيل الحفاظ على سلطانه.

وما التاريخ البشري في حقيقته إلا أثرًا مباشرًا للصراع الواقع بين أصحاب السلطان الحريصين على سلطانهم.

لقد كان عمر عبقري العباقرة حين قرر ذلك المبدأ الخالد.. فوقى البشرية ظلمًا حقيقًا أن يقع بالجماهير..

ولو أن البشرية أخذت عن عمر هذا المبدأ وحده ؛ لأسست عليه أعظم دساتير الديموقراطية وأعلى أساليب الشورى ، وخير الطرق التي تكفل حكم الشعب للشعب.

ولكن البشرية أسلمت قيادها لرجال ، أكثرهم حريصين على مناصبهم ، فتلاعبوا بمصائرها، وساقوها إلى شر مصير.

انظر إلى رجل كأدولف هتلر ، ماذا كان منه من دمار وخراب في أنحاء العالم ؟ لسبب واحد هو حرصه أن يكون زعيما!

إن الذين يحرصون على مناصبهم ، إنما هم قوم يتألهون ، ينازعون الله الألوهية .. يريد الحريص على الزعامة أن يكون في الأرض إلها من دون الله .. فهو يتسلط ، ثم يستعبد الجماهير، ليتلذذ بخضوعهم لسلطانه وجبروته !!!

وقديما قالها فرعون ... ﴿ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى ﴾ ...

تلك هي الحقيقة ، وذلك ما ينبغي للجماهير أن تمنعه بشتى الطرق ، وبكل الضمانات ، حتى لا يخادعها حريص على الزعامة ، ثم يتسلط عليها ويسومها سوء العذاب.

يا لك من عظيم يا عمر ! عظيم حين رفضت أن تولي رجلا طلب الولاية، وعظيم حين لفت نظر الإنسانية كلها إلى ذلك المبدأ الخطير ، فوقيتها شرًا مستطيرًا.

وإن الدول العربية لأولى الدول بإدراك ذلك ، وأن نضع سياستنا الداخلية ، والخارجية ، على أساس لا يمكن الحريص على الولاية من التولي علينا ، فنصون الجماهير العربية من الوقوع فريسة في أيدي هذا الصنف الألعبان.

ولننظر .. كيف كان اختيار أبي بكر ؟ لم يسع الرجل إليها ، وما أرادها .. ولكن القوم اختاروه ، وأرغموه عليها.

كيف كان اختيار عمر ؟ .. كذلك .. أرادوه لها ، ولم يرد هو أن يكون خليفة..

وهكذا الشعب دائما .. هو صاحب الحق في اختيار أوليائه ورؤسائه.

وتلك هي القاعدة الذهبية التي يمكن أن تحدد بها الرجال الذين نعزلهم سياسيا .. كل حريص

على منصب ، نباعد بينه و بين ذلك المنصب !!!

## ما هي مهمة الحاكم ؟!

كان عمر يقول للحاكم اذا استعمله في عمل من أعمال الدولة: إني لم استعملك على دماء المسلمين ، ولا على أعراضهم ، ولكن استعملك لتقم فيهم الصلاة ، وتقسم بينهم، وتحكم فيهم بالعدل.

أول مظهر من مظاهر الحكم إقامة الصلاة .. يصلي الحاكم ، ويصلي الناس الصلوات الخمس في المسجد.

وما فائدة ذلك المظهر ؟ لماذا نعطل الحاكم ، ونقول له اترك مهام منصبك ، وصل بالناس خمس أوقات في اليوم والليلة في المسجد؟

؛ لأن الدولة الإسلامية دولة فكرة ودعوة، لا دولة سلطة واستعمار.

الفكرة أولا ، وأعظم مظاهر الفكرة الإسلامية هي هذه الصلاة المكتوبة.

والناس دائما على دين ملوكهم ... متى رأت الجماهير حاكمها أو نائبه يحرص على الصلاة بالناس خمس مرات كل يوم ، تدافعت هي — أيضا — إلى المسجد وصلت.

هناك إذا تجمع من الشعب حول الحاكم، وتجمع من الجميع حول الفكرة، وتركيز للفكرة في نفوس الجميع.

وقد كانت الجماهير في عهد عمر إذا نودي للصلاة ترك الحاكم حكمه وهرع إلى المسجد وترك الجمهور اعماله وهرع إلى المسجد.

وهناك في بيت الله .. يلتقي الحاكم والشعب أمام الله . يعبدون ربا واحدا ويسألون إلها واحدا ، وله يسجدون .

أي وحدة أقوى من هذه الوحدة ، وأي مساواة بعد هذه المساواة؟

ولكن أكثر الناس لا يعلمون!

ثم ماذا ؟.. « وتحكم فيهم بالعدل » .. المهمة الكبرى للحاكم، أن يحكم في الناس بالعدل.

فإذا لم يحكم بالعدل فقد خان الأمانة ، وخرج عن الحد المرسوم.

وهكذا... مهمة الحاكم قيادة الجماهير نحو الله و ذلك يتمثل في امامتهم في الصلوات .. ثم حكمهم بالعدل ، وذلك يتمثل في تطبيق شريعة الله ، شريعة العدل فيهم !!!

## إني لم أبعثكم جبابرة!

وكان إذا بعث عماله قال : إني لم أبعثكم جبابرة ، ولكن بعثتكم أئمة، فلا تضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تحملوهم فتفتنوهم ، ولا تمنعوهم فتظلموهم.

رئيس الدولة الأعظم يعلن دستوره الذي أمر به نوابه على الأقاليم .

إني لم أبعثكم جبابرة .. لم أعينكم في تلك المناصب لتكونوا جبارين، متسلطين ، متغطرسين تسوسوا الناس سياسة السادة للعبيد.

ولكن بعثتكم أئمة ، تهدون بأمر الله ، مهمتكم قبل كل شيء أن تكونوا دعاة إلى الله، والداعي إلى الله لا يكون جبارًا، ولا ظالما ، ولا متسلطًا.

فلا تضربوا المسلمين فتذلوهم .. عمر يحرم على نوابه أن يضربوا أحدا من المواطنين .. لماذا؟.. لأن ضرب المواطنين إذلال، وإهدار آدميته!

ولا تحمدوهم فتفتنوهم ، لا ينبغي أن يكون الحاكم رجلا مداحًا، يقول في الناس ما ليس فيهم، فيغرهم بغير الحق ، ويفتنهم عن اتباع دينهم ، لأنهم يظنون أنهم بلغوا الغاية القصوى!

ولا تمنعوهم فتظلموهم ، لا تمنعوا أحدا عن أبوابكم .. عن مقابلتكم، لا تحتجبوا عن الناس، كونوا دائما في خدمتهم.

ثم ماذا يا عمر ؟!!

## مؤتمر عام!

بلغ عمر قمة المجد .. حين ابتدع من نظام الحكم ما لم يسبق إليه.

كان يدعو نوابه جميعا إلى مؤتمرات دورية ؛ ليحاسبهم على أعمالهم، ويخطط معهم السياسة العامة للدولة .

كتب مرة إلى نوابه أن يوافوه جميعا في موسم الحج، فوافوه.

وانعقد الاجتماع .. رئيس الدولة الأعظم ، ونواب الرئيس.

فقام عمر فقال : أيها الناس ، إني والله ما أبعث إليكم عمالي ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكن ابعثهم اليكم ليعلموكم دينكم ، وسنة نبيكم ، فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إليّ ، فوالذي نفسي بيده لأقصنّه منه.

ديمقراطية إلى آخر مدى .. حكام الأقاليم يجتمعون مع عمر لبحث سياسة الدولة.

ثم ماذا ؟.. ثم ما هو أعجب من هذا .. عمر يقوم في الشعب كله ، وقد اجتمع بشتى مستوياته في موسم الحج ، ويقسم لهم: اني والله ما أبعث إليكم عمالي ليضربوا أبشاركم.

عبقرية عجيبة من الرجل .. إنه يضرب الشعب بالحكام ، ويضرب الحكام بالشعب ، ومن قدح هذا بذاك ، يتطاير شرر الحقيقة للعيان ، ويكتشف عمر خفايا نوابه وأسرارهم!

ثم يلقي بالقنبلة ؛ ليضربوا أبشاركم . لم أبعث عمالي ليضربوا جلودكم .. لقد مس عمر الوطر الحساس من المظلومين . سوف ينبعث من ضُرِب، وينطق بالحق..

ثم يقول : ولا ليأخذوا أموالكم .. ليس لنائب الرئيس أي حق في أخذ أموال الناس ، إلا أن تكون زكاة مفروضة، وليس له شيء بعد ذلك ؛ ومعنى هذا أن من أخذ ماله سوف ينبعث.. وينطق ويشكو!

فقط بعثتهم إليكم ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم .. تلك هي مهمتهم الأولى.

ثم ينادي الرجل العجيب : فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إلى ، فو الذي نفسي بيده لأقصنه منه.

أي دموقراطية ترتفع إلى ما ارتفعت إليه فعلة عمر هذه ، من السمو، والعدالة ، والمساواة بين الناس جميعًا ؟

رئيس الدولة الأعظم التي لا تغيب الشمس عن أطرافها، يقف على الملأ، في موسم الحج، في الحرم، في الشهر الحرام ، حيث تبلغ النفوس أقصى حساسيتها الربانية .. ويعلن : أيما مواطن فعل به سوى ذلك فليتقدم ، وليرفعه إلي ، فوالذي نفسي بيده لأقصنه منه ، لأجعلن المظلوم يقتص من الحاكم الذي ظلمه ، عينًا بعين وسنًا بسن!!

وحين يقسم عمر .. تهتز السماء؛ لأنه الحق يقسم ، وتسود وجوه الظالمين ؛ لأنه الرجل الذي يضع خدودهم على الأرض ليطأها المظلوم.

نعم ، وقد أعلن هذا عمر في أول خطاب ألقاه بين أيديهم، حين ولي الخلافة عليهم.

و مهما تخيلوا ، ومهما تصوروا .. غربا أو شرقا ، فإن خيالهم دون الحق الواقع من عمر.

وليست العظمة أن تتخيل العظمة ، ولكن العظمة أن تكون أنت نفسك عظيما .

وليست الأخلاق أن تؤلف في الأخلاق ، ولكن الأخلاق أن تكون أنت على خلق.

وليست العبقرية أن تتصور العبقرية ، ولكن العبقرية أن تكون انت نفسك عبقريا.

ولقد كان عمر حقا في رجل ورجلا في حق .. فكان واقعه الذي لا خيال فيه ، أبرع وأوقع من خيال المتخيلين الذي لا واقع فيه.

لقد تخيل الفلاسفة والمفكرون والمصلحون في الحضارات المختلفة، الدولة المثالية ، والحاكم المثالي ، فما استطاعوا ان يحققوها وما استطاعوا أن يكونوا إياه...

ولكن عمر لم يتخيل الدولة المثالية، ولم يتصور الحاكم المثالي ، وإنما فقط آمن بالله ، وآمن برسول الله -ﷺ- وفقه كتاب الله وعمل بإيمانه وفقهه ، فكانت دولته هي الدولة المثالية ، وشخصه هو الحاكم المثالي.

وتلك هي عبقرية الإسلام ، عبقرية كلمة الله ، ما دخلت قلبا إلا أحدثت به انقلابا .. وما انقلب بها قلب إلا أحدثت في العالم كله دويا هائلا.

فماذا كان بعد أن صاح عمر ، في الشعب الهادر كالموج في موسم الحج ؟

* * *

## أروع قضية جماهيرية !

فوثب عمرو بن العاص – نائب رئيس الدولة الأعظم – فقال : يا أمير المؤمنين ، أرأيت إن كان رجل من المسلمين واليا على رعية، فأدب بعضهم، إنك تقصه منه ؟

قال : إي والذي نفسي بيده ، لأقصنه منه . وقد رأيت رسول الله -ﷺ- يقص من نفسه ، ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوا بهم الغياض فتضيعوهم.

فقام رجل من الناس، فقال : يا أمير المؤمنين، عاملك ضربني مائة سوط.

فقال عمر : أتضربه مائة سوط ؟ قم فاستقد منه .

فقام إليه عمرو بن العاص فقال : دعنا إذن فلنرضه .

فقال : دونكم .

فأرضوه بأن اشتريت منه بمائتي دينار . كل سوط بدينارين!

تلك الأقصوصة ينبغي أن تتغنى بها الجماهير دائما وأبدا.

إن عمرو بن العاص ، يرتجف هلعا من بطش عمر، عملاق الحق، ويسأله في رعب ، أرأيت إن كان رجل من المسلمين واليا على رعية فأدب بعضهم ، إنك تقصه منه ؟

عمرو يشعر بهول ما فعل ، فهو يستفسر أحقا سيقتص منه عمر؟ فاذا قال الفاروق العظيم: إي والذي نفسي بيده ، لأقصنه منه ؛ لأمكن المضروب من الضارب ، فيضربه كما ضربه سواء بسواء.

ومن أنت يا ابن العاص من أنت في مقاييس الحق، وموازينه وقد رأيت رسول الله -ﷺ- يقص من نفسه ؟ لقد وقف رسول الله -ﷺ- يدعو الناس ، وهو يوشك أن يغادر الدنيا أن من جلد له ظهرًا فليقتص منه !

ومن هنا تعلم عمر . تعلم من رسول الله -ﷺ- أعظم درس في العدل بين الناس وكيف يكون؟

فليس لعمرو بن العاص مهما كانت أوضاعه الاجتماعية ، أن يعلو على الحق والعدل ، كلا وما كان عمر ليفعل ذلك وقد رأي رسول الله -ﷺ- يدعو الناس ليقتصوا منه إن كان لأحد عنده مظلمة أو قصاص وحاشاه .

فكان مبدأ خالدا، وكان عمر عليه راسخا ، وها هو يعلن للشعب كله أن يتقدم صاحب المظلمة إليه؛ ليمكنه من القصاص من ظالمه.

تماما نفس الدرس الذي أخذه عن رسول الله -ﷺ-

ويؤكد عمر اتجاهه فينطق أمام الشعب : ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم .

لا يحل لكم أيها النواب أن تضربوا مواطنا أبدا ، فتدمروا كيانه، وتذلوه.

وعمر بذلك يسبق أحدث ما يزعمون في عالمنا الحديث من تحريم ضرب الإنسان.

يسبقه منذ خمسة عشر قرنا، و يعلنه على الشعب كله في بيت الله الحرام .

ثم يؤكد القضية بقوله : ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم !

فقرة قصيرة حوت معاني كبيرة كثيرة.

مذهب سياسي كامل في هذه الكلمات المعدودات!!!

## حقوق الإنسان... أو لا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم!

قطرة أخرى من بحار الحقيقة العمرية ، قطرة نور تضيء ما بين المشرق والمغرب إلى يوم القيامة.

فما من شيء يدفع الإنسان إلى الكفر ، مثل أن تمنع حقه عنه.

ولكن ما هي حقوق الإنسان هذه التي يؤدي منعها عنه إلى كفره بالله ، و كفره بدينه ، وكفره بكل شيء كريم.

حقوق الإنسان أن يعيش الإنسان إنسانا ، ولن يكون الإنسان إنسانا إلا اذا عاش حرًا ؛ لأن الله خلقه حرًا وإلا إذا نال حقه من المال ؛ لأن الله خلق كل شيء للإنسان ، و إلا إذا نال حقه من العلم ؛ لأن الله خلقه جاهلا ؛ ليتعلم ، وضالا ليهتدي وإلا إذا عاش متساويا مع أخيه

الإنسان ؛ لأن الله خلق الناس سواسية وسوى بينهم في الحياة، وفي الممات وفي الصفات العامة.

فإذا منع عن الإنسان حقا من تلك الحقوق ، تخلخلت إنسانيته، وانهارت آدميته ، فلم يعد صالحا ؛ لأن يعرف ربه ويتعرف عليه ، وهذا هو الكفر، الانكار ، إنكار الله ، وإنكار رسله، وإنكار كتبه ، وإنكار كل القيم الكريمة.

وبهذا يمكن أن يقال ما دخل الظلم بلدًا إلا قال الكفر خذني معك.

وعمر العبقري أدرك القضية من أول مرة فصاح بولاته : لا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم.

أعطوهم حقوقهم ، فإن إعطاء المواطنين حقوقهم هو الضمان الوحيد لاستمرارهم على الايمان بربهم.

كأنما عمر يتخذ وسائل الوقاية ، وقاية الشعب من أن يعود كافرًا وذلك بإعطائه حقوقه كاملة .

ومن هنا يمكن أن نقتبس لفتة خطيرة: أن قطاعات من الشعوب الإسلامية كفرت بربها ، وقرآنها ، وسنة نبيها حين منعت الحكومات الظالمة عنها حقوقها.

فتخلخلت الفكرة ، فكرة لا إله إلا الله في قلوب الكثير من الجماهير، فطرحت بها ولا تبالي.

وما الخير في نظام لا يحقق للإنسان حقوقه في الحياة ؟!

فإذا شرعت بعض النظم في العالم الإسلامي في أيامنا هذه، تعيد إلى المواطنين حقوقهم المسلوبة ، فيمكن أن نقول أن هذه الحقوق حين تصل إلى كل مواطن ، تقربه من الإيمان بربه ، وتمكنه من التفرغ للتفكير في الله . أما الجائع ، أما المظلوم ، أما المحروم أما الجاهل، أما المتخلف فإن أعصابه مضطربة مهتزة لا تستطيع أن تدرك إيمانا ، أو تعرف إلهًا .

وفاق عمر الناس جميعا حين صاح صيحته الكبرى ، لا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم .

ثم ماذا عن تلك القصة الخالدة القادمة ؟!!

## أتضربه مائة سوط ؟؟!

وجاءت اللحظة الفاصلة في تاريخ الإنسان حين يسأل عمر الرجل : أتضربه مائة سوط؟ هل تريد أن تقتص من حاكم مصر، وتضربه مئة كرباج؟

وحين نقول حاكم مصر ، إنما نقول حقا ، فعمرو في تلك اللحظة كان ملكًا على مصر وشمال أفريقيا ، لا عن وراثة ، و إنما عن فتح وجهاد.

ولكي يمكنك أن تتصور المنظر ، يمكنك أن تتصور ملكا من ملوك مصر العظام يوقف؛

ليضربه رجل من أبناء الشارع مائة كرباج على مشهد من الشعب كله ؟!

إنها لحظة إنسانية رائعة خالدة ، لحظة يعلو فيها الحق على كل الأوضاع، وكل مقررات.

إن حاكم مصر والشمال الإفريقي يعري ظهره لرجل فقير ليضربه مئة !!!

اشهدي يا دنيا . واشهدي أنك لم تشهدي أروع من ذلك أبدا.

هل تستطيع أي دولة في العالم أن تفعل مثل هذا برئيس الدولة ؟

لا أحد يستطيع منهم ذلك، ولكن عمر فعل ذلك - الإسلام قرر ذلك - ؛ ليعلم الناس كافة أن السمو الإنساني يبلغ ذروته في الإسلام .

ومن هنا ندرك أي خداع ؟ وأي تضليل؟ وأي خسارة نخسرها حين نستبدل ذلك النور الإلهي بتلك الظلمات التي تقدم إلينا من الخارج!

واهتز التاريخ، وأطلت القرون؛ لتنظر ماذا يفعل عمر ؟ وأمر عمر أن يضرب عمرًا مئة لولا أن المتهم لجأ إلى المضروب، وما زال به يسترضيه حتي عفا عنه ، وأخذ تعويضا مائتي دينار ، السوط بدينارين!!!

ولو رأى الرجل أن يضرب عمرًا لفعل!!!

## مخابرات عمر!

يظن أهل هذا العصر أن نظام المخابرات من مبتدعات العصر أو من عجائب زماننا .

وسوف يدهشون أشد الدهشة حين يعلمون أن عمر بلغت دقة مخابراته أمرا لم تبلغه مخابرات النظم الحديثة .

كان لعمر جهاز سري تتناهى خيوطه إليه هو شخصيًا.

فكان علمه بمن نأى عنه من نوابه ، وحكامه ، وشعبه ، كعلمه بمن بات معه في فراش واحد!

فلم يكن له في قطر من الأقطار ، ولا مصر من الأمصار ، ولا ناحية من النواحي ولا عامل ولا أمير جيش إلا وعليه له عين لا يفارقه ما وجده!

فكانت أخبار من المشرق والمغرب عنده في كل مساء وصباح.

وأنت ترى ذلك في كتبه إلى عماله وعمالهم حتى كان العامل منهم ليتهم أقرب الخلق إليه، وأخصهم به!

هذه هي مخابرات عمر .. كان الرجل يمسك الدولة المترامية الأطراف ، المتباعدة الحدود، بجهاز رهيب من المخابرات.

وهذا أسطع برهان على أن عمر تفوق على عصرنا هذا حقًا في أساليب الحكم السرية ، التي نعتبرها نحن الآن من مبتكرات النظام الحديث!

ومن زاوية أخرى ندرك أمرا خطيرا ، ونكتشف فهمًا جديدًا عن دولة الإسلام ..

فلقد كان المستقر في عقول البعض منا حتى أيامنا هذه ، أن الدولة الإسلامية كانت دولة مشايخ ، وتراتيل ، وتسابيح ، لا شأن لها بنظم الدولة الحديثة المحكمة التي تقوم على الجيوش المنظمة ، والأجهزة الرهيبة السرية.

وترسبت تلك المفاهيم الشوهاء الفاسدة في عقولنا نحن العرب والمسلمين حتى أصبحنا نتصور كل شيء إلا أن يكون للإسلام دولة رهيبة مسلحة ، يسمع صوتها اذا تكلمت ، ويرهب جانبها إذا تحركت.

وما كان ذلك كذلك إلا من عفونات القرون الطويلة التي عاشها المسلمون، وأسلموا قيادهم إلى المستعمرين .. فباعدوا بينهم وبين أسباب القوة والعزة..

وها نحن نرى أسلوب عمر في حكم الدولة الإسلامية التي كانت تشغل أهم مناطق العالم المتحضر يومئذ ، أسلوبا عجيبا محكما، يعتمد على كل الوسائل الممكنة من القوة الظاهرة والباطنة.

ففي الظاهر هناك الجيوش الإسلامية الرهيبة في كل مكان من الدولة ، في مصر، في العراق، في اليمن، في الشام ، في الجزيرة العربية ، في فارس . جيوش إذا تحركت فساء صباح أعدائها، ويا ويل من يقف في وجهها..

وهذا كلام حق وليس بشعر شاعر ، وما معارك القادسية ، واليرموك ، وأجنادين ، والإسكندرية ببعيدة.

دولة تملك أكبر قوة ضاربة في العالم، الرجل المسلم بعشرات من الأعداء.

هذا من الناحية الظاهرة ، أما من الناحية الباطنة ، فهناك جهاز سري رهيب تتناهى خيوطه إلى أصابع عمر .. ينقل إليه كل شيء عن المسئولية الواسعة، وعن أحوال الشعب، وآلامه، واتجاهاته.

وينقل إليه كل شيء عن أعداء الدولة ليبغتهم – قبل أن يفيقوا.

هذه هي دولة عمر ، دولة الإسلام ، ما من وسيله تؤدي إلى القوة إلا حققتها تلك الدولة من نفسها.

قوة الفرد بإعداده إعدادا ربانيا عاليا .

قوة الحرب بتركيزه على غايات الفداء والاستشهاد أو تدريبه وقذفه في ساحات الشرف

وساحات القتال .

وقوة الرقابة المتمثلة في مخابرات رئيس الدولة ، عمر بن الخطاب.

ذلك شيء من روعة الإسلام ، أما تلك المفاهيم الخاطئة ، الباهتة، الكالحة، فليست من هذا الإسلام القوي العظيم في شيء.

فليدرك هذا المسلمون، وهم يتوثبون نحو المجد ، مجد وحدتهم ، وحدة آبائهم ؛ وليعلموا حقيقة دينهم ، وحقيقة دولتهم.

ولا يخدعنهم ما يقول أعداؤهم ، فمن سلك السبيل إلى القوة ، واستعان بالله آتاه الله أسبابها!!!

## سَوِّ بين الناس!

وكتب إلى أبي موسى الأشعري : أن سوِّ بين الناس في مجلسك ، وجاهك ، حتى لا ييأس ضعيف من عدلك ، ولا يطمع شريف في حيفك .

هل رأيت رئيس دولة يبعث بمثل هذا الكلام التربوي الرفيع إلى أحد كبراء دولته ؟

لا ، فالمألوف أن رؤساء الدول يكتبون إلى قادة الدولة أوامرهم، ورغباتهم التي تتعلق بشأن الحكم ومهام المنصب ، أما أن يكتب رئيس دولة إلى نائبه في مكان ما من الدولة كلاما مثل هذا فذلك هو وجه العجب!

فلقد ألف الناس أن يطرحوا الأخلاق جانبا، وينحوها عن شئون الحكم..

ولكن عمر ليس كذلك .. عمر يرى أن الأخلاق في بناء الدولة، وكيانها قبل كل شيء، قبل التنظيم المادي ، والتخطيط العملي لشئون الدولة.

ذلك أن عمر يرى — وما يراه هو رأي الإسلام – أن الحاكم الذي لا أخلاق له ، شرير أثيم، و مجرم كبير ، يجب نزعه من منصبه، رحمة بالجماهير التي يتحكم في رقابها.

كان إذا بلغه أن عاملا له لا يعود المريض ، ولا يدخل عليه الضعيف نزعه!!

تأملي يا دنيا .. هذا هو عمر ، الأخلاق عنده الشرط الأول فيمن يلي له عملا عاما من أعمال الدولة.

وما شأن عيادة المريض، والسماح للضعيف بالدخول على الحاكم، بنظام الحكم ، وبشخصية الحاكم ؟

في مفاهيم عصرنا لا علاقة بين الاثنين .. ولكن في مفاهيم عمر لها كل العلاقة.

لأن الحاكم الذي يستكبر أن يزور مريضًا ، ويأنف أن يدخل عليه رجل الشارع المسكين، رجل بعيد عن الله ، بعيد عن رحمته، بعيد عن أن يفعل للجماهير خيرًا.

مثل هذا اذًا ينبغي أن يفصل من عمله فورًا .. وأن يحل آخر محله ، يزور المريض الفقير ، ويسمح للمواطن المسكين بالدخول عليه في مكتبه!، وفي هذا كان الرجل يقول : هان شيء أصلح به قوما ، أن أبدلهم أميرًا مكان أمير.

يا للمفهوم يا عمر ! وأني للناس مثل مفاهيم عمر؟!

ومن هنا كان يبعث بتوجيهاته الأخلاقية إلى عماله، وقواده، وقضاته، وكل من ولي له عملا عاما أكثر مما يبعث بأوامره العسكرية و المالية.

ذلك أنه يعلم أن القادة إذا استقاموا، استقامت لهم الأمور، وكل شيء إذا خلصت السرائر بعد ذلك هين.

ومن هنا بعث لنائبه ، أبي موسى الأشعري ، يقول له : سو بين الناس في مجلسك ، وجاهك.

إذا جلست أيها القائد فسو بين الجالسين حولك في كل شئ في المعاملة ، في التقدير ، في التبسم ، في الاهتمام.

وجاهك، وسو بينهم في سلطاتك ، فلا تفرق في معاملة الناس ؛ لأنهم جميعا سواء.

لماذا ؟ .. حتى لا ييأس ضعيف من عدلك ، ولا يطمع شريف في حيفك .. حتى لا يفقد الضعفاء، الجماهير ، الثقة فيك، وحتى لا يطمع الأقوياء في ظلمك أن تسهل لهم أمورهم دون الجماهير!

لست أدري من أي نبع تستقي يا عمر ؟ لو أن البشرية كلها جلست تفكر ؛ لتضع صيغة عامة يتخذها القادة أساسا لمعاملتهم للجماهير ، ما استطاعوا أن يصلوا إلى معشار ما ألقيته في بساطة إلى أبي موسى!

حقا .. أن أبا موسى في حاجة إلى هذا التوجيه من عمر أكثر من حاجته إلى أوامر عمر، وعسكريات عمر.

لأن الأعمال المادية يمكن التوصل اليها بالاستعانة بأهل الخبرة فيها.

أما تلك الومضات الروحية ، وهذا النور الإلهي العجيب ، فلن يجده أبو موسى إلا عند عمر وحده.

ولن تجده البشرية كلها كذلك إلا عند عمر ، ومن كان مثل عمر!

آه لو يدرك ذلك كل ذي منصب في أي قطاع من الدولة، إذا لاستقامت الأمور لكل الناس.

آه لو يدرك ذلك أولئك الذين يجلسون كالطواويس المنفوشة على مكاتبهم ، فإذا أقبل عليهم رجل ذو سلطة أو مال هشوا وبشوا، وإذا أقبل عليهم ذو حاجة مسكين حال مساعدوهم بينه

وبينهم !

مثل هذه الأمور لا تعالج بقوانين تسن، ولا بعقوبات تلهب ظهور المخالفين.

وإنما تعالج بتربية قلوب الناس ، ولن تربي قلوبهم إلا إذا عرفت ربها، وتوجهت إليه.

وتلك هي العقدة .. التي نضج منها جميعا بالشكوى ، ويرتفع حوارنا بسببها..

كلنا يشكو من الإهمال في الأعمال، والتفرقة في المعاملة بين طبقات الشعب..

ومهما وضعنا من قوانين ، ومهما شرعنا من دساتير ، فسيبقى الأمر كما هو ؛ لأن مفتاح القضية من القلوب ، لا من الأنظمة.

وهنا تتجلى عبقرية عمر ، عبقرية الإسلام في بناء الأمة ، فردا فردا!!

## أنا ظلمته!

عمر يدين نفسه ، عمر يقرر أنه ظلم المواطن ، متى كان ذلك من عمر ؟

يقول عمر : أيما عامل لي ظلم أحدًا ، وبلغتني مظلمته ، فلم أغيرها ، فانا ظلمته.

رئيس الدولة الأعظم التي لا تغيب الشمس عن أطرافها، يقرر : أي موظف بالدولة يظلم مواطنا ، ويشكو إلى ذلك المواطن ، فلم أنصفه من ذلك الموظف ، فأنا ظلمت ذلك المواطن!!

مفاهيم تبدو في نظرنا خيالا بعيدا .. أمن المعقول أن عمر يستطيع أن ينصف كل ذي شكوى من موظفيه ونوابه ؟

نحن نستبعد ذلك الآن ؛ لأن مجتمعاتنا غرقى في المظالم ليلا ونهارا، سرا وجهارا ، ولا غرابة في هذا أن يحدث ، فقد ألف الناس تلك المظالم والظلمات .

ولكن مجتمع عمر.. الذي أخرجه رسول الله -ﷺ- إلى الدنيا .. كان ذا حساسية بالغة ، يحس الخير والشر من بعيد.

وكان عمر أرفعهم حساسية ، وأشدهم إحساسا.

ومن هنا يصيح الرجل : أنا ظالم إذا لم أغير ظلما وقع على مواطن من أحد الموظفين!

والتاريخ يشهد أنه لم يشهد أعدل من عمر ، ومع هذا تبلغ الحساسية بالرجل حدا يقول معه ذلك القول العظيم!!!

## الرقابة الإدارية!

قال عمر : أرأيتم إذا استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمرته بالعدل، أكنت قضيت ما علي؟

قالوا : نعم .

قال : لا . حتى أنظر في عمله ، أعمل بما أمرته أم لا ؟

وبهذا يسبق عمر كل ما عرفه العالم الحديث ، من تنظيمات الرقابة الإدارية التي توضع لضمان مراقبة الجهاز الحكومي ، وكيفية تطبيقه للوائح والقوانين.

سبق الرجل الجميع حين قرر أنه ليس كافيا أن يحسن اختيار الموظف ، وأن يأمره بالعدل، وان يضع له من القوانين الرادعة ، الكفيلة بكل خير.

وإنما عليه بعد ذلك أن ينظر أعمل الموظف بما أمره أم لا؟

وعمر هنا ينطق باسم الدولة وعلى الدولة أن تنظر هل طبق الموظفون تلك القوانين المشروعة لخير المجتمع ، أم تهاونوا في تطبيقها ، أم تراخوا في تنفيذها ؟

وأي نظام من الرقابة الإدارية يبلغ عظمة هذا النظام ؟!

كل هذه الكنوز الغوالي عندنا ، وعند عمر بالذات . ولكن قومي لا يعلمون!!!

## فليأكل الشعب أولا .. يا أبا موسى ؟!

قدم أبو موسى الأشعري في وفد البصرة على عمر ، فقال أبو موسي : لو كلمتم أمير المؤمنين يفرض لنا من بيت المال أرزاقنا؟ فوالله ما زال حتى كلمناه فقال : يا معشر الأمراء ، أما ترضون لأنفسكم ما أرضاه لنفسي ؟!

قلنا : يا أمير المؤمنين ، إن المدينة أرض العيش بها شديد ، ولا نرى طعامك يغشي ولا يؤكل، وإنا بأرض ذات ريف، وإن أميرنا يغشي ، وإن طعامه يؤكل.

فنكت في الأرض ساعة ، ثم رفع رأسه فقال : نعم ، فإني فرضت لكم كل يوم من بيت المال ، شاتين وجريبين ( الجريب مكيال معلوم من القمح أو الشعير ) فإذا كان بالغداة (الصباح) فضع إحدى الشاتين على أحد الجريبين، فكل أنت وأصحابك، ثم ادع بشرابك فاشرب . ثم اسق الذي عن يمينك ، ثم الذي يليه ، ثم قم لحاجتك.

فاذا كان بالعشى ( المساء ) فضع الشاة الغابرة على الجريب الغابر (الباقي) فكل أنت وأصحابك ، ثم ادع لشرابك فاشرب.

ألا واشبعوا الناس في بيوتهم ، وأطعموا عيالهم .

فإن تحفينكم للناس لا يحسن أخلاقهم، ولا يشبع جائعهم.

والله مع ذلك ما أظن رستاقا يؤخذ منه كل يوم شاتان وجريبان إلا يسرعان في خرابه!

ما هذا ؟، هذا شيء فوق كل ما يتصور من نظم الناس .

إن الحاكم ومعاونيه يشكون إلى عمر أن يفرض لهم شيئا من المهايا الثابتة يعيشوا بها؛ ليتفرغوا لأعمالهم .

وعمر يتردد في ذلك ، ويطيل التفكير ثم يقول لهم : أما ترضون لأنفسكم ما أرضاه لنفسي؟

يريدهم أن يكونوا على أسلوبه ، من الزهد والتعفف، ولكن هيهات ، فعمر مقام وحده.

وثار ثائرهم ، وبينوا له أنهم بأرض ذات ريف، ذات زراعة وخير ، ولا داعي لهذا التقشف الزائد.

وعلى مضض ، فرض لهم عمر شاتين وجريبين ، خروفين وكمية مناسبة من القمح أو الشعير!

ثم ماذا؟. ثم العجب العجاب . أمير المؤمنين يضع سدودًا وقيودًا على المقررات ، فاذا كان الصباح ، فضع إحدى الشاتين على أحد الجريبين ، فكل أنت وأصحابك ثم ادع لشرابك فاشرب، ثم اسق الذي عن يمينك ، ثم الذي يليه ، ثم قم لحاجتك!

سدود و قيود يضعها عمر على الشيء القليل الذي فرضه للمجموعة الحاكمة بالعراق ، يجتمعون جميعا ، ويشربون جميعا.

ثم يصيح عمر : ألا وأشبعوا الناس في بيوتهم ، وأطعموا عيالهم.

صيحة إثر صيحة ؛ ليأكل الشعب أولا يا أبا موسى؛ ليشبع الشعب أولا ، وأبناء الشعب.

إنه لحوار خطير ، وقرار خطير ، لو تأملناه ؛ للمحنا خلاله نظرة عمر إلى الحاكمين وإلى الشعب.

إنه أباح لأعضاء الحكومة أن يأكلوا على حساب الدولة في مجال ضيق جدا ، ونبه الحكومة في نفس الوقت أنها ملزمة بإشباع الناس في بيوتهم وإطعام عيالهم.

وهنا تنبثق نظرية عمر – نظرية الإسلام – أن مهايا الموظفين في الدولة على قدر حاجتهم، وحق الشعب على الحكومة أن يأكل كبيره وصغيره حتى يشبع ، حتى الكفاية !!

## عمر يقرر المهايا !

وكان عمر يفرض لأمراء الجيوش، والقرى في العطاء على قدر ما يصلحهم من الطعام ، وما يقومون به من الأمور.

هذه هي القاعدة العامة، الماهية على قدر الحاجة، وعلى قدر العمل.

وهي أعدل نظرية في تقدير المهايا والأجور الحاجة والعمل.

قال الحسن : كان عمر وعثمان يرزقان الأئمة والمؤذنين ، والمعلمين والقضاة.

ولذلك لم يلتزم عمر في تحديد مهايا موظفي دولته رقما معينًا موحدًا.

وإنما كان هناك اختلاف في الماهية بين وظيفة ووظيفة؛ مراعاة لحاجة الموظف، وطبيعة العمل وظروف الوظيفة المعيشية.

أجرى على عمار ستمائة درهم مع عطائه لولاته وكتابه ، ومؤذنيه، ومن كان يلي معه في كل شهر لما بعثه وبعث معه عثمان ابن حنيف ، وابن مسعود إلى العراق ، وأجرى عليه في كل يوم نصف شاة ورأسها وجلدها وأكارعها. ونصف جريب كل يوم.

وأجرى على عثمان بن حنيف ربع شاة وخمسة دراهم كل يوم ، مع عطائه ، وكان عطاؤه خمسة آلاف درهم.

وأجرى على عبد الله بن مسعود مائة درهم شهريا ، وربع شاة في كل يوم .

وأجرى على شريح القاضي مائة درهم في كل شهر ، وعشرة أجربة.

وإنما فضل عمارًا عليهم؛ لأنه كان على الصلاة .

ماذا نلمس في تلك التقديرات ؟.. نلمس أنها تتفاوت مقاديرها، حسبما تتفاوت حاجتهم وأعمالهم وبيئتهم.

ومن هنا نستنبط قاعدة هامة من سياسة عمر : أن الإسلام يتطور دائما ، يرتقي بهم إلى الأحسن و الأقوم دائمًا.

هذا هو عمر ، يقرر للقاضي، غير ما يقرر للأمير ، غير ما يقرر للمعلم، غير ما يقرر للمؤذن، غير ما يقرر للكاتب ، غير ما يقرر للإمام.

رجل عملي من الطراز الأول .. متطور إلى أقصى آفاق التطور، إن وجد في نصوص دينه ما يسعفه في وضع الحلول المناسبة لمشكلات الحياة فنعما هي ، وإن لم يجد اجتهد رأيه ، والتمس الحلول عند أصحابه.

وهكذا شأن كل إنسان عظيم.

أما أولئك الجامدون ، المتحجرون ، الذين هم موتى ولا يشعرون ، الذين لا يريدون أن يتطوروا مع الحياة .. فإنهم ليسوا من الإسلام في شيء !!!

## لماذا لم يستعمل عمر أهل البيت ؟!

قال عبد الله بن عباس : بعث إليَّ عمر بن الخطاب فأتيته فقال : يا ابن عباس ، إن عامل حمص هلك ، وكان من أهل الخير، والخير قليل .

وقد رجوت أن تكون منهم ، فدعوتك لأستعملك عليها ، وفي نفسي منك شيء أخافه ولم

أره منك ، وأنا أخشاه عليك، فما رأيك في العمل ؟

قلت : فاني لا أرى أن أعمل لك عملا حتى تخبرني بما في نفسك.

قال : وما تريد إلى ذلك ؟

قال : أريد إن كنت بريئا من مثله عرفت أني لست من أهله ، وإن كنت ممن أخشى على نفسي خشيت عليها مثل الذي خشيت علي ، فقلما رأيتك ظننت شيئا إلا جاء عليه الوحي.

فقال : يا ابن عباس ، إني أطمح حالك إنك لا تجدني إلا قريب الجد ، وإني خشيت عليك أن تأتي علي الفيء الذي هو آت ، وأنت في عملك، فيقال لك هلم الينا ، ولا هلم اليكم دون غيركم ، إني رأيت رسول الله -ﷺ- استعمل الناس، وتركم.

قلت : والله لقد رأيت الذي رأيت ، ولم تراه فعل ذلك ؟

فقال : والله ما أدري أصرفكم عن العمل ، ورفعكم عنه ، وأنتم أهل ذلك ، أم خشي أن تعاونوا لمكانكم منه ، فيقع العتاب عليكم ، ولابد من عتاب ، فقد فرغت لي ، وفرغت لك، فا رأيك ؟..

قلت : لا أرى أن أعمل لك .

قال : لم ؟

قلت : لأني إن عملت لك وفي نفسك ما في نفسك لم أبرح قذاة في عينك.

قال : فأشر علي .

قال : قلت : أشير عليك أن تستعمل صحيحا منك ، صحيحا عليك.

هذه هي الأقصوصة الخالدة ، التي دار حوارها بين أمير المؤمنين عمر، وبين ابن عباس.

ولو أن القلم أفرد لتلك الأقصوصة كتابا كبيرا بأكمله لما وفاها حقها من الإضاءة الجانبية، والمباشرة ، وغير المباشرة.

إنها شحنة من النور المنطلق إلى أبعد آفاق النزاهة في الحكم، والشرف لأهل البيت.

ودائما أنا في حيرة وأنا آخذ في التحرير عن أقاصيص عمر ، وحوادثه، ما أمسك بخيط من أقاصيصه إلا قادني إلى عوالم من النور ، السرمدي الذي لا ينتهي ، فأقف مبهورًا لا أدري كيف أبدأ ؟ أو كيف أنتهي ؟!

منصب يخلو في الدولة الإسلامية العظمى ، منصب حاكم حمص ، ويدور الحوار بين رئيس الدولة ، وبين ابن عباس.

يريد عمر أن يعين ابن عباس حاكما لحمص ، وإنه لأهل لذاك ، وما هو أكثر من ذاك.

ثم انظر كيف كان هؤلاء الناس من سمو الأخلاق ، وسمو الأخوة وسمو الحوار إذا تحادثوا أو تناجوا ؟

عمر : ما رأيك في العمل ؟

ابن عباس : إني لا أرى أن أعمل لك عملا حتى تخبرني بما في نفسك.

عمر : إني رأيت رسول الله -ﷺ- استعمل الناس وتركك.

ابن عباس : ولم تراه فعل ذلك ؟

عمر : والله ما أدري أصرفكم عن العمل، ورفعكم عنه وأنتم أهل ذلك؟. أم خشي أن تعاونوا لمكانكم منه ، فيقع العتاب عليكم، ولابد من عتاب.

عمر – عملاق الحق – الذي جعل الله الحق على لسانه وقلبه .. في حيرة. لا يدري لماذا صرف رسول الله -ﷺ- أهل بيته عن المناصب وهم أهل لها وزيادة ؟. أكان ذلك ليرفعهم عن العمل، ويسمو بهم عليه ؟ أم لأنه خشي أن يتعاونوا ، أي: يسيطروا على المناصب دون غيرهم لمكانهم منه -ﷺ-، فيتكلم الشعب .

ويقع العتاب عليهم من الناس. لماذا ؟ ؛ لأنه لابد من العتاب؟

أدب رفيع جدا من عمر ، وهو يخاطب ابن عباس . إن عمر يعلم مقام البيت النبوي الكريم، عند الله وعند الناس.

ويعلم كذلك أن لهم حقا في المناصب العامة ، كما لسائر الناس ، ولكنه رأى رسول الله – ﷺ– استعمل الناس وتركهم.

وها هو منصب يخلو ، يريد له رجلا من أهل الخير ، وإنهم لقليل . وها هو ابن عباس ، الرجل العظيم ، المشهود له بالخير.

فهل يستعمله ؟.. ولكن ذلك لم يفعله رسول الله -ﷺ- ؟ حيرة كيف الخلاص منها؟.. وجعل أمير المؤمنين يبث حيرته في إخلاص لله ورسوله إلى ابن عباس ، لعله يجد عنده جوابا.

إلا أن التاريخ ليطأطئ رأسه مرة أخرى حين يسمع ابن الخطاب يقول لابن عباس في أدب و تواضع : فقد فرغت لي ، وفرغت لك ، فما رأيك؟

فيقول ابن عباس : لا أرى أن أعمل لك ! .

ويصيح التاريخ صيحته الخالدة : ليس كأصحاب رسول الله من رجال.

عمر يعرض القضية على المرشح لمنصب ، و المرشح يعلن رفضه ، ما دام عمر في نفسه شيء من ذلك الترشيح رغم اقتناعه بأحقيته.

ولا شيء بعد ذلك ، فلا نفس عمر تتغير ، ولا نفس ابن عباس تتأثر، كأن لم يحدث شيء.

رجال ؟. إي وربي رجال . من طراز عال جدا . شاهق جدا تماما كما قال الله فيهم:

﴿ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ ﴾ [الأحزاب ٢٣]

لو لم يترك رسول الله -ﷺ- للبشرية إلا أصحابه ؛ لكان ذلك الخير كله. فكيف، وقد ترك أمة كاملة متكاملة ، ورسالة خالدة إلى الأبد ؟!

ثم ماذا ؟

عمر : فأشر علي.

ابن عباس : أشير عليك أن تستعمل صحيحا منك ، صحيحا عليك .

كان الأمر يتعلق بشخص ابن عباس .. نفس صافية لا أثر فيها للحادثة!!

## من أين هي لك ؟!

مهما تبتدع المدنية الحديثة من أساليب الرقابة على الأنفاق ، والرقابة على الأجهزة الحاكمة، فإنها لن تصل إلى شيء مما وصل اليه عمر ، منذ نحو ألف وخمسمائة عام .

لا أقول هذا من باب الحماسة لعمر ، وإنما أقوله عن يقين هادىء ناتج عن بحث عميق.

استعمل عمر أبا هريرة على البحرين، فقدم بعشرة آلاف ، فقال له عمر : استأثرت بهذه الأموال ؟! فمن أين هي لك ؟!

شدة في الحق، وغلظة في التحقيق ، وحماسة عجيبة في معرفة حقائق الرجال.

قال أبو هريرة : خيل نتجت ، وأعطية تتابعت ، وخراج رقيق لي.

فنظر عمر ، فوجدها كما قال.

ثبتت إذا براءة أبي هريرة ولكن عمر كرئيس دولة ، لابد له من تلك الشدة في تعقب رجاله. فلما كان بعد ذلك دعاه عمر؛ ليستعمله فأبي.

فقال له عمر : تكره العمل ، وقد طلبه من هو خير منك ، يوسف ؟!

قال : إن يوسف نبي ، ابن نبي ، وأنا أبو هريرة بن أميمة ، وأخشى ثلاثا واثنتين .

قال عمر : فهلا قلت خمسًا ؟

قال : أخشى أن أقول بغير علم ، وأقضي بغير حكم ، ويضرب ويشتم عرضي ، وينزع مالي.

ورفض أبو هريرة أن يكون حاكما للبحرين مرة أخرى ... فلربما قال بغير علم ، أو قضى

بين الناس بغير حكم ، فيضرب ظهره حدًا أو يشتم عرضه بغير حق ، أو يصادر ماله من عمر ! .

ما لأبي هريرة ، وهذا كله ، ما للرجال ومتاعب الحكم في عهد عمر ؟.

ومع ما كان من أصحاب رسول الله من نزاهة ، وزهد في الدنيا ، وعفة وتعفف ، فإن عمر لم يعفهم من التنقير وراءهم !!!

## أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها ؟!

كان لعمر تكتيك رائع في رقابة نوابه على الأقاليم...

كان يأمر إذا قدم عليه العمال ( نواب الرئيس ) أن يدخلوا نهارا ولا يدخلوا ليلاً ، كيلا يحجبوا شيئا من الأموال!.

عجيبة أخرى من عجائب العبقري عمر ، إنه يصدر أوامره ، إذا قدم حاكم من حكام الأقاليم إلى المدينة عاصمة الدولة الإسلامية الأعظم أن يدخل إليها نهارًا ، ولا يدخل ليلاً ، كيلا يخفوا شيئًا من الأموال التي يقدمون بها من الأقطار التي تحت حكمهم.

إنه اتهام صريح من رئيس الدولة، اتهام غليظ للحاكمين...

وكلهم من أصحاب رسول الله -ﷺ- المشهود لهم بالنزاهة والعفة، ولكن عمر رجل ألمعي، ذكي، يعلم ما للدنيا من سحر وفتنة، وهو مسئول أمام الله عن أموال الشعوب ، وعن الرقابة على إنفاقها، وعن هؤلاء الحكام جميعا، هل أخذوا شيئا من الشعوب بغير حق ؟!

مر ببناء يبنى بحجارة وجص فقال : لمن هذا؟

فذكروا عاملا له على البحرين .

فقال : أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها . وشاطره ماله !!

أي: صادر نصف ماله ، وضمه إلى الخزانة العامة!!

إن حاكم البحرين لم يفعل شيئا ، إنه يبني له بيتا بالمدينة ، يأوي إليه إذا آب يوما إليها...

ولكن عمر لن يسمح بهذا ... فإن نوابه يجب أن يكونوا فوق الشبهات!!

فهل يستطيع نظام من النظم القائمة في العالم أن يصل إلى مثل هذا؟

مستحيل ، وأقولها بملء فمي مستحيل ، ولكن عمر في بساطة فعل هذا ، وتركه في التاريخ شاهد صدق ، أن الإسلام أعدل نظام ، وأكمل نظام ، وأعلى نظام.

وكان يقول : لي على كل خائن أمينان : الماء والطين...

أي أن من زاد في بنائه عليها ، اكتشف أمره، واستبان انحرافه .

مقاييس عجيبة ، ومفاهيم عمرية ، لا يستطيع أحد ان يدانيه فيها!!!

## هكذا بعثناك!

وفد إليه عامله ( نائب رئيس الجمهورية ) من اليمن ، وعليه حلة فاخرة، وهو مرجل ، دهين، فقال : هكذا بعثناك ؟!

فأمر بالحلة فنزعت، وألبس جبة صوف، ثم سأله عن ولايته، فلم يذكر إلا خيرا ، فرده على عمله.

ثم وفد إليه بعد ذلك ، فإذا أشعث مغبر ، عليه أطلاس!!

فقال عمر: لا. ولا كل هذا . إن عاملنا ليس بالشعث ، ولا العافي كلوا واشربوا وادهنوا ، إنكم ستعلمون الذي أكره من أمركم.

قضية أخرى من قضايا عمر نستنبط منها الكثير ... إن الدولة الإسلامية تكره أن يتحول حكامها، وأصحاب المناصب فيها إلى الترف والإسراف في المظهر...

وأن الدولة الإسلامية لها أن تضرب بيد من حديد على كل من تسول له نفسه أن يتحول إلى طاووس مختال.

وللدولة أن تصادر زينته ، إن كانت بيوتا ، أو ضياعًا ، أو نقودًا ، أو أي نوع من الأموال، حتى الملابس تصادرها ... فعل ذلك عمر ، وصادر حلة حاكم اليمن ، وألبسه رغم أنفه جبة صوف.

والدولة إذا تفعل هذا به من مصادرة كلية ، أو بعضية لأمواله، لا تتهمه في ذمته ، وإنما تنأى به عن مواطن الشبهات ، وتضعه الوضع اللائق كحاكم إقليم.

وإن ليس هذا طعنًا في شخصيته ، بدليل أن عمر أعاده إلى عمله حين استيقن أنه على خير .

وأن المستوى الذي يراه الإسلام صحيحا للولاة وأصحاب المناصب هو المستوى اللائق في غير اسراف.

وإنما نشتق تلك القاعدة مما فعله عمر حين عاد إليه حاكم اليمن أشعث أغبر عليه أطلاس، فقال عمر : لا ، ولا كل هذا. إن عاملنا (نائبنا) ليس بالشعث ، أي: بالمنظر المهين الذي لا يملأ العين، ولا العافي أي: المسرف في زينته، الزائد عن الحد، كلوا واشربوا وادهنوا ... لكم أن تأكلوا وتشربوا وتدهنوا ، أي تتزينوا في غير إسراف .

وعمر في ذلك يضع في الاعتبار ما تستلزمه أوضاع الحاكم والقائد ، من مظهر لائق، يحق له أن يتزين ثم يلجم المظهريات بلجام الحكمة التي تأبى أن يتحول المظهر إلى إسراف وإتلاف لأموال الشعوب .

تلك قطرات مشتقات من بحار القضية ...

ذلك أن الإسلام لا يقيم وزناً لثروة جمعت من حرام ، أو من الاستغلال ، أو من الرشوة ، أو من الفساد.

ويهدرها ، ويبيح للدولة مصادرتها كلها أو بعضها ، حسبما تسفر عنه تحقيقات الدولة، وتعقبها لمصادر الثروة المشكوك فيها... فتصادر ما زاد عن أموال أصحاب المناصب ساعة دخولهم إلى تلك المناصب.

فإن قالوا : أين الدليل ؟

قلت : هاكم دلائل لا دليل واحد.

صادر عمر أبا موسى الأشعري ، وكان عامله ( نائبه ) على البصرة ، وقال له : بلغني أن لك جاريتين ، وأنك تطعم الناس من جفنتين .

وأعاده بعد المصادرة إلى عمله !

و من هو أبو موسى ؟.. صاحب رسول الله -ﷺ-، وما هي جريمته؟. لا شيء .. مجرد التوسع في المتاع قليلا!!

لم يسرق ، لم ينهب ، لم يأكل الرشا، لم يفسد في الأرض، فكيف بالذين ارتكبوا الكبائر ، وعاثوا في الأرض فسادا ؟

وصادر عمر أبا هريرة ، وأغلظ فيه ، وكان عامله (نائبه) على البحرين، وعزله .

ومن أبو هريرة ؟.. صاحب رسول الله -ﷺ- ، وأكبر رواة أحاديث رسول الله -ﷺ-.

فكيف بالأفاكين الأكالين للسحت ، النهابين للأموال العامة؟!

وصادر عمر الحارث بن وهب ، أحد بني ليث بكر بن كنانة ، وقال له : ما قلاص[1] ، وأعبد[2]، بعتها بمائة دينار ؟

قال : خرجت بنفقة لي فاتجرت فيها .

قال : وإنا والله ما بعثناك للتجارة ، أدّها .

قال : أما والله لا أعمل لك بعدها !

قال : أنا والله لا أستعملك بعدها.

---

(١) قلاص: إبل.

(٢) أعبد: جمع "عبد".

ثم صعد المنبر فقال: يا معشر الأمراء، إن هذا المال لو رأينا أنه يحل لنا ، أحللناه لكم ، فأما إذا لم يحل لنا ، وظلفنا ( كففنا ) أنفسنا عنه ، فاظلفوا عنه أنفسكم، فإني والله ما وجدت لكم مثلا إلا عطشان ورد اللجة، ولم ينظر الماتح(١) ، فلما روي غرق!

فليسمع كل إنسان في العالم العربي ، أو في العالم الإسلامي ، أو في أي مكان من العالم.

ليسمعوا إلى عمر ، يصادر أموال نائب رئيس الدولة.

لماذا ؟؛ لأنه اتجر ببعض ماله الخاص ، وربح شيئا قليلا من الربح.

وليسمعوا إلى عمر يحرم التجارة على أصحاب المناصب حين يقول : وإنا والله ما بعثناك للتجارة ، أدها.

أدها .. بالأمر .. ادفع هذه الأموال إلى الدولة .. رغم أنفك ، فإنها أموال الشعب .

أي فقه هذا من عمر؟ .. وأي نظرية عدالة متكاملة من العبقري؟.

إن عمر يرى أن الحاكم في دولة الإسلام يعمل حاكما ليس إلا ، وليس له أن يعمل تاجرًا، فإما هذه ، وإما هذه ، فمن شاء تاجرًا فتاجرًا، ومن شاء حاكمًا فحاكمًا.

ثم هو يرى مصادرة أموال ذلك الحاكم ، التي جاءته من التجارة ، و يردها إلى بيت المال.

ثم إن الرجل يثور ويصيح . والله لا أعمل لك بعدها.

فيكون عمر أشد منه إصرارا على عدم استعماله ، أنا والله لا أستعملك بعدها !.

إذا كان أنفك ورم من الحق ، فأنت لا تصلح حاكما ، وأنا أحرص منك على عدم استعمالك!!

ولا يقف العبقري عند هذا الحد ، وإنما يصعد المنبر ؛ ليصدر بيانا عاما إلى الشعب كافة ، يا معشر الأمراء ، إن هذا المال لو رأينا أنه يحل لنا لأحللناه لكم ، فأما لم يحل لنا وظلفنا أنفسنا عنه، فاظلفوا عنه أنفسكم.

يجتث عمر شجرة استغلال النفوذ من جذورها ، ويقطع دابر الشبهات ، ويحرم على أصحاب المناصب ، أن يستفيدوا شيئا من الأموال العامة.

وتبلغ حجته غايتها حين يعلن على الشعب ، أنه كف نفسه عن أموال الشعب ، فلماذا لا يقتدى به من دونه من أولي المناصب؟.

ثم يضرب لهم مثلا كرجل عطشان جاء إلى بحر عميق، وجعل يشرب بدون إناء ، وعلى غير

---

(١) الماتح : مستخرج الماء من البئر.

ترتيب ، فلما شرب غرق في البحر ، وابتلعه الموج.

كذلك هذه الدنيا بمتعها وزخارفها و مباهجها، تبدو رائعة ، راقصة ، حلوة ، محببة في نظر أصحاب المناصب ، فيشربون من بحرها بدون تنظيم، أو وقاية ، فيغرقون في أمواجها.

فقه رائق ، عميق ، بعيد الأغوار !.

فإذا لووا رءوسهم ، يصدون عن العدالة الإسلامية نفورًا ، ووضعوا أصابعهم في آذانهم ، حذر صواعقها ، قلنا لهم ما تقولون في سعد بن أبي وقاص ، قائد معركة القادسية ، وفاتح الإمبراطورية الفارسية ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ؟.

فسيقولون : صاحب رسول الله -ﷺ- ، وأحد المرشحين للخلافة بعد عمر.

فأقول لهم : فذلك من الذين صادر عمر نصف أموالهم!!!

## جلد رئيس الجمهورية!

قال جرير البجلي : إن رجلا كان مع أبي موسى الأشعري (نائب الرئيس) ، وكان ذا صوت، ونكاية في العدو . فغنموا مغنما ، فأعطاه أبو موسي بعض سهمه ، فأبى أن يقبله إلا جميعًا ، فجلده أبو موسي عشرين سوطا ، وحلقه.

فجمع الرجل شعره ، ثم ترحل إلى عمر بن الخطاب حتى دخل عليه.

فقال : ضربني أبو موسى عشرين سوطا ، وحلق رأسي..

فكتب عمر إلى أبي موسى : إن فلانًا أخبرني بكذا وكذا، فإن كنت فعلت ذاك في ملأ من الناس ، فعزمت لما قعدت له في ملأ من الناس حتى يقتص منك ، وإن كنت فعلت في خلاء من الناس ، فاقعد له في خلاء من الناس حتى يقتص منك.

فقدم الرجل فقال له الناس : اعف عنه . فقال : لا والله ، لا أدعه لأحد من الناس.

فلما قعد أبو موسي ليقتص منه ، رفع الرجل رأسه إلى السماء ، ثم قال اللهم إني عفوت عنه !!!

ما أقول في تلك القصة ؟

حاكم الإقليم يجلد رجلاً عشرين سوطًا ، ويحلق رأسه ، عقوبة عسكرية ، مألوف حدوثها في عسكريات العصر الحديث. فما زال الجلد إحدى العقوبات العسكرية المعمول بها في جيوش العالم الحديث ، وما زال حلق الشعر بعض العقوبات العسكرية إلى يومنا هذا.

ولم يزد أبو موسى الأشعري الحاكم العسكري العام للمنطقة ، وقائد جيوشها ، على أن وقع على ذلك الجندي عقوبة رأى أنها تناسب فعلته، فلماذا يحكم عمر بالقصاص ؟

لماذا يأمر نائبه ، أن يجلس الرجل ؛ ليضربه عشرين سوطًا وحلق رأسه ، تمامًا كما فعل معه،

إن كان في خلاء ففي خلاء، وإن كان على مشهد من الناس فعلى مشهد من الناس؟

لأن الأمر أكبر من أبي موسى وصاحبه ، والقضية أن الإسلام يحرم الظلم ، ويرى القصاص من الظالم ، ويصر على ذلك، مهما كان منصب ذلك الظالم.

ولقد رأي عمر أن نائبه ظالم ، وأن هذا الجندي صاحب حق ، فلابد من جلد أبي موسى، ولا بد أن يتولى العسكري المجلود ذلك بنفسه ؛ ليشفي ما في صدره من غيظ وألم ، ويحس أنه مواطن في دولة تسوي بين الكبير والصغير.

والإسلام في ذلك هو أرفع نظام شهدته الإنسانية الحائرة إلى يومنا هذا !!!

لأن الدنيا لم تسمع أن ابن الشارع يجلد رئيس الجمهورية على مشهد من الشعب ، ولكنها سمعت ذلك في عهد عمر ... عهد الإسلام الصحيح.

ولقد كان أبو موسى يشغل آنئذ منصبا يعدل رئيس جمهورية العراق اليوم ، كان يحكم إقليما ضخما من العراق ، ويقود القوات الإسلامية المقاتلة للإمبراطورية الفارسية.

ومع هذا سوى عمر بينه وبين الجندي البسيط ؛ لأن الله سوى بينهما.

وأحسب أن كل نظام قائم على الأرض لا يستطيع أن يرفع رأسه أمام تلك الحادثة وحدها، من شدة ما فيها من حق وجلال!!!

## أين المصري ؟!

قال أنس : كنا عند عمر بن الخطاب إذ جاء رجل من مصر فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا مقام العائذ بك!

عمر : ومالك ؟.

قال : أجرى عمرو بن العاص بمصر الخيل فأقبلت فرسي، فلما رآها الناس ، قام محمد بن عمرو فقال ، فرسي ورب الكعبة.

فقام إلي يضربني بالسوط، ويقول: خذها وأنا ابن الأكرمين.

وبلغ ذلك عَمرًا أباه ، فخشي أن آتيك، فحبسني في السجن فانفلت منه ، وهذا حين أتيتك.

فوالله ما زاد عمر على أن قال له : اجلس.

ثم كتب إلى عمرو . إذا جاءك كتابي هذا فأقبل ، وأقبل معك بابنك محمد !!!

وقال للمصري : أقم حتى يأتيك .

فدعا عمرو ابنه ، فقال : أأحدثت حدثا ؟ أجنيت جناية ؟

قال : لا .

قال : فما بال عمر يكتب فيك ؟.

فقدم على عمر.

قال أنس : فوالله إنا عند عمر ، حتى إذا نحن بعمرو ، وقد أقبل في إزار ورداء ، فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه . فإذا هو خلف أبيه.

فقال عمر : أين المصري ؟

قال : ها أنا ذا .

قال : دونك الدرة ، فاضرب بها ابن الأكرمين !!!

فضربه حتى أثخنه ، ونحن نشتهي أن يضربه ، فلم ينزع حق أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضربه وعمر يقول : اضرب ابن الأكرمين.

ثم قال عمر : أجلها على صلعة عمرو، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه.

قال : يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت .

وقال : يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربني.

قال عمر : أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه . حتى تكون أنت الذي تدعه.

-أيا عمرو! متى تعبدتم الناس ، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا.

فجعل عمرو يعتذر ويقول : إني لم أشعر بهذا.

ثم التفت عمر إلى المصري فقال : انصرف راشدًا ، فإن رابك ريب فاكتب إلي.

هذه هي الأقصوصة التي يبدئ فيها التاريخ ويعيد من كثرة ما فيها من عجائب وغرائب.

حفلة سباق الخيل كتلك الحفلات التي تجري في نوادي مصر لسباق الخيل ، ومصر هي مصر دائما في حب أهلها للمرح والسرور.

إلا أن سباق الخيل في مصر على عهد عمرو كان لإظهار الفروسية وسرعة الانطلاق ، لا للهو الفارغ ولعب القمار ، كما هو شأن بعض النوادي اليوم.

أقام نائب رئيس الجمهورية - إقليم مصر وشمال افريقيا - حفلا لسباق الخيل .

وتسابقت الخيول ، وفاز حصان كريم ، ظنه محمد بن عمرو ابن العاص حصانه فقال : فرسي ورب الكعبة.

فلما دنا الفرس الفائز من صاحبه عرفه فقال : فرسي ورب الكعبة .

فاغتاظ ابن عمرو ألا يكون الفرس الفائز هو فرسه ، فقام إلى المصري يضربه بالسوط.

ويقول: خذها وأنا ابن الأكرمين!

بأي حق يضرب محمد بن عمرو هذا المصري ؟ بفخر الجاهلية، وكبر الحاكمين أنا ابن الأكرمين !. أنا من قريش . فاتحة الدنيا، وقاهرة الإمبراطوريات ، فخر و انتفاخ و كبر!

هل هذا من الإسلام. كلا، إنه رجعية ، إنه رجوع عن الإسلام إلى الجاهلية الأولى ، وتعاظمها بالآباء ! .

لقد انهار الاسلام من نفس الرجل ، وذهب السمو الرباني من قلبه.

وبلغ ذلك عَمرًا ، فرعب رعبا شديدا , وأوجس في نفسه خيفة. إن عمر لابد مؤاخذه، لو أن القصة وصلت إليه بالمدينة.

وارتكب عمرو ظلما جديدا فحبس الرجل في السجن حتى لا يفر إلى أمير المؤمنين!!!

إلا أن الرجل فر من سجنه ، وفر إلى عملاق الحق ، يلوذ به من بطش عمرو وابن عمرو.

واستدعى عمر عمرًا وابنه . وصاح بالمصري : دونك الدرة فاضرب بها ابن الأكرمين.

واهتز التاريخ مرة أخرى أمام عظمة عمر ، وعظمة الحق حين يعلو بعمر وفعاله الخالدات.

وأمسك المصري المظلوم بالدرة ، وجعل يلهب بها كل مكان من جسم ابن عمرو ابن الأكرمين..

وضربه ضربا كثيرة . وضع فيه آلام المظلوم المكبوتة حين يجد الفرصة للقصاص من ظالمه!!!

فهل في الدنيا مثل ذلك ؟!!

## ولكم في القصاص حياة !

وليس شيء أحب إلى الله من القصاص . من أجل ذلك يقول في كتابه العزيز ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [البقرة ١٧٩]

إن القصاص يكفل للناس جميعا حياة إنسانية كريمة.

أي حياة تلك التي يتسبب القصاص في إحداثها للناس ؟ أليس الناس أحياء ، ولكنها حياة البهائم ، يأكل قويها ضعيفها ، حياة الهمج والرعاع ، يعلو جبابرتهم على جماجم المستضعفين .

أما القصاص فهو وحده الذي يحول المجتمع إلى مجتمع أفضل يعلو فيه الحق والعدل والكرامة.

لو علم الظالم أن المظلوم سيفعل به مثل ما فعل ؛ لتراجع عن ظلمه وإجرامه.

لو علم كل حاكم ، وكل صاحب سلطة أن كل فرد من الشعب من حقه أن يقتص منه بمثل ما اعتدى عليه ، لما اجترأ حاكم أو صاحب منصب على الإجرام ، والعبث بالشعوب.

ومن يوم أن استهترت الأمم بالقصاص ، فقدت أعز سلاح سلحها الله به ؛ لضمان الحياة الكريمة لكل إنسان.

نعم ، فإن العقوبة تهز كيان الظالم ، وترده عن إجرامه ؛ لأنها تؤلمه وتوجهه ، وتهد بنيانه.

فالقصاص أرفع أسلوب من أساليب التربية النفسية للحاكمين والمحكومين على السواء.

فلو أن كل نفس حاكمة ظلمت أحدا من شعبها ، جيء بها إلى المظلوم؛ ليقتص منها كما فعلت به ، سواء بسواء؛ لامتنعت الجريمة من نفس الحاكم، واستؤصلت من تفكيره وتدبيره.

والإنسان هو الإنسان ... يكشف الله حقيقته فيقول : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب ٧٢ ]

.. إن الإنسان دائمًا وأبدًا شديد الظلم ، شديد الجهل..

فمخلوق هذه صفاته ، ينبغي أن يخوف دائمًا أن يكون هناك غول يفتح فمه دائما ليلتقمه إذا ظلم غيره.

وهذا هو التنين العظيم ، تنين القصاص ، الذي نادى به رب العالمين: ولكم في القصاص حياة.

يا أيها البشر ، يا أيها الأغبياء ، يا أيتها الجماهير الضائعة ، أيتها الأغلبية المظلومة ، أيتها الشعوب ، احذروا أن يخدعكم الساسة ، والطبقات الحاكمة، ويلغوا القصاص من العقوبات ، ويزعموا لكم أن تلك عقوبة قد انتهت، ولا ينبغي أن تعود..

احذروا ، فإنهم يحطمون القصاص؛ لينطلقوا كيف شاءوا ؛ ليعربدوا ، ويظلموا ، ويجرموا ، ويعبثوا بمقدرات الأمم ، وكرامة المواطنين.

إن القصاص يجب أن يبقى ؟ لترتفع راية المواطن الحر ، الكريم ، الأبي في كل دولة في العالم.

لو أن رئيس الدولة علم أنه سيوقف أمام أي صعلوك ظلمه ؛ ليقتص منه ذلك الصعلوك، عينا بعين ، وسنا بسن ، وأنفا بأنف ، وسوطا بسوط ، وضربة بضربة ، لما اجترأ رئيس دولة على أن يظلم فردًا من رعاياه !!!

انظر إلى عمرو ، وهو رئيس دولة مصر، ودولة ليبيا، ودولة تونس ، ودولة الجزائر ، ودولة السودان ، كانت كل هذه الأقطار يحكمها عمرو حين وقعت تلك الواقعة ، انظر إليه يرتجف ، ويرتعش حين استدعاه عمر ، ويقول لابنه : أأحدثت حدثا ؟ أجنيت جناية ؟.

وابنه يقول : لا.

منطق الحاكمين ، وأبناء الحاكمين دائما .. يخوضون بحارا من دماء المظلومين ، وطوفانا من أنات المستضعفين.. ولا شيء!!

لا،. إن ابن عمرو لا يشعر أنه أحدث حدثا ، أو حتى جناية حين ألهب ظهر المصري بسوطه ، وحين قال له : خذها وأنا ابن الأكرمين!!

ولكن عمر .. الناطق باسم الحق يقول : لقد ارتكبت جريمة كبري يا ابن عمرو .. لقد قتلت ضمير شعوب بأكملها ، وأهنت كرامة الجماهير كلها.

إن السياط التي هوت على ظهر المصري، إنما هوت على ظهور الناس جميعا .. ومن قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا.

وإن الكلمة الخبيثة التي قلتها يا ابن عمرو: وأنا ابن الأكرمين. يفوح ريحها ، فيزكم أنوف الجماهير كلها في كل زمان ومكان.

كبرت كلمة تخرج من فمك إن تقول إلا كذبا، أي فخر لك وأنت من تراب وإلى تراب تعود ؟

ولكنه الإنسان .. ظلوم جهول .. دائما ، وأبدًا!!

ومن هنا انتفض عمر ، انتفض للحق ، انتفض للحقائق الإنسانية العليا.. دونك الدرة ، فاضرب بها ابن الأكرمين.

وانتفض عمر ، واهتز كيانه كله ، كأنما هو المعتدى عليه ، فكان يردد، و المظلوم يضرب ابن عمرو : اضرب ابن الأكرمين.

تخرج من أعماقه تدوي في أعماق الشعوب جميعا إلى الأبد..

وذلك هو الانتصار للحق ، الانتصار للشعوب الضائعة بين أضراس حفنة من الجبارين الحاكمين المتسلطين.

ولم تشهد البشرية تكريما مثل تكريم عمر لها ، يوم وقف وقفته تلك ، من أجل حقوق الشعوب ، وحقوق المستضعفين ، وحقوق الإنسان.

يوم لم يكتف أن يلهب المصري بدرته ظهر ابن الأكرمين فنادى فيه: أجلها على صلعة عمرو، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه!!

ووقف عمر كالأسد الهائج المائج ، هصورا جسورا، كأنما هو طاقات القوة كلها تريد أن تتفجر وتدمر.

يريد أن يرى المظلوم و هو يقرع صلعة عمرو بالدرة، ويصكها صكا شديدًا.

ومن هو عمرو ؟. رئيس جمهوريات مصر وليبيا وتونس والجزائر والسودان !!!

ومن هو القارع الضارب ؟ . مصري من أبناء الشعب..

ومن هو عمرو؟ .. الرجل الذي فتح مصر وشمال أفريقيا ، وقاد آلاف من صحابة رسول

الله -ﷺ- حتى فتح بهم تلك البلاد ؟

إن من حقه أن يشمخ ، ويتكبر ، وأن يغتفر عمر له ذلك الذي حدث من ابنه.

ولكن عمر يحس أن الله في تلك اللحظة كان يناديه : ماذا فعلت يا عمر في قضية رفعت إليك ، قضية الجماهير والحاكمين ! .

إن الله سبحانه ، وإن التاريخ كله سيحاسبه ، فيا لها من مسئولية!.

وصدر حكم عمر في القضية : أجلها على صلعة عمرو ، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه!

لو لم يعلم الرجل أن أباه هو رئيس الدولة لما اجترأ على ما فعل.

وهذا هو الإسلام ... الإسلام الحقيقي الذي أنزله الله إلى الناس . الإسلام قبل أن يتلوث بعفونات الخلائق ، وظلمات الأهواء.

ويوم يكشف عن وجه الإسلام الحقيقي للدنيا ، يعلم الناس جميعا أن ليس كالإسلام طريقة لتحرير الإنسان ، وتكريم الإنسان وتطوير الإنسان ، وترقية الإنسان.

كم كسبت البشرية بوقفة عمر هذه !.. كثير ... كثير جدا ... أكثر مما يتوهم دعاة العلمانية، أو الرأسمالية .

كم كسبت الإنسانية حين يؤكد عمر للرجل : أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذي تدعه ؟!

إن عمر يريد أن يسمع قرع الدرة على صلعة عمرو ، يريد أن يسمع ذلك النشيد الخالد، الذي ينبغي أن تنشده الشعوب كلها ، نشيد القصاص من كل حاكم ظلم أو استبد أو استهان بأقدار المواطنين !!!

ولكن الرجل حرم عمر تلك اللذة ، لذة ارتفاع الحق وانتصاره، حين قال : يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت، يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربني!!!

## متى تعبدتم الناس ؟!!

وتبلغ الواقعة منتهاها حين ينظر عمر إلى عمرو ، كما ينظر الأسد الغاضب إلى الصائد الغادر ، ويصيح به صيحته الخالدة التي ما زال دويها في آذان الأجيال : أيا عمرو !.. متى استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا!..

ويحس عمرو أنه أمام أسد هائج، يريد أن يبطش به بطشة واحدة فلا يقوم بعدها أبدًا . فيصغر ، ويصغر حتى لم يجد أمامه شيئا ينجو به من عمر إلا أن جعل يعتذر ويقول : إني لم أشعر بهذا ! .

هل هذا صحيح يا عمرو ؟.. أبدا .. إن شدة خوفه من بطشة عمر ، هي التي سولت له أن يعتذر لينجو بنفسه !.

وإلا فأين السجن يا عمرو ؟.. ألم تقذف بالرجل في السجن، مخافة أن يبلغ أمير المؤمنين؟.

بأي حق يا رئيس الدولة ، تقذف مصري في السجن بلا ذنب جناه إلا أن تتقي بطشة عمر ؟.

هل تعلم يا عمرو ، ما هي حياة السجون ؟ وما هي آلام السجين ؟!

ولكنه الإنسان .. حين يحكم ويتسلط.. ويستبد بأخيه الإنسان ويفعل ما يشاء .

والآن تنتحل الأعذار يا عمرو .. أمام عمر ، فكيف إذا وقفت أمام الله، والله لا يظلم مثقال ذرة. ..

ثم تبلغ القصة أروع فصولها ، حين يلتفت عمر إلى المصري ويقول : انصرف راشدًا ، فإن رابك ريب فاكتب إلى.

انصرف أيها المصري إلى مصر .. وعد إليها ، وقص على المصريين جميعا ما رأيت ، وما شهدت.

وعاد المصري إلى بلاده، واستقبله المصريون.. عاد مرفوع الرأس ، اعتزازًا بحقه الذي أعلاه عمر.

وكانت هذه القصة سببًا في إسلام كثير من المصريين ، ودخولهم في دين الله أفواجا.

ومن ذا الذي لا يدخل دينا فيه مثل عمر ، وينتصر فيه الحق ذلك النصر العزيز ؟!

من ذا الذي لا يحب أن يكون على دين من أصوله : متى استعبدتم الناس، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا ؟!

لا يحل أبدا لأحد أن يستعبد أحدًا ؛ لأن الله خلق الجميع أحرارًا.

لا يحل لحاكم أن يستعبد شعبا؛ لأن الله خلق الشعب حرًا.

ولا يحل لقوي أن يستعبد ضعيفا ؛ لأن الله خلقه حرًا .

ولا يحل لدولة كبرى أن تستعبد دولة صغرى ؛ لأن الله خلقها حرة.

ولا يحل لزوج أن يستعبد زوجته؛ لأن الله خلقها حرة.

ولا يحل للعلماء أن يستعبدوا الجهلاء؛ لأن الله خلق الجاهلين أحرارًا.

وهكذا الإسلام أبدا ... أعلى نداء لتحرير الشعوب والأفراد!!!

## مواطن عادي يجلد رئيس الجمهورية!!

وأخرى . أعجب وأعجب مما مضى ، نقصها عليك ؛ لتعلم أن الإسلام الصحيح ، مجهول منا جميعا ، محجوب عن الجماهير . قال عمرو بن العاص – رئيس جمهوريات مصر وليبيا وتونس والجزائر والسودان — لرجل سوداني : يا منافق.

فقال الرجل : ما نافقت منذ أسلمت ، ولا أغسل رأسا ، ولا أدهنه حتى آتي عمر .

فأتى عمر فقال : يا أمير المؤمنين ، إن عمرًا نفقني ، ولا والله ما نافقت منذ أسلمت.

فكتب عمر إلى عمرو ، وكان إذا غضب عليه سماه العاصي ابن العاصي : أما بعد فإن فلانا ذكر أنك نفقته ، وقد أمرته إن أقام عليك شاهدين أن يضربك أربعين – أو قال سبعين!!!

فقام الرجل فقال : أنشد الله رجلا سمع عمرا نفقني إلا قام فشهد.

فقام عامة من في المسجد.

فقال له حنتمة : أتريد أن تضرب الأمير ؟. وعرض عليه الأرش ( التعويض ).

فقال الرجل : لو ملأت لي هذه الكنيسة ما قبلت .

فقال له حنتمة : أتريد أن تضربه ؟!.

قال الرجل : ما أرى لعمر ها هنا طاعة .

فلما ولى ، قال عمرو : ردوه .

فأمكنه من السوط ، وجلس بين يديه .

فقال الرجل : أتقدر أن تمتنع عني بسلطانك ؟.

قال : لا ، فامض لما أمرت به .

قال الرجل : فاني عفوت عنك .

ماذا يقول العصر الحديث في تلك القصة ؟.

هل بلغت الديموقراطية في أي دولة في العالم شيئا مما بلغته تلك القصة ؟!

رجل عادي ، يقول له رئيس الدولة : يا منافق ، كلمة مألوفة، تخرج من أفواه الكثيرين للكثيرين.

إلا أن الرجل اشتكى إلى أمير المؤمنين، فكان أمره الذي أصدره إلى عمرو : إن أقام عليك شاهدين أن يضربك سبعين!!!

أمير المؤمنين يحكم في القضية ، أن يضرب المشتوم ، رئيس الدولة سبعين سوطًا !.

لماذا ؟ لأن رئيس الدولة قال لأحد أبناء الشارع: يا منافق!

حتى هنا ، وكل الناس يتعجبون من عظمة الإسلام الذي سوى بين الناس جميعا ، حتى بين رئيس الدولة وابن الشارع.!

إلا أن الناس جميعا سيتعجبون أكثر وأكثر عندما يسمعون أن الرجل يعود إلى مصر لتنفيذ القضية كما أمر عمر.

يقوم الرجل في المسجد. مسجد عمرو القائم بمصر القديمة. بالقاهرة حتى يومنا هذا ، فيقول:

أنشد الله رجلا سمع عمرا نفقني إلا قام فشهد.

فماذا كان من الجماهير الواعية التي تربت على آداب القرآن، وآداب رسول الله -ﷺ-؟.

أيكتمون الشهادة خوفا من سلطان عمرو أم يؤدونها لوجه الله ؟

قام عامة من في المسجد !.

أكثرية الجماهير وقفت ، استجابة للرجل ، وإحقاقًا للحق.

وتلك هي عظمة الأمة التي أخرجها رسول الله -ﷺ- .

أمة لا تخشى في الله لومة لائم ، ولا تكتم الحق وهي تعلمه، ولا تكتم الشهادة مخافة سلطان أو دنيا.

أمة لا يضيع الحق بينها أبدًا .

لقد بحث الرجل عن شاهدين ، فقامت له أمة بأكملها ، ووقفت متطوعة لأداء الشهادة.

ولو أن جماهير الأمم العربية ، والإسلامية ، على هذا الخلق اليوم لما ضاعت الحقوق ، وأهدرت القيم بيننا أبدا . ولكننا اليوم على مسيرة قرون وقرون مما كان عليه أولئك الناس.

وكبر الأمر في صدر رجل اسمه حنتمة ، كبر عليه أن يضرب ابن الشارع رئيس الدولة فقال: أتريد أن تضرب الأمير ؟. وعرض عليه التعويض.

فقال ابن الشارع، الذي يعلم حقه ، ولا يريد أن يفرط فيه ابدا : لو ملأت لي هذه الكنيسة ما قبلت.

واشار الى كنيسة كبيرة من كنائس قبط مصر ، فعجب حنتمة، و كرر استغرابه : أتريد أن تضربه ؟.

فلما رأي ابن الشارع تباطؤا في التنفيذ، واستعظاما من الرجل لما سيكون ، ولى وهو يقول : ما أرى لعمر ها هنا طاعة.

إن أمير المؤمنين غير نافذ الأمر ها هنا .

فلما انصرف الرجل، فزع عمرو ، وقال : ردوه .

وقام رئيس الجمهورية عمرو بن العاص بنفسه ، وأمكن ابن الشارع من السوط، وجلس بين يديه ، جلوس المذنب الذليل، ينتظر أن يهوي الرجل بالسوط على ظهره ، يجلده سبعين جلدة كما أمره عمر !!!

ورفع الرجل يده بالسوط ؛ ليضرب رئيس الجمهورية ، أمام الشعب كله.

واشرأبت الأعناق ، وفتح التاريخ عينيه ليرى أروع منظر رآه!!!

واستعد رئيس الجمهورية للسياط التي ستهوي على ظهره إلا أن الرجل قال له : أتقدر أن تمتنع عني بسلطانك.؟

قال عمرو : لا، فامض لما أمرت به ، فتأخذ ابن الشارع روعة الحق فيقول : فإني عفوت عنك.

اين في الناس مثل هؤلاء ؟!

أريد أن يدلني أحد الناس في عصرنا هذا على نظام سياسي يقوم في دولة من دول العالم فيه ولو واحد في المائة مما في نظام عمر السياسي!

ما لي لا أرى أحدًا يقول : هاك نظام دولة كذا، فيه ما في الاسلام من عدل ، ومساواة، وإخاء ، وكرامة؟!

إن الألسن لتخرس ، والأفواه لتغلق ، ولا يستطيع أحد أن يزعم زعما كهذا.

أين أي نظام سياسي في العالم من النظام الذي يعطي المواطن البسيط ، ابن الشارع حق القصاص من رئيس الدولة على مشهد الشعب كله ؟!

فأين نظام من نظام ... أين دولة عمر من أي دولة في العالم؟ ولكن عمر يأبى أن يشتم رئيس الدولة فردا بسيطا من الشعب ، ويأمر أن يجلد ذلك الفرد رئيس الدولة بيده سبعين سوطا.

فانظر الفارق البعيد ... واحكم بنفسك في القضية : الإسلام خير أمّا يزعمون ؟!

تالله لولا ضرورات البيان. لما سمحت لنفسي أبدا أن أقارن بين نظام أنزله الله وبين نظم ابتدعها قوم لا يفقهون ، ولو تأسست عليها إمبراطوريات!

وتلك النظم الغربية ، على اختلاف مناهجها ، ومباهجها تلك التي نحسبها آخر ما يطمح إليه الإنسان من حرية وتكريم.

أين هي الأخرى من نظام عمر ، نظام الإسلام ؟

لا شيء . صحيح أن الشر يتفاوت، وأن هذه أكثر تكريما للإنسان من الدول الاستبدادية، ولكن هل هي تساوي ولو شيئا يسيرا من الإسلام؟

كلا، ثم كلا ، فأين حرية العالم الحر - كما يزعمون - من حرية الإسلام ؟

إن الولايات المتحدة ، تلك التي تعتبر أرفع المستويات الاجتماعية في العالم الغربي ، ما زالت فيها عادات الجاهلية الأولى.

إن المجتمع الأمريكي فيه تفريق عنصري ، فيه تفريق بين الألوان ، بين الأسود والأبيض .

تفريق ، و تمييز ، أشد ، وأخطر، مما كان عليه الإنسان في عصوره الأولى.

أهذا هو العالم الحر في أرفع مستوياته ؟

فأين ذلك من مجتمع عمر ، مجتمع الإسلام . الذي سوي تسوية حقيقية فعلية بين الناس، فلا ألوان ، ولا ألقاب ، ولا عصبيات، ولا احتكارات ، ولا طبقية ، ولا رأسمالية ، ولا حتى مجرد الاشمئزاز أو الاحتقار النفسي!

نعم ، فإن الإسلام يحرم عليك أن تحقر أخاك!

فما معنى هذا ؟. معناه أن المجتمع الاسلامي يحرم على المواطن أن يقوم بنفسه مجرد الشعور باحتقار المواطن الآخر.

أرأيت نظاما يبلغ من السمو مثل هذا النظام ؟. حتى خبايا النفوس يتدخل فيها ، ويطهرها، ويسمو بها!

ولكن المجتمع الأمريكي - قمة العالم الحر - ليس كذلك ، إن السادة أولي الألوان البيضاء الشقراء مازالوا يشمخون على الألوان السوداء.

ومن هنا تنكشف لنا الخديعة ، وندرك أن إسلامنا هو الذي فيه أقصى ما يتمنى الإنسان من رقي وكمال ومساواة.

وأن ما عند القوم ، شرقيهم أو غربيهم ، ليس شيئا ذا بال إذا قورن بما في الإسلام .

ولعل تلك الأقصوصة التي رويناها ، فيها الدليل كل الدليل!!!

## كيف تراني ؟!

قال عمر لحذيفة : نشدتك بالله ، وبحق الولاية عليك ، كيف تراني ؟

قال : ما علمت إلا خيرا.

فنشده بالله ، فقال : إن أخذت مال الله ، فقسمته في ذات الله ، فأنت أنت ، وإلا فلا.

فقال عمر: والله إن الله ليعلم، ما آخذ إلا حصتي ، ولا آكل إلا وجبتي، ولا ألبس إلا حلتي.

يسأل عمر حذيفة : كيف تراني ؟

وأثنى حذيفة عليه : ما علمت إلا خيرا.

لكن عمر لم يقنع بمديح حذيفة له ، وطلب إليه مرارًا أن يصدقه القول، ويبين له رأيه فيه بصراحة.

قال حذيفة : إن أخذت مال الله ، فقسمته في ذات الله ، فأنت أنت ، وإلا فلا.

وهذه الفقرة من حذيفة ، تلخص لنا مفهوم صحابة رسول الله -ﷺ- الاقتصادي في عصر عمر.

إن أنت جمعت مال الله ، حق الله في الأموال ، وعبروا « مال الله » ؛ تأكيدًا للمفهوم المتداول بينهم ، بأن الأموال أموال الله ، لا أموال أحد من الناس.

«وقسمته في ذات الله» ، ووزعته على الشعب في سبيل الله، تريد بذلك رضاء الله أن تحق الحق وتبطل الباطل ، لا توزعه لهوى أو شهوة أو لسلطة ، أو لتسلط.

إن أنت وزعت مال الله في ذات الله يا عمر، إن أنت عدلت في توزيعه بين الشعب كله. فأنت أنت .. فأنت الرجل الحق ، ونعم الرجل أنت..

«وإلا فلا » ، وإلا فبئس الرجل أنت يا عمر.

هذا هو رأي حذيفة في سياسة الدولة المالية ، وما ينبغي أن تكون عليه..

وهو نفس الرأي العام الذي كان سائدا فيهم جميعا .. الذي يمكن اعتباره إجماعا يمثل رأي الإسلام في المشكلة الاقتصادية.

إن أنت أخذت مال الله ، فقسمته في ذات الله ، فأنت أنت ؟ إن فعلت ذلك يا عمر ، فأنت أنت الحاكم الإسلامي الصحيح .. وإلا فلا.

ومن هذا الينبوع الجماهيري الذي أجمعت عليه جماهير أصحاب رسول الله -ﷺ- ، تقول لكل حاكم اليوم : إن أنت أخذت مال الله ، فقسمته في ذات الله ، فأنت أنت ، وإلا فلا.

وهو شعار خالد عظيم ، سهل المأخذ ، يمكن للجماهير العربية والإسلامية أن تحفظه عن ظهر قلب، وأن تنطق به في سهولة ، و أن تحاسب به حكامها حسابا يسيرا عسيرا.

ولينظر كل شعب عربي أو مسلم إلى حاكمه من خلال تلك النظارة البيضاء ، و سوف يجد الشعب حاكمه بعد ذلك عاريا ظاهرا يبدو على حقيقته .

فماذا كان جواب عمر حين واجهه حذيفة بمفهوم الجماهير آنذاك.

سارع عمر إلى إثبات براءته فقال : والله إن الله ليعلم ، ما آخذ إلا حصتي ، لا أمس لنفسي

من الخزانة العامة إلا حصتي إلا ما فرض الشعب لي من مرتب.

«ولا آكل إلا وجبتي» ، ولا أمد يدي إلى طعام إلا ما يذهب عني الجوع، فلست من أهل الموائد الممدودة ، ولا الأطعمة الفاخرة ، إني لا أكلف الدولة شيئا من هذا ، إنما هي اللقيمات ، أو التميرات ، والشعب كله يعلم ذلك مني.

ولا ألبس إلا حلتي ، ولا أسمح لنفسي أن ألبس تاجا مرصعًا ، ولا ملابس فاخرة كما يفعل الملوك ، ولا أرصع النياشين على صدري.. دائما هي حلتي الواحدة ألبسها ليس إلا.

«أرأيت» . رئيس الدولة العظمي يرجو أحد المواطنين أن يبين له كيف يراه .. ما رأيه فيه . فيواجهه المواطن بالحقيقة من أمره ، فيسارع عمر إلى بيان ما يعرفه من نفسه .

كل منهم مرآة أخيه .. يعكس صورة حقيقية لأخيه...

يتناصحون، ويتناهون ، ويأتمرون ، أخوة وصفاء مع صرف النظر عن أوضاعهم الاجتماعية، أو مناصبهم الرسمية!!

## الدولة تطارد رئيس الدولة !

كان عمر إذا احتاج ، أتي صاحب بيت المال ، فاستقرضه، فربما أعسر ، فيأتيه صاحب بيت المال يتقاضاه.

فيلزمه ، فيحتال له عمر ، وربما خرج عطاؤه ، فقضاه.

* * *

لماذا تدخل هذا المنخنق يا عمر ؟ .. هل أنت متهم في جناية حتى يأتي إليك صاحب بيت المال ، ويلازمك . إذا أقمت قام وراءك ، وإذا قعدت قعد تجاهك ؟.

وأنت يا عمر محتال له ، لعله ينظرك ولو قليلا، أو يؤخر لك الأداء ولو ساعات!!

هل في الدنيا اليوم رئيس دولة لا يأخذ من الخزانة العامة ما يكفيه وزيادة ؟.

تالله إن أكثر الملوك ورؤساء الدول ليأخذون ما يشاءون وزيادة..

ولكن عمر يحرم على نفسه أن يأخذ شيئا من الخزانة العامة إلا ما افترضه له الشعب ، ولو كان عنده من ماله الخاص ما يكفيه ، ما مد يديه إلى شيء من الأموال العامة أبدا.

وإنما الرجل استغرقت مسئوليات الحكم وقته فلم يجد فراغا يلتمس فيه رزقه ورزق عياله ، ففرضوا له قدرًا ضئيلاً ، رضيه عمر إلا انه كان لا يكفيه.

فكان عمر يقترض من بيت المال .. يأخذ سلفة .. يستعين بها على قضاء ضرورات معيشته.

ويعجز أحيانا عمر عن سداد تلك السلفة ، فيأتيه صاحب بيت المال ، يطالبه بالسداد ، ويلازمه أو يحرجه ، ويشق عليه وعمر لا يجد إلا أن يحتال له!

وأحيانا كان بيت المال يصرف إلى عمر عطاءه المقرر له سنويا ، فينقذه ذلك العطاء من الموقف الحرج ، فيؤدي منه السلفة إلى صاحب بيت المال !.

ولو أن رجلا غير عمر لانتهب من بيت المال ما شاء - بالأمر لا بالرجاء- ولاعتبر ذلك حقا له على الدولة ، ولأقرته الجماهير على ذلك ؛ خوفا من سلطانه ، أو جريا على العادة!

ولكن عمر دائما يتعب من بعده ، لقد سن للدنيا كلها أن ليس للحاكم أن يمس شيئا من الأموال العامة زيادة على مقرراته التي قررها له الشعب !!!

## هذا هو الرجل الذي قهر العالم !

أرسل قيصر رسولا إلى عمر بن الخطاب ؛ لينظر أحواله ويشاهد أفعاله.

فلما دخل المدينة سأل أهلها ، وقال : أين ملككم ؟.

فقالوا : ما لنا ملك ، بل لنا أمير ، قد خرج إلى ظاهر المدينة ، فخرج الرسول في طلبه.

فرآه نائما ، في الشمس على الأرض ، فوق الرمل الحار ، وقد وضع درته كالوسادة ، والعرق يسقط من جبينه قد بل الأرض.

فلما رآه على هذه الحالة ، وقع الخشوع في قلبه ، وقال : رجل لا يقر للملوك قرار من هيبته، وتكون هذه حالته ؟!!

ولكنك يا عمر ، عدلت ، فأمنت ، فنمت ، وملكنا يجور فلا جرم أنه لا يزال ساهرًا خائفًا.

« أشهد ان دينك الدين الحق ، ولولا أنني أتيت رسولا لأسلمت ولكني أعود وأسلم! ».

* * *

تلك هي الأقصوصة الخالدة المشهورة عن عمر ، نوردها لتعطي فكرة عن الرجل الذي قهر العالم كله ، ووجه التاريخ كله في عصره ، كيف كان يعيش في بساطة ، وينام في بساطة ، ويحكم في بساطة.

قيصر ، إمبراطور الرومان الذي هدمت جيوش عمر أكثر إمبراطوريته على رأسه ، يبعث رسولا روميًا ؛ لينظر له من هو عمر هذا الذي فعل بالعالم الأفاعيل ؟.

ويأتي الرجل ، ويدخل المدينة ويسأل : أين ملككم ؟

فيقول له الشعب العربي : ما لنا ملك بل لنا أمير ، خرج إلى ظاهر المدينة.

ما لنا ملك ؟. هذا هو المفهوم العربي العام ، نحن لا نحكم بالملوك وإنما لنا أمير ، لنا رئيس يدير أمورنا ،رجل من الشعب ، لا يتعالى علينا كما تتعالى الملوك على شعوبها.

هذا هو المفهوم الجماهيري أيام عمر ، وهو المفهوم الإسلامي الحقيقي قبل أن تميل به الأهواء أو السياسات.

وذهب الرجل يبحث عن عمر خارج المدينة، وأخيرا وجده .. رجلا ينام على الرمال الحارة في الشمس القاتلة ، وقد اتخذ درته وسادة يغط في نوم هادئ ، والعرق يسقط من جبينه قد بل الأرض.

وألجم الموقف الرجل ، وقال في نفسه ، أهذا هو عمر ؟

وقال التاريخ : هذا هو عمر . هذا هو الإنسان الذي يحبه الله، هذا هو الحق في رجل.

وأطلقها سفير قيصر خالدة : رجل لا يقر للملوك قرار من هيبته وتكون هذه حاله ؟ ، و لكنك يا عمر عدلت فأمنت فنمت، وملكنا يجور فلا جرم أنه لا يزال ساهرًا خائفًا.

ماذا نستنبط من ذلك المشهد الرائع؟. إن العدل هو طريق الأمن، طريق الاستقرار السياسي في أي وطن من الأوطان.

فلو أريد للعالم العربي أو الإسلامي أن يستقر سياسيا ، فينبغي أن تسوده العدالة الاجتماعية وأن تسوده المبادئ العادلة .

أما أن تكون هناك دويلات ينهب طغاتها كل شيء ، ولا تجد شعوبها شيئا ، فذلك لا يؤدي إلى استقرار سياسي أبدًا في تلك البلاد.

وإنما العدل هو طريق الأمن للأفراد والجماعات، والشعوب ، والعالم كله.

لقد كانت دولة عمر دولة مستقرة ، سياسيا ؛ لأنها كانت مؤسسة على العدل ، فأمنت وأمن عمر ، وهدأت وهدأ عمر.

من أجل ذلك تعمل الدول الكبرى دائما على ألا تسود العدالة الاجتماعية في الدول النامية! حتى لا يكون هناك استقرار ؛ فيتعذر عليه التسلط على العالم النامي!

لقد بلغ عمر غاية الأمن ؛ لأنه بلغ غاية العدل .

بلغ أمنا جعله ينام وحده في الشمس الحارقة ، نوما لذيذًا هادئا بينما العالم كله يهابه ويخشاه!

## إذا زغت زاغوا !

لما حملت إليه خزائن كسرى ، قال له صاحب بيت المال : ألا تدخله بيت المال ؟

قال : لا والله ، ولا يأوي تحت سقفي.

فلما كشفوا عن الأموال ، رأي منظرًا عظيما ، من الذهب والجواهر.

فقال : إن الذي أدى هذا لأمين!

فقالوا : أنت أمين الله ، وهم يؤدون إليك ما أديت إلى الله، فإذا زغت زاغوا.

فقسمه كما أمر الله في كتابه ، ولم يأخذ لنفسه شيئا.

* * *

وذلك مفهوم خالد يقرره الشعب، ويقرره عمر في وقت واحد. مفهوم اجتمع له الإجماع من طرفيه من الحاكم ومن الشعب، فهو بذلك مفهوم عام ، ومبدأ إسلامي مطلق.

يقول عمر لما رأى أمامه جبالا من الذهب والجواهر : إن الذي أدى هذا لأمين.

يشهد عمر للشعب بالأمانة .. إن شعبا يؤدي مثل هذه الجواهر الثمينة ، ولا تطمع نفس فرد واحد منه في شيء قليل منه أو كثير ، إنه لشعب أمين.

شهادة من الحاكم للشعب..

فقال الشعب : أنت أمين الله ، وهم يؤدون اليك ما أديت إلى الله فإذا زغت زاغوا.

إن الشعب أمين ؛ لأنك أنت أمين يا عمر ، وإذا زغت عن الحق زاغوا هم كذلك عنه.

شهادة من الشعب للحاكم..

ولم يجتمع لحاكم ثقة شعبية مثل ما اجتمع لعمر ، ولم يجتمع لشعب ثقة حاكمه مثل ما اجتمع لشعب عمر !

وهذا أنموذج مما بلغته تلك الأمة من الكمال والحضارة .

شعب يثق ثقة مطلقة في حاكمه ، وحاكم يثق ثقة مطلقة في شعبه، وماذا وراء هذا ؟

وعلى مشهد من الشعب ، وعلى مسمع من الدنيا ، قدم عمر دليلا جديدا على بلوغه غاية الكمال حين قسم ذلك المال كما أمر الله في كتابه ، ولم يأخذ لنفسه منه شيئا!

فكيف لا يثق الشعب في حاكم يعطيه كل شيء ، ويحرم نفسه من كل شيء ؟!!

## المرأة توجه رئيس الدولة !!

خرج عمر بن الخطاب من المسجد ، والجارود العبدي معه ، فبينما هما خارجان إذا بامرأة على ظهر الطريق.

فسلم عليها عمر ، فردت عليه السلام ، ثم قالت : رويدك يا عمر . حتى أكلمك كلمات قليلة.

قال لها : قولي.

قالت : يا عمر ! عهدي بك وأنت تسمى عميرا في سوق عكاظ تصارع الفتيان ، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر ثم لم تذهب حتى سميت أمير المؤمنين.

« فاتق الله في الرعية ، واعلم أنه من خاف الموت خشي الفوت ». فقال الجارود : هيه ، قد اجترأت على أمير المؤمنين . فقال عمر : دعها ، أما تعرف هذه يا جارود ؟. هذه خولة بنت حكيم ، التي سمع الله قولها من فوق سمائه ، فعمر والله أحرى أن يسمع كلامها .

أراد بذلك قوله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَـٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾

[المجادلة ١]

* * *

واقعة عظيمة من وقائع عمر . امرأة تأمره : رويدك يا عمر ، حتي أكلمك كلمات قليلة.

فيقف رئيس أعظم دولة إذ ذاك ، ويستسلم لها ، ويقول : قولي.

فماذا قالت المرأة .. لتسمع نساء اليوم ، جرأة المرأة العربية ، وقوة بيانها وعظمة حريتها.

يا عمر .. عهدي بك وأنت تسمى عميرًا ، في سوق عكاظ تصارع الفتيان.

أتذكر يا عمر حين كنت فتى صغيرًا شغوفا بمصارعة الفتيان، في سوق عكاظ ، كانوا يسمونك عميرًا ؟. أتذكر حين كنت صغيرًا ، ضالا ، لا تدري من الحياة شيئا ، إلا ما يدريه الفتيان، إنها لعب ولهو؟

فلم تذهب الأيام حتى سميت عمرًا ؟. أتذكر يا عمر حين كبرت، وسموك عمر ؟

ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين ؟ وصار لك شأن يا عمر ، تأمر الدنيا فتسمع لأمرك!

«فاتق الله يا عمر في الرعية» احذر الله يا عمر ، واحذر عذابه، ولا تظلم الشعب ، وأد إليه حقوقه التي ائتمنك الله عليها.

«واعلم أنه من خاف الموت خشي الفوت» واعلم يا عمر أن طريقك إلى تقوى الله في الشعب ، أن تخاف الموت ، أن تخاف الحساب بعد الموت ، أن تخشى أن لا يفوتك فعل الخيرات في الدنيا.

هكذا بلغت المرأة من عمر ما لم يبلغه كبار الرجال .. دخلت إلى نفسه مدخلا عجيبًا .. ذكرته إذ كان فتى صغيرا ، وصغرت إليه نفسه .. فلما أذابت كبرياءه ، هاجمته هجوم عنيفا ، اتق الله يا عمر في الرعية.

هذه هي المرأة العربية في عهد عمر ، وهذه هي حرية الرأي في دولة عمر.

امرأة من الشعب ، ليست ذات منصب ، ولا ذات سلطان، ولا منحدرة من سلالة أرستقراطية.

وإنما هي امرأة من الكادحات الفقيرات ، تأمره أن يقف فيقف . وتوجهه فيسمع لتوجيهها!

وهذا هو المفهوم الإسلامي الصحيح ... أن المرأة تشارك في توجيه الدولة!

## يمنع اختزان مواد التموين !

كان يأتي المجزرة ، مجزرة الزبير بن العوام ، بالبقيع ، ولم يكن بالمدينة مجزرة غيرها ، ومعه الدرة.

فكل من رآه يشتري لحمًا يومين متتابعين ، يضربه بالدرة ، ويقول له : هلا طويت بطنك يومين لجارك وابن عمك ؟!

وهذا مبدأ أخطر وأخطر .. إن عمر يطوف بنفسه على المجزر، ويفتش عليه بنفسه ، فكل من رآه يشتري لحمًا يومين متتابعين ، يضربه بالدرة.. إن عمر بذلك يقرر أعلى مبادئ العدل .. أن ليس لإنسان أن يأكل لحمًا يومين متتابعين ، وغيره لا يجد اللحم يومين متتابعين.

لماذا ؟.. هلا طويت بطنك يومين لجارك وابن عمك ؟

إنه يوجه الشعب : هلا امتنعت عن اللحم يومين ؛ ليتمكن جارك وابن عمك أن يجد من اللحوم مثل ما وجدت ؟

ما هذا ؟.. هل هو نظام بطاقات التموين ؟

إنه شيء أعلى من بطاقاتنا اليوم ، ومن كل النظم المعاصرة..

إن عمر يمنع بالقوة ، إن الدولة الإسلامية تمنع بالقوة أن يأكل فرد من الشعب لحما يومين متتابعين حتى يستطيع كل الشعب أن يجد اللحم.

هذا هو مفهوم عمر ، مفهوم الإسلام .. يا من تكورت بطونكم من كثرة ما قذفتم فيها من اللحوم ، بينما أغلبية الشعب لا تجد اللحم يوما في الأسبوع!

مفهوم خطير جدا ... يمكن للدولة أن تهتدي بهديه في سياستها التموينية .. فإذا قلت

اللحوم في البلاد ، فلتحرم الدولة على الفرد أن يأخذ أكثر من كمية معينة من اللحوم أسبوعيا ، بحيث تضمن للجميع طعاما يتساوى فيه الجميع.

أما أن يترك أهل البطنة يلتهمون ما شاءوا من كميات اللحوم ، وتترك الطبقات الكادحة تعاني أزمة في الحصول على مطالبها فهذا شيء يمنعه عمر ويمنعه بالدرة ، بالقوة.

إن ما تلجأ إليه الدول الحديثة من فرض نظام البطاقات في المواد التموينية الرئيسية ، قد سبقها عمر إلى ما هو أعلى منه ... أن يكون ذلك بالتوجيه وبالقوة !!!

## اقطعوا هذه الشجرة!

كان الناس يأتون الشجرة التي بايع رسول الله -ﷺ- تحتها بيعة الرضوان.

فيصلون عندها ، فبلغ ذلك عمر ، فأوعدهم فيها ، وأمر بها فقطعت.

وقال : -أراكم أيها الناس- رجعتم إلى العزى ، ألا لا أوتي منذ اليوم بأحد عاد لمثلها إلا قتلته بالسيف ، كما يقتل المرتد.

هذا هو مفهوم عمر في ناحية من أخطر نواحي الحياة...

لقد أثبت عمر بفعله هذا أنه عبقري العباقرة ، و ملهم الحق والحقيقة.

شجرة ككل الشجر ، حدث أن بايع رسول الله -ﷺ- أصحابه تحتها على الموت في غزوة الحديبية.

ومضى الحادث ، ولحق رسول الله -ﷺ- بربه ثم كان أبو بكر من بعده ثم كان عمر .. فعاود الناس مرضهم الخالد ، مرض الالتفات عن التوحيد الصافي ، والالتواء والانحناء الى الأباطيل.

آفة خالدة في الجنس البشري ، وقاعدة مطردة .. يندر أن تجد في الناس من يؤمن بالله الإيمان الصافي المجرد..

إن أكثر الناس يزيغون دائما عن التجرد إلى التواءات الوسائط والشفعاء والأصنام.

أما عمر فإنه ليس كذلك ، إنه رجل يؤمن بالله إيمانا مجردًا ، بعيدا عن تلك الأوهام والخرافات

فلما رأى الناس يذهبون إلى تلك الشجرة في عهده، ويصلون تحتها تبركا بها وبذكرياتها : سارع إليها وقطعها.

فاقتلع عمر باقتلاعها الفتنة من جذورها ، وتبددت أوهام الناس فيها مع الهواء.

ماذا في هذا الشجرة أيها الناس؟.. لا شيء.. ولكن الإنسان، دائما وأبدا ينحرف عن التوحيد الصافي إلى تلك الأوهام!

وأعلن رئيس الجمهورية الإسلامية الأعظم قراره الخطير : أراكم أيها الناس رجعتم إلى العزى، ألا لا أوتي منذ اليوم بأحد عاد لمثلها إلا قتلته بالسيف كما يقتل المرتد!

فرعب الشعب ، وانفضوا عما كانوا يفعلون.

واعتبر عمر من يصلي تحت هذه الشجرة تماما كمن رجع إلى عبادة العزى إلى عبادة الأصنام.

وما الفرق بين هذه وهذه .؟ هذه عبادة شجرة ، وهذه عبادة صنم.

والجريمة واحدة ، والانحراف واحد؛ ولذلك أصدر أمره هدد بقتل من يفعل هذا بالسيف كما يقتل المرتد!

منطق عظيم من عمر ، ومفهوم رفيع .. ليتنا ندركه الآن كما أدركه عمر !

لقد عادت هذه الأمة في كثير من عقائدها إلى جاهلية عمياء، أصبحت تستلزم إعادة النظر في سلوكها نحو الله ، وتصحيحه على أساس من مفهوم عمر.

ولا نخوض في التفصيل ؛ لأن التفصيل يؤذي أقواما ويكبر في صدورهم!!!

## قوموني إذا اعوججت !

قال حذيفة : دخلت على عمر ، فرأيته مهموما حزينا

فقلت له : ما يهمك يا أمير المؤمنين ؟

فقال : إني أخاف أن أقع في منكر ، فلا ينهاني أحد منكم تعظيما لي.

فقال حذيفة : والله لو رأيناك خرجت عن الحق لنهيناك.

ففرح عمر ، وقال : الحمد لله الذي جعل لي أصحابًا ، يقوموني إذا اعوججت.

لماذا يحزن عمر ؟؛ لأنه يخشى أن يقع في خطأ ، فلا يجد أحدا من الشعب يمنعه من الخطأ تعظيما لمركزه الاجتماعي ؟!

دائما تجد عمر في اتجاه عكس اتجاه الناس .. رؤساء الدول يحزنون إذا نهاهم الشعب عن أخطائهم ، وانتقدتهم الجماهير في فعالهم، و عمر يحزن إذا لم يجد من الشعب من يرده عن أخطائه!

لماذا افترق الفاروق عن كل مخلوق ؟.. يريد أن ينجح في التجربة تجربة الحياة ، فلا يكون لله عليه حجة ، لماذا فعل كذا و كذا مما يغضب الله؟

أما الناس ، فقد أهمتهم أنفسهم ، يريدون لذة السطوة ، ولذة السلطة وأبهة السلطان!

كم من رؤساء الدول اليوم يفرح إذا وجد شعبا يحاسبه على أخطائه ، ويقومه إذا أعوج في سياسته ، ويقول كما قال عمر : الحمد لله الذي جعل لي أصحابًا يقوموني إذا أعوججت ؟

إنما يخشى النقد من يمشي مكبا على وجهه ، ومن كان في ضلال مبين.

لقد كان عمر يطلب أن ينتقده الشعب ، و يلح في طلبه..

وكان يبغض أشد البغض أن يمتدحه إنسان . أو أن يمتدح إنسان أحدا أمامه !!!

## عندما يغضب عمر!

قدم عمرو بن معد يكرب ، والأجلح بن وقاص ، على عمر ابن الخطاب، فأتيا وبين يديه مال يوزن ، فقال : متى قدمتما ؟

قالا : يوم الخميس

قال : فما حبسكما ؟

قالا : شغلنا بالمنزل يوم قدمنا ، ثم كانت الجمعة ثم غدونا عليك اليوم.

فلما فرغ من وزن المال ، نحاه ثم أقبل عليهما ، فقال : هيه ؟

فقال عمرو : يا أمير المؤمنين ! هذا الأجلح بن وقاص ، شديد المرة، بعيد الفرة ، وشيك الكرة ، والله ما رأيت مثله من الرجال صارعا ومصروعا ، والله لكأنه لا يموت!

فقال عمر للأجلح بن وقاص ( وأقبل عليه ) : هيه ؟

( قال ): وأنا أعرف الغضب في وجهه ، فقلت يا أمير المؤمنين، الناس صالحون ، كثير نسلهم ، دارة أرزاقهم ، خصب نباتهم ، أجرياء على عدوهم، جبان عدوهم عنهم ، صالحون بصلاح إمامهم.

فقال عمر : ما منعك أن تقول في صاحبك مثل الذي قال فيك؟

قال : منعني ما رأيت في وجهك!

قال عمر : قد أصبت ، أما لو قلت مثل الذي قال لك لأوجعتكما عقوبة.

لقد كان عمر يكره المدح لشخصه ، ويكرهه لغيره ، ويغضب أشد الغضب إذا سمعه .

بينما ترى كثيرا من رؤساء الدول ينفقون الملايين من أموال الشعوب استجداء للأماديح ، وينشئون أجهزة الأعلام المختلفة لتملأ الدنيا بالثناء عليهم !!!

## رئيس الدولة الاعظم يعمل خادمًا لامرأة!

بينما عمر يعس في المدينة بالليل ، أتى على امرأة من الأنصار تحمل قربة.

فسألها عن شأنها ، فذكرت أن لها عيالا ، وأن ليس لها خادم، وإنها تخرج في الليل فتسقيهم

الماء ، وتكره أن تخرج بالنهار.

فحمل عمر عنها القربة حتى بلغ منزلها !!!

وقال : أغدي على عمر غدوة ، يخدمك خادما .

قالت : لا أصل إليه.

قال : إنك ستجدينه إن شاء الله تعالى.

فغدت عليه ، فإذا هي به ، فعرفت أنه الذي حمل قربتها، فذهبت تولي!

فأرسل في أثرها ، وأمر لها بخادم ونفقة!

منظر عجيب ، لم تألفه الدنيا .. رئيس الدولة الأعظم ، يحمل على ظهره في الليل قربة الماء، حتى يصل إلى منزل المرأة، وليت الأمر وقف به عند هذا الحد ... إنه فحص حالة المرأة على الفور، وأصدر أمره سريعا ، وقرر لها خادما ونفقة ؟

هل هناك قانون يجبر رئيس الدولة أن يكلف نفسه هذا الأمر الذي لا يطاق ؟.

أما في قوانين الإنسان فلا ، وأما في قانون الله في كتابه فإنك تجد ينابيع الخير التي تأمر عمر وغير عمر بهذا ، وما هو أعلى من هذا.

وأنا اسأل البشرية : هل تعلمون رئيس دولة في الكرة الأرضية اليوم، يحمل على ظهره الماء كما حمله عمر لامرأة من الشعب ؟.

سيقولون : لا نعلم .. قلت : فكيف نستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ؟!!

## عمر يعلن مجانية العلاج !

مرض معيقيب وكان خازن عمر على بيت المال .

فكان يطلب له الطب من كل من يسمع عنده بطب.

حتى قدم عليه رجلان من أهل اليمن ، فقال : هل عندكم من طب لهذا الرجل الصالح ، فإن هذا الوجع قد أسرع فيه ؟

قالا : أما شيء يذهبه فانا لا نقدر عليه ، ولكن نداويه بدواء يوقفه فلا يزيد.

قال عمر : عافية عظيمة أن يقف فلا يزيد .

قالا : هل ينبت في أرضك هذا الحنظل ؟

قال : نعم .

قالا : فاجمع لنا منه.

فأمر عمر فجمع له منه مكتلان عظيمان ، فعمدا إلى كل حنظلة قطعاها باثنين ، ثم أضجعا معيقيبا فأخذ كل واحد منها بإحدى قدميه ثم جعلا يدلكان بطون قدميه بالحنظل حتي إذا سحقت أخذا أخرى.

ثم أرسلاه فقالا لعمر لا يزيد وجعه هذا أبدا.

قال الراوي : فوالله ما زال معيقيب بعدها متماسكا ما يزيد وجعه حتى مات.

ماذا نستنبط من تلك الواقعة؟. أن عمر قرر مبدأ خطيرا، إن الدولة تقوم بعلاج كل فرد في الشعب.

إنه مبدأ مجانية العلاج الذي يتطلع إليه أكثر دول العالم رقيًا اليوم.

إن عمر حين جند الدولة كلها لعلاج موظف فيها ، هو خازن بيت المال ، لا يقرر ذلك لمعيقيب وحده دون الناس ، وإنما هو حق لكل مواطن ومواطنة ، كما هو حق لمعيقيب ؛ لأن عمر رجل عدالة مطلقة ، لا يفضل أحدًا على أحد في الحقوق.

وسبق عمر بهذا العالم الحديث بأكمله ، وأعلن في التاريخ ، مجانية العلاج ، والعلاج للجميع، والتزام الدولة بذلك ، كما تلتزم بضرورات الحياة أمام الجماهير!!!

## يا بؤسا لعمر !

قال عبد الرحمن بن عوف : قدمت رفقة من التجار ، فنزلوا المصلى فقال لي عمر : هل لك أن تحرسهم الليلة من السرق ؟ (أي السرقة ).

فباتا يحرسانهم ، ويصليان ما كتب الله لهما.

فسمع عمر بكاء صبي ، فتوجه نحوه ، فقال لأمه : اتقي الله وأحسني إلى صبيك.

ثم عاد إلى مكانه ، فسمع بكاءه ، فعاد إلى أمه فقال : اتقي الله وأحسني إلى صبيك ، ثم عاد إلى مكانه.

فلما كان من آخر الليل سمع بكاءه ، فأتى أمه فقال : ويحك إني لأراك أم سوء ، مالي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة ؟!

قالت : يا عبد الله قد أبرمتني منذ الليلة ( أضجرتني ) إني أريغه عن الفطام فيأبى.

قال : ولم ؟

قالت : لأن عمر لا يفرض إلا للفطيم !

قال : وكم له ؟

قالت : كذا و كذا شهرًا .

قال : ويحك لا تعجليه .

فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء!!!

فلما سلم قال: يا بؤسًا لعمر! كم قتل من أولاد المسلمين؟!

ثم أمر مناديا فنادى : أن لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام ، فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام وكتب بذلك إلى الآفاق.

وسبق عمر بقراره هذا أحدث النظم الاجتماعية في أرقي الدول المعاصرة !!!

سبقها حين أذاع في الآفاق : إنا نفرض لكل مولود في الإسلام . كل من يولد في الشعب له معاش مقرر في الخزانة العامة.

أيا ما كان عدد المواليد ، ذكر أو أنثى .. كل مولود يخرج إلى هذه الحياة له مرتب شهري ثابت يتقاضاه من الخزانة العامة !!!

سبق عالمي لعمر .. منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة حيث كان العالم يعيش في عصر الرق والاستعباد.

والآن .. ونحن في عصر الصواريخ والفضاء .. لم يصل الإنسان إلى هذا المستوى بعد !!!

لا توجد دولة في العالم الحديث الآن، بلغت من الرقي الاجتماعي درجة تقرر فيها لكل مولود ولد مرتبا شهريا يتقاضاه من الدولة !!!

ولكن عمر بلغ هذا المستوى منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة ، وبلغ ما هو أعلى من ذلك كذلك، حين أذاع هذا القرار الجمهوري في أنحاء دولته الكبرى، من خلال دموعه التي تتفجر من عينيه وهو يقول : يا بؤسا لعمر ، كم قتل من أولاد المسلمين !!!

## يجب على الحاكم ما يجب على العبد لسيده !

« قدم على عمر بن الخطاب وفد من العراق ، فيهم الأحنف بن قيس في يوم صائف شديد الحر ، وعمر ( متعمم ) بعباءة.

يهنأ ( يطلي بالقطران ) بعيرًا من إبل الصدقة ، فقال: يا أحنف، ضع ثيابك ، وهلم فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير فإنه من إبل الصدقة ، فيه حق لليتيم ، والأرملة ، والمسكين.

فقال رجل من القوم: يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ، فهلا تأمر عبد من عبيد الصدقة

فيكفيك ؟!

فقال عمر : وأي عبد هو أعبد مني ومن الأحنف ؟

إنه من ولي أمر المسلمين ، يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيده في النصيحة ، وأداء الأمانة » .

هذا مفهوم خالد آخر يذيعه رئيس الدولة الأعظم في الإنسانية كلها مفهوم لا عهد لها بمثله... ولا بما هو قريب منه !!

وفد من كبار القادة يفد على رئيس الدولة من العراق في يوم شديد الحر ، وما أدراك ما حر الحجاز ؟

فكيف وجد ذلك الوفد رئيس الدولة الأعظم الذي جاءوا ليقابلوه ؟

وجدوه على أعجب منظر ... رجل متعمم بعباءة ، يطلي جملا من جمال الزكاة بالقطران.

وليته وقف عند هذا الحد.. بل دعا قائدًا كبيرًا من رجال الوفد إلى مساعدته في هذا العمل القذر ، وأن يغمس يديه في القطران معه ، ويعينه في طلاء الجمل..

و ناداه عمر نداء عاليا ، يا أحنف ، ضع ثيابك وهلم فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير. فانه من إبل الصدقة ، فيه حق اليتيم والأرملة والمسكين !

يا أحنف ، يا قائد عام القوات المسلحة الإسلامية بإحدى جبهات القتال في الامبراطورية الفارسية .. يا أحنف ، اطرح أوضاعك الاجتماعية ، وضع ثيابك إن كنت تخاف عليها الوسخ هلم فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير..

لماذا يعتبر عمر مداواة هذا البعير شرفا دونه كل شرف . مع ما في ذلك العمل من قذارة الأيدي ، ووسخ الأبدان ؟

ويجيب عمر ، إنه من إبل الصدقة ، إنه من جِمال الزكاة مما أخرج الناس من أموالهم لله .. إن هذا الجمل جمل الله.

هو شيء شريف ؛ لأنه شيء لله ..

والعمل الذي يتصل بشيء لله ، ينال شرف الاتصال بالله .

ومن هنا عظم عمر مداواة ذلك الجمل ؛ تعظيما لحرمات الله

ولماذا أيضا عظم عمر العمل في مداواة ذلك الجمل ؟ «فيه حق اليتيم والأرملة والمسكين»

في هذا الجمل شرف آخر .. إنه جزء من الزكاة ، والزكاة حق اليتيم الذي فقد أباه الذي كان يرعاه، وفيه حق الأرملة التي فقدت زوجها الذي كان يرعاها وينفق عليها ، وفيه حق المسكين

الذي لا يجد ما يكفيه من المال الذي يقضي به ضرورات الحياة.

من هنا كان عمر يرى العمل في مداواة ذلك الجمل شرفا عظيما

لأن عمر يرى كما يرى رسول الله -ﷺ- أن العمل شرف عظيم ، وأن الأعمال سواء، حقيرها وعظيمها ، سيان عند عمر أن يسوس أمور الدولة ، وأن يداوي جملا بالزفت والقطران.

ذلك هو مفهوم العمل عند رسول الله-ﷺ- ، وعند أصحابه، وهو نفس مفهوم عمر للعمل.

وزاد ذلك العمل شرفا أنه يتعلق بشيء لله .. جمل من زكاة المال التي أخرجت لله.

وزاده شرفا فوق الشرف، أن فيه حقا لليتامى ، والأرامل والمساكين...

أولئك الذين ضاعوا في زحمة الحياة، فلم يلتفت إليهم المجتمع ولكن عمر التفت إليهم ، حين تقرب إلى الله بالعمل في مداواة جمل من جمال الزكاة التي هي حقهم الثابت لدى الدولة.

وحين تشرف بالعمل في عمل يحبه الله ؛ لأنه حفظ مال اليتامى والأرامل والمساكين .

معاني رفيعة جدا يحلق في سمائها عمر ، ليت الناس يفقهون شيئا عنك يا عمر ، ليتهم يدركون.

من أجل ذلك غابت تلك المعاني البعيدة عن رجل من القوم، كان ممن يشهد المشهد العجيب ، يشهد أمير المؤمنين يعمل في الزفت ويدعو الأحنف أن ينزل إلى الزفت معه فصاح . يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ، فهلا تأمر عبد من عبيد الصدقة فيكفيك ؟

لماذا تفعل هذا يا عمر بنفسك ، مر عبدا من أولئك العبيد الذين يعملون في حفظ أموال الزكاة ، يقوم بدلا منك بهذا العمل الحقير ؟

فلما أحس عمر في كلامه جاهلية ، ورجعية عن المعاني التي قررها الإسلام ، صاح به صيحته العظمي : وأي عبد هو أعبد مني ومن الأحنف ؟

أنا والأحنف أشد عبودية من أولئك العبيد المعينين لخدمة أموال الزكاة.

لماذا ؟. إنه من ولي أمر المسلمين ، يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيده في النصيحة، وأداء الأمانة.

وقررها عمر – من ولي أمر المسلمين – كل إنسان يتولى أمرا من أمور الشعب ، يجب عليه لهم : يجب عليه للشعب ما يجب على العبد لسيده، كل الواجبات التي تجب على العبد المملوك نحو سيده.

فماذا ؟. في النصيحة، يجب على كل مسئول أن ينصح شعبه، على كل موظف أن يوجه الذين تحت يده إلى ما فيه خير العمل ، وخير الجميع ..

«وأداء الأمانة» يجب على الحاكم أن يؤدي الأمانة إلى شعبه، الأمانة التي ائتمنه الله عليها. يجب عليه أن يقوم بمهمة الحكم خير قيام وأن يعدل فيهم ، وأن يخلص في عمله و يستفرغ فيه جهد طاقته.

وكان منظرًا عجيبًا حين خلع الأحنف ملابس القيادة العسكرية، ونزل يضع يديه في الزفت، كما يضعها عمر ، ويطلي الجمل كما يطليه!

لماذا؟. تشريفا للعمل والعاملين، وحفاظا على حقوق الجماهير الكادحة ، حقوق اليتامى والأرامل والمساكين.

وأعلنها عمر تدوي ، إنه لشرف حين يعمل في مثل هذا العمل ، ولشرف حين يكون في خدمة الجماهير بل أضعف قطاع في الجماهير .

وتراجعت العلمانية ، ومن ورائها الرأسمالية ، ومن ورائها كل البشرية ؛ ليفسحوا الطريق لعمر؛ ليعدو أمام الدنيا كلها وهو يرفع بيديه إلى أعلى مشعل الحق والعدل والمساواة.

فإن قالوا : لقد كان هذا من عمر فلتة .. قلنا بل سليقة في الرجل وطبيعة في تكوينه ، ونبع دافق من فؤاده ، وإليكم شيئا كان منه ، يؤكد ما نقول !!!

## ما بال هذا الرجل يأتيك ؟!

« خرج عمر في سواد الليل ، فرآه طلحة فذهب عمر ، فدخل بيتا، ثم دخل بيتا آخر.

فلما أصبح طلحة ، ذهب إلى ذلك البيت ، فإذا بعجوز عمياء مقعدة..

فقال : ما بال هذا الرجل يأتيك ؟

قالت : إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا ، يأتيني بما يصلحني ، ويخرج عني الأذى.

فقال طلحة لنفسه : ثكلتك أمك يا طلحة ! اعثرات عمر تتبع؟!

تأملي يا دنيا ، هل شهدت رئيس دولة لا تغيب الشمس عن أطرافها، يزلزل قلوب طغاتها، ويدك قواعد عروشها ثم يخرج وحيدًا ، في سواد الليل الشديد حتى لا يراه أحد.

لماذا يخرج ؟. أمن أجل التجسس على الرعية ؟ أمن أجل السياسة الدولية ؟

كلا ، إنه دخل بيتًا ثم دخل بيتا آخر ، ورآه رجل لم يعلم عمر أنه رآه ، رآه طلحة فظن أن في الأمر شيئا ؟.

وأوجس في نفسه : لماذا دخل عمر هذا البيت وحده ، ثم عاد فدخل بيتا آخر وحده ثم لماذا اختار ليلة شديدة الظلام؛ ليرتكب فيها ذلك العمل المريب ؟

عجب طلحة ، فلما كان الصباح ، ذهب إلى أحد المنزلين . فلم يجد إلا عجوزًا عمياء مقعدة!

سألها طلحة : ما بال هذا الرجل يأتيك ؟

قالت العجوز العمياء ، المقعدة : إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني ، ويخرج عني الأذى !!!

هناك علم طلحة أن عمر دائما فوق ظنونه وظنون البشر ، فذابت نفسه خجلا مما يظن في عمر ، وقال : ثكلتك أمك يا طلحة ، أعثرات عمر تتبع؟

وليس طلحة وحده هو الذي ذاب خجلا من ظنه بعمر بل إن البشرية كلها منذ كان عمر إلى آخر لحظة في هذه الحياة ، قد ذابت خجلا مما صنع عمر !!!

ذابت خجلا ؛ لأن أحدا فيها طوال القرون كلها ، لم يستطع أن يفعل كما فعل عمر !!!

وأي صنع أعظم من صنيع رئيس الدولة الأعظم حين يخرج وحيدًا في شدة الظلام ، ويدخل إلى بيت امرأة عجوز عمياء مقعدة، قد اجتمعت عليها المنفرات كلها ، فباعدت بينها وبين الناس جميعا إلا عمر ، فإنه أتاها وحدها من دون الشعب كله.

لا لينظر حالها وينصرف ولكن ليفعل شيئا سيظل يدوي في الأرض والسماء ما كانت هناك حياة.

ليأتيها بما يصلح حالها؛ ليحمل إليها الماء والطعام والكساء، وما يلزمها من مطالب حياتها.

ثم ماذا ؟. ثم يحمل عنها الأذى ؟!

ثم يحمل رئيس الجمهورية الإسلامية الأعظم عن العجوز ، العمياء المقعدة ، الأذى ، البول والبراز والزبالة التي تخلفت عنها ، يحملها عمر ويذهب بها بعيدا عن منزلها ؛ ليلقيها.

كم مرة فعل ذلك عمر ؟. دائما وأبدا ، وفي ذاك تقول المرأة: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني ويحمل عني الأذى.

كم من الليالي خرجت يا عمر ، وفعلت هذا مع تلك المرأة ، ومع غيرها؟

لقد كان سلوكا دائما من رئيس الجمهورية الأعظم ، يؤديه، ويتحرى لأدائه الليالي الشديدة الظلام.

لا حياء من الناس أن يروه وهو يحمل الأذى ويلقيه بعيدا.

ولكن ليجعل عمله خالصا لوجه الله حتى لا يشوبه رياء ، ولا سمعة.

وقام أعظم رجل على وجه الأرض بأعظم عمل على وجهها في ظلام ليلها ؛ ابتغاء وجه ربها

بعيدا عن أعين جميع سكانها.

هذا هو عمر . يباشر من الأعمال أحقرها ، وأغيظها لنفس الإنسان.

يخدم امرأة ينفر الإنسان من مجرد النظر اليها .

عجوز بما في الكبر من انحطاط في الهيئة، وانهيار في البنيان.

عمياء ، وهذا يزيدها سوءا على سوء منظرها.

مقعدة ، لا تستطيع حراكا ، قد أسكتها المرض، وحطمها الكبر فألزمها الأرض كأنها جثة شوهاء في قبر مظلم.

إلى مثل هذه يسعى رئيس الدولة الأعظم، ويقوم بخدمتها، ويرعى مطالبها ويحمل أذاها!

لم يذهب عمر في الليل الشديد الظلام إلى الجميلات ، يعب في أحضانهن كئوس الهوى والغرام كما يفعل صعاليك رؤساء الدول...

كلا ، ما كان لعمر أن يفعل هذا ، فإن ذلك مما تشتاق إليه نفوس صعاليك العظماء...

ولكنه رجل عرف الله ، وعرف رسول الله -ﷺ- وانفتح قلبه على أنوار الحق والهدى ، فكانت منه تلك الأعاجيب .

يدخل الليل فمن الناس من يستسلم لنوم طويل لذيذ، ومنهم من يسعى إلى شهوة دنيئة يقضيها...

أما عمر فيسعى إلى أعلى القربات إلى الله ، يفعلها عن رضا ورغبة ورهبة .

هذه فعلة واحدة من فعال رئيس الدولة الأعظم في الإسلام، نبئوني بعلم، العلمانيون يستطيعون ذلك أم الرأسماليون؟

أم أن أحدًا في عصرنا هذا يستطيع أن يقوم بشيء قليل مما كان يفعل عمر ؟!

إن عندنا أعلى المستويات التي يمكن أن يحكم بها الناس .

إن لدينا ارفع النماذج التي يمكن أن تقتدي بها الجماهير!!!

## الله بيننا وبين عمر!

عن أسلم قال : خرجنا مع عمر بن الخطاب إلى حرّة واقم[1] حتى إذا كنا بصرار[2]، إذا نار تؤرث ( تشعل ).

قال عمر . يا أسلم إني أرى ها هنا ركبانا قصر بهم الليل والبرد ، انطلق بنا.

فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم.

فإذا بامرأة معها صبيان ، وقدر منصوبة على نار : وصبيانها يتضاغون ( يتصايحون ).

فقال عمر : السلام عليكم يا أهل الضوء .

وكره أن يقول يا أصحاب النار .

فقالت : وعليكم السلام .

فقال : أأدنو ؟

فقالت : ادن بخير أو دع .

فدنا منها ، فقال : ما بالكم ؟

قالت : قصر بنا الليل والبرد .

قال : وما بال هؤلاء الصبية يتضاغون ؟ ( يتصايحون ).

قالت : الجوع!!

قال : وأي شيء في هذا القدر ؟

قالت : ماء أسكتهم به حتى يناموا. واللهُ بيننا وبين عمر!!!

قال : أي رحمك الله ، وما يدري عمر بكم ؟

قالت : يتولى أمرنا ثم يغفل عنا ؟!

فأقبل عليّ.. فقال : انطلق بنا.

فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق ، فأخرج عدلا من دقيق، وكبة شحم ، وقال : احمله علي.

قلت : أنا أحمله عنك ؟

---

(١) الحرة أرض حجارتها سود بركانية ، والمدينة بين حرتين ، إحداهما حرة واقم .

(٢) على ثلاثة أميال من المدينة.

قال : أنت تحمل وزري يوم القيامة لا أم لك ؟!

فحملته عليه ، فانطلق وانطلقت معه إليها ، نهرول.

فألقى ذلك عندها ، وأخرج من الدقيق شيئا، فجعل يقول لها: ذري علي ، وأنا أحر[1] لك.

وجعل ينفخ تحت القدر ، فرأيت الدخان يخرج من خلال لحيته حتى طبخ لهم.

ثم أنزلها ، وقال : أبغني شيئا.

فأتته بصفحة فأفرغها فيها، فجعل يقول لها : أطعميهم ، وأنا أسطح لهم ( أبسطه حتى يبرد) .

فلم يزل حتى شبعوا .

وترك عندها فضل ذلك ، وقام وقمت معه ، فجعلت تقول : جزاك الله خيرا . كنت بهذا الأمر أولى من أمير المؤمنين.

فيقول : قولي خيراً ، إذا جئت أمير المؤمنين وجدتني هناك إن شاء الله!

ثم تنحى ناحية عنها ثم استقبلها فربض مربضا ، فقلت له : لك شأن غير هذا ؟

فلا يكلمني حتى رأيت الصبية يصطرعون ثم ناموا وهدءوا !!!

فقام يحمد الله ثم أقبل علي فقال : يا أسلم ، إن الجوع أسهرهم وأبكاهم ، فأحببت أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيت.

هذه هي القصة التي تتغنى بها الأجيال ، وسوف تتغنى بها كذلك أجيال قادمات.

لماذا ؟ ؛ لأنها أسمى مثال لإحساس الحاكم بالمسئولية التي في عنقه نحو الشعب وإحساس الشعب بحقوقه عند الحاكم.

يقول عمر : وما يدري عمر بكم ؟

وتقول المرأة : يتولى أمرنا ثم يغفل عنا ؟!

هذا الجواب من تلك المرأة ، يمثل أصح تمثيل مفاهيم الشعب العربي في ذلك العهد.

شعب يرى أن الحاكم متى تولى أمر الشعب ، فهو مسئول عن كل مستوياته ، وكل أفراده.

مسئول عن ضرورياته ، وعن حاجاته ، وعن مطالبه.

ويقول عمر : إن الجوع أسهرهم وأبكاهم ، فأحببت ألا أنصرف حتى أرى ما رأيت.

---

(١) اتخذ لك حريرة وهي ماء من دقيق ودسم.

ولم ينصرف عمر حتى رأي الصبية يصطرعون ثم ناموا وهدؤا.

وهذا المفهوم من عمر . يجب أن يكون هو مفهوم كل حاكم مسلم يتولى أمر جماعة من المسلمين .

إنه مسئول عن كل فرد في الشعب عن ضروراته وعن حاجاته .

أما ما في القصة من زوايا إنسانية ، وفنية ، ولمسات ربانية ، فليس المقام مقام تفصيل ذلك فإنها تحتاج إلى مجلدات. إنما نحن نلتمس بعض المفاهيم العامة من أعمال الرجل وأقواله ؛ لنرفعها خفاقة أمام العالم الحديث .

## المواليد السعداء !

لقد عمت السعادة المتشعشعة من عمر حتى شملت المواليد في عهده جميعا ..

وما لهم لا يسعدون ، وقد فرض عمر لكل منهم مرتبا ثابتا، تؤديه الدولة إلى أبيه ، أو ولي أمره .

بينما عمر يعس ذات ليلة ، إذ مر برحبة من رحاب المدينة ، فإذا هو ببيت شعر لم يكن بالأمس .

فدنا منه ، فسمع أنين امرأة ، ورأى رجلا قاعدا .

فدنا منه ، فسلم عليه ، ثم قال : من أنت ؟

قال : رجل من أهل البادية . جئت إلى أمير المؤمنين أصيب من فضله.

قال : ما هذا الصوت الذي أسمعه في البيت ؟

قال : انطلق رحمك الله لحاجتك .

قال : على ذاك ما هو ( ومع ذلك خبرني ).

قال : امرأة تمخض .

قال : هل عندها أحد ؟

قال : لا.

فانطلق حتى أتى منزله ، فقال لامرأته أم كلثوم بنت علي : هل لك في أجر ساقه الله إليك؟

قالت : وما هو ؟

قال : امرأة غريبة تمخض ، ليس عندها أحد.

قالت : نعم ، إن شئت.

قال : فخذي معك ما يصلح المرأة لولادتها من الخرق والدهن، وجيئيني ببرمة (قدر) و شحم وحبوب.

فجاءت به ، فقال : انطلقي .

فحمل القدر ، ومشت خلفه حتى انتهى إلى البيت .

فقال لها : ادخلي إلى المرأة .

وجاء حتى قعد إلى الرجل ، فقال له : أوقد لي نارًا .

ففعل ، فأوقد تحت القدر حتى أنضجها.

وولدت المرأة ، فقالت امرأته : يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام.

فلما سمع الأعرابي بأمير المؤمنين ، كأنه هابه . فجعل يتنحى عنه.

فقال له : مكانك كما أنت.

فحمل القدر ، فوضعها على الباب .

ثم قال عمر : أشبعيها .

ففعلت ، ثم أخرجت القدر فوضعتها على الباب.

فقام عمر، فأخذها فوضعها بين يدي الرجل وقال: كل ويحك ، فإنك قد سهرت من الليل.

وقال عمر لامرأته : اخرجي .

وقال للرجل : إذا كان غدا فائتنا نأمر لك مما يصلحك .

فلما أصبح أتاه ، ففرض لابنه في الذرية وأعطاه .

فمن ذا الذي لا يسعد بحكم عمر ؟!

لقد حملت الدولة عن الشعب همومه، وآلامه، و تكاليف الحياة كلها، كل مولود يولد تفرض له الدولة في بيت المال .

حتى النساء يقوم رئيس الجمهورية، وحرمه برعايتها إذا ولدت ، وتقديم الطعام لها حتى تشبع!!!

كل شيء تقوم به الدولة ، الولادة ، إطعام الوالدات ، رعاية الطفولة ضمان الطعام للأسرة.

لقد بلغت الخدمات الاجتماعية التي تقوم بها الدولة في عهد عمر حظا عجيبا لم تبلغه أرقى المجتمعات الحديثة في العالم اليوم.

إنها مبادئ يقررها عمر ، إن الدولة مسئولة عن الشعب حتى في عواطفه ، عليها أن تدخل السرور عليه ، وأن تحل له أزماته النفسية !!!

## رئيس الدولة يشرف على توزيع التموين بنفسه!

ورغم مسئوليات عمر التي تنوء بها الجبال ، كان الرجل يشرف على شئون التموين بنفسه؟

« بعث سلمة بن قيس الأشجعي رسولا إلى عمر بالفتح ، فقال : أتيت أمير المؤمنين وهو يغدي الناس ، متكئا على عصاه ، كما يصنع الراعي.

وهو يدور على القصاع. ويقول: يا يرفأ ، زد هؤلاء لحمًا ، زد هؤلاء خبزًا ، زد هؤلاء مرقة».

فما معنى هذا ؟. معناه أن الدولة مسئولة عن توفير المواد التموينية لجميع قطاعات الشعب.

فحين وقف عمر يصيح : زد هؤلاء لحمًا ، زد هؤلاء خبزًا ، زد هؤلاء مرقًا .. إنما كان يقرر مبادئ عظمى في سياسته ...

إن على رئيس الدولة أن يقف ممسكا بعصاه كالراعي . أي ينفذ بالقوة ما فيه ضمان توفير المواد التموينية لكل مستويات الشعب.

زد هؤلاء خبزًا ، أنقص من هؤلاء لحمًا ، زد هؤلاء أرزًا ، أنقص هؤلاء لبنًا ، وهكذا تتحرك أوامر الدولة سريعة ، حسبما تقتضيه حالة قطاعات الشعب.

لا بالرجاء ، لكن بالقوة المسلحة ،كما كان يقف عمر ممسكا بالعصا؛ لأن الشعوب لا تساس بالحكمة وحدها ، وإنما تحتاج أحيانا إلى البطش ؛ لتسود كلمة القانون.

ينبغي أن تبطش الدولة بطشتها الكبرى بالذين يتلاعبون بأرزاق الشعب.

ينبغي أن تنزل الدولة أشد أنواع العقوبات بالذين يعبثون بقوت الشعب .

لماذا لا تحاكم الدولة ، في الميادين العامة. وعلى مشهد من الشعب كله ، أولئك الذين يتلاعبون بأقوات الشعب ؟ . إنها إن فعلت حفظت الشعب كله من العبث والاستهانة بحقوقه.

ولتذكر الدولة دائما موقف عمر حين كان يقف ممسكا بعصاه ، ويشرف على طعام الشعب بنفسه!!

## هلك زوجي وترك صغارا !

قال أسلم: خرجت مع عمر إلى السوق فلحقته امرأة شابة.

فقالت : يا أمير المؤمنين هلك زوجي ، و ترك صبية صغارا ، والله ما ينضجون كراعا ، ولا لهم ضرع ولا زرع ، وخشيت عليهم وأنا ابنة خفاف بن أيماء الغفاري ، وقد شهد أبي الحديبية مع

رسول الله -ﷺ- .

فوقف معها ، ولم يمض ، وقال : مرحبا بنسب قريب.

ثم انصرف إلى بعير ظهير ، كان مربوطًا في الدار ، فحمل عليه غرارتين ، ملأهما طعاما، وجعل بينهما نفقة وثيابا ثم ناولها خطامه وقال : اقتاديه ، فلن يفني هذا حتى يأتيكم الله بخير!

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين اكثرت لها!

قال : ثكلتك أمك، والله إني لأرى أبا هذه وأخاها ، وقد حاصرا حصنا زمانا فافتتحاه، ثم أصبحنا نستفيء سهامها » ..

وهذا مبدأ آخر خطير عمر يقرر للأرملة معاشا يكفيها ، ويكفي أولادها اليتامى ، وزيادة!

فلما كلمه صاحبه : أكثرت لها ؟ !

زجره، وبين له لماذا أكثر لها ؛ لأن أخاها وأباها جاهدا في الله حق جهاده ، وافتتحا حصنا حصينا للأعداء يوما ما.

أكثر لها ، واعطاها أكثر من حاجتها وحاجة أولادها اليتامي، لماذا ؟

لأن عمر يحس إحساسا شديدا بآلام الأرامل واليتامي الذين فقدوا رب الأسرة، وفقدوا المورد الذي كانوا يعيشون منه جميعا.

قلوب منكسرة ، ونفوس حزينة ضائعة.

ولكي تبدد عن تلك الأسرة آلامها، لابد من جهد مضاعف، يعوضها شيئا مما فقدت.

من أجل ذلك ضاعف لها عمر العطاء ، وقرر لها أكثر من حاجاتها ؛ ليؤنس وحشتهم ، ويخفف من مصابهم.

وارتفعت يا عمر مرة أخرى حين فطنت إلى ما لم يفطن إليه الناس!!

ماذا نستنبط من فعلة عمر هذه ؟.. إن الدولة عليها حين تقرر المعاشات للأرامل واليتامى، أن تبسط يدها ، وتعطيهم في سخاء ، لعلها تعوضهم ولو قليلا عما فقدوا !!!

## تكريم أبناء الشهداء !

قال الأحنف بن قيس : قدمنا إليه (إلى عمر) الغنائم ، فقسمها بيننا بالسوية ، فعرض في الغنائم شيء من أنواع الخبيص ، فذاقه فوجده طيب الطعم والريح ، فقال : يا معشر المهاجرين والأنصار ! ليقتلن منكم الابن أباه والأخ أخاه على هذا الطعام .

ثم أمر به ، فحمل إلى أولاد من قتل من المسلمين ، ولم يأخذ لنفسه شيئا.

وكرم رئيس الدولة بذلك أبناء الشهداء ، وأسر الشهداء.

وإنه لحق على كل دولة صاعدة هادفة أن تكرم أبطالها ، والمجاهدين في سبيلها، والذين بذلوا دماءهم للحفاظ على مقدساتها.

وأي شهداء هؤلاء الذين يكرمهم عمر ؟.. إنهم أصحاب رسول الله -ﷺ- ، الذين قتلوا في سبيل الله ، لتكون كلمة الله هي العليا..

إنهم أحق الناس بالتكريم أمواتا وأحياء ..

وطابت نفوس أبناء أولئك الشهداء، وزوجاتهم حين وصلتهم هدايا عمر الفاخرة ، وحين علموا أنه آثرهم بأجمل صنف لديه، بينما حرمه على الشعب كله ، وعلى نفسه!

وحين تتقرر تلك المفاهيم في شعب من الشعوب، تكون دليلا على رقيه وعظمة أخلاقه..

ذلك أن الشعوب تكشف عن خبيئة معدنها باسلوب اختيارها لمن تكرمه من الناس.

فالشعوب التي تكرم العلماء ، شعوب عالمة ، هادفة نحو العلم.

والشعوب التي تكرم الشهداء ، شعوب محبة للبطولة ، صاعدة نحو المجد!!!

## أعطه قميصي هذا !

قدم رجل من الأعراب على عمر ، ومعه صبية له وأهله (زوجته) فقال يخاطبه :

الخير يا عمر جزيت الجنة          أكس بنياتي وأمهنه

أقسمت بالله لتفعلنه

فقال عمر : فإن لم أفعل يكون ماذا ؟

قال : إذا أبا حفص لأذهبنه .

قال : فإذا ذهبت يكون ماذا ؟

قال : يكون عن حالي لتسألنه .

قال عمر : متى ؟

قال :

يوم تكون الأعطيات جنة          والواقف المسئول بينهنه

إما إلى نار وإما جنه

فقال لغلامه : يا غلام أعطه قميصي هذا ، لذلك اليوم ، لا لِشعْرِه ؟

إن عمر يتصدق بقميصه على الأعرابي خوفا من ذلك اليوم، يوم يقوم الناس لرب العالمين.

لا لشعره .. لا إعجابا بشعره ، ولا اهتزازا لمدحه .

ذلك أن عمر يكره المدح ، ويكره المداحين .

وهذا المفهوم الخطير نستنبط منه .. أن الدولة يجب عليها أن تمنح المكافآت لرعاياها على أساس من الصالح العام ، لا على أساس من المحسوبية والأهواء .

فكم من النابغين ، وكم من البارزين في شتى الفنون والعلوم والآداب، ضاعوا؛ لأن الدولة، لم تقدرهم ، بينما انتهب المنافقون، وأهل الرياء تقدير الدولة المادي والأدبي.

ولو أن الدولة صنعت لها مقاييس ربانية ، تقرب بها المخلصين، وتبعد بها المرائين، لتخلصت الدولة من أولئك الذين يثقلون خطاها بنفاقهم والتواءاتهم..

من أجل ذلك كله أعطى عمر ذلك المواطن الأعرابي لله ؛ خشية يوم القيامة ، لا لمدحه أو نفاقه أو ريائه ؟!!

## افتحي .. فأنا أمير المؤمنين !

خرج ذات ليلة يعس بالمدينة ، إذ مر بامرأة من نساء العرب مغلقة عليها بابها ، وهي تقول:

تطاول هذا الليل واخضل جانبه
وأرقني أن لا خليل ألاعبه

ألاعبه طورا وطورًا كأنما
بدا قمرا في ظلمة الليل حاجبه

يسر به من كان يلهو بقربه
لطيف الحشى لا تحتويه أقاربه

فوالله لولا الله لا رب غيره
لحرك من هذا السرير جوانبه

مخافة ربي والحياء يصدني
وأكرم بعلى أن تنال مراكبه

ولكنني أخشى رقيبا موكلا
بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه

ثم تنفست الصعداء ، وقالت : لهان على عمر بن الخطاب وحشتي ، وغيبة زوجي عني.

و عمر واقف يسمع..

فضرب باب الدار ، فقالت : من هذا الذي يأتي إلى امرأة مغيبة هذه الساعة ؟!

فقال : افتحي .

فأبت ، فلما أكثر عليها قالت : أما والله لو بلغ أمير المؤمنين لعاقبك.

فلما رأى عفافها قال : افتحي فأنا أمير المؤمنين .

قالت : كذبت ، ما أنت بأمير المؤمنين .

فرفع بها صوته ، وجهر بها .. فعرفت أنه هو ففتحت له .

فقال : هيه ، كيف قلت ؟

فأعادت عليه ما قالت .

فقال : أين زوجك ؟

قالت : في بعث كذا وكذا .

فبعث إلى عامل ذلك الجند أن سرح فلانًا .

فلما قدم عليه ، قال : اذهب إلى أهلك.

ثم دخل على حفصة ابنته ، فقال : أي بنية ، كم تصبر المرأة عن زوجها ؟

قالت : شهرًا ، واثنين ، وثلاثة، وفي الرابع ينفد الصبر .

فجعل ذلك أجلا للبعث.

وكانت قصة .. أجمل قصة .. وكانت مفاجأة.. أجمل مفاجأة

رئيس الدولة يتجسس ليلا في طرقات المدينة، ويتفقد شئون الشعب بنفسه ، لعله يصادف اعوجاجا ، فيعالجه في الحال.

وسمع عمر حنين المرأة إلى زوجها الغائب .. تبثه في شعر يسيل عذوبة وأنينا.

و كشأنه دائما .. ضرب عليها ، فأبت ، وأبت ، فلما علمت أنه أمير المؤمنين حقا ، فتحت له الباب!

وأعادت عليه الأبيات .. وخرج عمر من فوره، وأرسل إلى قائد الجند ليسرح زوجها ، ويرسله إلى المدينة.

وجاء الزوج الغائب ، فلما دخل على عمر ، أمره أن يذهب إلى زوجته.

وكان لقاء حارًا .. واستمتعت المرأة بزوجها، و استمتع بها.

واستفتى عمر أم المؤمنين حفصة ابنته ، كم تصبر المرأة عن زوجها؟

فأجابت : في الرابع ينفد الصبر .

فأصدر رئيس الدولة الأعظم أوامره الى كل الأقطار إلى كل الجهات ألا يغيب جندي عن زوجته أكثر من أربعة أشهر!

وهكذا عالج عمر مشكلة من أدق المشاكل الاجتماعية.

مشكلة غياب المقاتل عن زوجه في الميدان، وحدد لها أربعة أشهر..

وسبق عمر بذلك العالم الحديث كله ، وحل للدنيا أعقد مشاكلها.

وسبق عالمنا كذلك حين سأل حفصة في أمر لا تعلمه إلا النساء؛ لأنهن اللاتي يعانين التجربة وآلامها.

فلما أخبرته برأيها ، جعله قانونًا عاما في الدولة.

فماذا نستنبط من هذا ؟.. أن الدولة ينبغي أن تجعل للنساء نصيبا في الشورى، وترجع إليهن فيما هو من شئونهن ، وألا يستبد الرجال بإصدار القوانين التي تمس الجنسين ، وإنما يرجعون في ذلك إلى المرأة ؛ لأنها أعلم بشئونها من الرجال .

وعمر بهذا يضع قاعدة خطيرة يسبق بها العالم الحديث .. إن الدولة ملزمة باستشارة النساء في أمور النساء ، وملزمة بالأخذ بآرائهن فيما يخصهن.

إنه يقرر للمرأة حق الشورى ، ويقرر لها حق إلزام الدولة بما أشارت!

وهل تطمع المرأة الحديثة أن تصل في حقوقها السياسية إلى مثل هذا ؟!!

## رسول الله -ﷺ- يأخذ برأي عمر!

قال عمر: يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، أبعثت أبا هريرة .. من لقي يشهد أن لا إله إلا الله . مستيقنا بها قلبه بشره بالجنة ؟

قال : نعم.

قال : فلا تفعل ، فإني أخشى أن يتكل الناس عليها، فخلهم يعملون.

قال رسول الله -ﷺ- : فخلهم !

وكانت عظمة من رسول الله -ﷺ- ، أن أخذ برأي عمر..

وكانت عظمة من عمر أن أنبعث كالصاروخ المنطلق : لا تفعل!

وتتألق عظمة حرية الرأي فيهم إنهم كانوا يتناصحون، ويتعارضون، ويتناقشون؛ ابتغاء وجه الأعلى.

إن رسول الله -ﷺ- بعث أبا هريرة يبشر الناس ، يبشر كل من لقيه من شهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه دخل الجنة.

يريد -ﷺ- بذلك أن يشرح صدور أصحابه لتلك الرسالة ، ويدخل السرور عليهم ، ويملاهم أملا فيما عند الله.

وإنها لنظرة عالية غاية العلو .

بشريات جميلات يسوقها رسول الله -ﷺ- إلى أصحابه جميعا.

إلا أن أبا هريرة حين لقي عمر فبشره بها ،كان جزاؤه أن ضربه عمر فخر لإسته ، وقال له عمر : ارجع .

ورجع أبو هريرة يبكي إلى رسول الله -ﷺ- .

ومنعه عمر من تبليغ البشرى !

جرأة في الرأي إلى أبعد الحدود. وانطلاقة واسعة في المعارضة .

ولم يقف عمر عند هذا الحد أن منع أبا هريرة من إشاعة البشرى بل قال لرسول الله -ﷺ- : لا تفعل !

وأطلقها عمر ، إني أخشى أن يتكل الناس عليها ، فخلهم يعملون.

فأجاب رسول الله -ﷺ- جوابا عظيما : فخلهم!

لماذا أخذ -ﷺ- برأي عمر ؟

لعله تثبيتا لعمر على الحق الذي لا يرى سواه.

لقد كان عمر يرى تغييب القدر عن الجماهير حتى لا يتكلوا ويدعوا العمل.

لأن من الناس من لا يدرك سمو البشري النبوية ، فينحرف بها عن وجهتها ، ويدع العمل تواكلا عليها.

وهذا المفهوم من عمر ، نحن أحوج ما نكون إليه في أيامنا هذه .

نريد أن ننطلق إلى العمل، ونجتهد في العمل ، ونرجو من الله بعد ذلك الأمل.

نريد أن نطرح من أعماقنا تلك الأوهام المترسبة في نفوسنا، أننا داخلون الجنة حتما ما دمنا نشهد أن لا إله إلا الله عملنا ام لم نعمل!

ذلك أن طريق الجنة هو العمل، أما الأماني فإنها مهنة العاجزين والفاشلين الذين لا يحسنون عملا.

ونريد أن نتعلم جميعا الجرأة في الرأي ، والجرأة في الحق لا نخشى في الله لومة لائم.

ينبغي أن تكون هناك معارضة ..

ولكن أي معارضة ؟ لا نريدها معارضة بهلوانية ...

كلا ، بل نريدها معارضة عمرية ، معارضة تنبعث غيرة على الحق ، وتبيينا للحق ، و انتصارا للحق.

لقد كان عمر ينبعث ..لا ليناور أو يداور ، ولكن ليبين حقا يراه.

وهذه هي المعارضة البناءة التي يريدها الإسلام .

أما المعارضة لمجرد المعارضة أو المناورات الحزبية.. فذلك أمر لا يقره عمر ولا يراه !!!

## آخر أمل!

قال عمر : لئن سلمني الله ، لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبدا.

فما أتت عليه إلا رابعة حتى أصيب.

وكان هذا هو آخر أمل للرجل في حياته .. لئن سلمه الله ، لئن عاش بعد عامه هذا، لاتخذ سياسة في الدولة تجعل أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعده أبدا . ليضعن من النظم ، ما يضمن لكل زوجة مات زوجها أن يصل اليها معاشها دون أن تسعى إلى طلبه بحيث لا تحتاج إلى رجل بعده أبدا !

لقد كان الرجل يفكر في رفاهية شعبه ، وكان يتمنى أن يصل بالشعب إلى أعلى مستوى تتمنى الشعوب أن تصل إليه.

مستوى يضمن وصول المعاشات إلى الأرامل واليتامي والمحتاجين، دون سعي منهم للحصول عليها.

ولكن لم يمض على أمنيته تلك إلا أربعة أيام حتى أصيب الرجل واغتاله صعلوك لا يساوي شيئا !!!

# من شعارات عمر الخالدة!

لست أدع أحدا يظلم أحد ، أو يتعدى عليه حتى أضع خده على الأرض ، وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن بالحق.

وإني بعد شدتي تلك ، أضع خدي على الأرض ، لأهل العفاف ، وأهل الكفاف.

---

إذا غبتم في البعوث ( الحروب ) فأنا أبو العيال.

---

الناس شريفهم ووضيعهم في دين الله سواء.

---

كيف يعنيني شأن الرعية ، إذا لم يمسني ما يمسهم ؟!

---

لو لم أجد للناس ما يسعهم ، إلا أن أدخل على أهل كل بيت عدتهم (مثل عددهم). فيقاسموهم أنصاف بطونهم حتى يأتي الله بالحما (المطر) فعلت ، فإنهم لن يهلكوا على أنصاف بطونهم.

---

اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار.

فإني إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم ، وسنة نبيهم ، ويعدلوا عليهم، ويقسموا فيئهم بينهم، ويرفعوا إلى ما أشكل من أمرهم.

وددت أني خرجت منها كفافًا ، لا علي ولا لي.

---

إن رأيي تبع لكتاب الله تعالى ، والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل، فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة .

---

كان يفرض للمولود مئة درهم ، فإذا ترعرع بلغ به مائتي درهم ، فإذا بلغ زاده.

---

كان إذا أتى باللقيط فرض له مائة درهم ، وفرض له رزقًا يأخذه وليه كل شهر بما يصلحه ثم ينقله من سنة إلى سنة ، وكان يوصي بهم خيرا ، ويجعل رضاعهم ونفقتهم من بيت المال.

---

ما أحد إلا وله في هذا المال حق، ما أحد أحق به من أحد.

---

والله لئن بقيت ، ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال ، وهو مكانه قبل أن يحمر وجهه ( أي في طلبه ).

أهذا كله لك دون الناس ؟!

---

إن أهم أمركم عندي الصلاة ، فمن حفظها، وحافظ عليها، حفظ دينه و من ضيعها فهو لما سواها أضيع.

---

مر عمر على مزبلة ، فاحتبس عندها ، فكأن أصحابه تأذوا بها ، فقال : هذه دنياكم التي تحرصون عليها.

---

روي عن عمر أنه أتي بغلام قد سرق من سيده ، فلم يقطعه (لأنه سرق للحاجة)

---

لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقني ، فان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، و لكن الله يرزق الناس بعضهم من بعض.

---

لوددت أن أنجو كفافًا، لا لي ولا علي ، وإني لأرجو إن عمرت فيكم يسيرًا أو كثيرًا أن أعمل بالحق فيكم ، وأن لا يبقى أحد من المسلمين ، وإن كان في بيته ، إلا أتاه حقه ونصيبه من مال الله.

---

قليل في رفق ، خير من كثير في عنف .

---

إن هذا الحق ثقيل ، و إن الباطل خفيف.

---

ما وجدت صلاح ما ولاني الله إلا بثلاث: أداء الأمانة، والأخذ بالقوة والحكم بما أنزل الله.

---

ألا وإني ما وجدت صلاح هذا المال إلا بثلاث : أن يؤخذ من حق ويعطى في حق ، ويمنع من باطل.

---

إنما أنا في مالكم هذا كوالي اليتيم، إن استغنيت استعففت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف.

---

الزهد أخذ الحق من كل أحد قبله حق ، وتأدية الحق الى كل أحد له حق.

لا أدع حاجة إلا سددتها ما اتسع بعضنا البعض ، فإذا عجز ذلك عنا تآسينا (تساوينا) في عيشنا، حتى نستوي في الكفاف.

أترك الأرضين والأنهار لعمالها ؛ ليكون ذلك في أعطيات المسلمين ، فإنك إن قسمتها بين من حضر، لم يكن لمن بعدهم شيء.

---

كتب إلى سعد بن أبي وقاص :

افتح بابك، وباشر أمرهم بنفسك فإنما أنت رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملا.

---

إن أشقى الناس من شقيت به رعيته !

وكتب لعمرو بن العاص :

كن لرعيتك كما تحب أن يكون لك أميرك.

والله يا عمرو لقد ابتليت بولاية الأمة ، والله إني أخشي لو مات جمل ، بأقصى عملك ضياعًا (إهمالاً) أن أسأل عنه.

---

وأوصى الخليفة بعده :

أوصيك بالعدل في الرعية ، ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم.

اجعل الناس عندك سواء ، لا تبالي على من وجب الحق ثم لا تأخذك في الله لومة لائم.

...ولا تجعل المال دولة بين الأغنياء منهم .

...ولا تغلق بابك دونهم ، فيأكل قويهم ضعيفهم.

---

لما حضرته الوفاة قال لابنه : فإذا قبضت فأغمضني ، واقصدوا في كفني ، وأقصدوا في حفرتي.

---

القوة في العمل ، أن لا تؤخر عمل اليوم لغد .

---

المتوكل الذي يلقي حبة في الأرض ، ويتوكل على الله.

---

من استعمل رجلا لمودة ، أو قرابة، لا يحمله على استعماله إلا ذلك ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين.

إن هذا الأمر لا يصلح له إلا اللين في غير ضعف ، والقوي في غير عنف .

ليس خيركم من عمل للآخرة وترك الدنيا ، أو عمل للدنيا وترك الآخرة، ولكن خيركم من أخذ من هذه ومن هذه.

---

..وإنما الحرج في الرغبة فيما تجاوز قدر الحاجة ، وزاد على حد الكفاية..

---

ليس من عبد إلا بينه وبين رزقه حجاب ، فإن اقتصد أتاه رزقه ، وإن اقتحم هتك الحجاب ، ولم يزد في رزقه .

---

اللهم لا تكثر لي من الدنيا فأطغى ، ولا تقلل لي منها فأنسى ، فإنه ما قل وكفى ، خير مما كثر وألهى.

---

إن الله يحب القصد والتقدير ، ويكره السرف والتبذير.

يا معشر الفقراء، ارفعوا رءوسكم ، فقد وضح الطريق ، فاستبقوا الخيرات . ولا تكونوا عيالا ( حملا ) على المسلمين.

---

من دخل على الملوك ، خرج وهو ساخط على الله .

الدخول على الأغنياء فتنة للفقراء .

---

كنا نعد المقرض بخيلاً، إنما كانت المواساة.

---

لو شئت لكنت أطيبكم طعاما، ولكني سمعت الله جل ثناؤه ، عير قوما بأمر فعلوه فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف ٢٠].

---

أحلوًا وحامضًا ، وحارًا وباردًا ، ثم قذفًا في البطون ؟!

---

أكل تمرًا ، وشرب ماء ، ثم مسح بطنه ثم قال : ويح لمن أدخله بطنه النار.

---

وكتب لأحد قواده:

ليس من كدك ولا كد أمك ، أشبع المسلمين مما تشبع منه في رحلك ( بيتك ).

---

يا عبد الله بن عمر ، خذ رأسمالك ، واجعل الربح في بيت مال المسلمين.

لقد هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء (ذهب ولا فضة) إلا قسمته بين المسلمين.

---

إنكم كنتم أذل الناس ، وأحقر الناس ، وأقل الناس ، فأعزكم الله بالإسلام ، فمهما تطلبوا العزة بغيره يذلكم الله.

---

أريد رجلا إذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم، وإذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم.

---

لا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم.

---

أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها .

---

أجلها على صلعة عمرو، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه.

---

متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا ؟.

---

إن الله ليعلم ما آخذ إلا حصتي ، ولا آكل إلا وجبتي ، ولا ألبس إلا حلتي.

---

الحمد لله الذي جعل لي أصحابًا يقوموني إذا اعوججت.

## فهرس


| | الصفحة |
|---|---|
| إهداء | ٤ |
| **بين يدي ... إنسانيات عمر** | ٥ |
| مقدمة | ٨ |
| **ذلكم.. هـو.. عُـمـر ؟!** | ١٠ |
| بعد كم شخص أسلم ؟! | ١١ |
| الفاروق؟! | ١١ |
| إن الشيطان يفرّ من عمر ! | ١١ |
| بشارة النبي -ﷺ- عمر بالجنة ! | ١١ |
| قول النبي -ﷺ- يا أخي لعمر ! | ١٢ |
| عمر سراج أهل الجنة ؟! | ١٢ |
| إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه ! | ١٢ |
| الحق بعد رسول الله -ﷺ- مع عمر ! | ١٢ |
| أشد أمتي في أمر الله عمر ! | ١٢ |
| إن الله يغضب إذا غضب عمر ! | ١٢ |
| إذا كان بعدي نبيّ لكان عمر ! | ١٢ |
| جبريل -عليه السلام- يتحدث عن فضائل عمر ! | ١٢ |
| فلم أر عبقريًا يفري فرْي عمر ! | ١٢ |
| فضل أبي بكر وعمر ! | ١٣ |
| سيدًا كهول أهل الجنة ! | ١٣ |
| وزيران من أهل الأرض ؟! | ١٣ |

الصفحة


| | |
|---|---|
| هكذا نُبعث ! | ١٣ |
| أتْعَبا من بعدهما ! | ١٣ |
| حبّ أبي بكر وعمر سُنّة ! | ١٤ |
| كمنزلتهما اليوم ! | ١٤ |
| أبو بكر ثم عمر ! | ١٤ |
| أول قاضٍ في الإسلام ! | ١٤ |
| لو علمت أن أحدًا .. أقوى منيّ ! | ١٤ |
| زُهد عمر ! | ١٤ |
| تواضعه ! | ١٥ |
| خوفه من الله -عَجَّلَ-! | ١٥ |
| في ذكر بكائه ! | ١٥ |
| تعبده واجتهاده ! | ١٥ |
| كتمانه التعبد وسره ! | ١٦ |
| من دعائه ومناجاته! | ١٦ |
| ومن خصائص عمر... التي لم يسبق إليها! | ١٦ |
| أوّل مَن فتح الفتوح ! | ١٦ |
| ومصر والإسكندرية! | ١٦ |
| أوّل من وضع الخراج ! | ١٧ |
| كم بلغ خراج السواد على عهده ! | ١٧ |
| أوّل من مصر الأمصار ! | ١٧ |
| أوّل من دوّن الدواوين ! | ١٧ |
| أول من فرض للمسلمين على أقدارهم! | ١٧ |

الصفحة


أول من حمل الطعام في البحر! ١٧

أول من صادر نصّف مال نائبه إذا عزله! ١٧

تركه السواد غير مقسوم ووضعه الخراج عليه! ١٨

اترك الأرضين والأنهار لعمالها! ١٨

**صاحب رسول الله** ١٩

من الشعب! ٢٠

شخصيته! ٢٠

فارس! ٢٠

شباب! ٢١

ساعة الصفر! ٢١

الفاروق! ٢٤

يتحدى الجميع وحده! ٢٤

لو أمَّرْتَ عمر! ٢٥

**وزير أبي بكر** ٢٧

حزم ! ٢٨

إنه قد حدث أمر ! ٢٨

إذا يقتلك الله ! ٢٨

هذا عمر ! ٢٩

القضية العظمى ! ٣٠

عمر يرى معاقبة خالد ! ٣١

إني أرى أن تجمع القرآن ! ٣٢

الصفحة


| | |
|---|---|
| ويرى فتح الشام ! | ٣٢ |
| عمر يصيح بالجماهير! | ٣٣ |
| الشعب يختار عمر! | ٣٤ |
| معارضة! | ٣٤ |
| قرار خطير! | ٣٥ |
| فإنه عمر! | ٣٦ |
| **أمير المؤمنين** | ٣٧ |
| اللهم إني غليظ! | ٣٨ |
| تهديد باستعمال القوة! | ٣٨ |
| الحق المسلح! | ٣٩ |
| رفع مستوى المعيشة! | ٤١ |
| الدفاع عن الدولة! | ٤١ |
| رجل تربية وسياسة! | ٤١ |
| عزل القائد العام للقوات المسلحة! | ٤٢ |
| أمير المؤمنين! | ٤٣ |
| إعادة فتح العراق! | ٤٣ |
| أأكرمتم الجند بمثله؟ | ٤٤ |
| المسيحيون والمسلمون صفا واحدا! | ٤٤ |
| فتح دمشق! | ٤٥ |
| الإنجيل والقرآن في معبد واحد! | ٤٦ |
| إبادة ٨٠٠٠٠ ! | ٤٧ |

الصفحة


| | |
|---|---|
| القادسية ! | ٤٧ |
| الاستعداد للمعركة ! | ٤٨ |
| المعركة ! | ٤٨ |
| المرأة في خط النار! | ٤٩ |
| فتح عاصمة كسرى ! | ٤٩ |
| جيش يسير على الماء! | ٥٠ |
| في إيوان كسرى ! | ٥٠ |
| ٣,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ دينار ! | ٥٠ |
| القعقاع يفتح جلولاء! | ٥٢ |
| كتيبة من النساء ! | ٥٢ |
| سياسة عمر في العراق! | ٥٣ |
| مصادرة أموال آل كسرى ! | ٥٣ |
| حبس الأراضي ! | ٥٣ |
| الأموال تتدفق ! | ٥٤ |
| فرار امبراطور الرومان! | ٥٥ |
| ١٠٠٠٠٠ قتيل من الرومان! | ٥٥ |
| سقوط بيت المقدس ! | ٥٦ |
| عمر يدخل بيت المقدس ! | ٥٦ |
| عمر يعمل كنّاسًا ! | ٥٧ |
| محاكمة خالد ! | ٥٧ |
| سياسة عمر بالشام | ٥٨ |

الصفحة


**المجاعة!** ٥٩

ماذا صنع عمر ! ٦٠

أول مبدأ خطير ! ٦١

عمر يسود وجهه ! ٦١

ياغوثاه ! . . ياغوثاه !! ٦١

القرى قبل العواصم! ٦٢

الدولة ملزمة بإطعام الجميع! ٦٢

إحصائيات وبطاقات! ٦٢

أخطر مبادئ العدل! ٦٣

الأمة كلها تلتجئ إلى الله! ٦٤

ادعوني أستجب لكم! ٦٤

وقف تحصيل الزكاة! ٦٥

الطاعون! ٦٥

فراراً من قدر الله إلى قدر الله! ٦٥

أمات أبو عبيدة! ٦٦

مات الرجل الثاني ! ٦٦

رحلة تفتيشية ! ٦٧

بلال يؤذن للصلاة! ٦٧

**تصفية الامبراطورية الفارسية!** ٦٩

معركة نهاوند! ٧٠

٣٠٠٠٠ يقاتلون ١٥٠٠٠٠ ! ٧٠

الصفحة


| | |
|---|---|
| واستشهد القائد العظيم! | ٧٠ |
| تصفية الامبراطورية! | ٧١ |
| مهزلة كسرى! | ٧١ |
| عمر يعلن هلاك كسرى! | ٧٢ |
| الشعب يفتك بكسرى! | ٧٢ |
| كيف حكم الإسلام الإمبراطورية الفارسية! | ٧٣ |
| **فتح مصر!** | ٧٥ |
| كيف كان الفتح؟! | ٧٦ |
| معركة بلبيس! | ٧٦ |
| سقوط أم دنين ؟! | ٧٧ |
| إبادة ورعب؟! | ٧٨ |
| معركة عين شمس! | ٧٨ |
| عِزّة! | ٧٩ |
| حصار حصن بابليون! | ٨٠ |
| فتح الاسكندرية ! | ٨٠ |
| اقتحموا ! | ٨١ |
| الانطلاق إلى برقة! | ٨٢ |
| ثم إلى طرابلس! | ٨٢ |
| إلى الأطلنطي! | ٨٢ |
| حرية العقيدة! | ٨٣ |
| والمساواة! | ٨٣ |

الصفحة


| | |
|---|---|
| العاصمة الجديدة! | ٨٣ |
| فكسره عمرو . . وأزاله! | ٨٤ |
| نموذج للمجتمع الإسلامي! | ٨٤ |
| فليأت البطريك آمنًا! | ٨٥ |
| المصريون يتدفقون على الإسلام! | ٨٥ |
| سياسة عمر العليا في مصر! | ٨٦ |
| عُمر يأمر باستشارة البطريك! | ٨٧ |
| خليج أمير المؤمنين! | ٨٧ |
| معسكرات العمل! | ٨٨ |
| عمرو يشق قناة السويس! | ٨٨ |
| عقلية فعالة متطورة! | ٨٩ |
| مصر شجرة خضراء! | ٩٠ |
| **اغتيال عمر !** | ٩١ |
| اللهم أرزقني الشهادة ! | ٩٢ |
| تهديد؟! | ٩٢ |
| كيف وقع الحادث؟! | ٩٣ |
| قرار القومسيون الطبي! | ٩٤ |
| ما أخاف إلا إمارتكم هذه! | ٩٤ |
| يموت مدينا وكنوز الأرض في يده! | ٩٥ |
| عبدٌ يصلي بالناس! | ٩٦ |
| إن كان شقاق فهو فيكم! | ٩٦ |

الصفحة


| | |
|---|---|
| ليتني لم أخلق! | ٩٧ |
| ضع خدّي بالأرض! | ٩٧ |
| أدخل بسلام! | ٩٨ |
| **رجل الدولة الأعظم !** | ٩٩ |
| سياسة عمر سياسة الإسلام ! | ١٠٠ |
| جائزة الدولة التقديرية ! | ١٠٢ |
| لا نورث . . ما تركناه صدقة ! | ١٠٤ |
| أخطر مبدأ عدالة! | ١٠٦ |
| عمر يحبس الأراضي الزراعية.. ويرفض توزيعها على الفاتحين ! | ١٠٩ |
| الدولة تسترد أملاكها! | ١٠٩ |
| لكل مواطن ما يكفيه ! | ١١٠ |
| قضية خطيرة جدًّا! | ١١٠ |
| بيان هام من رئيس الدولة الأعظم! | ١١٢ |
| ماذا كان رأي الشعب! | ١١٣ |
| حبس أراضي الشام! | ١١٦ |
| قواعد عامة خطيرة ! | ١١٧ |
| صاروخ الشورى . . . والحرية! | ١١٨ |
| كلمة الله هي العليا ! | ١١٩ |
| عمر يبتكر مذهبه من القرآن ! | ١٢٢ |
| عمر يطبق حبس الأراضي في مصر! | ١٢٣ |
| اتجاه عمر أبعد من التأميم المعاصر! | ١٢٤ |

الصفحة

| | |
|---|---|
| الجماهير الكادحة أحقّ بالخدمات العامة ! | ١٢٥ |
| سياسة حبس الأراضي التي تؤدى إلى رفاهية الشعب! | ١٢٧ |
| عمر يسبق عصر الذرَّة! | ١٢٧ |
| عمر يتطور ويأخذ بنظام الرومان! | ١٣٢ |
| العمل على أساس الشرف! | ١٣٣ |
| عمر يرجع إلى رأي أبي بكر! | ١٣٥ |
| الحد الأدنى للأجور ! | ١٣٦ |
| مساواة النساء بالرجال في الأجور! | ١٣٨ |
| عمر يسبق جميع النظم الحديثة! | ١٣٨ |
| حتى المواليد غير الشرعيين ... سعداء!! | ١٣٩ |
| الكفاية! | ١٤٠ |
| الرجال والنساء والعبيد سواء! | ١٤١ |
| رئيس الدولة الأعظم يحمل بنفسه المال إلى مستحقيه! | ١٤١ |
| ما أحدٌ إلا وله في هذ المال حق... ما أحدٌ أحقٌّ به من أحدٍ !! | ١٤٣ |
| ما أحد إلا وله في هذا المال حق! | ١٤٤ |
| وما أحدٌ أحقٌّ به من أحد! | ١٤٤ |
| وما أنا فيه إلا كأحَدِكم! | ١٤٥ |
| قضية التفضيل! | ١٤٦ |
| الرجل وحاجته! | ١٤٧ |
| ليأتين الراعي بصنعاء حظه من هذا المال! | ١٤٧ |
| الشعب السعيد! | ١٤٨ |
| هذه هي المرأة في مجتمع عمر! | ١٥١ |

الصفحة


| | |
|---|---|
| حقيقة موضوع الجزية! | ١٥٣ |
| اسمعي يا دنيا... عمر يفرض ليهودي في بيت المال | ١٥٦ |
| لا جزية إذا اشترك المواطن في الدفاع عن الوطن ! | ١٥٧ |
| من أحيا أرضا فهي له! | ١٥٩ |
| عمر يرفض الاقطاع! | ١٦٠ |
| أهذا كله لك دون الناس! | ١٦١ |
| حرية التجارة! | ١٦٣ |
| عبقرية العدل! | ١٦٦ |
| تعديل التعريفة الجمركية! | ١٦٩ |
| إسقاط الضرائب عن المدينين! | ١٧٠ |
| أفضل الأعمال .. إطعام الشعب الجائع! | ١٧١ |
| عمر يعين عبدًا أميرًا على مكة! | ١٧٤ |
| نموذج للحاكم في عهد عمر! | ١٧٥ |
| شر أيامي أيام عمر! | ١٨١ |
| ما وراء المعقول! | ١٨٢ |
| أو فقير هو ! | ١٨٧ |
| مساواة رجل الشارع برئيس الدولة في الملابس! | ١٨٩ |
| رجال الطليعة أولا! | ١٩١ |
| أبعد آماد التقدمية؟! | ١٩٢ |
| العلاج مجانا للجميع! | ١٩٤ |
| تحرير الأفراد والشعوب! | ١٩٥ |
| أمر عام إلى نواب الرئيس! | ١٩٧ |

الصفحة


| | |
|---|---|
| إلغاء الطبقات! | ١٩٨ |
| حقوق الانسان الثلاثة! | ١٩٩ |
| رجل شعبي ! | ٢٠١ |
| استاذ في فن التجميل! | ٢٠١ |
| اقتص مني! | ٢٠٣ |
| رئيس الدولة الأعظم يغني! | ٢٠٤ |
| عمر ينظم للنساء ملابس الخروج! | ٢٠٥ |
| الفتيات العربيات أولى! | ٢٠٧ |
| عظِّموا القرآن! | ٢٠٨ |
| أين أخي ؟! | ٢٠٩ |
| هذه دنياكم! | ٢١١ |
| أخطر مبدأ! | ٢١٢ |
| عمر يضع للأمّة تاريخها! | ٢١٣ |
| دعوة إلى العمل ! | ٢١٤ |
| عمر يخطط للتربية والتعليم! | ٢١٥ |
| لكل انسان حق في مال الله! | ٢١٧ |
| مهمة الدولة في المال! | ٢١٩ |
| الحق ثقيل .. والباطل خفيف ! | ٢١٩ |
| أمة قاهرة ! | ٢٢٠ |
| الشكر ... يزيد الإنتاج! | ٢٢٢ |
| صلاح الحكم في ثلاث ! | ٢٢٣ |
| صلاح المال في ثلاث ! | ٢٢٤ |

الصفحة


| | |
|---|---|
| إنما أنا كوالي اليتيم ! | ٢٢٦ |
| مفتاح العدل ! | ٢٢٦ |
| كيف الكفاية عند عمر؟! | ٢٢٩ |
| رئيس الدولة يوجه قادتها! | ٢٣٠ |
| المهمة الأولى للدولة ! | ٢٣١ |
| إياكم والبطنة! | ٢٣٣ |
| كيف ننتصر ؟! | ٢٣٤ |
| عمر يبتكر نظام العطلة الأسبوعية! | ٢٣٦ |
| عمر يرفض توزيع مصادر الانتاج! | ٢٣٧ |
| افتح بابك! | ٢٣٨ |
| فإذا جلست فكن كسائر الناس! | ٢٤١ |
| ماهية رئيس الدولة الأعظم! | ٢٤٢ |
| لقد ابتليت بولاية الأُمّة! | ٢٤٣ |
| عُمر يصادر أموال رئيس جمهورية مصر! | ٢٤٤ |
| أمير المؤمنين يضع منهج التربية! | ٢٤٦ |
| السياسة العليا! | ٢٤٨ |
| التوجيه العام! | ٢٥٢ |
| كيف نربي الشباب؟! | ٢٥٣ |
| الاقتصاد حتى في الموت ! | ٢٥٥ |
| عمر يخطط للثقافة والإرشاد والاعلام! | ٢٥٥ |
| رجل بألف رجل! | ٢٥٦ |
| القوة في العمل! | ٢٥٧ |

الصفحة


| | |
|---|---|
| مَن هو المتوكل! | ٢٥٨ |
| عمر يحطم التقاليد الفاسدة! | ٢٦١ |
| عمر يدعو إلى الاحتراف والتخصص! | ٢٦١ |
| عمر يأمر بالتعريب ! | ٢٦٢ |
| من أصلح الناس للسياسة؟ | ٢٦٤ |
| تحريم تعيين الأقارب والأصدقاء بغير حق! | ٢٦٦ |
| إنما يأسف على الحب النساء ! | ٢٦٨ |
| فلسفة عمر ... بقلم عمر ! | ٢٧١ |
| الحرج فيما تجاوز قدر الحاجة ! | ٢٧٣ |
| الانسان ورزقه ! | ٢٧٦ |
| ما قل وكفى | ٢٧٨ |
| الله يحب القصد والتقدير | ٢٧٩ |
| يا معشر الفقراء ارفعوا رؤوسكم ! | ٢٨١ |
| عدو الطغاة رقم ( ١ ) | ٢٨١ |
| ماذا نفيد من التجربة ؟! | ٢٨٥ |
| رأي عمر في مشكلة تزايد السكان! | ٢٨٨ |
| مال الجميع للجميع ! | ٢٨٩ |
| الاقتصاد الموجه | ٢٩٠ |
| تحريم المباني الفاخرة! | ٢٩١ |
| طعام رئيس الدولة الأعظم ... خبز وزيت ! | ٢٩٢ |
| صنف واحد فقط ! | ٢٩٣ |
| كان يستطيع إلا أنه أبى ! | ٢٩٥ |

الصفحة


| | |
|---|---|
| حتى رجل الشارع يرفض طعام عمر !! | ٢٩٥ |
| لا أعود لمثلها أبدًا ! | ٢٩٧ |
| والله لا يذوق عمر ذلك ! | ٢٩٨ |
| وفد من العراق ! | ٢٩٩ |
| هذا هو طعام عملاق الحق والحقيقة! | ٣٠٠ |
| أكُل المسلمين يشبعون مِن هذا ! | ٣٠٢ |
| يرى أن يأكل رئيس الدولة من عمل يديه ! | ٣٠٣ |
| ملابس رئيس الدولة الأعظم! | ٣٠٤ |
| يحرم على نفسه أموال الشعب ! | ٣٠٥ |
| عمر يضحك من نفسه ! | ٣٠٦ |
| عندما لاحت صلعة عمر للشمس ! | ٣٠٧ |
| رئيس الدولة الأعظم يركب حمارًا خلف غلام! | ٣٠٩ |
| رجل لا ينام ! | ٣١٠ |
| عمر يضاعف العقوبة لأهل بيته ! | ٣١٢ |
| تحريم الهدايا على أسرة رئيس الدولة ! | ٣١٤ |
| عمر يصادر أموال أولاده ! | ٣١٦ |
| عمر يقرر مبدأ تكافؤ الفرص! | ٣١٩ |
| مصادرة أموال زوجة رئيس الدولة الأعظم! | ٣٢٠ |
| القناطير المقنطرة من الذهب والفضة تحت قدميه! | ٣٢١ |
| إنما أنت لعبة ! | ٣٢٣ |
| حق أقربائي في مالي! | ٣٢٥ |
| ما هذه الريح ؟! | ٣٢٦ |

الصفحة

| | |
|---|---|
| من يعرف هذه منكم ؟! | ٣٢٨ |
| هذا المال لا يحل لي إلا بحقه ! | ٣٢٩ |
| الفقراء أحق من الأغنياء بتقدير الدولة ! | ٣٣١ |
| الدرهم الذي هَزَّ عمر ! | ٣٣٢ |
| عمر يصادر أموال ابنه ! | ٣٣٣ |
| إني أخاف عليك الزنا ! | ٣٣٦ |
| إن لك أسوة في عمر ! | ٣٣٧ |
| من هو الملك الخائن ! | ٣٣٧ |
| لقد أتعبتَ مَن بعدك ! | ٣٣٨ |
| عندما بكى عمر ! | ٣٣٩ |
| عمر يفكر في مصادرة الأموال ليعيد توزيعها على الشعب ثم يتراجع | ٣٤٠ |
| رسول الله يعلم عمر سياسة المال ! | ٣٤٢ |
| عمر يقر رأس المال المناسب ! | ٣٤٢ |
| كيف عالج مشكلة اختلاط الجنسين ؟! | ٣٤٣ |
| لقد صنعت اليوم صنيعا عظيما !!! | ٣٤٥ |
| عندما يلتقي العظماء ! | ٣٤٧ |
| ضع رجليك على عنقي ! | ٣٤٩ |
| حقوق رئيس الدولة في الخزانة العامة! | ٣٥٠ |
| عمر يحدد مرتبه بنفسه | ٣٥١ |
| واعمراه! | ٣٥٣ |
| تَقَرْقَرْ .. أيها البطن ؟ | ٣٥٦ |
| لماذا يختلف الناس؟ | ٣٥٧ |

الصفحة


| | |
|---|---|
| مع الشعب ساعة بساعة! | ٣٦٢ |
| ما قرب عمر امرأة ! | ٣٦٣ |
| عمر يخطط المدن على أحدث النظم ! | ٣٦٤ |
| عبقرية اختيار الرجال للمناصب! | ٣٦٥ |
| إذا لم يرحم أولاده كيف يرحم الشعب! | ٣٦٧ |
| أنت القوي الفاجر .. فأخرج اليهم؟! | ٣٦٨ |
| قواعد العزل السياسي عند عمر ! | ٣٦٩ |
| ما هي مهمة الحاكم ! | ٣٧٢ |
| إني لم أبعثكم جبابرة ! | ٣٧٣ |
| مؤتمر عام ! | ٣٧٣ |
| أروع قضية جماهيرية ! | ٣٧٥ |
| حقوق الانسان... أو لا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم! | ٣٧٦ |
| أتضربه مئة سوط ؟! | ٣٧٧ |
| مخابرات عمر ! | ٣٧٨ |
| سَوِّ بين الناس ! | ٣٨٠ |
| أنا ظلمته ! | ٣٨٢ |
| الرقابة الإدارية ! | ٣٨٢ |
| فليأكل الشعب أولا .. يا أبا موسى ! | ٣٨٣ |
| عمر يقرر المهايا ! | ٣٨٤ |
| لماذا لم يستعمل عمر أهل البيت ؟! | ٣٨٥ |
| من أين هي لك ؟! | ٣٨٨ |
| أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها ! | ٣٨٩ |

الصفحة


هكذا بعثناك ! ٣٩٠

جلد رئيس الجمهورية! ٣٩٣

أين المصري ؟! ٣٩٤

ولكم في القصاص حياة ! ٣٩٦

متى تعبدتم الناس ؟!! ٣٩٩

مواطن عادي يجلد رئيس الجمهورية !! ٤٠١

كيف تراني ؟! ٤٠٤

الدولة تطارد رئيس الدولة ! ٤٠٦

هذا هو الرجل الذي قهر العالم ٤٠٧

إذا زغت زاغوا ! ٤٠٨

المرأة توجه رئيس الدولة !! ٤٠٩

يمنع اختزان مواد التموين ! ٤١١

اقطعوا هذه الشجرة ! ٤١٢

قوموني إذا اعوججت ! ٤١٣

عندما يغضب عمر ! ٤١٤

رئيس الدولة الاعظم يعمل خادمًا لامرأة ! ٤١٤

عمر يعلن مجانية العلاج ! ٤١٥

يا بؤسا لعمر ! ٤١٦

يجب على الحاكم ما يجب على العبد لسيده ! ٤١٧

ما بال هذا الرجل يأتيك ! ٤٢٠

الله بيننا وبين عمر! ٤٢٣

المواليد السعداء ! ٤٢٥

الصفحة

رئيس الدولة يشرف على توزيع التموين بنفسه ! ٤٢٧

هلك زوجي و ترك صغارا ! ٤٢٧

تكريم أبناء الشهداء ! ٤٢٨

أعطه قميصي هذا ! ٤٢٩

افتحي .. فأنا أمير المؤمنين ! ٤٣٠

رسول الله ﷺ يأخذ برأي عمر! ٤٣٢

آخر أمل ! ٤٣٤

من شعارات عمر الخالدة! ٤٣٥

فهرس ٤٤١

سبحانك اللهم وبحمدك

اشهد ان لا إله إلا أنت

أستغفرك وأتوب إليك

تم

## قائمة مؤلفات الكاتب محمود شلبي

- **القرآن الكريم**

| | | |
|---|---|---|
| ١ | الجزء( ١ و ٢ ) من تفسير القران العظيم | دار الفكر. عمان |
| ٢ | عجائب بسم الله الرحمن الرحيم | المكتبة العصرية |
| ٣ | تفسير الفاتحة | دار المعرفة |
| ٤ | تفسير آية الكرسي | دار المعرفة |
| ٥ | تفسير جزء عم | دار المعرفة |
| ٦ | إشعاعات كلام الله ( ١ - ٢) | المكتبة العصرية |
| ٧ | ولقد نادانا (دعاء القرأن) | المكتبة العصرية |
| ٨ | أيات سجود القرآن | دار الجيل . لبنان |

- **محمد صلى الله عليه وسلم**

| | | |
|---|---|---|
| ٩ | حياة رسول الله(صلى الله عليه وسلم) | دار الجيل . لبنان |
| ١٠ | حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فرنسي | دار الجيل . لبنان |
| ١١ | شخصية محمد (١) | الدار التونسية |
| ١٢ | شخصية محمد (محمد وتنظيم الحياة ٢) | الدار التونسية |
| ١٣ | شخصية محمد(محمد وتحرير الإنسان ٣ ) | الدار التونسية |
| ١٤ | شخصية محمد(محمد والجهاد ٤ ) | الدار التونسية |
| ١٥ | شخصية محمد(محمد ومكارم الأخلاق ٥ ) | الدار التونسية |

| | | |
|---|---|---|
| ١٦ | شخصية محمد(محمد المصلح الرحيم ٦ ) | الدار التونسية |
| ١٧ | شخصية محمد(محمد معالج الروح والجسد ٧ ) | الدار التونسية |
| ١٨ | شخصية محمد(محمد معدن الإيمان ٨ ) | الدار التونسية |
| ١٩ | شخصية محمد(محمد المربي الأمين ٩ ) | الدار التونسية |
| ٢٠ | شخصية محمد( محمد سيد الناس ١٠ ) | الدار التونسية |
| ٢١ | شخصية رسول الله (١-٤ أجزاء) | دار الجيل . لبنان |
| ٢٢ | صلاة رسول الله | مكتبة الآداب |
| ٢٣ | صيام رسول الله(صلى الله عليه و سلم) | مكتبة الآداب/ دار المعرفة |
| ٢٤ | دعاء رسول الله | مكتبة الآداب |
| ٢٥ | صوت النبي (١) | المكتبة العصرية |
| ٢٦ | نبي الحياة | مكتبة عز الدين |
| ٢٧ | محمد ... حق | المكتبة العصرية |
| ٢٨ | من دعاء رسول الله | (مكتبة القاهرة)على يوسف سليمان |

- **من سير الانبياء**

| | | |
|---|---|---|
| ٢٩ | حياة آدم | دار الجيل . لبنان |
| ٣٠ | حياة نوح | دار الجيل . لبنان |
| ٣١ | حياة إبراهيم | دار الجيل . لبنان |
| ٣٢ | حياة موسى | دار الجيل . لبنان |
| ٣٣ | حياة المسيح | دار الجيل . لبنان |
| ٣٤ | حياة إسماعيل | دار الجيل . لبنان |

| | | |
|---|---|---|
| ٣٥ | حياة يوسف | دار الجيل . لبنان |
| ٣٦ | حياة داود | دار الجيل . لبنان |
| ٣٧ | حياة سليمان | دار الجيل . لبنان |
| ٣٨ | حياة أيوب | دار الجيل . لبنان |
| ٣٩ | حياة يحيى | دار الجيل . لبنان |
| ٤٠ | حياة يونس | دار الجيل . لبنان |

- **من سير شخصيات ذكرت فى القران**

| | | |
|---|---|---|
| ٤١ | حياة مريم | دار الجيل . لبنان |
| ٤٢ | حياة آسية امرأة فرعون | دار الجيل . لبنان |
| ٤٣ | حياة الخضر | دار الجيل . لبنان |
| ٤٤ | حياة أصحاب الكهف | دار الجيل . لبنان |
| ٤٥ | حياة أهل الجنة | دار الجيل . لبنان |
| | إصدار سابق للكتاب (معجزة القرآن في جنة الرضوان) | مكتبة الآداب |
| | إصدار سابق للكتاب (الحياة في الجنة) | دار المعرفة |

- **من سير الصحابة**

| | | |
|---|---|---|
| ٤٦ | حياة أبي بكر | دار الجيل . لبنان |
| ٤٧ | حياة عمر | دار الجيل . لبنان |
| ٤٨ | حياة عثمان | دار الجيل . لبنان |
| ٤٩ | حياة الإمام على | دار الجيل . لبنان |

| | | |
|---|---|---|
| ٥٠ | حياة بلال | دار الجيل . لبنان |
| ٥١ | حياة أبي هريرة | دار الجيل . لبنان |
| ٥٢ | حياة سعد بن معاذ | دار الجيل . لبنان |
| ٥٣ | حياة أبي ذر | دار الجيل . لبنان |
| ٥٤ | حياة مصعب بن عمير | دار الجيل . لبنان |
| ٥٥ | حياة سعد بن ابي وقاص | دار الجيل . لبنان |
| ٥٦ | حياة أبي عبيدة بن الجراح | دار الجيل . لبنان |
| ٥٧ | حياة خالد | دار الجيل . لبنان |
| ٥٨ | حياة عمرو بن العاص | دار الجيل . لبنان |
| ٥٩ | حياة سلمان الفارسي | دار الجيل . لبنان |
| ٦٠ | حياة عبد الله بن مسعود | دار الجيل . لبنان |
| ٦١ | حياة أبن عباس | دار الجيل . لبنان |
| ٦٢ | حياة أبن عمر | دار الجيل . لبنان |
| ٦٣ | حياة حمزة بن عبد المطلب | دار الجيل . لبنان |
| ٦٤ | حياة جعفر بن ابي طالب | دار الجيل . لبنان |

- **من سير أمهات المؤمنين**

| | | |
|---|---|---|
| ٦٥ | حياة أم المؤمنين خديجة | دار الجيل . لبنان |
| ٦٦ | حياة عائشة أم المؤمنين | دار الجيل . لبنان |

- **من سيرة اهل البيت**

| | | |
|---|---|---|
| ٦٧ | حياة فاطمة | دار الجيل . لبنان |
| ٦٨ | حياة الحسين | دار الجيل . لبنان |

- **من سير أعلام التاريخ الإسلامي**

| | | |
|---|---|---|
| ٦٩ | حياة عمر بن عبدالعزيز | دار الجيل . لبنان |
| ٧٠ | حياة الإمام جلال الدين السيوطي | دار الجيل . لبنان |
| ٧١ | حياة سلطان العلماء العز بن عبد السلام | دار الجيل . لبنان |
| ٧٢ | حياة طارق بن زياد | دار الجيل . لبنان |
| ٧٣ | حياة صلاح الدين | دار الجيل . لبنان |

- **سير منوعة**

| | | |
|---|---|---|
| ٧٤ | حياة الملك المظفر قطز | دار الجيل . لبنان |
| ٧٥ | حياة الملك الظاهر بيبرس | دار الجيل . لبنان |
| ٧٦ | حياة شجرة الدر | دار الجيل . لبنان |
| ٧٧ | حياة عمر المختار | دار الجيل . لبنان |

- **تأملات إيمانية**

| | | |
|---|---|---|
| ٧٨ | إني لأجد ريح يوسف | دار الجيل . لبنان/ دار الفكر |
| ٧٩ | من الظلمات الي النور | دار المعرفة |

| | | |
|---|---|---|
| ٨٠ | يسألونك عن الروح | دار المعرفة |
| ٨١ | إذا البحار فُجرت | المكتبة العصرية |
| ٨٢ | ففهمناها | المكتبة العصرية |
| ٨٣ | مائدة من السماء | المكتبة العصرية |
| ٨٤ | ثم جعلنا الشمس عليه دليلًا | المكتبة العصرية |
| ٨٥ | وشاهد ومشهود | المكتبة العصرية |
| ٨٦ | ليس كمثله شيء | المكتبة العصرية |
| ٨٧ | ذو الجلال والاكرام | المكتبة العصرية |
| ٨٨ | يريدون وجهه | المكتبة العصرية |
| ٨٩ | هذا عطاؤنا | دار المعرفة |
| ٩٠ | في ظلال و عيون | دار المعرفة |
| ٩١ | فأطعمناكموه | دار المعرفة |
| ٩٢ | المفاتيح العلى | دار المعرفة |
| ٩٣ | لستم على شيء | دار المعرفة |
| ٩٤ | فأسقيناكموه | دار المعرفة |
| ٩٥ | فلمّا تجلى | دار المعرفة |
| ٩٦ | كؤوس الحب الإلهي | دار المعرفة |
| ٩٧ | بين يدي رحمته | دار المعرفة |
| ٩٨ | هذا الشيء العجيب | دار المعرفة |
| ٩٩ | على شاطئ البحر | دار المعرفة |

| | | |
|---|---|---|
| ١٠٠ | ماينفع الناس | المكتبة العصرية |
| ١٠١ | بين الخضر و موسى ( الحقيقة و الشريعة ) | المكتبة العصرية |
| ١٠٢ | نقرة عصفور | المكتبة العصرية |
| ١٠٣ | إشعاعات الحج | المكتبة العصرية |
| ١٠٤ | لطائف التوحيد | المكتبة العصرية |
| ١٠٥ | سبر المرأة | نهضة مصر |

- **إصدارات حديثة (بعد رحيل الكاتب)**

تم إصدار النسخ الإليكترونية لهذه المجموعة بواسطة الأوصياء على النشر أبناء المؤلف

| | | |
|---|---|---|
| ١٠٦ | إنسانيات عمر | الأوصياء على النشر |
| ١٠٧ | منتخب الترغيب والترهيب | الأوصياء على النشر |
| ١٠٨ | الإسراء والمعراج | الأوصياء على النشر |
| ١٠٩ | الرحمة المكنونة في شعائر الله | الأوصياء على النشر |
| ١١٠ | تفسير أعظم الآيات | الأوصياء على النشر |
| ١١١ | وإن من شيء إلا يسبح بحمده | الأوصياء على النشر |
| ١١٢ | البكائين السبعة | الأوصياء على النشر |
| ١١٣ | الإنسان كما وصفه القرآن | الأوصياء على النشر |
| ١١٤ | حياة عبد الرحمن بن عوف | الأوصياء على النشر |
| ١١٥ | حياة الامام الحسن | الأوصياء على النشر |
| ١١٦ | المختار من الأذكار | الأوصياء على النشر |

| | | |
|---|---|---|
| ١١٧ | حياة ابليس | الأوصياء على النشر |
| ١١٨ | حياة زيد بن حارثة | الأوصياء على النشر |

- **تحت الإعداد للنشر**

| | | |
|---|---|---|
| ١١٩ | تفسير القرآن الكريم (ثلاثون جزء) | الأوصياء على النشر |

**اللهم ... منك ... وإليك**

الكاتب هو المفكر الإسلامي المعاصر محمود شلبي، ولد في فبراير ١٩٢٢ وتوفي في يونيو ٢٠٠٦ تاركا وراءه أكثر من ١٥٠ مؤلفا نشر منها ما يزيد عن المائة تزخر بها المكتبات الإسلامية mahmoud-shalaby.com

# ماذا في هذا الكتاب

عمر بن الخطاب أعجب رجل على الإطلاق

وضعت جميع مقدرات الأرض تحت يديه ... فلم يلتفت إليها ...

لم تشهد البشرية ولن تشهد رجلا حكمها كلها فعدل عدل عمر !!

إذا أردت أن تعلم حقيقة التطبيق الإسلامي الصحيح ... فانظر إلى تطبيق عمر للإسلام.. عملاق الحقّ ... أو الحقّ في عملاق ... هو الفاروق ...

قال رسول الله ﷺ : "إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه، وهو الفاروق فرق الله به بين الحق والباطل" !!

وكما كانت الشياطين تفر من عمر - من قوة شخصيته - كذلك كانت سياسة عمر ... حين حكم العالم ... كان أهل الباطل يفرون منه فرارا ...

قال رسول الله ﷺ : "والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكًا فجا إلا سلك فجًا غير فجك" !! فما كان من سمات شخصيته كان من سمات سياسته!!

ها كم عمر ... نظامًا سياسيًا، كاملاً، متكاملاً، شهد له الأعداء قبل الأصدقاء.

نظام يشمخ بأنفه إلى السماء، وتتلاشى إلى جواره كل النظم التي قامت، أو تقوم فوق الأرض.

قال النبي ﷺ : "أشد أمتي في أمر الله عمر"

لقد كان الرجل الذي اكتملت في عهده الدولة، ونضجت في حكمه الفكرة، واتسع في عهده التطبيق ... وكانت غرائب، وعجائب، وعظائم من الرجل ...

سوف نرى في ذلك الكتاب أمرًا عجيًا ... ومن كان في شك، فليقرأ، وليحكم ...